
مؤسسة
عيبال
التجربة
العسكرية
علي فياض



علي فياض

التجربة العسكرية الفيتنامية



إهــداء

إلى أول فلسطيني في فيتنام ...

الذي فتح لنا الطريق إلى تجربتها الثورية

إلى الشهيد القائد خليل الوزير « أبو جهاد »



مؤسسة عيبال للدراسات والنشر

IBAL Publishing Institution L.T.D.

Tel: 455242, 455904

Telefax: 455569 Telex: 6517 IBAL CY P.O.Box:9558

70, Makarios Ave. No 401 Cyprus-Nicosia

الطبعة الأولى - نيسان ١٩٩٠

الإشــراف الفني : جمال الأبطــح

شكر

إلى السادة :

الجنرال نجوين فو جياب وزير الدفاع الأسبق

الجنرال فان تين زونغ وزير الدفاع السابق

الجنرال لي دوك آن وزير الدفاع الحالي

إلى السادة :

الضباط المسؤولين في لجنة العلاقات الخارجية
وهيئة التدريب المركزية وصحيفة جيش الشعب
بوزارة الدفاع في جمهورية فيتنام الإشتراكية

لما قدموه من مساعدة لإنجاز هذا العمل المتواضع



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقـــدمـــــة

لماذا وكيف انتصر الفيتناميون ؟

قد يبدو طرح مثل هذا السؤال الآن غريباً بعض الشيء لماذا ؟ لأنه من وجهة نظر ثورية كان لا بد من انتصار الفيتناميين الذين اعتمدوا استراتيجية ثورية عصرية ، أي لأن انتصارهم كان أمراً مفروغاً منه غير قابل للتشكيك أو التساؤل .

ومن وجهة نظر أكاديمية فإن مناقشة هكذا انتصار والأسباب المؤدية إليه تأتي متأخرة من حيث التوقيت بل وتبدو غير مثيرة للإهتمام .

لكن بالنسبة لنا ـ في الثورة الفلسطينية ـ يبدو القياس مختلفاً لسببين :

الأول : لأن حربنا الثورية لم تؤدِ حتى الآن إلى الانتصار رغم عظيم التضحيات التي قدمها شعبنا ، وفداحة الخسائر التي لحقت بنا !

الثاني : لأن هناك اتجاهاً استقوى مؤخراً ـ يشكك في نجاعة تلك الحرب الثورية ويدعو الى الاعتماد على العمل السياسي ـ السلمي بشكل رئيسي، من هنا تجيء الاستعانة بالتجربة الفيتنامية مجدداً .

لماذا انتصر غيرنا « الفيتناميون » ؟

هنا نحاول إلقاء الضوء الكافي على مراحل تطور الثورة الفيتنامية ليس من أجل استعراضها فحسب ، بل للتعرف من خلال ذلك على الأسباب والظروف الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية التي جعلت الفتناميين ـ وبشكل خاص قيادتهم ـ قادرين على إدراك القوانين العامة التي تحكم الصراع. وبالتالي ارساء الاستراتيجية الأكثر ملائمة في الحرب الثورية التي خيضت دون هوادة .

وكيف انتصر الفيتناميون ؟؟

هنا محاولة للتعرف على تجربة الفيتناميين في تطبيقاتهم المحلية المبدعة لقوانين وقواعد حروب التحرير الشعبية بما يتلاءم وظروف بلدهم وخصوصيات ساحتهم النضالية ، وفي هذا الشأن أمكن الإستفادة من الوثائق والتصريحات التي صدرت عن الفيتناميين في مرحلة مابعد الحرب والتي لم تكن ممكنة أو متوفرة خلالها .

لكن هل يمكن اختصار تلك التجربة في دراسة واحدة ؟

لاشك أن الثورة الفيتنامية قدمت خلال مسيرتها الطويلة والشاقة تجربة غنية في الجانبين النظري والعملي لاستراتيجية حرب التحرير الشعبية التي اختبرت مرتين متتاليتين على نفس الساحة وفي ظروف مختلفة وأثبتت نجاعتها باعتبارها الاستراتيجية الأكثر مناسبة لحركات التحرر الوطني في العالم الثالث :

في التجربة الاولى ضد الفرنسيين برزت دروس وخبرات ثمينة جرى الإستفادة منها في التجربة الثانية ضد الامريكيين تأكيداً أو إغناءً . . لذلك فإن تلك الدروس والخبرات تنتشر على مساحة واسعة من المجالات السياسية والتنظيمية والعسكرية يصعب حصرها في دراسة كاملة واحدة ، لكن اهتمامنا في هذا الكتاب يتركز في المقام الأول على التجربة الفيتنامية في جانبها العسكري ومايتعلق به بشكل مباشر من الجوانب الأخرى .

وهنا لابد من التذكير بحقائق أربع :

الأولى : إن ما أنجزه الفيتناميون عسكرياً ماكان لينجز وبهذا الشكل المبدع لولا استناده الى استراتيجية عسكرية متكاملة .

الثانية : ان الاستراتيجية العسكرية المذكورة كانت ستظل مجرد تحفة نظرية لولا استنادها الى بناء تنظيمي طليعي متماسك من طراز خاص هو الحزب الشيوعي الفيتنامي .

الثالثة : ان الحزب الشيوعي المذكور لم يكن ليستطيع توفير الشروط المادية والمعنوية للانتصار لو لم يتمكن من قيادة الامة بأسرها عبر تشكيلات وطنية مرنة ومناسبة .

الرابعة : أن العمل العسكري في فيتنام لم يكن على حساب العمل السياسي (بشقيه الداخلي والدبلوماسي) لكنه كان قوته الضاربة التي وفرت له المصداقية وتبادلت معه هوامش التحرك والمناورة .

أخيراً ، لكي لا يبدو في محاولتنا لاستحضار التجربة الفيتنامية ، استخفافاً بالتجربة الفلسطينية ، لابد من التذكير بوجود نقاط اختلاف عديدة بين الثورتين ، منها مايتعلق بالامكانيات البشرية والطبيعية ، ومنها مايتعلق بالظروف السياسية والموضوعية المحيطة بكلا

البلدين . . وتحضرني بهذه المناسبة كلمات الجنرال جياب الى عدد من الضباط الفلسطينيين الذين كانوا مشدودين إلى بساطة وتواضع هذا القائد الشهير قال لهم :[1]

« نحن أيها الرفاق لا نوزع النصائح ، ولا نعلّم الناس كيف يقاتلون ، نحن فقط نقدم لكم خبراتنا . . . » .

وكتابنا هذا مجرد محاولة في هذا الاتجاه لا أكثر

علي فياض



الباب الأول

العسكرية الفيتنامية: الجذور والمحطات الأولى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العسكرية الفيتنامية: الجذور والمحطات الأولى

العسكرية الفيتنامية التي ملأت الآفاق شهرة منذ أواسط القرن الحالي لم تكن مجرد ظاهرة عابرة في تاريخ الهند الصينية كما أنها لم تكن طفرة معزولة في تاريخ الشعب الفيتنامي . لو كانت كذلك لما استمرت متوهجة لعشرات السنين ، ولما استطاعت أن تحرز واحدة من أنصع الانتصارات على الاستعمار الفرنسي وأخرى أعظم ضد الإمبريالية الأمريكية ،

إذا أردنا تبسيط المعادلة فإن العسكرية الفيتنامية استندت إلى ثلاثة عناصر أساسية : الإنسان الفيتنامي ، الأرض الفيتنامية ، الوعي الفيتنامي ، وبنمو وتطور وتفاعل هذه العناصر الثلاثة بالشكل الأمثل ، استطاعت هذه العسكرية الآسيوية الفلاحية البسيطة أن تتصدى للقوى العسكرية الغربية الجبارة بنجاح منقطع النظير .

هل يمكن دراسة التجربة العسكرية الفيتنامية دون التعرف على التربة التي نشأت فيها تلك العسكرية ، التربة البشرية والطبيعية والنفسية ؟

في هذا الباب نستعرض الأهمية الاقتصادية والعسكرية لفيتنام . ونتتبع تطور الخارطة البشرية والإجتماعية للفيتناميين كمقدمة لابد منها قبل إستعراض نشوء العسكرية الفيتنامية والمحطات الرئيسية في تطورها من التبلور القومي إلى التشكل الكياني إلى إقامة الدولة الحديثة والموحدة .

من المعروف أن المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي في أواسط القرن الماضي لم تبدأ على يد الشيوعيين ، حيث كان للجيش الملكي بقيادة ضباطه وأمرائه الوطنيين دور مشرف في عرقلة الزحف الفرنسي وفي المقاومة الشعبية وفي التنظيمات السرية التي ظهرت لاحقاً ، ورغم فشل تلك التجربة الّا أنها أضافت خبرات غنية إلى مسيرة العسكرية الفيتنامية لايمكن تجاهلها أو القفز عنها ، وقد استفادت منها القيادات القومية والثورية التي تزعمت الحركة الوطنية بعد إفلاس القيادات الملكية والتقليدية كما سنرى في الفصول القادمة .

الفصل الأول :

الجغرافيا السياسية لفيتنام

أولاً : الأهمية الاقتصادية والعسكرية

تقع فيتنام على الحدود الشرقية لشبه جزيرة الهند الصينية ، وتمتد على شواطىء المحيط الهادي لمسافة تصل إلى ٢٤٠٠ كم تأخذ فيها شكل (S) المسافة بين أقصى نقطتين فيها تبلغ ١٦٥٠ كم[٢] .

تبلغ مساحة فيتنام ٣٣٠ ألف كم مربع تقريباً ، وبذلك تكون رابع دولة من حيث المساحة في جنوب شرق آسيا ، بعد أندونيسيا وبورما وتايلند ، وكذلك الرابعة بين البلدان الإشتراكية بعد الصين والإتحاد السوفييتي ومنغوليا .

الحدود البرية لفيتنام تبلغ ٣٧٥٠ كم تشارك فيها ثلاثة بلدان ، حيث حدودها الشمالية مع الصين تصل إلى ١١٥٠كم ، والحدود الغربية مع لاوس تبلغ ١٦٥٠ كم ومع كمبوديا ٩٥٠ كم .

تضم دولة فيتنام ثلاث أجزاء رئيسية ، شكلت في بعض الأوقات أقاليم سياسية أو شبه كيانات ، لم تعمر طويلاً :

الأقليم الشمالي :

يطلق عليه بالفيتنامية « باك بو Bac Bo أو تونكين Tongking حسب التسمية الفرنسية ، وتوجد في هذا الجزء ـ الثاني من حيث المساحة ـ اعرض منطقة فيتنامية . حيث تصل المسافة بين أقصى نقطة شرقاً « مونغ كاي » والحدود اللادسية غرباً إلى ٦٠٠ كم ، وفي هذا الأقليم تقع العاصمة الحالية هانوي Hanoi ، والميناء الرئيسي هايفونغ Haiphang .

الأقليم الأوسط :

يدعى « ترونغ بو » Trung Bo فيتنامياً ، بينما أطلق عليه الفرنسيون إسم أنام Anam ، وهو عبارة عن شريط ضيق يمتد بين الأقليم الشمالي والأقليم الجنوبي ، ولا يتجاوز عرضه في بعض المناطق ٥٠ كم ، وتوجد فيه العاصمة الامبراطورية هوي Hue وميناء دانانغ Danang

الاقليم الجنوبي :

يطلق عليه محلياً « نام بو » Nam Bo وهو أكبر الأجزاء الثلاثة مساحة وأغناها سهولاً ، و يشتهر بدلتا وفروع نهر الميكونغ ، توجد فيه العاصمة السابقة للجنوب سايجون Saigon ، وأطلق عليه الفرنسيون كوشين شينا Cochin China [٣] .

وبعد مؤتمر جنيف ١٩٥٤ تكرس وجود أقليمين ؛ فيتنام الجنوبية وعاصمتها سايجون ، وفيتنام الشمالية وعاصمتها هانوي ، يفصلهما خط عرض ١٧ [٤] ، واستمر هذا الوضع حتى توحيدهما في دولة اشتراكية واحدة عام ١٩٧٦ .

تشكل الجبال والهضاب ثلاثة أرباح البلاد ، لكنها لاتشكل حدوداً طبيعية لفيتنام ، لأن سلاسل الجبال والأنهار والوديان تتداخل على مستوى منطقة الهند الصينية كلها . وإذا كانت هذه النقطة تعتبر ايجابية من حيث تسهيل عمليات التبادل التجاري والتنقل بين بلدان المنطقة ، كما أنها من الناحية العسكرية ساعدت على تسهيل التعاون وتبادل المساعدة بين القوات الثورية في كل من فيتنام ولاوس وكمبوديا ، إلاّ أن الجانب السلبي فيها يكمن اقتصادياً في صعوبة استخراج الثروة المعدنية ، وعسكرياً في امكانية الإختراقات الأمنية المختلفة .

أعلى قمة جبلية يبلغ ارتفاعها ٣١٤٣ متراً (جبل فانغ سي بانغ) وتقع في المنطقة الجبلية الشمالية الغربية ، وتليها مجموعة من الجبال التي يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ الى ثلاثة آلاف متر وتقع معظمها في نفس المنطقة أما المستوى الثاني - بين ألف وألفي متر - فيتوزع في المنطقتين الشمالية والوسطى ، بينما تبلغ المرتفعات - التي لا تتجاوز خمسائة متر ارتفاعاً - حوالي ٣٠ بالمائة من مساحة البلاد ، وتعتبر امتداداً للهضاب الصينية الجنوبية ، ويقسمها وادي النهر الأحمر الى كتلتين ؛ تتجه احداها إلى الجنوب والأخرى الى الشرق ، أما المنطقة الجبلية الثانية في فيتنام فإنها تقع في جنوب فيتنام الوسطى وتستمر لتحتل شمال فيتنام الجنوبية [٥] .

من الناحية العسكرية : شكلت المناطق الجبلية تلك ، عبر التاريخ الفيتنامي مناطق صالحة للتمرد والعصيان ، كما اتخذت كقواعد منيعة لكثير من الحركات المسلحة ، وفي الحرب ضد الإستعمار الفرنسي استفادت القيادات الوطنية من تلك المناطق لإنشاء قواعد

ثورية مسلحة ، وعندما تولى الشيوعيون قيادة العمل الوطني اتخذوا من المنطقتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية قواعد انطلاق حرب الاستقلال في أواسط الأربعينات ، وقواعد دفاعية آمنة في أواخر الأربعينات ، ومرة ثالثة كقواعد انطلاق للمرحلة الهجومية ضد القوات الفرنسية في أوائل الخمسينات ، والتي تتوجب بمعركة ديان بيان فو Dien Bien Phu وفي الستينات عملت جبهة التحرير الوطني بجنوب فيتنام على تحويل المناطق الجبلية الوسطى - الجنوبية ، الى قواعد ثورية منيعة في نضالها ضد القوات الرجعية والقوات الأمريكية .

السهول تشكل حوالي ربع مساحة البلاد[٦] . وتتركز شمالاً في دلتا ووادي النهر الأحمر (سهول باك بو الشهيرة البالغة ١٥ ألف كم مربع) وحول نهري كاو Cau وما Ma ، وشريط ضيق في فيتنام الوسطى ، أما في فيتنام الجنوبية فتوجد أغنى المناطق السهلية في دلتا نهر الميكونغ وفروعه ، وأنهار سايجون وفام تاي Tay وفام دانغ Dang .

الثروة المائية في فيتنام غنية ومتنوعة ، فبالإضافة إلى بحر الصين الجنوبي الذي تحتضنه السواحل الشمالية بامتداد تسعمائة كيلو متر ، هناك السواحل الغنية جداً في الجنوب والوسط والتي تصل بتعرجاتها وخلجانها إلى ألف وخمسمائة كيلومتر ، أما الأنهار والجداول فإنها تجري لأكثر من أربعة عشر ألف كيلومتر ، يعتبر النهر الأحمر[٧] أهمها في المنطقة الشمالية حيث يسير فيها حوالي ٥٠٨ كيلو ، أما الميكونغ فهو أهم الأنهار الجنوبية ويبلغ طوله ٤٥٠٠ كيلو مخترقاً لاوس وكمبوديا وتايلند ، أما الأنهار في المنطقة الوسطى فإنها أصغر وأقل أهمية ومنها بن هاي ، نجين ، تشو ، كون ، جيانه . ومع ذلك فإن تلك الأنهار مع الجداول والبحيرات المنتشرة في انحاء مختلفة تشكل ثروة مائية جيدة .

وإذا تجاوزنا الأهمية الإقتصادية لهكذا ثروة مائية (سمكية وكهربائية ونقل) فإن الأنهار وفروعها شكلت أهمية خاصة في العمل العسكري منذ التاريخ القديم ، وتعتبر معارك الأنهار من أشهر الحروب التي دارت بين سكان البلاد والغزوات الإقطاعية الشمالية الصينية ، وكذلك في المعارك مع الهجمات المغولية والسيامية .

وفي التاريخ الحديث ، شكلت الأنهار ميداناً ملائماً لحرب المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي ، ولاحقاً لحرب العصابات الثورية ضد القوات الفرنسية ، كما لعبت الطرق المائية دوراً متميزاً في خدمة التكتيكات الثورية في مواجهة التقنية العسكرية الأمريكية المتطورة .

من ناحية المناخ : تعتبر الأرض الفيتنامية داخل المنطقة المدارية ، فهي تتوسط منطقة جنوب شرق آسيا ، وأقرب الى منطقة مدار السرطان ، منها إلى خط الإستواء ، تنحصر بين خطي عرض ٨,٣٣-٢٢,٢٣ شمالاً ، وخطي طول ١٠٢,١٠-١٠٩,٢١ درجة شرقاً .

- الشتاء الذي يمتد من نوفمبر (تشرين ثاني) إلى إبريل (نيسان) بارد قليلاً وجاف

مع بعض الموجات الأكثر برودة أحياناً ، معدل درجة الحرارة فيه تصل إلى ٢٠ درجة مئوية ، تهبط بعض الأحيان الى ٥ درجات في العاصمة في ديسمبر (كانون أول) ويناير (كانون ثاني) أما الأمطار الشتوية فهي قليلة .

ـ الصيف الذي يمتد من مايو (أيار) إلى اكتوبر (تشرين أول) ساخن ، ورطب ، تصل الحرارة أحياناً فيه إلى ٣٨ درجة مئوية ، والرطوبة تتراوح بين ٨٠ ـ ١٠٠ بالمائة ، وفي هذا الفصل تشهد البلاد الفيضانات والأعاصير وخاصة في شهري يوليه (تموز) واغسطس (أب) ويتراوح منسوب الأمطار بين ١٢٢ ـ ١٦٠ ملم بينما قد يصل أعلى منسوب في الشمال الى ٧٠٠ ملم

وهكذا نرى الطقس وتوزيع الأمطار والحرارة ليست متساوية أو متقاربة في أجزاء البلاد ، فالشتاء لايتجاوز الشهرين في الجنوب أحياناً على سبيل المثال ، وباعتبار فيتنام تقع في ملتقى موجات الرياح الموسمية الآسيوية المختلفة ـ الشمالية الشرقية ، والجنوبية الشرقية ، والجنوبية الغربية ، فإن الجو بالتالي غير مستقر ، وغير منتظم ، فأحياناً تمر بالبلاد حالة جفاف مخيفة ، وأحياناً تمر بها حالة أمطار وفيضانات وأعاصير مدمرة ، لذا يميل بعض المحللين الجغرافيين إلى تصنيف فيتنام بين خصائص المنطقة المدارية والمنطقة شبه الاستوائية دون إطلاق.

لاشك أن المناخ الفيتنامي الصعب كان أحد العوامل السلبية أوغير المواتية من الناحية العسكرية بالنسبة للغزاة الأجانب ، وخاصة أولئك القادمين من أوروبا وأمريكا ، وكثيراً ماتأثرت القدرة القتالية والحالة المعنوية للجنود الفرنسيين والامريكيين رغم المعالجات التقنية المحدودة ، وفي المقابل كان المقاتلون الوطنيون ـ المعتادون على جو بلادهم ـ أكثر قدرة على الحركة والمناورة وأكثر جلداً ، كذلك فإن التفوق الجوي الأمريكي كثيراً ما واجه المشاكل الناتجة عن تجمعات الغيوم الداكنة .

ماتقدم حول جغرافية فيتنام[٨] تنوع تضاريسها ، اختلاف مناخها ، امتدادها الطولي على المحيط ، جعلها تحتوي على ثروات طبيعية هائلة ، وتمتلك امكانيات اقتصادية غير محدودة ، هذه بعض ملامحها :

من الثروة النباتية ، ينمو في فيتنام أكثر من ١٤ ألف نبات تنتمي إلى أكثر من مائتي اسرة نباتية ، وتبلغ مساحة الغابات ١٦ مليون هكتار تغطي حوالي ٤٣ بالمائة من مساحة البلاد وهي غنية جداً بأنواع مختلفة من الأشجار المثمرة التي تصل إلى مائة نوع ، والأشجار الطبية وغير المثمرة التي تبلغ حوالي ألف نوع ، اضافة الى الثروة الخشبية الهائلة . ولا يخفى على أحد الأهمية التي كانت للغابات في حرب العصابات ضد الفرنسيين ، وفي حرب التحرير الشعبية ضد الأمريكيين .

المساحة المزروعة من جانب الفيتناميين قد لاتزيد عن ١٦ بالمائة من الأرض ومع ذلك فإن فيها تنوعاً كبيراً في المحاصيل الزراعية ؛

المحاصيل الغذائية تشكل حوالي تسعين بالمائة ويعتبر الأرز في مقدمتها حيث يحتل نسبة ثمانين بالمائة منها ، تليه الذرة والبقول والبطاطا .

المحاصيل الصناعية تأتي في المرتبة الثانية وتشمل القطن وقصب السكر والمطاط ومنها المحاصيل الزيتية كالفول السوداني والصويا والكتان ، والمحاصيل المنبهة كالشاي والقهوة والدخان .

الثروة الحيوانية والمائية كبيرة جداً أيضاً . ويعيش في فيتنام أكثر من أربعمائة نوع من الحيوانات وثلاثمائة نوع من الزواحف ، ومائة نوع من البرمائيات ، ويعتبر الخنزير أهم الحيوانات تليه الجواميس ثم البقر والثيران فالأغنام . والدواجن والطيور . أما الثروة السمكية فهي هائلة حيث تقدر أنواع الأحياء البحرية والنهرية بحوالي ألف نوع .

أما الثورة المعدنية فرغم توفرها في باطن الارض بشكل كبير حسب التقديرات إلاّ أن استغلالها لم يكن مرضياً ، بسبب الكثير من المصاعب الطبيعية والقنية والمالية ، ويمكن القول أن الجزء الأكبر من هذه الثروة يوجد في الشمال والمناطق الجبلية ، يعتبر الفحم أوسع هذه الثروات يليه القصدير والتنجستين والحديد ، ثم الزنك والفضة والرصاص ثم الذهب .

أما البترول فإنه يوجد في مناطق دلتا الميكونغ والأحمر ، وكذلك داخل المياه الاقليمية الجنوبية .

من هذا الاستعراض الموجز للثروات الطبيعية[٩] يمكن التأكيد على الامكانيات الاقتصادية الكبيرة في هذه البلاد ، وقد شكلت الموارد والموا د الأولية والطبيعية الغنية إغراءً دائماً للقوى الاستعمارية التي احتلت فيتنام (الفرنسيون واليابانيون والامريكيون) ومن قبلهم الغزوات الاقطاعية المجاورة ، إلا أنها وفي نفس الوقت شكلت أساساً للصناعات الوطنية النامية عندما امتلك الوطنيون زمام الأمور . كذلك لعبت هذه الامكانيات دوراً هاماً في صمود المناطق المحررة في الخمسينات ، وفي بناء اقتصاد السلطة الثورية في السيتنات ، وأخيراً في بناء فيتنام الديمقراطية كقاعدة للتحول الاشتراكي بعد مؤتمر جنيف حيث انتشرت محطات التوليد الكهربائي (المعتمدة على المصادر المائية) . ومعامل النسيج ومصانع الألبسة (المعتمدة على القطن) ومعامل الإسمنت والطوب والقرميد ومعامل الورق والسكر (المعتمدة على المواد المحلية) اضافة الى مجمع الحديد والصلب والصناعات العسكرية والمدنية المعمدة على انتاجه ، والصناعات الغذائية والكيماوية المختلفة .

طبعاً وجود هذه الثروات والامكانيات لم يمنع تعرض شعب فيتنام لسلسلة من

المجاعات في تاريخه الطويل ، أودت بحياة الملايين من ابنائه ، وكان ذلك نتيجة للكوارث الطبيعية والتخلف الإقتصادي ، لكن أيضاً نتيجة للاستغلال الاستعماري والإقطاعي البشع لتلك الإمكانيات ، وللتوزيع غير العادل لثروات البلاد ، تلك هي المسألة الأولى (المشكلة الغذائية) التي واجهت حكومة الثورة فور اعلان الاستقلال في سبتمبر ١٩٤٥ ، وكانت اختباراً صعباً للسلطة الوطنية كما سنرى في فصل قادم .

ثانياً : التكوين الإجتماعي والإمكانيات البشرية

يعتز الفيتناميون بأنهم من أقدم بلدان جنوب شرق آسيا ، وأن أمتهم تمتد حضارتها إلى أربعة آلاف سنة عبر التاريخ ، حيث تعود الأصول البشرية لسكان المنطقة ـ كما تشير الوثائق ـ الى المجموعة الإسترالية القادمة من الجنوب والمجموعة المنغولية القادمة من الشمال[١٠] .

تاريخ فيتنام يعود إلى مملكة فانغ لانغ Van Lang الساحلية التي أسسها هونغ فونغ في دلتا النهر الأحمر ، ومملكة تاي أو أو فيت Au Viet الجبلية التي قام أحد ملوكلها ويدعى ثوك فان بضم المملكة الساحلية اليها مشكلاً أول مملكة مركزية موحدة في المنطقة الفيتنامية عرفت باسم أو لاك Au Lac عام ٢٥٨ ق.م وعاصمتها كولوا Co Loa قرب هانوي الحالية . منذ ذلك التاريخ تعرضت المنطقة لسلسلة من الغزوات الشمالية من جانب قبائل تان وهان الصينية ، وكان أبرزها الغزو الذي بدأ عام ١١١ق.م واستمر لمدة ألف عام حتى الانسحاب عام ٩٣٩ في عهد سلالة نجو كوين الفيتنامية Ngo Quyen .

يعود إلى ملوك سلالة دنه Dinh الفضل في تأسيس مملكة داي كوفيت Dai Co Viet بعد القضاء على الاقطاعيين المتنازعين ، ثم جاءت سلالة ليه Le لتكمل توحيد المنطقة وأحكام السيطرة عليها بعد صد هجمة صينية جديدة عام ٩٨١ ويعود الفضل إليها في إصدار أول عملة وطنية فيتنامية عام ٩٨٣ .

سلالة لي Ly التي حكمت اعتباراً من ١٠٠٩ غيرت إسم البلاد إلى داي فيت Dai Viet أي فيتنام الكبرى حيث جرت معارك مع مملكة شامبا Champa والكمبوديين والصينيين ، ونقلت العاصمة الى تانغ لونغ Thang Laong مكان هانوي . وفي ظلها انتشرت البوذية بينما قامت اسرة تران Tran اعتباراً من ١٢٢٥ بتأسيس الدولة المركزية الحديثة ، بحركتها العمرانية والإدارية والزراعية والعسكرية ، كما تصدت قواتها المسلحة للغزو المغولي .

في مطلع القرن الخامس عشر حاول الملك هو كوي لي Ho Quy Ly التوسع جنوباً بعد أن أدخل اصلاحات تعليمية ومالية وصحية عديدة في البلاد ، إلا أن الأمبراطور الصيني منغ

Ming بادر باحتلال الأجزاء الشمالية من المملكة الفيتنامية عام ١٤١٤ مطلقاً عليها اسم جياوتشي Giao Che باعتبارها محافظة صينية الى أن تمكن ليه لوي Le Loi من تحريرها ، مما مكن ملوك سلالة ليه الذين خلفوه من التوسع جنوباً على حساب مملكة شامبا واقاموا أقوى دولة في جنوب شرق آسيا[١١] .

القرن السادس عشر شهد ضعف السلالة الملكية وصراعاً على السلطة أدى إلى قيام حكم أسرة ترنه Trinh الاقطاعية في شمال البلاد ، وأسرة نجوين Nguyen الاقطاعية في الجنوب ، وظل الصراع بين الأسرتين حتى القرن السابع عشر حيث شهدت البلاد سلسلة أزمات زراعية وإدارية في المناطق الشمالية وقامت ثورة فلاحية في جبال تام داو Tam Dao أدت الى إضعاف اسرة ترنه وتولي العسكريين السلطة الفعلية . أما أسرة نجوين الجنوبية فقد واجهت الإضطرابات والعصابات المختلفة ، وتولى السلطة الحقيقية هناك ترونغ لوان .

الانتفاضة الفلاحية الكبرى في القرن الثامن عشر بقيادة الأشقاء نجوين تمكنت من إنهاء سيطرة الاسرتين الإقطاعيتين . وتوحيد البلاد ، كما وضع المتفضون حداً للتدخلات السيامية عام ١٧٨٥ والصينية عام ١٧٨٩ وبدأوا في إدخال الإصلاحات الزراعية والحرفية والتجارية واللغوية . وأقاموا جيشاً فلاحياً قوياً ، إلاّ أن التجربة لم يسمح لها بالإستمرار طويلاً بسبب الأطماع الفرنسية .

استغل الفرنسيون فرار أحد أمراء أسرة نجوين إلى سيام ويدعى نجوين أنه Anh وقدموا له الدعم العسكري لاستعادة السلطة مقابل اعطائهم ميناء دانانغ وجزيرة بولو كوندور[١٢] وتسهيلات أخرى ، فتمكن من السيطرة على المناطق الجنوبية عام ١٧٩٠ ثم إمتد إلى الشمال وأعلن نفسه ملكاً على البلاد عام ١٨٠١ تحت اسم جيالونغ Gia Long فاتحاً البلاد أمام النشاطات التبشيرية والتجارية الفرنسية ممهداً الطريق أمام الغزو العسكري الفرنسي الذي بدأ عملياً عام ١٨٥٨ .

بعد موت جيالونغ حاول الملوك الذين خلفوه منذ ١٨١٠(مينه مانغ Minh Lang ثيوترى Thieu Tri تو دوك Tu Duc)الحد من نفوذ الفرنسيين وعرقلة نشاطات البعثات التبشيرية المسيحية إلاّ أن القوة العسكرية الفرنسية حسمت الأمر في نهاية الأمر . واستمر الاحتلال الفرنسي والمقاومة الفيتنامية ضده حتى الهزيمة الفرنسية النهائية عام ١٩٥٤ .

يعتبر الفيتناميون Viets أكبر القوميات الموجودة في فيتنام ويطلق على تلك القومية اسم كينه Kinh من قبل الاقليات القومية الاخرى ، ويشكل الفيتناميون أكثر من ٨٠ بالمائة من السكان الذين يتجاوزون الآن ٥٥ مليون نسمة ، ويحتلون السهول بشكل رئيسي ، وخاصة دلتا الأحمر ، والميكونغ والساحل الأوسط ، أما القوميات الأخرى فمعظمها يعيش في المناطق الجبلية والهضاب وأحياناً الوديان . وبشكل رئيسي في شمال وشمال غرب ، وغرب البلاد ،

ومن أبرز تلك الأقليات هوا Hoa تاي نونغ Tay- Nung ثاي Thai مونغ Muong زاو Zao ميو Meo خمير Khmer سيدانغ Sedang باهنار Bahnar تشام Cham جياراي ـ Gia- Rai أيدي Adı بالاضافة إلى عشرات الأقليات الصغيرة العدد .

الأقليات القومية لها لغاتها ولهجاتها الخاصة بها إضافة إلى اللغة القومية الرئيسية « نوم Mom » التي تعتبر من اللغات المشتقة أصلاً من لغة هان الصينية . لكن البعثات التبشيرية عملت على تلتين لغة نوم في القرن السابع عشر وأطلق عليها كوك نجو Quoc Ngo ، حيث سهلت عمليات التبشير أولاً ثم عمليات الإدارة الإستعمارية ، وقد اعتمدت كلغة رسمية للدولة الفيتنامية بعد قيام ثورة اغسطس ١٩٤٥ لفوائدها الحضارية والعملية .

أما المعتقدات والديانات المنتشرة في فيتنام حالياً فقد تكرست بعد ناريخ طويل من انتشـار الأساطير والعجائب والتعاويذ أعقبها الإعتقاد في الأرواح التي تسكن الأشياء ثم الاعتقاد بالأسلاف والعظماء والتي انتشرت في التجمعات الجبلية والسهلية المختلفة .

البـوذية Buddhism كانت أول الديانات الرئيسية وانتشرت في القرن الحادي عشر قادمة من الهند ، بينما التاوية Taoism جاءت من الصين ، الكونفوشية Confucianism قدمت من الصـين وظلت تنـافس البـوذية حتى أصبحت هي الديانة الرسمية للملكة في القرن الخامس عشر ، وعلى خلاف البوذية التي كانت توجه اهتمام الناس نحو الزهد في الحياة الدنيا والإهتمام بالعالم الآخر ، فإن الكونفوشية كانت تركز على الإهتمام بالنفس لأن الإنسان كائن بشري له دوره ، ومع ذلك فقد برز نوعان من الكونفوشية أحدهما في خدمة الملك والحفاظ على امتيازاته والأخرى ذات صفة مثالية وأخلاقية(١٣) .

الإسلام دخل إلى فيتنام عن طريق التجار ، عبر جنوب شرق آسيا وظل وجوده محدوداً في المناطق الجنوبية الغربية ، بينما المسيحية ارتبط وصولها بالإكتشافات الجغرافية الاوروبية ، وحملت مع بعثاتها التبشيرية جذور التدخل الأوروبي في حياة البلاد السياسية والاجتماعية وكـان لها اتبـاع في شمال البـلاد وجنوبها إلى أن رحل مسيحيو الشمال الى الجنوب(١٤) بعد اتفاقيات جنيف ١٩٥٤ .

الزراعة ظلت في فيتنام عبر آلاف السنين الشكل الأساسي للحضارة ، وبالتالي فإن طبقة أقنان الأرض وعبيدها كانت موجوده قبل غيرها تواجه بأغلبيتها الساحقة أسياد الأرض والأقلية المستغلة ، وحتى تاريخنـا الحـاضر ظلت طبقـة الفـلاحين هي الأوسع والأكبر في المجتمع الفيتنامي .

الاقطاعيون كانوا هم الطبقة الثانية التي ظهرت متبلورة فقط في القرن الخامس عشر على أنقاض الدويلات والإقطاعيات الارستقراطية ، ثم ازدهرت في ظل الإدارة الاستعمارية بالطبع على حساب الفلاحين والعمال الزراعيين الذين استمر صراعهم ونضالهم حتى نجاح

الثورة الإشتراكية .

العمال بدأوا في احتلال موقعهم الطبقي في المجتمع مع بناء شبكات الطرق والسكك الحديدية والمواصلات على يد المستعمرين الفرنسيين الذين أخذوا في تحويل البلاد إلى سوق للإحتكارات ومصدراً للمواد الأولية وقاعدة عسكرية منذ نهاية القرن الماضي ، وفي هذا النطاق تحول آلاف الفلاحين والمزارعين الى مزارع المطاط ومشاريع المواصلات والمناجم فأصبحوا عمالاً توحدهم ظروف عمل سيئة وحياة قاسية .

الرأسمالية الفيتنامية بدأت هزيلة في ظل السيطرة الإستعمارية ، وظل تطورها بطيئاً إلا في المجال العقاري حيث سمح ببعض النمو ، وبعض الصناعات الخفيفة والنقل لأن الشركات الإستعمارية كانت أخطبوطاً فرض هيمنته على الحياة الاقتصادية للمستعمرة .

البرجوازية الفيتنامية كانت قد برزت عبر مجموعات الحرفيين أساساً في ميادين الحرف التقليدية والمعدنية والطباعة ، ومع تطور الأعمال التجارية بين الدلتا والجبل في القرن الثاني عشر انتعشت قليلاً لكنها لم تتشكل كطبقة إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر في ظل الحركة الصناعية والتجارية الاستعمارية حيث نمت شرائح البرجوازية الصغيرة سريعاً ، وبرزت البرجوازية التجارية الكومبرادورية أما البرجوازية الوطنية فقد ظلت ضعيفة القواعد الإقتصادية ، محدودة النشاط السياسي لكن المثقفين من أدباء وعلماء وأساتذة بوذيين ومتعلمين فقد كانوا موجودين في المجتمع كفئة متميزة منذ قرون عدة ، ولعبوا دوراً مع نمو الحركة الثقافية الشرقية المتأثرة باليابان والصين ثم مع وصول الحركة الثقافية الاوروبية . وقادوا ـ بمساهمة رئيسية ـ الحركة الوطنية المعادية للفرنسيين سواء في المجال السياسي أو المسلح دون أن يحرزوا الاستقلال الوطني . لكنهم في المقابل ساهموا بحماس وفعالية في الحركة الثورية المسلحة التي خاضها التحالف الفلاحي ـ العمالي بقيادة الحزب الشيوعي ضد الفرنسيين واليابانيين فالأمريكيين حتى النصر(١٥) .

ثالثاً : التقاليد النضالية للفيتناميين

حتى مجيء الاحتلال الفرنسي كان المجتمع الفيتنامي يعتبر مجتمعاً اقطاعياً يعتمد بالأساس على الزراعة ، وكانت الأراضي ملكاً للملك أو الأمبراطور . ومن بعده تأتي طبقة النبلاء والوجهاء وملاك الأراضي ، وفي المقابل كانت عامة الشعب تعاني من الفقر والبؤس والاضطهاد ، ويزداد فقرها وتعاستها كلما حل بالبلاد غزو أجنبي أو احتلال جديد .

على امتداد تاريخه الطويل واجه الشعب الفيتنامي العديد من الحملات والغزوات الاجنبية وكان في كل مرة يهب للدفاع عن أرضه ووطنه ، يلتف حول الوطنيين من بين أولئك

الملوك والأمراء والمستنيرين ، يقاتل عشرات السنين يدفع خلالها دمه وجهده وعرقه ، وبعد المعركة يعود الى واقعه البائس ليصارع من جديد من أجل لقمة العيش وعلى أمل الحد من استغلاله واضطهاده«هذه قصة الشعب الفيتنامي ، سلسلة من الانتفاضات والهبّات الناجحة وغير الناجحة ، ضد مضطهديه المحليين والأجانب على حد سواء ، لكن في هذا التأريخ الطويل ظلت الوطنية الفيتنامية حافزاً دائماً للفيتنامي ، وظل العامل القومي والحس الوطني متأججاً عند الإنسان الفيتنامي بشكل متميز وملاحظ ، وكلمات عرفت قيادته كيف تستثيره وتستحثه كانت تحصل على حصيلة قصوى من التضحية والعطاء ، ذلك يمكن اكتشافه عبر دراسة تأريخ النضال الفيتنامي منذ الاحتلال الصيني الاول الذي انتهى في القرن العاشر وحتى الهجوم الصيني الأخير عام ١٩٧٩ .

قبل التعرض إلى المحطات الرئيسية في مسيرة النضال الفيتنامي . نستعرض بإيجاز أهم الانتفاضات والتمردات التي حدثت قبل القرن العاشر ، أولاً لأن المعلومات والوثائق المتوفرة حول تلك الفترة المبكرة غير كافية لاعطاء صورة حقيقية صحيحة ومتكاملة ، وثانياً لأن الحس الوطني والشخصية القومية لم تكن قد تبلورت تماماً .

أما في القرن العاشر فقد بدأ العامل القومي يترك أثاره الواضحة في مسيرة الصراع ، سواء في التحضير والتأجيج وخوض المعركة مع الغازي الأجنبي أو في مرحلة رفض الوجود الأجنبي وزعزعة أركانه وشن حرب عصيان وعصابات ضده حتى أخراجه ، وخلال هذه المسيرة يمكننا تتبع جذور العسكرية الفيتنامية وملاحظة تطورها حتى وقتنا هذا ، حتى يمكننا القول إنه بين أول كتاب عسكري صدر في فيتنام «أصول الفن العسكري» للقائد الفيتنامي تران داو Tran Dao الذي انتصر على القوات المغولية ، وبين آخر كتاب عسكري للقائد جياب Nguyen Giap الذي هزم القوات الفرنسية والامريكية كانت القومية الفيتنامية والحماس الوطني تلعبان دوراً رئيسياً في رسم خطوط الاستراتيجيات والتكتيكات الناجحة في كل المعارك التي خاضها الشعب الفيتنامي وقواته المسلحة .

من أقدم الحركات المعادية للاحتلال الصيني الألفي ـ حسب المؤرخين ـ ثورة الشقيقتين Trung عام ٣٩ في مقاطعة فينه تو ، حيث نظمتا حركة مقاومة ضد الصينيين نجحت في تحرير عدة أقاليم في المقاطعة إلا أن الجنرال الصيني « مافين » تمكن عام ٤٣ من تصفية الحركة واعادة السيطرة على المنطقة ، الأمر الذي دفع الشقيقتين الى الانتحار في مايو من نفس العام .

الحركة الثانية المعادية للصينيين قادتها السيدة تريو أو Tneu Au في مقاطعة ثانه هوا عام ٢٤٨ بعد وفاة شقيقها الذي كان يقود المقاومة ، وقد احرزت قواتها بعض الإنتصارات على القوات الصينية إلا أنها لم تستمر طويلاً بسبب الحصار الصيني الذي اضعف قواها فاضطرت

إلى الانتحار .

الحركـة الثالثة قادها لي بون Ly Bon متهزاً فرصة إنشغال الجنرالات الصينيين في المعـارك الضـارية مع مملكة شامبا ـ جنوباً ، في القرن السـادس فاعلن حركة تمرد واسعة أسفرت عن اقامة دولة مستقلة بإسم فان سوان إلا أنها لم تعمر أكثر من أربع سنوات ٥٤٢ ـ ٥٤٦ عندما أعادت القوات الصينية السيطرة عليها .

في القرن الثامن شن «ماي لوان» حركة مقاومة عام ٧٢٢ واتخذ من جبال وغابات سانام قاعدة للمقاومة وأعلن نفسه امبراطوراً بعد أن أخرج القوات الصينية من عدة مناطق إلّا أن القوات الصينية شنت هجوماً عسكرياً مضاداً اسفر عن تراجع المقاومة الى الغابات وخمدت بعد موت قائدها .

كما قاد المندرين(١٦) فونغ هونغ حركة مقاومة في منطقة دونغ لام عام ٧٦٦ وتوسع الى المنـاطق المجـاورة ، لكنه توفى قبل أن يعزز قاعدته المستقلة ، ولم يتمكن ابنه « آن » من التصدي للقوات الصينية المهاجمة التي سيطرت على المنطقة واسرته . فقط في القرن العاشر تمكنت المقاومة الفيتنامية التي قادها نجو كوين عام ٩٣٨ ـ ٩٣٩ من انهاء السيطرة الصينية على معظم المناطق الفيتنامية و اعلان حكم سلالته «نجو» على المملكة الفيتنامية التي اتجهت لتعزيز وحدتها وبناء جيشها الملكي للقيام بمهام دفاعية وهجومية متعددة.في القرن الحادي عشر بزر القائد لي كيت على رأس الجيش وخاض معارك برية وبحرية حديثة وناجحة اعتمد فيها على القوات الشعبية وقوات الأقليات بالاضافة الى الجيش النظامي واستطاع أن يفشل الغزو الصيني عام ١٠٧٦ ـ ١٠٧٩ رغم القوات الضخمة المستخدمة في الهجوم .

واستخـدم الجيش المتنامي القدرة في حملات التوسع الفيتنامية على حساب مملكتي شامبـا وكمبـوديا ، وفي القـرن الثالث عشر تمكنت القوات الفيتنامية بقيادة تران داو من التصدي لقوات الغزو المغولي التي احتلت مناطق فيتنامية عديدة واجبرتها على الانسحاب الى شمال النهر الأحمر ، ثم خاضت ضدها معارك كبيرة في ١٢٨٥ ـ ١٢٨٧ أجبرتها على توقيع اتفـاقية تضمن انسحـاب المغول من كل الأراضي الفيتنامية ، وسجلت العسكرية الفيتنامية مفاخر يعتز بها الفيتناميون حتى الآن (سنعود إليها في الفصل القادم) .

في القـرن الخـامس عشر بلغت العسكـرية الفيتنامية درجة عالية من القوة بحيث استطاعت دحر قوات الامبراطور الصيني مينغ . في البداية قاد جيان دنه المقاومة الوطنية ضد القوات الصينية في مقاطعة نجهي أن عام ١٤٠٨ أما كوي خوانغ فقاد المقاومة في هاتنه ١٤٠٩ ـ ١٤١٣ ، ثم واصل ليه لوي قيادة الحركة من مقاطعة ثانه هوا ١٤١٨ متوسعاً نحو العاصمة والمناطق الجبلية ١٤٢٥ حتى تمكن من إرغام الصينيين الى العودة الى بلادهم في

ديسمبر ١٤٢٧ ، ويعزو الفيتناميون نجاح المقاومة الوطنية تلك الى الاستراتيجية الصحيحة والتكتيكات الملائمة التي اتبعها نجوين تراي المستشار العسكري والسياسي .

القرن الثامن عشر ، كان قرن الانتفاضات والتمردات الفلاحية ضد الأسر الاقطاعية الحاكمة في شمال البلاد وجنوبها ، وأبرزها انتفاضة تام داو والنهر الأحمر ، وسون تاي ، وثانه هوا وسون نام ، وهاي زونغ وقد اتبعت تلك الانتفاضات أساليب متعددة من العصيان الى حرب العصابات الى القواعد المتحركة الى اقامة السلطة المؤقتة . وفي المقابل طورت السلطة من قدراتها الأمنية وأنشأت اجهزتها القمعية الحديثة ، وشيدت الأبراج للمراقبة وأنشأت حرس القرى لقمع الفلاحين والفقراء ، مما مكنها من السيطرة على الموقف في جميع الحالات المعارضة السابقة ، وإلحاق الهزيمة بالقوات المنتفضة وتصفية قيادتها .

فقط في الربع الأخير من القرن تمكنت انتفاضة الاشقاء الثلاثة في قرية تاي سون من الانتشار السريع وبمساندة آلاف الفلاحين استطاعت اسقاط السلطات الإقطاعية وبناء جيش فلاحي قوي تصدى للهجمات الاقطاعية عبر الحدود السيامّية والصينية وتعتبر المعارك التي خاضتها قوات الانتفاضة من أشهر المعارك في التأريخ الفيتنامي العسكري لمجموعة من الأسباب سنعرض لها لاحقاً .

القوات الملكية الفيتنامية خاضت في القرن التاسع عشر نوعين من المعارك ؛

ـ معارك مواجهة وتصدي للقوات الفرنسية التي كانت تزحف تدريجياً على الأراضي الفيتنامية انطلاقاً من الساحل ، وهنا لعب التفوق في الأسلحة والتجهيزات والتقنية دوره لصالح الفرنسيين .

ـ هجمات مضادة وحرب عصابات ضد القوات الفرنسية المتمركزة داخل الأراضي المحتلة . شاركت فيها القوى الشعبية ، وهنا لعبت التركيبة التقليدية (الملكية ـ الاقطاعية) الأكثر ميلاً للمساومة دورها في اجهاض حركة المقاومة وفي مطلع القرن العشرين اتجه الوطنيون الفيتناميون نحو النضال السياسي . مع حدوث بعض المغامرات المحدودة ، حتى تبلورت الحركة الوطنية الحديثة بأحزابها البرجوازية والقومية بعد الحرب العالمية الأولى .

بين الحربين الاولى والثانية خاض القوميون والشيوعيون الفيتناميون تجارب نضالية لم يكتب لها النجاح لأسباب ذاتية وموضوعية عديدة ، إلى أن قاد الشيوعيون انتفاضة عسكرية ـ شعبية مسلحة أدت قيام السلطة الوطنية الفيتنامية (سبتمبر ١٩٤٥) .

معركة الحفاظ على السلطة الوطنية التي استغرقت تسع سنوات ضد القوات الفرنسية كانت من أعظم حروب التحرير الوطني ضد الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية ، وتركت دروساً عسكرية غنية وخبرات ثمينة ، وقادة عسكريين متميزين على رأسهم الجنرال جياب .

أمـا معـركـة التصدي للعدوان الامريكي التي استغرقت أكثر من خمس عشر سنة (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥) فكـانت من أبلغ حروب التحـرير العـادلة ضد الحروب الامبريالية العدوانية المزودة بأحدث تكنولوجيا الدمار . وتركت بدورها خبرات ودورس عسكرية غير عادية للشعوب المناضلة .

الفصل الثاني :

العسكرية من القومية الى الكيانية

أولاً : الجيش وتشكل القومية الفيتنامية

حتى مجيء القرن العاشر كانت الحضارة الفيتنامية قد حافظت على خصوصيتها في ذلك الجزء من العالم الى جوار الامبراطورية الصينية الكبيرة بعد أن قاومت كافة أسباب الانصهار والتلاشي خلال الاحتلالات الصينية المتواصلة ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت القومية الفيتنامية تتجه نحو الاستقرار في كيان موحد ومستقل مع تطور التنظيم الإداري للأراضي والقرى والاقطاعيات ، وظهور الملكية الواسعة للطبقة الارستقراطية ، وينظر عدد من المؤرخين إلى القرن العاشر باعتباره تاريخ تشكل الملامح الرئيسية للأمة الفيتنامية كمجتمع مشترك في أراضي محددة ولغة مشتركة ، وحضارة خاصة وإدارة مركزية ، ومشاركة جماعية واعية في الدفاع عن كيانها والتصدي للغزوات الخارجية . من هنا جاءت الحاجة إلى جيش خاص بالمملكة الفيتنامية الوليدة لمواجهة التهديد الصيني الشمالي الدائم مع ناحية ، ولكسر شوكة الشاميين الأقوياء في الجنوب ، وكان هناك نوعان من القوات المسلحة في البداية القوات النظامية المركزية وتتبع الملك مباشرة والجيوش الخاصة التابعة للأمراء في الأقاليم المختلفة ، لكن الحاجة المستمرة إلى قوات اضافية بسبب التفوق العددي الكبير لقوات العدو جعلت السلطة تلجأ إلى السكان مباشرة للمشاركة في الجهد العسكري ، لكن بشكل مؤقت .

أول المعارك العسكرية للملكة الوليدة بعد تصفية الأمراء المتصارعين على السلطة على يد « دنه لينه » ٩٤٤ ـ ٩٦٨ كانت مع مملكة شامبا[١٧] القوية وجرى التوسع جنوباً على

حساب أراضيها تلاها التصدي للحملة الصينية التي أرسلها الأمبراطور سونغ عام ٩٨١ وإعادة السلام إلى الحدود الشمالية

أكبر الإختبارات العسكرية للقوات الفيتنامية جرت في القرن الحادي عشر عندما واجهت القوات الصينية اعتباراً من ١٠٧٥ وقد برز في هذا الحرب «نجو آن» كأرل فيتنامي متخصص في الفنون العسكرية ، حمل رتبة جنرال ، وسمح له باستخدام لقب الأسرة الملكية مكافأة له على انتصاراته ، فأصبح اسمه « ليه كيت » .

ماهي انجازات ليه كيت ؟

عندما واجه الأمبراطور الصيني سونغ Song في القرن الحادي عشر أزمة اقتصادية حادة ، واضطرابات داخلية وجد اقتراح وزيره « وانغ تشي » بالتوجه الى الجنوب مناسباً جداً بسببين أولهما استغلال ونهب ثروات فيتنام لمعالجة الازمة الاقتصادية وثانياً فرض هيبته واستعراض قوته أمام الممالك الصينية الأخرى .

في مواجهة القوات الصينية الزاحفة من الشمال قرر لي كيت بصفته قائد الجيش القيام بحملة استباقية ، برياً عبر مملكة نونغ في الشمال الغربي ، وبحرياً عبر بحر الصين الجنوبي ، إلّا أن خطته فشلت بسبب الإستعدادات الصينية السريعة وبسبب تحالف الامبراطورية الصينية مع مملكتي الخمير(١٨) والشام في جنوب وغرب الملكة الفيتنامية من ناحية ثانية ، خلال العامين الأولين (١٠٧٥ ـ ١٠٧٦) احتلت القوات الصينية المنطقة الحدودية ، ومع بداية العام التالي احتلت المنطقة الشمالية حتى لانغ سون وتقدمت من هناك القوات البرية باتجاه هانوي ، ورابطت على ضفاف نهر Cau الشمالية ، كما تقدمت القوات القادمة من الشمال الغربي على بعد عشرين كيلو من العاصمة على ضفاف نهر آخر نجويت Nguyet .

القيادة الفيتنامية شنت في هذه الأثناء نوعين من المقاومة:تحريض السكان في المناطق المحتلة على ازعاج القوات الصينية وعدم التعاون معها ، والتصدي لمحاولات القوات الصينية عبور الانهار باتجاه العاصمة . .

بعد سلسلة محاولات فاشلة نجحت وحدة صينية كبيرة في اختراق خطوط المقاومة والتقدم نحو هانوي إلّا أن القوات الفيتنامية تصدت لها في منطقة تلال واشجار في أقليم بين فو وقطعت امداداتها ودمرت الجسر الذي استخدمته في العبور ، مما احبط محاولات إرسال المساندة للوحدة المحاصرة . وأدى إلى فشل العملية .

محاولة ثانية قام بها القائد الصيني مستخدماً عبارات نهرية كبيرة (تتسع لخمسمائة جندي) إلّا أن جنوده واجهوا شبكات كثيفة من حواجز البامبو والموانع المزروعة على الضفة الأخرى ، ودارت معركة بين المهاجمين والمدافعين اضطر الصينيون بعدها للعودة الى الخلف

لتنظيم صفوفهم من جديد بعد الخسائر التي لحقت بهم .

قائد الحملة الصينية انتظر وصول الامدادات المطلوبة لمائة ألف جندي وعشرة آلاف حصـان تحت أمـرتـه لكي يتمكنوا من مواصلة الجهد القتالي إلاّ أن الإحتياطي المتوفر في القواعد الخلفية لم يكن يكفي لفترة طويلة ، والمناطق المحتلة لم تقدم محاصيل وفيرة،الأمر الذي أثر على حالة القوات .

عنـدمـا حلّ الصيف كانت الأوبئة والأمراض المدارية اضافة الى عمليات المناوشة والاستنزاف من قبل الوحدات الفيتنامية الصغيرة ، قد جعلت الأحوال أكثر سوءاً ، الأمر الذي دفع القائد الفيتنامي ليه كيت إلى تجنيد حملة كبيرة من فرقتين يقودهما الاميران هوانغ شان وتشيو فان ، قامت بمهاجمة مقر القيادة الصينية بعد عبور النهر Cau وقاد ليه كيت نفسه قوات أخرى عبرت نهو نجويت للقتال على الجبهة الصينية الاخرى . حيث دارت اشتباكات في المنطقتين اسفرت عن خسائر فادحة لدى الطرفين ، وقتل أحد الأميرين الفيتنامين وعودة القوات المهاجمة الى قواعدها .

أمـا القـوات الصينية فقـد تحول وضعها إلى « الدفاعي » كلية بسبب عدم وصول الامدادات من الخلف ، وبسبب العمليات الفدائية والإستنزاف ، مما جعل قيادة القوات الصينية توافق على تسوية سلمية تضمنت الانسحاب من واعادة المقاطعات المحتلة باستثناء كاو بانغ(١٩) التي أعيدت لاحقاً (عام ١٠٧٩) .

وهكذا فشلت الحملة بعد خسارة آلاف الجنود ونفقات مالية باهظة ، بينما لمع نجم ليه كيت كاستراتيجي بارع باعتباره المهندس الحقيقي للانتصار (الملك كان صغيراً) وسجل الفيتناميون تفاصيل كثيرة تتعلق ببطولات قائدهم العسكري ، وحفظت كتاباته الحماسية خلال المعركة والتي كانت عبارة عن تحريض وتعبئة للمقاتلين،من الأمثلة(٢٠):

« على جبال وأنهار البلاد يسود امبراطور البلاد

هذه إرادة سماوية . . . كيف تجرؤن أيها البرابرة على غزو أرضنا ؟

سنسحق جيوشكم دون رحمة » .

كذلك تشير الروايات الفيتنامية الى حنكة وسرعة بديهة كيت الذي هاله تخاذل أحد وحداته العسكرية في المعركة فأرسل أحد جنوده سراً إلى معبد تاريخي قريب ليحث المقاتلين من داخله بصـوت رخيم ، على القتـال والشجاعة مدخلاً في روعهم أنها أرواح الأبطال التاريخيين تتحدث إليهم من المعبد .

دروس المعركة وأسبابُ نجاح القوات الفيتنامية يعزوها القادة الفيتناميون إلى :

أ ـ التنسيق بين عمل الجيش النظامي والقوات الشعبية خلف خطوط العدو المقامة على ضفاف الأنهار .

ب ـ أهمية دور الأقليات في المناطق المحتلة في عدم التعاون مع العدو ومساعدة العمليات الفدائية .

ثانياً : الجيش وقيام الكيانية

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر اكملت المملكة الفيتنامية بناءها الداخلي ، وتوسعت على حساب المملكتين المجاورتين الشامية جنوباً ، والكمبودية غرباً ، لكي تصبح جديرة بالإسم الجديد الذي حملته « فيتنام العظمى Dai Viet » متخذة من تانغ لونغ « هانوي » عاصمة مركزية لها .

القوات الفيتنامية تمرست في القتال خلال حروبها المتكررة مع الشاميين وكذلك مع القوات الكمبودية في الفترة من ١١٢٨ ـ ١١٣٨ الاّ أن تلك الخبرات تبقى متواضعة ، عند المواجهة مع القوات المغولية المتفوقة عدة أضعاف في القرن الثالث عشر .

القوات المغولية كانت تشكل تهديداً فعلياً وخطيراً للكيان القومي الفيتنامي الذي كان قد أثبت قدرته على البقاء بين الكيانات المحيطة ، ومن هنا برزت الحاجة إلى تغطية العجز في عدد الجيش ، ولم يعد ينفع الإستعانة المؤقتة بالقوى الشعبية ، لذا فرضت الخدمة العسكرية على كافة المواطنين واخضع المجندون لدورات عسكرية أدت إلى قيام الجيش الشعبي ، وساعدت على إقامة وتطوير صناعة حربية تلائم متطلبات الحرب .

الشخصية الفيتنامية التي برزت في هذه الفترة هو قائد الجيش تران داو Tran Dao صاحب كتاب « موجز في الإستراتيجية العسكرية » الذي استند في استراتيجية إلى إشراك الشعب في الحرب بشكل كامل ، سواء في المناطق الساخنة أو الخلفية ، في المناطق السهلية أو الجبلية ، وهذا الإجراء مكنّه من التفوق على الجيش المغولي الضخم فأطلق عليه لعب « قاهر المغول »[٢١] ، بدأ الإمبراطور المنغولي الجديد كوبلاي حربة ضد المملكة الصينية الجنوبية ، وأصبح على حدود فيتنام وفي العام ١٢٥٧ طلبت القوات المغولية ممراً عبر الأراضي الفيتنامية لمهاجمة قوات سونغ الصينية المرابطة شمالاً ، إلا أن أسرة تران الحاكمة في داي فيت رفضت هذا الطلب فاندفعت القوات المغولية للانتقام واحتلال أراضيها ، وبالفعل تمكنت خلال فترة قصيرة من تحطيم دفاعا المملكة الفيتنامية وسيطرت على العاصمة (تانغ لونغ) التي كان الملك ومعظم السكان قد هجروها .

ولم يمض وقت طويل حتى ساءت أحوال الجيش المنغولي بسبب الجو المداري والأحوال التموينية السيئة وبسبب عدم وجود امدادات وتعاون من المدينة ، وهنا كانت القوات الفيتنامية قد أعادت تنظيم نفسها وبدأت هجوماً مضاداً تمكنت خلاله من السيطرة

على العاصمة من جديد ، واستمرت في الضغط على القوات المنغولية حتى تركت معظم المناطق التي احتلتها .

القوات الرئيسية المنغولية كانت قد فرضت سيطرتها على الصين المجاورة وأصبحت السيطرة على داي فيت ومملكة شامبا مسألة وقت ، لذلك نجد المغول يجندون أحد أبناء الأسرة الحاكمة « تران » ـ كان قد أرسل في مهمة إلى الصين ـ وينصبوه ملكاً على داي فيت في عام ١٢٨١ ، وبالفعل عاد المبعوث ملكاً بأعوانٍ يصل عددهم الألف ، إلا أن قوات السلطة ألقت القبض عليهم ، وفي هذا الوقت تدخلت القوات المنغولية التي كانت قد أرسلت بحراً بقيادة توا زاو ، لاحتلال شامبا ولكنها لم تتمكن من السيطرة على المواقع التي احتلتها بفضل المقاومة العنيدة التي شنها الشاميون ورابطت على الحدود الجنوبية للمملكة الفيتنامية لتشكل فك الكماشة السفلى في هجوم جديد تبدأه قوات منغولية قادمة من الصين (الفك الآخر للكماشة) بقيادة ثوان هوان ابن الإمبراطور كوبلاي وعددها يتجاوز ضعف القوات الفيتنامية .

الملك تران تون عقد سلسلة من الإجتماعات مع أعوانه ومساعديه ، وكان الإتفاق على ضرورة التصدي للقوات الغازية ، وعقدت عدة لقاءات ومؤتمرات على مستوى القرى وبين وجهائها لحشد الناس وحثهم على المقاومة ، وأن لا خيار غير القتال أمام المملكة ، القوات الفيتنامية التي قادها تران هونغ داو بلغ عددها ٢٠٠ ألف رجل لم تستطع أن تصد القوات المنغولية التي اندفعت جنوباً أثر عدم استجابة الفيتنامين لطلب منغولي جديد بالسماح لهم بالمرور لمهاجمة مملكة الشام على ١٢٨٤ وهنا كان على القائد الفيتنامي أن يعيد تنظيم قواته ، وقام بإخلاء العاصمة مرة أخرى ، بعدما رفض توجه الملك نحو الإستسلام ، وقال : « انه يفضل الموت على فعل ذلك » وانطلق يعبىء المواطنين ، يحثهم على القتال في حالة الظروف المناسبة ، واقترح على القوات والمواطنين أن يلجأوا إلى الجبال كلما شعروا بتعاسة الوضع القتالي ، في العام التالي كان المغول قد بسطوا سيطرتهم على مناطق كثيرة وعبروا النهر الأحمر ، واحتلوا العاصمة من جديد ، وعندما وجدوها شبه خاوية قاموا بتدميرها وترويع من تبقى فيها ، هذا على الجبهة الشمالية ، أما في الجبهة الجنوبية فان القوات التي يقودها توا زاو تقدمت من شمال شامبا إلى جنوب فيتنام مع قوات منغولية أخرى يقودها عمر ، وحاولت القوات الفيتنامية التصدي لهم في تلك المنطقة بقيادة تران خاى إلا أنها هزمت وتشتت ، وأتيح للأسطول المغولي بعد ذلك أن يدخل النهر الأحمر بحرية ، وسيطرت القوات المعادية على معظم الشمال .

أحوال المملكة الفيتنامية ساءت ، والعائلة الحاكمة انسحبت الى مقاطعة تانه هوا ، وتفرق الأمراء والحاشية •

من الناحية العسكرية ، المساحات الواسعة التي احتلوها فرضت على قوات المغول الإنتشار والتمرق إلى وحدات صغيرة في وقت بدأ أهالي المناطق الجبلية القريبة شن هجمات عصابية ضدهم أخذت تنتشر تدريجياً . . . وأهالي السهول والمدن هددوا باستمرار قوافل تموينهم وطرق مواصلاتهم بناء على توجيه وقيادة أمراء تران . . . وما أن استعادت القوات الفيتنامية المبادرة بعد تنظيم نفسها حتى أصبح الوضع عند القوات المنغولية في مقاطعة « نجه ان » بقيادة توا زاو صعباً ، فحاولت التقدم شمالاً للإلتحاق بالقوات الرئيسية . إلا أن تران داو أرسل جيشاً قوامه خمسين ألفاً لمواجهتها حيث هزمتها القوات الفيتنامية في هونغ ين ، وفي نشوة النصر ظلت القوات الفيتنامية تتقدم حتى ضاحية شونغ دونغ قرب العاصمة ، مما خلق حالة جماهيرية منتعشة ، فشنت هجمات متتالية على المغول في العاصمة ، وحتم عليهم وضعهم الإنسحاب شمال النهر الأحمر ، القوات الرئيسية للجيش الفيتنامي طاردت بقية جيش توا زاو وهزمتها في معركة تاي كيت في يوليه ١٢٨٥ حيث قتل توا زاو نفسه وأسر حوالي ٥٠ ألف من قواته . . . ثم التفت فرقة من القوات الفيتنامية بقيادة تران داو باتجاه قوات ثوان هوان التي كانت تحاول تجهيز نفسها للإنسحاب شمالاً نحو الصين ، والحقت بها هزيمة جديدة حيث تمكن قائدها من الإنسحاب وهكذا تم تحرير معظم المملكة في أغسطس ١٢٨٥ . الإمبراطور المغولي عندما بلغته هذه الأخبار السيئة أوقف استعدادات حملة عسكرية كان يجهزها لغزو اليابان ، وقرر توجيهها إلى المملكة الفيتنامية ، في الجانب الآخر كان القائد الفيتنامى تران داو يجهز قواته وينظم الشعب للمقاومة مؤكداً لمن أرعبتهم الإستعدادات المغولية « أن قوة الجيش تكمن في نوعيته وليس عدده » وطمأن الملك على أن « قواتنا الآن مجربة أفضل ، بينما قوات العدو معنوياتها هابطة ، والنصر بالتالي سيكون مؤكداً وسهلاً »[٣] نهاية العام ١٢٨٧ كانت قوات مغولية يصل عددها إلى ثلاثمائة ألف رجل بقيادة ثوان هوان نفسه تتقدم في الأراضي الفيتنامية ، ويساندها أسطول من خمسمائة قطعة بقيادة عمر الذي قرر الإنتقام من الملك وأرسل له بكل عنجهية : « حتى لو طرت إلى السموات سأتعقبك ، إلى قاع البحر أو إلى أعماق الغابات إذا نزلت سوف ألحق بك » . . .

وتحتل القوات المغولية العاصمة مرة ثالثة ، وكالعادة لم يجد المغول فيها تموينا ولا شعباً يمكن الإعتماد عليه فحرقوهاوتركزوا شمال النهر ، فانطلقت ضدهم مجموعات المقاومة ، المؤلفة من القوات النظامية أو تلك الشعبية المنتشرة في مختلف القرى والأقاليم .

قوات فيتنامية أخرى بقيادة تران زو نصبت كميناً لإسطول التموين وانقضت عليه قرب هونغ جاي حيث دمرته ، واستولت على التموين كاملاً وسيطرت على الممر الهام ، مما خلق ظروفاً صعبة لدى الوحدات المغولية التي بدأ قوادها يلّحون في طلب التموين والتجهيزات قبل حلول فصل الصيف القاتل بالنسبة لهم ، وأمام هذا الوضع قررت قيادة

القوات الإنسحاب عبر طريقين ، برياً عبر لانغ سون وبحراً عن طريق نهر باك دانغ . ولم يقتنع القائد الفيتنامي بهذه النتيجة فأرسل قواته لتضع شبكة أوتاد حديدية في معبر النهر ، واستطاعت أن تجر القوات المغولية بقيادة عمر الى معركة خاسرة مع جيش تران داو الرئيسي ، فحاولت التراجع عبر النهر إلا أن عدة سفن منها تحطمت بفعل الأوتاد واستولى الفيتناميون على بقية السفن ، وأسرت القائد المغولي عمر .

بالنسبة إلى الجناح البري الذي أرسل ليحتل الممرات الجبلية المسيطرة على طريق انسحاب المغول فكانت تحت قيادة تران نفسه الذي قال بعد عبوره نهر هو لقواته ـ كما قال القائد العربي طارق بن زياد من قبله ـ « إذا لم نهزمهم فسوف لن نعبر النهر مرة أخرى » . . . أخبار نتائج المعركة مع القوات البحرية انتشرت بين القوات البرية الرئيسية ، وخلقت جواً نفسياً انهزامياً لم يمكنها من القتال فولت باتجاه الشمال على عجل بقيادة ثوان هوان دون معركة كبيرة أو جهد عظيم ، لكن من أجل الإستعداد من جديد لحملة كبرى . . .

الملك الفيتنامي في نهاية ١٢٨٨ أرسل بعثة إلى الصين للتفاوض مع القادة المغول عارضاً دفع جزية لهم كإعتراف بسيادة الإمبراطورية وهيبتها كما أطلق سراح الأسرى المغول ، واستمرت فيتنام تدفع الجزية حتى عام ١٢٩٣ إلا أن المغول أرادوا أكثر من مجرد الإعتراف بسلطانهم وسيادتهم ، وجهز الامبراطور كوبلاي الحملة ، إلا أنه توفي قبل انطلاقها ، وجاء ابنه تيمور ليلغي الخطة وفي المقابل استمرت المملكة الفيتنامية في دفع الجزية .

بالإضافة إلى الدروس والنتائج التي أشرنا إليها في المعركة السابقة مع قوات سونغ الصينية يدخل اليوم الأساس الاقتصادي والاجتماعي القوي ، الذي تم بناءه في عهد أسرتي لي وتران كعامل جديد من عوامل النصر ، والقيادة العسكرية الحكيمة كتران داو ، ان تطور الزراعة وزيادة الإنتاج ثم الإعتماد على جيش الفلاحين خلق ظروف أفضل للصمود وأحراز نتائج ايجابية . . . في المعركة الأولى والثانية كانت القوات الفيتنامية لايتجاوز عددها المائة ألف بين قوات ملكية مركزية وقوات اقليمية تابعة للأمراء والنبلاء ، لكن في المعركة الثالثة تم تطوير قوات الفلاحين والقوات الشعبية التي رفعت عدد الجيش الفيتنامي إلى أكثر من مائتي ألف ، وقفت البلاد كلها خلفه وحدة واحدة ، الأمراء والنبلاء والفلاحين ، الفيتنامين والقوميات الأقلية ، اختيار نوع وشكل المواجهة في كل معركة ومن الظروف الواقعية مع التصميم على تحقيق النصر فقد كان من إبداعات القيادة العسكرية وقد لعبت خطابات تران داو وكتاباته التحريضية دوراً هاماً في تعبئة القوات الفيتنامية من أجل القتال ، وكذلك بين المعارك وفي فترات التقاعس والتراجع ، وكان دوماً يحث جنوده على البطولة « في كل الأزمنة ضحى الرعايا المخلصون والفرسان الأمناء بأنفسهم في سبيل وطنهم ، لو أن هؤلاء الأبطال

اختاروا العيش الهادىء الى جانب الموقد مثل النساء حتى يموتوا حتف أنوفهم ، فكيف يمكن أن نسجل اسماءهم في سجل التاريخ وكيف يمكن أن يكونوا خالدين خلود السماء والأرض! » .

ويحذر القادة والمسؤولين من تقديم التنازلات للعدو والتي تجر المزيد من التنازلات والخراب :

« لقد ولدنا في عصر مضطرب وشببنا في مصاعب لاتحصى ، ورأينا جواسيس العدو . . . تسرح وتمرح في ساحات بلادنا ، وسمعناهم بالسنتهم النتنه مثل الغربان والعقبان يهينون القصر ويشتمون . . رجالنا العظام . . . أن تلبية مطالبهم يعني أن نلقي اللحم للنمور الجائعة فلا تشبع لنهمها ، ونكون بذلك ارتكبنا سابقة خطيرة سوف يكون لها أثرها في المستقبل » .

ويبشر القادة والضباط بتوفير كافة مطالبهم العامة والخاصة :

« يا من تخدمون تحت أمرتي ويامن تمسكون بأيديكم مقاليد الجيش ! هل تنقصكم الملابس ؟ إذن فأنا أوفرها لكم ، هل تنقصكم المؤن إذن فأنا أوفرها لكم أيضاً ، وأضمن لأصحاب الرتب الدنيا الترقيات ، وللمخصصات غير الكافية مخصصات إضافية ، على الماء لكم المراكب . . وعلى البر لكم الخيول ، وأقاسمكم مخاطر الحياة والموت في ميدان المعركة ، والأفراح في علاقاتنا الخاصة . . . » .

وينتقد بمرارة حالة اللامبالاة والعبث التي تسود في قطاع كبير بين الأمراء والضباط ، ويحذرهم من عاقبة مايفعلون !

« تشهدون اهانة سادتكم دونما غضب ، وتلويث شرف وطنكم دونما خجل ، أنتم القادة العسكريون لأمة مستقلة وتتزاحمون على خدمة العدو واقفين ، ولا تشعرون أنكم تحتقرون . . لنفرض أن معارك الديكة تسركم وأن القمار تستهويكم وأنكم تنصرفون إلى زراعة حدائقكم ، أو تستمعون بعذوبة الحياة العائلية ، وأنكم تفكرون في أن تصبحوا أغنياء على حساب مصالح الدولة ، وأن لذة الصيد تعجبكم . . فتهملون التدريب العسكري ، وأن الخمور المعتقة تثير نشوتكم وأغاني الحب تستثيركم ولكن !

صرخات الديوك لاتخترق دروع العدو ، وطيبات القمار لاتفيد الاستراتيجية العسكرية وخيرات بساتينكم لاتنقذ حياتكم . . ولا ثروتكم تشترى رؤوس الأعداء ولا كلاب الصيد المدربة ترد جيوشهم ولا خموركم تقتلهم سكارى . . » .

وقد لعب المثقفون في المعارك ضد المغول دوراً بارزاً في تحريض الناس على القتال وتشجيعهم ، وبعد تلك الحرب جرى تمجيد معركة باك دانغ .

ترونغ سيو يقول في دور المواطن في القتال :

فر الأعداء . . وتثبتت دعائم السلام لآلاف السنين .
لم يكن للأرض في هذا نصيب !
الفضائل الإنسانية السامية وحدها . . هي التي انتصرت .
أما الملك تران فونغ نفسه فيتغنى بالإنتصار :
على المياه المديدة . . ينعكس الشفق الأحمر عند غروب الشمس .
فيخيل إليك
إنك ماتزال ترى دماء الأعداء تجري ![٣٣] .

ثالثاً : الجيش والدولة الحديثة

شهد القرن الخامس عشر صعود نجم المملكة الفيتنامية في سماء المنطقة لتصبح أقوى دولة في اقليم جنوب شرق آسيا ، ولم يكن ذلك سهلاً ، بل كان بعد حرب وطنية شرسة ضد الغزو الإقطاعي الصيني الذي احتل الشمال ، ولعبت العسكرية الفيتنامية فيها دوراً هاماً كما كان دور الشعب في المعركة مباشراً بعد انهيار السلطة الملكية .

وقد برز في هذه الحرب الوطني ليه لوي الذي أصبح ملكاً للبلاد ، وكذلك مستشاره السياسي والعسكري نجوين تري الذي أصبح واحداً من الاستراتيجيين اللامعين في التاريخ العسكري الفيتنامي وقد حصل على درجة دكتوراه . وتربى في أسرة وطنية حيث أسر والده على يد القوات الصينية التي نفته بعيداً على بلدته .

المسألة البارزة في استراتيجيته كانت التركيز على كسب الشعب إلى جانب القوات المقاتلة ، والاعتناء بقضايا الشعب وخدمته المستمرة لها .

الغزو الصيني للشمال :

في يوليه ١٤٠٧ أعلن الامبراطور الصيني « منغ Ming » ضم مملكة داي فيت إلى امبراطوريته تحت إسم مقاطعة جياو داي وقسمها إدارياً إلى منطقتين هماءفو ، تشو . . أما قواتـه العسكـرية فقد تقدمت بسهولة في المناطق الفيتنامية الشمالية وذلك بسبب الأحوال المتردية التي وصلت إليها المملكة الفيتنامية وانعكست على جيشها ، في أواخر عهد أسرة تران حيث انتفاضات الفلاحين والفقراء ، كل ذلك سهل على هو كوي لي السيطرة على العرش في مطلع القرن الخامس عشر واحلال اسرة « هو » مكان أسرة تران بحجة القيام بإصلاحات اقتصـادية واجتـماعية لم تتجاوز مصالح أسرته ، ولم يتمكن الأمبراطور الجديد وأسرته من التصدي لقوات مينغ البالغة مائتي ألف وسحقت القوات الملكية الفيتنامية .

في العام التالي قامت بعض المقاومات والانتفاضات البسيطة كان أهمها حركة تزعمها أحد افراد سلالة تران الذي أعلن نفسه ملكاً باسم جيان دنه واتخذ من مقاطعة نجه أن مقراً له ، عام ١٤٠٨ حاول الملك الجديد التقدم بقواته الناشئة نحو العاصمة وهزم قوات مينغ في بوكو بمحافظة نام دنه إلا أن مقتله خلق خلافات بين ضباطه . عام ١٤٠٩ التفت المقاومة حول أمير جديد من أسرة تران اسه كوى خوانغ ، وانطلقت المقاومة من مقاطعة هاتنه إلا أن وحدة كبيرة من قوات مينغ هزمتها وأعادتها إلى قواعد منطقة نجهي آن الجبلية ، ونجح كوي في استغلال الصراع بين المغول ومينغ واحتل تهانه هوا ، إلا أن انتصار مينغ على المغول سمح له بشن حملة تصفية ناجحة ضد قوات كوى استمرت حتى ١٤١٣ .

الشخص الذي برز في هذه الفترة ليه لوى ، أحد ملاك الأرض في لام سون بمقاطعة تانه هوا كان لديه ألف رجل من الأتباع ، عبأهم ضد مينغ ، وأعلن نفسه ملكاً على البلاد بإسم بنه دنه فونغ ، وحول منطقته إلى قاعدة لكل المعارضين لمينغ الذين كان أبرزهم نجوين تراى الذي أصبح صديقه الحميم ومستشاره السياسي والعسكري لاحقاً .

بدأ لوى عام ١٤١٨ بشن أعمال عصابية في المنطقة الجبلية من المقاطعة ألحقت خسائر بالعدو لكن وضع قواعده كان صعباً ومحصوراً والامكانيات قليلة ، ولم يتحسن الا بعد قيام انتفاضات متفرقة في مناطق اخرى خففت الضغط على قواته .

عام ١٤٢٠ تمكنت قواته من التمركز على ضفاف نهر « ما » مهددة عاصمة المحافظة إلا أن قوات مينغ استطاعت أن تشتته باتجاه الجبال عام ١٤٢٣ ، وتوصل إلى اتفاق هدنه مع مينغ رافضاً كل الإغراءات للتخلي عن مقاتليه ، فبادرت قوات مينغ إلى مهاجمته في العام التالي .

في عام ١٤٢٥ كان وضع قوات الثورة التي نقلت قواعدها الى مناطق نجهي أن قد تحسن كثيراً وتلقت ضربة مينغ بصمود وشنت هجوماً معاكساً أسفر عن سقوط الجزء الجنوبي من المملكة تحت سيطرتها باستثناء بعض القلاع والمواقع العسكرية المحاصرة ، في العام التالي أصبح لوي أكثر قدرة على الهجوم ، وقبل وصول تعزيزات مينغ الجديدة التي بلغت خمسين ألف مقاتل بقيادة فونغ كونغ قام بتقسيم قواته الى ثلاث فرق مهمة الأولى مواجهة التعزيزات القادمة عن طريق مقاطعة يونان وإرباكها ، والثانية لمواجهة التعزيزات القادمة عبر لانغ سون ، والثالثة للتقدم نحو العاصمة . ونجحت قواته في التقدم نحو العاصمة والبدء في احتلال دلتا النهر الأحمر بفضل الحماس والمساندة الجماهيرية وصلابة القاعدة الآمنة التي بناها خلال السنوات الماضية .

قبل وصول الامدادات اليها كانت القوات الصينية الموجودة في موقف دفاعي ، وعندما تضاعف عددها بدأت هجومها المضاد ، ودارت المعركة الرئيسية في توت زونغ في ٦

نوفمـبر ١٤٢٦ غرب العـاصمة ولم تحقق انتصاراً فعادت إلى قلاعها ومواقعها المحصنة ، وهكـذا سمحت التطورات للفيتناميين بتركيز قواتهم حول العاصمة وتشديد الحصار على القوات المعادية . القائد الصيني فونغ تونغ طلب هدنه فبعث له نجوين تري برسالة ايجابية لإستغلال الهدنة لسحب القوات إلى الصين وذلك من أجل « أن نوفر على شعبنا خراب الحرب ، وأن نوفر على القوات الصينية المعاناة والآلام التي تسببها الحرب » . .

بالنسبة إلى فونغ يبدو أن الهدنة كانت لكسب الوقت وتعزيز القوات لذلك لم ينسحب مباشرة ، أمـا القوات الفيتنامية فكانت فرصة لها لتصفية المواقع المعادية المعزولة وتشديد الحصار على الأقوى ، وشن حرب نفسية ضد جنود العدو لإحباط معنوياتهم وتيئيسهم ، وفي هذا الوقت كانت تتقدم تعزيزات صينية جديدة على محورين ؛

الأول عبر ممر لانغ سون بقيادة ليو تانغ ، مائة ألف رجل .

الثاني عبر وادي النهر الأحمر بقيادة موك تانه ، خمسين ألف رجل ، القوات الفيتنامية ركزت على القوات الرئيسية الأولى ونصبت لها كميناً حيث حصرتها في ممر تشي لانغ ، وشنت عليها هجمات متواصلة أسفرت على مقتل قائدها وأسر ثلاثين ألف جندي ، وما أن علمت قوات المحور الثاني بما جرى حتى دب فيها الرعب ، وانتشرت الفوضى ، وفقدت قيادتها زمام السيطرة ، وأمام مطاردة قوات لوي لها اضطرت للإنسحاب غير المنظم ، وهكذا أصبح الـوضع حرجاً للقوات المحاصرة في العاصمة فطلب قائدها فونغ السلم ، حيث تزودت بالتموين ووسائل المواصلات والنقل الكافية للعودة إلى الصين في ديسمبر ١٤٢٧ . وأمام هذه الحرب التي استمرت عشر سنوات بقيادة ليه لوي يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

- بدايتها المتواضعة البسيطة وإمكانياتها الصغيرة .
- التوسع التدريجي لقوات لوي ولمناطق سيطرتها .
- العمل على خلق القاعدة الخلفية الصلبة والملائمة .
- التمكن من مرحلة ما من ضرب القوات الكبيرة للعدو .
- الجمع بين أشكال الحرب النظامية والعصابية .
- الجمع بين العمل السياسي والتعبوي والعمل العسكري .
- الحصول على حد جيد من الوحدة الوطنية بقيادة ليه لوي أحد أبناء الطبقة الإقطاعية الذي وقف معارضاً لطبقة الارستقراطية صاحبة الدويلات . . وكذلك بقيادة نجوين ترى الاستاذ والأديب الكونفوشي . في رفع وتيرة الحس الوطني ضد الغزاة وتعبئة الشعب في هذا الاتجاه من الصراع . .

وهكذا فتح هذا الإنتصار العسكري الباب على مصراعيه أمام الفيتناميين من أجل بنـاء عنـاصر الدولة المركزية الحديثة:حركة عمرانية،نهضة زراعية ، تنظيم إداري ، تجارة

داخلية وخارجية نشيطة ، اندماج أكثر للأقليات القومية ، أما من الناحية الإجتماعية فقد احتل الاقطاعيون وملاك الأراضي الصغار مكانتهم الطبقية المتقدمة داخل المجتمع بعد زوال الاقطاعيات والملكيات الارستقراطية الكبيرة ، ومن الناحية الثقافية أصبحت الكونفوشية الديانة الرسمية للبلاد فانتعشت الحياة الثقافية بمسابقات الموظفين . وتشريعياً اعتمدت لأول مرة في تاريخ الكيان الفيتنامي تشريعات « هونغ دوك » باعتبارها أول دستور متكامل للبلاد .

أما نجوين تراي الذي عين وزيراً للداخلية بعد الاستقلال فقد حرص في كل المراحل على توطيد العلاقات بين السلطة والشعب ، وكان شعاره الدائم « أن فتح القلوب قبل فتح الحصون » وقد ترك للأجيال الفيتنامية تراثاً أدبياً وعسكرياً وافراً أبرزه في الجانب العسكري ، الكتابات العسكرية ، وتاريخ ثورة لأم سون ، واعلان النصر على نجو (الغزاة) .

واشتهر بقدرته على حشد المواطنين وتعبئتهم بالعزة القومية :

سيوفنا نشحذها على الجبال فتلثم الجبال .
أفيالنا نسقيها من الأنهار فتجف الأنهار .
عندما تقرع طبولنا لأول مرة تفر كلاب البحر والتماسيح .
وعندما تقرع ثانية لا يبقى في الغابة عصفور .

وكان دائماً يؤكد على أهمية المقاتل قبل أرض القتال :

« . . في كل الأزمنة ، ولدى كل قائد ناجح ، ما من أرض صالحة أو طالحة ، وما من ساحة معركة سهلة أو صعبة ، فالنصر أو الهزيمة يتعلقان بمزايا أولئك الذين يقودون لا بالأرض . . » .

وبعد الانتصار كتب يقول :

حل السلام محل الحرب والنهار محل الليل .
غسلنا عارنا لألف خريف . . أقمنا السلام لعشرة آلاف جيل .
انتصرنا بنعمة من السماء ، بنعمة من أسلافنا .
لبسنا الدروع واحرزنا النصر على مدى ألف عام .

ورغم الدسائس التي حيكت ضده في القصر الملكي من المنافقين فقد نصح الأمبراطور قبل اعدامه بكسب الشعب « عليك أولاً أن تضمن دعم الشعب الذي يحمل العرش كما يحمل المحيط القارب ، وهو أيضاً قادر على قلبه»[٢٤] .

رابعاً : الجيش الفلاحي الأول

التطور الهام والخطير الذي جرى على بنية الجيش حدث في الربع الأخير من القرن الثامن عشر في ظل انتفاضة تاي سون الفلاحية ـ قبل ذلك كانت المملكة الفيتنامية قد بدأت تتراجع منذ القرن السادس عشر على أثر الصراع على السلطة واغتصاب ماك زونغ للعرش .

أما في القرن السابع عشر فقد سيطرت على النفوذ اسرتي نجوين وترنه الاقطاعيتين بعـد مساعدتها سلاله ليه على استعادة العرش من أسرة ماك . . . وهكذا تهتكت الدولة المـركزية وتحولت سلطة الامبراطور الى صورية وأصبح جيشه ضعيفاً . بينها نمت القوتان العسكريتان للاسرتين الاقطاعيتين الشمالية والجنوبية ، وفي ظلها انتشر الفساد والتمردات وتزايد التدخل الاجْنبي في شؤون البلاد .

على تلك الارضية توفرت أسباب الانتصار للانتفاضة الفلاحية بقيادة الأشقاء الثلاثة والتي استطاعت بفضل التفاف الفلاحين حولها ولحنكة وشجاعة قيادتها أن تقضي على نفوذ الاسر الاقطاعية ، وأن توحد البلاد من جديد تحت سلطة مركزية واحدة .

السلطة الجديدة كان عيها أن تواجه التهديدات الصينية الشمالية والسياميّة الجنوبية ، وهنا جاء دور الجيش الفلاحي القومي الذي تم بناءه وتدريبه وتسليحه بسرعة فائقة ، وبرز في قيادة معاركه المظفرة نجوين هوي الذي أعلن نفسه امبراطوراً .

وسنعرض هنا للمعارك ضد القوات الاجنبية فقط :

في جنوب فيتنام تمكن أحد الأمراء ويدعى « نجوين آن » من الفرار الى غرب دلتا الميكونغ حيث حاول تنظيم قواته وشن هجوماً معاكساً سيطر فيه على العاصمة ومحافظة بنه ثوان إلا أن نجوين هوى طرده عام ١٧٨٣ .

في مطلع ١٧٨٤ التجأ نجوين آن إلى جزيرة في خليج سيام وطلب مساعدة ملك سيام (تايلند ـ بعد ذلك) شاكري الأول ـ الذي كان يطمح في السيطرة على كمبوديا (تشنلا ـ آنذاك) وجنوب فيتنام (جيا زنه ـ آنذاك) فلبى طلبه بسرعة وأخذ يجهز قوات غزو لكل من كمبـوديا وفيتنـام ، إلى كمبوديا أرسل قوات تمكنت بالتعاون مع بعض الوحدات المحلية العميلة من السيطرة على الوضع والى جنوب فيتنام ، أرسل قوات يبلغ عـددها ٢٠ ألف مع ثلاثمائة سمينة بقيادة ابن أخيه تشيو تانغ الذي قرر الهجوم بحراً .

وهكـذا واجهت القوات الفيتنامية في الجنوب الحرب على جبهتين:الأولى ، الحدود الـبرية مع كمبوديا حيث بلغ عدد القوات السياميّة مع المتعاونة معها ثلاثين ألف جندي وبدأوا في الزحف على الأراضي الفيتنامية .

الثاني : قوات قادمة مع البحر يصل عددها مع قوات نجوين ان إلى رقم مماثل ، بدأت هجـومها في اغسطس ١٧٨٤ وحققت القوات الغازية انتصارات كبيرة على معظم

أراضي الجنوب بعد انسحاب قوات نجوين هوى ، ويعزى الفيتناميون تلك الإنتصارات الى أن مملكة سيام آنذاك كانت مزدهرة ، وتملك جيشاً قوياً ، ومنظماً ، كما كان جيشها مزوداً بأسلحة غربية متطورة تشمل المدفعية .

خلال أربعة شهور شن الفيتناميون هجمات معاكسة على القوات البرية وتمكنوا من السيطرة على مناطق تبلغ نصف مساحة الأراضي المحتلة تقريباً في معارك ضارية ، إلا أن الضربة الرئيسية التي كان يجهز لها نجوين هوى هي ضد القوات البحرية . وقد تمكن من قيادة قواته في معركة بحرية ناجحة على نهر ماي تو شكلت ضربة قاصمة للقوات الرئيسية المعادية ، وذلك في ٢٥ يناير ١٧٨٥ الذي يعتبره الفيتناميون يوماً مشهوداً . لقد جاءت تلك الضربة البحرية الناجحة لتنقذ القوات البرية للثورة والتي كانت القوات الرجعية المعادية تستعـد لضربهـا في مؤخـرتها من ناحية ، بينما القوات السياميّة تشن على جبهتها الأمامية هجومها الاستراتيجي الكاسح .

وهكـذا انتهت المعركة البحرية وعادت القوات السيامية التي بلغت الخمسين ألف رجل ، بحري وبري ، بما لايزيد على عشرة آلاف ، أما القوات الرجعية والتي قدرت بأربعة آلاف رجل فعاد منها مائتي رجل مع نجوين أن نفسه وأربعمائة مع لي فان كوان ، بينما كانت القوات الاجمالية للثورة التي اشتركت في المعركة لا تتجاوز العشرين ألف مقاتل ، وبذلك النصر الذي يعتبره الفيتناميون « واحدة من أشهر المعارك البحرية في تاريخ بلدنا»[٢٥] تحرر الجنوب كلية من القوى السياميّة الأجنبية ومن الرجعية الاقطاعية .

أما بالنسبة إلى الشمال الذي كان قد تمكن من تحريره من سيطرة العسكر وبقايا أسرة ترنـه وتوّج عليه الملك ليه فقد حاول خليفة الملك ليه ، تشيو تونغ الغدر بالأخوة نجوين والتخلص من سيطرتهم بمساعدة عدد من المغامرين المدربين إلا أن هوى أحبط مؤامرتهم وأعـدم من بقي حياً أمـا الملك فقد تمكن من الفرار من العاصمة باتجاه الشمال . وهناك استنجـد بالأسرة الصينية الحـاكمـة (أسرة ماينشـو تسنـغ التي حكمت من عام ١٦٤٤ ـ ١٩١١) فقام الملك كين لونغ بالتلبية الفورية للنداء ، وطلب إلى الجنرال تون سي نجه قيادة قوات يبلغ عددهـا بين ٢٠٠ و٢٩٠ ألف رجل (حسب اختلاف المصادر) لاعادة تنصيب الملك بالقـوة . . في العام ١٧٨٨ بدأ الهجوم بالسيطرة على مناطق شمالية عديدة وأعلن أن هدف القوات تدمير جماعة تاي سون واستعادة سيطرة سلالة ليه ، في ١٦ ديسمبر وصلت القوات الصينية إلى النهر الأحمر وعبرته باتجاه العاصمة التي دخلتها من أربعة محاور بعـد اشتباكات يوم واحد مع القوات الفيتنامية التي لم يتجاوز عددها ثمانية آلاف حسب المصادر الفيتنامية . وأمام هذا الحشد العرمرم انسحبت القوات الفيتنامية إلى تام زيب منطقة جبلية تمتد بين تلال وغابات مقاطعة هوابينه والبحر ، حوالي ١٢٠ كيلو متر جنوب العاصمة « تانغ لونغ » واعلن ليه تشيو تونغ ملكاً لأنام في ظل وجود الجيش الصيني والحاكم العام الجنـرال تون سي نجـه ، وخلال اعياد « التيت » الفيتنامية في ذلك العام وزعت القيادة

الصينية التعليمات على قواتها للاحتفال البهيج بتلك المناسبة طوال خمسة أيام لأنه في اليوم السادس سترسل القوات لإلقاء القبض على نجوين هوي ، وفي ظل هذه الاحتفالات عاد الملك إلى عاصمته . .

خلال الأيام التي تلت ، كانت الطبقة العميلة في الشمال تضطهد المواطنين وتستغلهم لتقديم التموين والاحتياجات للجنود الصينين في وقت يسود الفقر والخراب والجوع ، مايدفع أولئك المواطنين الى البحث والإلتفاف حول الراية الوطنية بقيادة هوي . . .

هوي من جانبه وبعد أن رتب أوضاعه في عاصمة الوسط فو سوان ، ناقش الوضع العسكري مع جنراله نجو فان سو في ٢١ ديسمبر وفي اليوم التالي أقام احتفالاً مهيباً أعلن نفسه خلاله امبراطوراً على فيتنام تحت اسم كوانغ ترونغ منددا بخيانة الملك أمام الجماهير « لقد قاتلنا مرتين من أجل استعادة حكم سلالة ليه الذين فشلوا في المحافظة على الإرث الوطني وتركوا البلاد وطلبوا اللجوء في الخارج ، وهكذا فإن الشعب في الشمال لم يعد يريدهم بل تحول نحونا . . . »[٣٦] كان لدى هوي قوات لايتجاوز عددها الستين ألف عندما أمر قواته بالتحرك شمالاً باتجاه العاصمة لتحريرها . . وخلال ستة أيام قطعت قواته مسافة ثمانين كيلومتراً سيطرت بعدها على نجه أن حيث انضم اليه آلاف الرجال والشباب والمتحمسين ومئات الفيلة فأصبح لديه حوالي مائة ألف مقاتل عند مغادرته باتجاه مدينة نينه بنه التي بسيطرته عليها أخذ يستعد لمعركة العاصمة ، وطلب من قواته الاحتفال بأعياد التيت مقدماً في نينه بنه ، وخلال عشرة أيام كانت قواته جاهزة للتحرك نحو الهدف ، في ثلاثة أفواج رئيسية ، أولها بقيادته وصل الى موقع هانوي على بعد (٢٠) كيلو من العاصمة وحاصرها ثم استولى عليه وتقدم بوحدة الفيلة إلى موقع نجوك هوي على بعد (٥) كلم وسيطر عليه فاتحاً الطريق إلى العاصمة . . الفوج الثاني والثالث كانت مهمتها السيطرة على المواقع الدفاعية للحاميات في غرب العاصمة ، وبذلك تمّ التنسيق بين القوات الثلاثة للسيطرة على تانغ لونغ التي بعد سقوطها تركها الملك ليه والجنرال الصيني باتجاه الشمال ، أما القوات الفيتنامية فقد اندفعت تحرر المناطق المختلفة في شمال فيتنام .

وهكذا يسجل التاريخ الفيتنامي انتصار قوات هوي الفلاحية على الجيش الضخم للاقطاعيين الصينين فيما يعتبره بعض الفيتنامين « أعظم انتصار في تاريخ فيتنام تحقق في فترة قصيرة جداً »[٣٧] بطرد السيامين من الجنوب والصينين من الشمال تكون القوات الفيتنامية ، قوات تاي سون بقيادة نجوين هوي قد انجزت مهمة طرد القوات الأجنبية وفي نفس الوقت انتهت من سيطرة ونفوذ الأسر الإقطاعية (ترنه في الشمال ، ونجوين في الجنوب) والسلالة الملكية (أسرة ليه) معززة بذلك أول انتصار كبير للحركة الشعبية أن قوات الثورة التي بدأت بسيطة ومهلهلة وتعتمد على فلاحين غير مدربين بأسلحة بدائية قوامها السيوف والرماح والسواطير استطاعت خلال أربعة عشر عاماً أن تشكل جيشاً فلاحياً قوياً مدرباً ، يمتلك القدرة القتالية والفعالة ، وفي نفس الوقت يمتلك أسلحة حديثة نوعاً ما تشمل بالإضافة إلى

وحـدات الفرسان والفيلة والبحرية ، وحدات المدفعية التي تم الحصول عليها من خلال الصراع والقتال مع الجيوش التي زودت بأسلحة غربية ، مثل قوات أسرة ترنه والسياميّين .

هذا الجيش الفلاحي استطاع بما يختزنه من المشاعر الوطنية والحماس أن يهزم جيشاً أجنبياً يصل عدده حسب بعض التقديرات الى ٢٩٠ ألف رجل يضاف إليه حوالي عشرين ألف رجل من القوات التابعة للملك ليه واتباع سلالته مما اضطر النظام الصيني الى اعادة النـظر في سياستـه الســابقـة والتعامل مع الواقع الجديد مفضلاً الاعتراف بسيطرة انصار الانتفاضة على السلطة واقامة العلاقات السلمية معهم ، وبالفعل عين الامبراطور الصيني حاكماً جديداً لمقاطعات كوانغ تونغ ، كوانغ سي يدعى فوك خانغ آن خلفاً لتون سي نجه ، وخوله بإقامة علاقات سلام طيبة مع المملكة الفيتامية .

أما القيادة الفيتنامية الجديدة فقد سعت بعد استقرار الأوضاع العسكرية والأمنية الى تحديث الـدولـة واجهزتها وتطوير النظم الاقتصادية والتجارية ، واعتماد اللغة الوطنية لغة رسمية للبلاد بديلاً للغة الصينية القديمة ، وبشكل خاص قامت بإعادة بناء وتنظيم وتقوية القوات المسلحة .

وأخيراً :

فإن الفيتناميين يعتزون كثيراً بهذه الحقبة من تاريخهم الوطني ويشيرون الى أن أكثر الـطبقات إنسحاقاً تمكنت بقيادة الانتفاضة من كسب الحرب بينما كان النظام الإقطاعي يتهـاوى ورجـالاته يقفون إلى جانب العدو ، ومن ناحية اخرى فإن تلك الحرب تطورت بفضـل موقف الفـلاحين من حركة ثورية محدودة الى حرب شعبية استهدفت الاقطاعيين الفاسدين والمعتدين الاجانب في ذات الوقت .

ومن الناحية العسكرية فإن الدور الذي قامت به الجموع الشعبية الى جانب القوات العسكـرية أدى الى تطورات وابـداعـات جديدة كان لها أهمية خاصـة في المعارك الكبيرة والحاسمة . لقد كان الشعب ـ والفلاحون بالأساس ـ هم الوعاء الذي لا ينضب ، يقدم القوى البشرية (المقاتلين ، والشباب) وكذلك الدعم المادي والإداري والتمويني الى جانب السـلاح بأنواعه التي أمكن توفيرها ، لقد لعب الفلاحون الدور الأساسي والأكبر، لكن تطور المعركة كرس القضية الوطنية الاعظم باشتراك القوى الوطنية الاخرى في المعركة .

وتشير الوثائق الفيتنامية الى أن عدداً كبيراً من الشخصيات والأساتذة والموظفين قد شارك في قيادة ومسيرة الحركة ، أمثال د. نجوين ثي نهام ، جنرال دانغ تين زونغ ، كما أن بعض الشخصيات الموالية للأسرة الحاكمة حسمت موقفها إلى جانب الثورة في النهاية مثل نجويت ثيب . . وفي التأريخ الفيتنامي تظل انتصارات المعارك في دانغ دا ، ونجوك هوي « من أعظم المفاخر العسكرية في تأريخنا »[٢٨] .

الفصل الثالث :

الجيش الملكي من المقاومة الى التعاون

عندما تولى الامبراطور تودوك عرش البلاد كانت المشاعر الوطنية المعادية للأجانب الغربيين وخاصة البعثات التبشيرية قد تعززت عبر الخطوات المقيدة لنشاطاتهم التي اتخذها الملوك السابقين ، لذلك كان سهلاً على تودوك أن يعبيء قواته وشعبه لمواجهة التهديدات والاستفزازات الفرنسية للملكة ، كما أن الجيش الملكي كان قد استفاد من الاسلحة والتجهيزات الغربية التي قدمت سابقاً لنجوين آن لمحاربة دولة الانتفاضة ، وتتابعت بالتالي التحديثات المتواضعة على القوات الملكية نتيجة انتعاش تجارة السلاح في المنطقة .

قوات الجيش الملكي قاومت الفرنسيين ببسالة (كما سنرى في المبحث الأول) ولسنوات طويلة،ولأسباب عديدة تتعلق بالنهج المساوم للامبراطور . وطبيعة القوى الحاكمة ، والفرق الشاسع في الخبرة والتجهيزات والاسلحة لم تستطع أن تمنع احتلال البلاد ، لكنها في المقابل شاركت بنشاط في حرب المقاومة الوطنية المبكرة.من الناحية الفنية يصعب وضع حدود حاسمة (زمنياً وعسكرياً) بين مرحلة التصدي للقوات الغازية من قبل القوات الملكية وبين مرحلة المقاومة الوطنية المسلحة للقوات الفرنسية المحتلة، وذلك لأن انجاز عملية الاحتلال لم تتم دفعة واحدة أو في فترة زمنية قصيرة بل استغرقت أكثر من ربع قرن بين أول مدينة تسقط وأخر عاصمة تحتل ، كما أنه في الوقت الذي كانت فيه قوات الجيش الملكي تنسحب من منطقة احتلها الفرنسيون الى أقليم آخر غير محتل للدفاع عنه كانت قوات شعبية مسلحة تبدأ نشاطات المقاومة في المنطقة المحتلة ذاتها . . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نرصد مشاركة الجيش الملكي في حركة المقاومة (كما سنرى في المبحث الثاني) قبل وبعد سقوط كامل فيتنام في المجالات التالية :

أ ـ انضمام عدد كبير من الضباط الوطنيين الى حركة المقاومة والمساعدة في تنظيم مجموعات المقاومة في الجبال والغابات وتحول بعض الضباط والرقباء تدريجياً الى قادة حرب شعبية .

ب ـ بقاء مجموعات متفرقة من الجيش الملكي في بعض المناطق المحتلة وقيامها بنشاطات عسكرية مختلفة ، وتطورها إلى قوات عسكرية اقليمية في بعض الأحيان .

ج ـ برز عدد من الضباط والفنيين العسكريين في مجال تطوير الأسلحة المحلية لرجال المقاومة ـ وتقليد الأسلحة الفرنسية محلياً (خاصة البنادق والقنابل)

د ـ استفاد رجال المقاومة من خبرات عدد من العسكريين في مجال بناء الاستحكامات العسكرية وتحصين الخنادق والمتاريس الميدانية ، وكذلك في مجال الإغارة « الصحيحة » على تحصينات العدو مواقعه .

في أوائل القرن الحالي تمكن الفرنسيون من احكام سيطرتهم التامة على البلاد بعد اخماد حركات المقاومة وأصبحت المنطقة احدى المستعمرات المهمة في الجعبة الفرنسية ، تحت اسم « الهند الصينية الفرنسية » وتكرست تبعيتها السياسية والادارية والاقتصادية للامبراطورية الفرنسية .

أما القوات الملكية فقد تحولت الى فرقة برتوكولية ثم فولكلورية وأنشئت بديلاً منها قوات محلية جديدة وضعت في خدمة السياسية الإستعمارية مباشرة . وأصبحت أكثر أهمية (عدداً وعدة) خلال الحرب العالمية الأولى حيث شاركت في المجهود الحربي الفرنسي خارج البلاد ، الأمر الذي جعلها عرضة لتيارات فكرية وسياسية جديدة،وفي هذه الظروف استعادت الحركة الوطنية النامية (بشقيها الوطني والتقدمي) فلجأت الى تجنيد الضباط والجنود الوطنيين للمشاركة في الانتفاضات والحركات المسلحة المعادية للاحتلال (كما سنرى في المبحث الثالث) والتي فشلت في تحقيق اهدافها . . لكنها فتحت الطريق أمام تأسيس ونمو الحركة الشيوعية الفيتنامية .

أولاً : العسكرية التقليدية في مواجهة التفوق الفرنسي

شكلت حادثت إغراق السفن الفيتنامية في ميناء دانانغ عام ١٨٤٧ أول تحرش عسكري مباشر من قبل الفرنسيين بالأراضي الفيتنامية والسيادة الفيتنامية ، ففي الخامس عشر من إبريل ذلك العام ، رست في الميناء ، دون سابق إنذار ، سفينتان حربيتان فرنسيتان بقيادة الكابتن لابير الذي طلب من السلطات الامبراطورية أن تسمح له بممارسة الدعوة الحرة للكاثوليكية في بلادها ، كما طلب أن يطلق سراح المطران ليفيبر والذي كان قد اعتقل

في حملة سابقة ضد المسيحيين ، ولم يتلق الضابط الفرنسي رداً على الطلب الأخير لسبب بسيط وهو أن المطران المذكور كان قد أطلق سراحه قبل تسليم الإنذار بأربعة أسابيع وغادر الس سنغـافورة ، فقام على الفور بمهاجمة الأسطول الفيتنامي وإغراق خمسة من سفنه ، وبتوجيه مدفعيته على قلعة المدينة حيث قتل وأصيب عدد من المواطنين الفيتناميين ، وعاد إلى عرض البحـر . . . وبعـد عشر سنـوات (عام ١٨٥٧) تعـود بعثة فرنسية إلى الشاطىء الفيتنامي تنذر باتخاذ الإجراءات التأديبية إذا لم تتوقف حملة الإضطهاد الديني ضد البعثات التبشرية ومعتنقي المسيحية . وفي جو محموم كان قد اجتمع في باريس « مجلس خاص فرنسي لدراسة الوضع في فيتنام » وناقش « مسألة الإضطهاد الديني » الذي يتعرض له المؤمنون ، ورأى إنه لابد من معاقبة مضطهدي البعثات التبشرية ، وعلى هذا نصح المجلس المذكور بضرورة احتلال المدن الرئيسية في الهند الصينية والطلب من الأمبراطور اطلاق حرية العبادة والتبشير ، وإعطاء إمتيازات اقتصادية وسياسية أخرى . . . ولم تمض شهور عديدة حتى كان الأسطول الفرنسي يهاجم دانانغ (توران) الفيتنامي ويشعل النار فيه . . .

إن حادث مهاجمة الميناء واحتلاله في سبتمبر ١٨٥٨ شكلت البداية الحقيقية للحرب الإستعـمارية الفرنسية ضد الوطن والشعب الفيتنامي ، ففي ليلة الفاتح من سبتمبر كان الضابط الفرنسي الذي قاد احدى سفن لابير منذ أحد عشر عاماً ويدعى جينويلي Genoully قد أصبح نائباً لادميرال الأسطول الفرنسي في المحيط الهادي وقرر تنفيذ خطته باتخاذ دانانغ قاعدة برية له ، ثم مركزاً للإنطلاق إلى العمق ، دون أن يستشير أحداً من أهل البلاد . . . حاول القـائـد الفـرنسي أن يفـرض الحماية على المنطقة سلمياً لكن الأمبراطور رفض كل عروضه . . . ومنذ تلك اللحظة بدأت فرنسا حملتها العسكرية إلى الداخل . . وتقول بعض الوثائق أن الضابط الفرنسي كان يريد الزحف أولاً على هوى لإخضاع أنام ، لكن الأمطار الغزيرة والسيول التي تشهدها منطقة وسط فيتنام في ذلك الفصل أحبطته وكانت من العوامل غير المواتية له عسكرياً ، كما إنه رفض فكرة غزو تونكين التي كان يطرحها بإلحاح المطران بليرين Pellerin خبير شؤون فيتنام ـ مطمئنه إلى إنه ما أن تصل القوات الفرنسية الى منطقة النهر الأحمر فإن المسيحين في تلك المناطق ، البالغ عددهم أربعمائة ألف سينتفضون ضد حكومتهم ويساندون القوات الفرنسية . . وبالفعل كانت البعثات التبشيرية وأنصارها تقوم بدعم وتأييد حركة عصيان داخلية هدفها اعادة سلالة ليه إلى الحكم وذلك من أجل استمرار الضغط على وابتزاز أباطرة أسرة نجوين الحاكمة ، كما حدث عندما أجبروا الأمبراطور تودوك على التصديق على معاهدة ١٨٦٢ القادمة الذكر .

استغرق الفرنسيون وقتاً طويلاً حتى ركزوا أنفسهم ورتبوا أوضاعهم في ميناء دانانغ قبل أن يبدأوا الحملة العسكرية الجنوبية ، باتجاه كوشين شينا وسايجون . . . حيث المناطق

الأكثـر غنا وثروة زراعية ، والأقل مقاومة كما كانوا يعتقدون . . منذ ذلك التاريخ وحتى سقوط العاصمة هوى تحت سيطرة القوات الفرنسية ، واعلان فرض الحماية على كل فيتنام ، استغرقت الرحلة ٢٥ عاماً ، ربع قرن كامل حتى تمكنت فرنسا بجيشها المدرب جيداً ، والمسلح جيداً وتكنيكها العسكري المتطور من أحراز النصر في معركة أولية مع قوات ملكية متواضعة السلاح والعتاد والخبرة وقوات مقاومة وعصابات شعبية أكثر تواضعاً . .

لم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال سايجون وجوارها إلا سنة ١٨٦٢ ، ولم تكمل السيطرة على كوشين شيناً إلا عام ١٨٦٧ . . . أما هانوي فتمّ أحكام السيطرة عليها عام ١٨٨٢ ، وفي العام التالي تمكنوا من العاصمة الأمبراطورية هوي . . . تلك كانت حركة القوات الفرنسية ، أما المقاومة الوطنية ضدها خلال السنوات الخمس والعشرون ، فكانت بقيادة الملكيين والمندرينات والعلماء والضباط الوطنيين ، ورغم أن تلك المقاومة لم تنتصر إلا أنها أبلت بلاء حسناً في مقاتلة العدو الأجنبي ، وفي حشد المواطنين وتعبئتهم من خلال الحس والمشاعر القومية وشكلت انسجاماً واضحاً مع التقاليد النضالية للفيتناميين ، إن لم تكن قد أضافت صفحة جديدة على تلك التقاليد .

المقاومة المسلحة للغزاة :

منـذ هاجم الأسـطول الفـرنسي دانانغ في عام ١٨٥٨ بدأت الوحدات العسكرية الملكية ، وخصوصاً بعض الضباط الوطنيين الذين لم ترعبهم الأسلحة والقذائف الفرنسية الجديدة والمثيرة في شن هجمات متواضعة ضد الفرنسيين ، وخصوصاً مقاومة متفرقة ، إلا أن تلك المقاومة لم تأخذ شكلاً فاعلاً إلا أثناء التقدم الفرنسي لإحتلال مناطق جنوبية .

في فبراير ١٨٥٩ دخلت القوات الفرنسية مقاطعة جيا دنه ، وفي العاشر من الشهر تمكنت من السيطرة على مناطق كبيرة في المقاطعة بعد قتال أبلت فيه المقاومة الوطنية والقوات الملكية بلاء حسناً في مواجهة الزحف الفرنسي وخاصة عند نهر كاوزو . . . إلا أن ذلك لم يمنـع القـوات الفرنسية من مواصلة الزحف باتجاه عاصمة كوشين شينا . وعلى أثر قتال واشتباكات عديدة تمكنت من دخول سايجون بعد أسبوع (١٧ فبراير) ، في مقابل ذلك نجد القـوات الفيتنامية تنسحب خارج المدينة مؤقتاً لاعادة ترتيب أوضاعها ثم ، لتشن هجوماً واسعـاً شارك فيه آلاف المتـطوعين من المناطق المجاورة ، وتم أحكام الحصار على المدينة والقوات الفرنسية في داخل ثكناتها ، ولم يتمكن القائد الفرنسي جنويلي من انقاذ قواته من ورطتها فطلب اعفائه من منصبه وتم استبداله في نوفمبر ١٨٥٩ بضابط أخرج هو بيج Page وكان عميداً بحرياً .

يعـزو الفرنسيون سبب فشل قيادة القوات الفرنسية آنذاك ، إلى أنه في فبراير كان

نابليون الثالث قد أعلن الحرب على النمسا وهذا أثر على جبهة المحيط الهادىء كما لم تتمكن القيادة من إيصال الامدادات والتعزيزات المطلوبة بالاضافة الى الجو المداري المتعب والأوبئة التي انتشرت في المنطقة ، في عهد القائد الجديد الوضع لم يكن أفضل من سابقه ، فلا تمكنت قواته من إلحاق هزيمة بينة بالمقاومين الفيتناميين ، ولا استطاعت أن تجعل الامبراطور يقبل سلمياً بالحماية الفرنسية . . . ، ويفسر الفرنسيون ذلك بإنشغال قواتهم الرئيسية في المنطقة بالهجوم البريطاني الفرنسي ضد الصين الأمر الذي استدعى تخفيف القوات من فيتنام ، وكل مافعله بيج من مآثر انه فتح سايجون للتجارة الغربية وكان يرى في فيتنام « مملكة رائعة وفائقة الجمال تستطيع أن تقدم لفرنسا الملايين سنوياً وبدون تكلفة . . . »[٢٩] .

في العام ١٨٦١ تلقى الأدميرال كارنيه Charner أمراً بالتحرك مع قواته من الصين إلى فيتنام ، وبالفعل بدأ في التقدم واحتلال بعض المناطق الهامة جنوباً ، في فبراير ، حينئذ عمل العميد بيج مساعداً له ، يقول الفيتناميون عن تلك الحالة أن الأمبراطور لم يكن راغباً في مواصلة الهجوم المضاد الذي بدأته القوات والمقاومة ، بل مجرد محاصرتهم ووضعهم في ظروف صعبة من أجل الحصول منهم على تنازلات عن طريق التفاوض ، وإنه بذلك لم يحقق نتيجة بل على العكس أعطاهم الفرصة ليتمكنوا ليس فقط من ضرب القوات المحاصرة لسايجون بل والسيطرة على ثلاثة مقاطعات مجاورة .

ان احتلال المقاطعات الشرقية الثلاثة ، بين هوا ، جيا دنه ، ودنه تونغ (ميثو) .Mytho Gia Dinh. Bien Hoa وضع تحت تصرف الفرنسيين أغنى مناطق الجنوب الفيتنامي والتي تمتد من المحيط الهادىء حتى الحدود الكمبودية،فقط في الأول من تموز يوليه ١٨٦١ تمكن كارنيه من القول « ان سايجون أصبحت اعتباراً من اليوم فرنسية » بعد أن خاض معارك ضارية خلال تقدمه ، أن قواته والقوات المحاصرة في مناطق سايجون بقيادة النقيب داريه Daries تعرضت لهجمات متواصلة من قبل المقاومة الفيتنامية ، وفي الوقت الذي ظل داريه محافظاً بصعوبة بالغة على اتصاله بالبحر ، كان أيضاً قائده يتقدم إليه بصعوبة بين نيران المقاومة .

ويعترف الفرنسيون بضراوة المقاومة وخصوصاً منطقة تشي هوا Chi Hoa أما القائد الفرنسي كارنيه فيؤكد في تقرير رفعه إلى قيادته العسكرية في ٢٧ فبراير ١٨٦١ « مقاومة العدو كانت ضارية »[٣٠] .

ورغم أن المقاطعات الشرقية التي تشكل مع المقاطعات الغربية الثلاث الأخرى كوشين شينا . قد سقطت ، ورغم هزيمة القوات الملكية فإن المقاومة الوطنية الفيتنامية لقوات الإحتلال لم تنته وشهدت المناطق المحتلة انتفاضات وعمليات مضادة للفرنسيين كانت تتم بقيادة زعماء وطنيين،وفي الوقت الذي كانت القوات الملكية النظامية تقاتل في نسق

وحدات متقاربة أخذة بعين الاعتبار المسافة التي تتجاوز نيران الأسلحة الحديثة للفرنسين وما تلحقه من خوف ورعب ، كانت الوحدات الشعبية الصغيرة تشن هجمات عصابية وغارات مفاجئة على وحدات العدو وتخوض أحياناً قتالاً مباشراً ، واستطاعت القوات الشعبية في عدة أحيان السيطرة على بعض المناطق لفترة من الوقت وفي هذه الفترة القصيرة (١٨٦١ - ١٨٦٢) برز الوطني نجوين ترنغ ترك Ng. Trong Truc الذي قام بإحراق السفينة الفرنسية اسبيرانس وضرب الفرنسين في موقع نهات تاو . .

لقد شهدت العاصمة الجنوبية وأقاليم المقاطعة مقاومة وطنية باسلة رغم الفرق الشاسع في التسليح والتدريب والتكنيك بين الجانبين ، وبرز على الجانب الفيتنامي أبطالاً قادوا المقاومة الوطنية في تلك الشهور مثل فان فان دات ، ليه كاو دونغ ، نجوين هو هوان ، نجوين تونغ ، ترونغ دنه وابنه ترونغ كوين .

أن ضابطاً مثل نجوين ترى فونغ Ng. Tri phong رفض الاستسلام لقوة العدو وظل يقاتلهم ويقوم ببناء تحصينات وقلاع عسكرية قوية في تشي هوا لم يتمكن العدو من اقتحامها إلا في ٢٨ فبراير ١٨٦١ أي بعد دخول الفرنسيين مقاطعة جيا دنه بأكثر من سنتين ، وبعد أقل من شهرين أي في ١٢ إبريل احتل الفرنسيون مقاطعة دينه تونغ ، وفي الشهر الأخير (١٦ ديسمبر) تمكنوا من السيطرة على مقاطعة بنه هوا . . . أثر ترقية العميد بيج إلى نائب أدميرال وسفره ، وإنتهاء مهمة كارنيه وعودته إلى بلاده ، تولى العميد البحري بونارد Bonard قيادة القوات الفرنسية . وكان أول انجازاته التقدم الى مابعد مقاطعة ميثو لاحتلال المقاطعة الرابعة فينه لونغ Vinh Long . . في ذلك الوقت كان الامبراطور الفيتنامي يواجه الاضطرابات والانتفاضات في تونكين ولم يكن وضعه يسمح له بالقتال على جبهتين ، لذا نره يفضل المفاوضات السلمية مع الفرنسين ويرسل إلى سايغون لهذا الغرض فان تان جيا Van Tan Gia المستشار السياسي المحنك الذي عمل مستشاراً ووزيراً في عهد والد الامبراطور وجده ، وتم التوصل إلى معاهدة بين الجانبين ترك أمر تصديقها للأمبراطور ، وتقول مصادر فرنسية أن الأمبراطور كان يراهن على زوال الأوضاع الداخلية الصعبة لكي يتملص من المعاهدة ، وإنه لذلك ظل يماطل في التصديق عليها . . .

أحد رجال الإستخبارات الذي عمل في تلك الفترة لصالح وزير الحرب الفرنسي ، ويدعى دوفال كان يرى أن الأمبراطور لن يصدق على المعاهدة ولذا لابد من زيادة الضغط عليه بواسطة البعثات التبشيرية والمسيحين في الشمال التي تدعم حركة تا فان فونغ Ta Van Phong (الذي أصبح ليه فان فونغ نسبة إلى سلالة ليه) المطالب بالعرش ، وأكثر من ذلك قام هو نفسه بالسفر إلى تونكين لقيادة القوات المتمردة (بصفة شخصية كما يزعم الفرنسيون) وإجبار الامبراطور على التصديق على المعاهدة التي وقعها ممثل الإمبراطور فان جيان

والادميرال الفرنسي بونارد في ٦ يونيه ١٨٦٢ يعترف الملك فيها بسيطرة الفرنسيين على سايجون والمقاطعات الشرقية الثلاثة وجزيرة بولو كوندور Poulo Cndore يتخلى عنها ويدفع لهم تعويضاً مقداره ٢٠ مليون فرنك ، ويفتح الموانىء الثلاث في أنام وتونكين أمام التجارة الفرنسية ، أما المقاطعة الرابعة فينه لونغ فقد اعيدت الى الامبراطور ، وبالفعل تسلم فان جيان قلعتها من الضابط الفرنسي داربيه بعد يونيه ١٨٦٢ . . .

وتقول بعض المصادر أن الأمبراطور رفض قطعياً فكرة التنازل عن بقية المحافظات الجنوبية خلال تلك المفاوضات .

وفق المعاهدة طلب الملك من القوات النظامية وغير النظامية الإنسحاب من سايجون والمقاطعات المحتلة ، إلا أن ذلك لم يوقف نشاطات المقاومة الوطنية . ترونغ دنه Troung Dinh أحد زعماء القرى الزراعية الذين تصدوا للفرنسيين منذ تقدمهم الى سايجون بعد سقوطها انسحب إلى مقاطعة جو كونغ Go Cong واستطاع تجهيز ستة آلاف مقاتل حيث عين نائباً لقائد القوات الملكية ، ورغم طلب الامبراطور اليه بالإنسحاب الى مقاطعة أن جيانج An Giang كقائد للقوات ، إلا إنه فضل تلبية رغبة القوى الشعبية بالبقاء لقيادة المقاومة المسلحة في المناطق المحتلة .

استمرت المقاومة المسلحة (رغم أسلحتها البدائية) تثير المصاعب العديدة للقوات الفرنسية المزودة بأسلحة حديثة ، واعترف الفرنسي في تأريخهم لتلك الفترة بتأثير الهجمات العصابية . . . ضد قواتهم . . ولم تكن تلك المقاومة الوحيدة في تلك المواجهة بل أن المقاومة المدنية والسلبية كانت ذات أثر فعال ، وبأشكال متعددةلقد رفض معظم النبلاء والمندرينات على سبيل المثال التعاون مع العدو ، بل أن الحاكم الفرنسي لم يتمكن من إغراء رجال الأمبراطور في الإستمرار في عملهم تحت السيطرة الفرنسية ، ونقلوا أو اتلفوا معظم الوثائق والسجلات الهامة كي لاتقع في أيدي الفرنسين ، كما أنهم أعلنوا ونشروا بشكل واسع وثيقة كان الامبراطور قد صدق عليها تدين التعاون مع المحتلين . بل وتعتبر « أن التعاون مع الفرنسين انما يشكل خيانة وطنية »[٣١] موقف هؤلاء ومقاومتهم المدنية اضطرت الحاكم الفرنسي الى الاستعانة بموظفين فرنسيين لإدارة شؤون المناطق المحتلة وظلت هذه المناطق تدار كمستعمرة بنظام عسكري كامل تابع لوزارة البحرية والمستعمرات طوال الستينات والسبعينات . .

بينما كانت فرنسا متورطة في الحرب المكسيكية أرسل الامبراطور مبعوثه فان جيان ، الذي كان حاكماً للمقاطعات الغربية الثلاثة إلى فرنسا في محاولة للحصول على بعض التنازلات ولاستعادة المقطعات المحتلة الثلاثة إلى سيطرته ، ولذا أمر بوقف المقاومة ضد القوات الفرنسية مما أحدث بعض البلبلة والإرتباك في صفوف الشعب وحركة المقاومة .

في هذه الفترة كان العميد البحري جراندييه قد وصل لتولي قيادة القوات الفرنسية في فيتنام قادماً من البحر الأبيض المتوسط حيث كان قائداً للبحرية الفرنسية على السواحل السورية ، وتكلف بمهمة توطيد الأمن وفرض الهيبة الفرنسية في جنوب فيتنام والامتداد بالنفوذ الفرنسي الى كمبوديا حيث فرض الحماية على ملكها عام ١٨٦٣ . مبعوث الامبراطور الفيتنامي وصل باريس محملاً بالهدايا لمفاوضة المسؤولين الفرنسين لاستعادة سيطرته على المقاطعات المحتلة كما ذكرنا وكان يرافقه الضابط البحري الفرسي Rieunier واستقبل بحفاوة غير عادية من قبل وزير الخارجية ثم استقبله نابليون نفسه في نوفمبر ١٨٦٣ وبرغم المعارضة الشديدة من جانب الادميرالات ، إلا أن الحكومة الفرنسية وافقت على التعديل الفيتنامي المقترح لمعاهدة ١٨٦٢ ، وخوّلت الضابط البحري والخبير بشؤون الشرق الاقصى أوباريه Aubaret بتصديق المعاهدة الجديدة مع الامبراطور في هوي .

تقول مصادر فرنسية أن سبب استقبال الفرنسين الودي للمبعوث الفيتنامي وتسهيل مهمته هو ثقتهم بأن الجزية الفيتنامية المقترحة ستساهم في علاج العجز في الميزانية الفرنسية آنذاك .

ورغم تعديلات جديدة اقترحها الامبراطور على المعاهدة الجديدة إلا أن الممثل الفرنسي أوباريه وافق على التوقيع في ١٥ يوليه ١٨٦٤ في هوي ، المعاهدة الجديدة تنص على اعادة المقاطعات المحتلة الثلاثة لسيادة الامبراطور . ووقف محاولات استعمار كوشين شينا مقابل الاحتفاظ ببعض المراكز والمواقع التجارية للفرنسين في سايجون وميثو وغيرها ، وحماية فرنسية للجنوب ، كما تدفع فيتنام جزية محددة بأربعين سنة لفرنسا . . ورفض الامبراطور كل النصوص التي كانت تؤمن حرية حركة الفرنسيين في فيتنام وحرية النشاطات الدينية والعفو العام ، كما رفض استمرارية الجزية إلى ما لا نهاية ، لكن المعاهدة لم ترّ النور ، فبناء على تعليمات من جنويلي في باريس قام جراندير بتعزيز مواقعه وتقوية استعداداته ، ورفض الاعترافات بالمعاهدة الجديدة . . . من جهة أخرى .

الحملة ضد المعاهدة تصاعدت ، وانضم إليها قوى جديدة مثل الصحافة الكاثوليكية ، الأسطول ، الغرف التجارية ، رجال الاعمال وعدد من الضباط السابقين في الهند الصينية . . . وبرز التيار الذي يدعو إلى إبقاء قوات فرنسية كبيرة في جنوب فيتنام والى إخضاع الامبراطور في هوي عن طريق خلق أو دعم المعارضين له باسم سلالة ليه ، ويرى هذا التيار انه يمكن استغلال عدم قدرة الامبراطور على دفع الجزية السنوية وتراكمها عليه سنوياً مع فوائدها كديون مستحقة لفرنسا تقوم الأخيرة في مقابلها باستغلال مناجم الذهب والفضة والنحاس والفحم . . وكان يدفع في هذا الاتجاه دوفال Duval ضابط الاستخبارات وهكذا وصلت الحملة المضادة ذروتها مع نهاية العام ١٨٦٤ حيث طلب إلى جراندييه التقيد

والإلتزام فقط بمعاهدة ١٨٦٢ كما طلب إلى الامبراطور بعدم التصرف بما يتنافى مع نصوصها .

لقـد دفـع فرض الحـماية على ملك كمبوديا عام ١٨٦٣ الوطنين الكمبوديين بقيادة الـراهب بوكمبو الى الالتحاق بالقوات العصابية لشن هجمات مشتركة مع الفيتنامين ضد القوات الفرنسية،في العام التالي توفي ترونغ دنه أثر اصابته في احد المعارك فتولى ابنه ترونغ كوين قيادة المقاومة التي استمرت حتى ١٨٦٧ حين شنت القوات الفرنسية هجومها الشامل الذي ألحق ضربة قاصمة بحركة المقاومة وأجبر فان جيان (وكان حاكماً للمقاطعات الثلاث الغربية) على التنازل عنها لفرنسا مما دفعه إلى الانتحار[٣٢] .

لقد كانت حجة الفرنسين للإستيلاء على تلك المقاطعات أن فان جيان يأوى رجال المقاومة ضد فرنسا ، وقد قدموا له إنذاراً بهذا الخصوص ، فما كان من الرجل الا أن تأثر لهذا الغدر الفرنسي ، وجمع أولاده قبل أن ينتحر أخذاً منهم وعداً بألا «يتعاونوا مع الفرنسين مطلقاً»[٣٣] .

احتل الفرنسيون مرة اخرى مقاطعة فينه لونغ في ٢٠ يونيه ١٨٦٧ وكانت هذه الحملة التي قادها جرانـديه مدعـومـة في فرنسـا من جنـويلي الذي أصبح آنذاك وزيراً للبحرية والمستعمرات،وفي اليوم التالي احتلوا مقاطعة أن جيا Au Gia،ولم تمض ثلاثة أيام حتى كانوا قد سيطروا على المقاطعة الثالثة هاتين Ha Tien في ٢٤ يونيه ١٨٦٧ ، وتتهم مصادر فيتنامية معاصرة القوات الملكية بأنها لم تبذل مقاومة تذكر في الدفاع عن المقاطعات الغربية الثلاثة المذكورة .

باحتلال الفرنسين بقية أراضي كوشين شينا دخلت حرب المقاومة مرحلة جديدة ، فلم تعد هناك مناطق محتلة واخرى أمنه لذا كان لابد من توحيد كل القوى الفيتنامية والكمبودية والقوميات الاقلية الأخرى في حركة مقاومة تمتد ساحة عملها من كمبوديا حتى سايجون ، وشهد ذلك العام والذي تلاه قتالاً متواصلاً وخاصة في مقاطعة تاي ننه Tay Ninh أما على الجبهة الكبمودية فوصلت العمليات العسكرية للمقاومة حتى العاصمة أودنغ (آنذاك) ولم تخبو تلك المقاومة إلا بعد أن قتل الراهب بوكومبو وضعفت الحركة في شمال غرب كوشين شينا ومنطقة الحدود مع كمبوديا . . أما في المناطق الغربية من الدلتا فقد ظلت الحركة قوية وكانت بقيادة اثنين من ابناء فان جيان ، كذلك واصلت مجموعة نجوين ترك عملياتها من جديد و تمكنت من السيطرة على موقع كين جيانغ في مقاطعة راخ جيا Rach Gia إلا أن زعيمها اعتقل وأعدم . . . وهكذا نجد عدداً من الضباط والقادة الفيتنامين قد برزوا في هذه المرحلة من التصدي للفرنسيين أمثال نجوين هو هوان ، فو زوى زونغ ونجوين ترونغ ترك .

الدفاع عن هانوي وهوي :

بعد أن أصبحت فيتنام الجنوبية تحت سيطرة قواتهم كان طموح الفرنسيين أن يحولوا التجارة من جنوب الصين إلى سايجون ، وأن يلعب نهر الميكونغ دوراً هاماً في تحقيق ذلك الطموح ، لكن ذلك لم يتم وفق مايرون ، فبدأوا يسرعون في عملية الاتجاه نحو الشمال الفيتنامي .

أما الجانب الآخر ، الفيتناميون ، قد أحدث سقوط الجنوب قلقاً بالغاً بينهم ، وبدأ الضغط والتحرك باتجاه الامبراطور لاجراء الخطوات اللازمة والإصلاحات الضرورية لتقوية دفاعات الوطن وكذلك الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية ، إلا أنه لم يستجب لهذه التوجّهات ، وكان يراهن بشكل كبير على مفاوضات يجريها مع الفرنسيين في ظل دعم صيني يأتيه من الشمال . لكن وضعه الداخلي لم يكن مريحاً فبالاضافة الى بعض الإضطرابات والاحتجاجات العمالية والشعبية وانتشار العصابات كانت البعثات التبشيرية الفرنسية تحرك الاضطرابات بين التجمعات الكاثوليكية خالقة حجة مطلوبة للتدخل الفرنسي في الشمال والاقتراب من تجارة جنوب الصين .

قاد أحد المغاوير الفرنسيين ويدعي دوبوى Dupuis عدة مئات من المرتزقة عبر النهر الأحمر ناقلين حمولة من الأسلحة إلى أحد التجار الصينين ، في إشارة فرنسية واضحة إلى رغبتهم في فتح النهر الأحمر وموانىء تونكين أمامهم ، لذلك نجد الفرنسين يتحركون فور اعتراض الفيتنامين لقافلة دوبوى الثانية من أجل استغلال المسألة الكاثوليكية ، ويرسلون الملازم الضابط كارنير.وبدلاً من أن يحل مشكلة دوبوى بناء على طلب من الامبراطور ، قام كارنير بالاجتماع مع المطران بوجينير Puginier الذي جمع له انصار المتمرد ليه باوهنغ وأعلن تعاطفه مع دوبوي كما أعلن على مسؤوليته أن الإبحار عبر النهر الأحمر منذ تلك اللحظة حراً للجميع وأن الرسوم ملغاة . . السلطات الفيتنامية من جانبها رفضت الإلتزام بهذا القرار ، وبـدأت تجهـز نفسها للإحتمالات وأرسل الامبراطور في طلب الضابط نجوين تري فونغ ليتسلم مسؤولية الدفاع عن عاصمة الشمال هانوي ، وفي المقابل أرسل الفرنسيون في طلب التعزيزات الاضافية .

في ١٩ نوفمـبر ١٨٧٣ تقدم الضابط الفرنسي بإنذار شكلي إلى القيادة الفيتنامية في هانوي ولم ينتظر كثيراً حيث هاجمت القوات الفرنسية هانوي واستولت عليها بعد أن حطمت مقاومتها وأسرت جنرالها نجوين تري فونغ الذي جرح ثم توفي مضرباً عن الطعام رافضاً كل عروض الفرنسيين للصداقة.بعد ذلك استولت القوات الفرنسية على مدن نام دنه Nam Dinh وهاي زونغ Hai Zong ومناطق أخرى في الدلتا مثل هونغ يي ، Hong ay نينه بنه Ninh Binh

فولي Phuly بفضل تواطىء المجموعات الكاثوليكية هناك ، وفي هجومها المضاد تمكنت القوات الفيتنامية بقيادة لو فينه فوك Luu Vinh Phuc من محاصرة هانوي ، وقتلت كارنير في ٢١ ديسمبر ١٨٧٣ في أحد الكمائن في كاوزاي .

وبسبب معاناتها من الحزب الألمانية الفرنسية آنذاك كانت القيادة الفرنسية مترددة في التورط عميقاً في القتال لذا كان خطأ الامبراطور تودوك أنه لم يواصل القتال مستغلاً الظرف العسكري المواتي بل قام بالتفاوض وتوقيع معاهدة جديدة مع الفرنسيين في ١٥ مارس ١٨٧٤ نصت على اعادة الفرنسيين للمدن التي احتلوها في مقابل السماح لهم بعسكرة قوات فرنسية في هانوي وهايفونغ Hai Phong - Hanoi وفتح النهر الأحمر أمام التجارة . . . مع الاعتراف بسيادة فرنسا على كل جنوب فيتنام ، والمعاملة الخاصة في الشمال والوسط .

الحاكم العام دوبريه Duperre كان مسؤولاً عن إرسال كارنيه إلى الشمال لمساندة دبوي ، لذا وجدناه فور مقتله الذي أثار ضجة سياسية في باريس يطلب إلى قواته العودة من الشمال ، ويحاول بعد ذلك عن طريق بعض الإصلاحات الصغيرة وإنشاء بعض المدارس والمعاهد لتخريج موظفين واداريين ، أن يتبع سياسة مرنة ، إلا أنه لم يستمر في موقعه أثر توقيع معاهدة فلاستر Philaster المذكورة في مارس ١٨٧٤ حيث غادر الى فرنسا وتولى بعده حاكم عام بالنيابة .

في المقابل،الأمبراطور ظل طوال تلك الفترة يماطل في تنفيذ بنود المعاهدة بل وأخذ يقاومها بشكل غير مباشر وسلبي مستغلاً الليونة الفرنسية الجديدة ، لدرجة إنه بدأ يخلق صعوبات أمام الفرنسيين في استخدام النهر الأحمر باتجاه الجنوب الصيني رافضاً قصة حرية العبادة والتجارة وذهب بعيداً بدفع جزية الى الصين وطلب منها ، لا من فرنسا مساعدات عسكرية ضد العصابات والمعارضة معاً ، وآخر خطوات الملك في هذا الاتجاه كانت عام ١٨٧٨ عندما أرسل من يفاوض فرنسا مباشرة بشأن اعادة كوشين شينا إلى سيادته . الضابط التاجر دبوي يتحدث عن تلك الفترة مستغرباً « أن يمنع من الإبحار في النهر الأحمر عندما تنص المعاهدة على ذلك ، بينما كان يقوم بذلك عندما كان رسمياً مغلق »[٣٤] .

لكن ذلك لم يرق لفرنسا طويلاً ، فقد كان نمو الاقتصاد الرأسمالي يدفع بالدول الاوروبية الرأسمالية إلى استغلال الظرف العالمي وإقتسام المناطق بينها ، وعلى القرب ، كانت سيطرة بريطانيا على بورما Burma ذلك دفع الفرنسيين للتعجيل بإنهاء مسألة سيطرتهم على فيتنام . . . فقام الحاكم الفرنسي هنري ريفير Revers بإرسال انذار إلى حاكم هانوي الفيتنامي يطالب فيها بتدمير كافة الأعمال والإجراءات الدفاعية وإجلاء القوات الفيتنامية عن المدينة بحجة أن هناك استعدادات عسكرية فيتنامية مريبة ، وفي ٢٥ ابريل ١٨٨٢ هاجمت القوات الفرنسية هانوي مرة أخرى واستولت عليها مما دفع حاكمها العام هوانغ زيو

الى الانتحار .

الاحتلال الفرنسي لهانوي ومحاولة الامبراطور وقف الاستعدادات لهجوم مضاد كانت المندرينات والقيادات الوطنية تستعد له ، تم تقدم القوات الفرنسية وسيطرتها على مناطق جديد مثل هونغ يي،كام فا ، نام دنه Nam Dinh• Cam Pha-Hangay بعد فشل مقاوماتها،كل ذلك وسع الهوة بين كبار الموظفين والمندرينات الوطنيين من ناحية والامبراطور وانصاره من ناحية أخرى ، رغم أن الأخير كان قد أرسل في طلب قوات صينية لمساعدته وصل منها عشرة آلاف ظلت مرابطة في شمال شرق هانوي ، دون الدخول بحسم الى جانب المقاومة الفيتنامية .

بالرغم من تلك الحالة ، القوات الفيتنامية تمكنت من ترتيب أوضاعها وشنت هجوماً مضاداً وحاصرت هانوي مرة أخرى في ١٩ مايو ١٨٨٣ ، كما تم قتل القائد الفرنسي ريفير في منطقة كاوزي ، وتأثير موته في باريس كان مغايراً لما حدث عند مقتل كارنيه فصدق مجلس النواب لصالح إقرار ميزانية فرض الحماية على تونكين . . وهذا الجو دفع بأنصار القتال والكفاح المسلح بين المندرينات ورجال البلاط الامبراطوري الى المطالبة بمواصلة القتال وتصعيده ضد المحتلين ، بينما كان الملك يرنو إلى مفاوضات جديدة مع الفرنسيين ، مما دفعه الى إقصاء وفصل عدد من أولئك القوم من مواقعهم .

الملك لم يتمكن من مواصلة المسيرة فتوفي في يوليه ١٨٨٣ ولم يمض شهر واحد حتى كانت القوات الفرنسية القادمة من الجنوب قد وصلت إلى مشارف العاصمة الملكية هوى في أغسطس،كذلك قام الأسطول الفرنسي بقصفها,وفي هذا الوقت جاء المسؤولون الفرنسيون الى هوي ليفرضوا معاهدة جديدة في ٢٥ أغسطس ١٨٨٣ تنص على قيام ثلاثة مناطق في فيتنام؛كوشين شينا كسمتعمرة وتونكين كنصف مستعمرة ونصف محمية ، أما أنام فهي محمية . . . وعند ذلك التاريخ بدأت حملة فرنسية لاعادة « الأمن والإستقرار » إلى تونكين استغرقت أثني عشر عاماً . توفي الامبراطور تو دوك لكن لم يترك له خليفة مما صعد الصراع بين القوى والأنصار والورثة في هوي حيث تولى ثلاثة من الملوك من بعده السلطة خلال بضعة أشهر وهم (Duc Lac, Hiep - Hoa, Kien Phuc) . . إلا أن أنصار الكفاح المسلح بين المسؤولين الفيتناميين دفعوا الى تتويج Ham Nghi عام ١٨٨٤ امبراطوراً على البلاد ، ولم يتجاوز عمره الثانية عشرة ، وبدأ الأوصياء على العرش وخاصة تون تان تويت في المشاركة الفاعلة والإستعدادات للمقاومة ضد الفرنسيين ، وحين وصل الجنرال الفرنسي De Courcy الى هوى في يونيه ١٨٨٥ وطلب حل القوات الفيتنامية كانت الأخيرة جاهزة لشن هجوم مفاجىء ضد المواقع الفرنسية ليلة ٤ يوليه ، ورغم البطولات التي أبداها المقاومون الفتيناميون الا أن المعركة لم تكن متكافئة ، وتمكنت القوات الفرنسية من أحكام سيطرتها على

العاصمة مما اضطر الامبراطور الشبل والمقاومون الفيتناميون الى الانسحاب الى الجبال ، لتبدأ مرحلة جديدة من المقاومة الوطنية ضد الغزاة الفرنسيين ، حيث وجه الملك نداء مشهوراً إلى الشعب الفيتنامي يدعو فيه الأمة بأسرها إلى النضال ، ولم يتردد الشعب ومندريناته وأساتذته ومفكريه في تلبية النداء في كل أرجاء فيتنام . . . أما الجناح الآخر في السلطة ، جناح التفاوض والتعامل مع العدو فقد ظهر في هوي ـ بعد انتهاء المعركة ـ من جديد ، وبالتعاون مع الفرنسين تم تنصيب دونغ خانه Dong Khanh امبراطوراً على البلاد في ١٩ سبتمبر ١٨٨٥ .

إنه فرق كبير بين الاتجاهين . أولئك الذين كانوا يرون في التفاوض مع الفرنسيين واتقاء شرهم طريقاً للخلاص الوطني حتى ولو استدعى الأمر تقديم تنازلات كبيرة ومهينة ، وأخرين رأوا في مواصلة القتال وعدم المهادنة خياراً وطنياً ورفضوا تلك الشروط التي طلبها الحاكم الفرنسي عام ١٨٨٤ والمتمثلة في تسليم الأسلحة الثقيلة وخاصة المدفعية وتخفيض عدد القوات الفيتنامية ، وتغيير المجلس الملكي بآخر يضم الموالين لفرنسا . . . وعندما فشلت معركة هوي استقالت تلك القيادات الوطنية من مواقعها وانتقلت مع القوات الى الجبال للإعداد والتنظيم من أجل المقاومة من جديد . . . وفي المقابل رفضت جماعة الإستسلام البقاء في مواقعها ومناصبها الإدارية في ظل الإحتلال الفرنسي . . . . أما مراهنة الملكيين على القوى الخارجية على القوات الصينية مثلاً ، كوسيلة ضغط تفاوضية فلم تفلح كثيراً ، فتلك القوات رغم تواجدها في ساح القتال لم تشترك جدياً في نصرة المقاومة حتى جرى توقيع معاهدة فرنسية ـ صينية في ١١ مايو ١٨٨٤ بموجبها تنسحب هذه القوات إلى بلادها بسلام وحتى عندما حدث ذلك الإشتباك بينها وبين الفرنسيين في منطقة لانغ سون Lang - Son قام الفرنسيون بإنزال قواتهم في تايوان وشن هجوم كبير ضد الصين وقصف مينائها في فوتشاو Phu chau وعندما جرى تعاون آخر بين هذه القوات والقوات الفيتنامية لهزيمة الفرنسيين في نفس المنطقة لانغ سون مرة أخرى في فبراير ١٨٨٥ اضطرت الصين إلى توقيع معاهدة جديدة مع فرنسا في ٩ يونيه الغيت فيها كل حقوقها في فيتنام .

ثانياً : الجيش الملكي والمقاومة الشعبية

خلال الفترة التي أعقبت سقوط العاصمة الملكية هوي نهائياً تحت سيطرة الفرنسيين سنة ١٨٨٣ وحتى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت فيتنام نوعين من النضال الوطني ضد الفرنسيين أولها المقاومة المسلحة والتي ظلت مشتعلة حتى نهاية القرن ، والثانية بروز النضال السياسي على الساحة الفيتنامية وبداية تأسيس الأحزاب السياسية ، كما شهدت هذه

الفترة الإجراءات والخطوات التي اتخذها السلطات الفرنسية في الهند الصينية والتي كشفت عن وجهها الحقيقي في استغلال ونهب المنطقة واخضاعها لمشاريعها الاستعمارية وليس الدفاع عن حرية العبادة ومنع اضطهاد المسيحين فيها ونشر مبادىء الحرية والمساواة والعدل كما قيل قبيل الغزو . وفي نفس الوقت فان أهمية هذه الفترة كونها شهدت انتهاء نفوذ الطبقة التي حكمت فيتنام عملياً وسيرت شؤونها العسكرية والإدارية والسياسية ، ونقصد « المندرينات » التي سقطت مع تمكن الفرنسيين من ادارة شؤون البلاد والسيطرة عليها . . . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بروز طبقات وفئات اجتماعية جديدة تمكنت لاحقاً من تشكيل الجيش العظيم لمعركة الإستقلال الوطني ، والتحول الاجتماعي في البلاد .

الشعب يلبي نداء الامبراطور للمقاومة :

بعد فشل خطة الوطنيين في القصر الامبراطوري وتمكن القوات الفرنسية من احباط الهجوم المعد قبل دخوله مرحلة حاسمة واستيلائهم على العاصمة البديلة تان سو التي كانت قد جهزت على امتداد عام كامل بالتحصينات والسلاح والتموين والارز ونقلت اليها خزينة الملكية[*] التي نهبت وسلبت مع محتويات القصر الامبراطوري لاحقاً[*]، وعلى أثر استسلام الوصي الثاني على العرش نجوين فان تونغ وقواته كان لابد للقوات المقاومة والوطنيين بقيادة الامبراطور المعنوية ، والقيادة الفعلية للوصي تون تان تويت من الإلتجاء الى الجبال لاعادة ترتيب أوضاع المقاومة ، على الأقل في اقليم أنام إن لم يكن في المناطق الأخرى من البلاد . اتخذ الامبراطور هام نجه من المناطق الجبلية في مقاطعة كوانغ تري وكوانغ بنه قاعدة رئيسية للمقاومة ، وهذه المنطقة متصلة مع الشمال الفيتنامي عن طريق ممر يصلها مع الأراضي اللاوسية . . وتمكن تويت من إعادة تنظيم القوات التابعة له في نفس المناطق . وانطلقت حركة المقاومة قوية وعفية وتوزعت عسكرياً إلى مجموعات قتالية كل بقيادة خاصة ، وفي مقر الامبراطور تشكلت مجموعة اتصال ، وأقيم مركز قيادة لزعماء الوحدات في كل مقاطعة الذين أبلوا بلاء حسناً وهم في الحقيقة ينتمون الى فئة المثقفين والمدرسين ، وتمكنت حركة المقاومة من الإنتشار من مقاطعة كوانغ بنه باتجاه البحر وعلى طول الأنهار النابعة من المنطقة الجبلية تونغ سون.اخبار الهجوم الفرنسي على القصر الامبراطوري في هوي دفعت المواطنين في معظم مناطق أنام الى الإنتقام ومهاجمة كافة الحصون والحاميات والسيارات الفرنسية التي كانت تصل أيديهم اليها ، مستخدمين ما يملكون من أسلحة بدائية ، وكذلك دفعت الكثيرين للانتظام في وحدات المقاومة الملكية في القواعد .

بعد ثلاثة سنوات من المقاومة المتواصلة كان العدو قد تمكن من توجيه ضربات قوية للمقاومة الملكية وتكثيف الحصار ضدهم فزادت مشاكل نقص السلاح والذخير لديهم

واضطروا للتراجع تدريجياً عن المناطق التي تحت سيطرتهم ، ورغم محاولات تويت الحصول على مساعدات من الخارج وسفره الى الصين لهذا الغرض ، إلا أن نشاط المقاومة في أنام عاد لينحصر في المنطقة الجبلية من كوانغ بنه التي تعتبر قليلة السكان وقاحلة نسبياً ، ولم يتمكن الامـبراطـور من نقـل مقـر قيادتـه إلى الشمال حيث كانت تونكين تشهد ازدهاراً كبيراً في المقاومة . . . في ظل هذه الأوضاع قام عمدة أحدى قرى الموتغ ويدعى ترونغ كوانغ نجوك كان الامبراطور يتخذ من منزله مخبأ له بإبلاغ الفرنسيين عنه مقابل جائزة مالية فالقت القوات الفرنسية القبض على الإمبراطو ر الشاب الذي لم يكن قد تجاوز السابعة عشر في ١ نوفمبر ١٨٨٨ وتم نفيه الى الجزائر ، أما العمدة الخائن فقدت جرت تصفيته على يد شاب وطني يدعى فان دنه فونغ .

اعتقال الامبراطور ونفيه لم ينه حركة المقاومة ، ويرى الفيتناميون أن الولاء للامبراطور آنـذاك لم يكن إلا تعبـيراً واعـلاناً عن الوطنية الكبيرة المختزنة في عقول الجماهير والمثقفين الفيتنامين لذا نجد حركة المقاومة بدأت متواضعة في مقاطعة هاتنه في أنام بقيادة فان دنغ فونغ نفسه عام ١٨٨٥ تكبر وتتسع لتصبح قاعدة قوية للمقاومة ، وخلال سنوات قليلة وبمساعدة ضابطه كاو تانغ كانت نشاطات حركته تغطي أربعة مقاطعات كاملة هي كوانغ بنه وهاتنه ونجه أن وتان هوا ، يقول الفيتناميون أن كاو تانغ لم يكن ينتمي إلى البلاط الامبراطوري بل كان من عامة الشعب ، لكنه استطاع أن ينظم قواته بكفائة ، وان يقودها بجدارة كما تمكن من تجهيزها بأسلحة مصنعة محلياً ، لكن القدر لم يمهله كثيراً فبعد أن استولى على عاصمة مقاطعة نجه أن ١٨٩٣ قتل في معركة،مما أدخل اليأس الى قلوب جنوده وثبط همتهم،الأمر الذي دفع القيادة الفرنسي الى حشد حملة عسكرية قوامها خمسة آلاف جندي وعميل لتمشيط المنطقة وتحجم حركة المقاومة،في هذه الأثناء توفي زعيم الحركة فان دنه فونغ على أثر إصابته بالدوزنتاريا فكان عاملاً جديداً في أضعاف الحركة تدريجياً وتلاشي فعلها ، لقد ساهم في دفع المقاومة الباسلة في مقاطعة هاتنه ونجه أن في أنام الاساتذة والمثقفون المعروفون عن طريق الحث المباشر والتحريض للجماهير على الانتفاضة كما قاموا بتنظيم الطلائع والشبيبة بالاضافة الى القوات المسلحة واعتمدوا في ذلك على تعاون المواطنين والكادحين والفقراء . .

زعيم الحركة فونغ كان عالماً مثقفاً ويعمل مراقباً (مشرف) امبراطورياً قبل أن يبدأ حركته في منطقة فو كوانغ في شمال أنام . . وقد استطاع أن يبني قوات متميزة عن طريق التدريب الجيد ، التنظيم الوثيق الانضباط الكامل والملابس الموحدة ، وتقول مصادر فرنسية أن تلك القوات تمكنت من صناعة ثلاثة مائة بندقية من طراز البنادق الفرنسية .

السلطات الفـرنسية حاولت كل جهدها تهديد فونغ والضغط عليه من أجل وقف نشاطاته الوطنية ، ومن تلك الوسائل التي اتبعت دفع أقاربه وأهله الى كتابة رسائل استرحام

واستعطاف وفتح قبور أجداده ونبشها ، وعرض رفات أمواته في مدينة هاتنه . . . لكن القائد ظل صامداً ولم يقهره إلا مرض الدوزنتاريا عام ١٨٩٥ . ولم ينته حقد الفرنسيين عليه إلا بقتل كل الأسرى الذين استسلموا وألقوا أسلحتهم من أنصاره بعد وفاته .

أما في مقاطعة تانه هوا فقد قاد المقاومة دنه كونغ ترانغ ودي سوان وكاو ماي وتمكن المقاومون من بناء قلعة بادنه القوية في وسط منطقة مستنقعات ، وقاموا بتنفيذ عمليات تمويه خداعية جيدة بحيث كانت تبدو من الخارج كقرية بسيطة عادية . . . لكنها كانت محاطة بالمتاريس المرتفعة والخنادق المائية الغميقة في نفس الوقت ، ويلفها حزام كامل من البامبو يوفر لوحدات الإنذار والقنص مخبأ جيداً ، وزرعت المناطق المحيطة بأوتاد حادة . . . لقد تمكن المقاومون في القلعة من صد الهجمات القوية المتواصلة التي شنها الفرنسيون من سبتمبر ١٨٨٦ حتى يناير العام التالي ، ولم يتمكنوا من قهرها إلا بعد أن حشدوا تعزيزات اضافية بحوالي ألفي وخمسمائة مقاتل مع ٢٥ قطعة مدفعية ثقيلة وأربعة زوارق مسلحة ، مضافاً إليها عامل خطير وهو التعاون والمساعدة التي قدمتها الجماعات والقرى الكاثوليكية التي رتبها المبشرون في منطقة فات ديم ، ورغم كل ذلك استطاعت القلعة أن تصد الهجمات المتكررة في بطولة نادرة ، مما دفع الضباط الفرنسيين الذين سيطروا عليها إلى تقديم الإجلال للمقاومين الذين قتلوا في معركة القلعة . .

وبسقوط العاصمة بادنه انكمشت حركة المقاومة في المنطقة مضافاً إليها انتشار الملاريا والدوزنتاريا والاستنزاف المستمر وتواطيء الفيتنامين الكاثوليك قاد الى ضعف الحركة وارتداها إلى المناطق الجبلية فغابات الحدود مع لاوس . .

واذا انتقلنا إلى الشمال سنجد الحركة الوطنية هناك ضد الفرنسين كانت أقوى وأكثر اتساعاً وقد انضمت لها قواعد شعبية كثيرة مما منحها مناعة خاصة في وجه الحملات المعادية ، لقد شنت القيادة الفرنسية هجمات تصفية كبيرة ضد مراكز ومواقع المقاومة في مناطق دلتا النهر الأحمر وخاصة ضد قاعدة باي ساي التي كان يقودها نجوين تين توات . . . وفي هذه المناطق لم يعتمد الثوار أسلوب حرب المواقع والتحصينات بل اعتمدوا الحرب المتحركة ، وفي كثير من الحالات كانوا يخوضون معارك الاشتباك المباشر عندما يتوفر دعم جماهيري ممتاز ، وانتشرت تلك التكتيكات في معظم مقاطعات الشمال . . وعلى عكس ماحدث في الوسط كان الفرنسيون في الشمال هم الذين يبنون شبكات التحصينات والمواقع القوية التي كانت تتعرض للهجوم والغارات الوطنية . . .

وشهدت تلك الفترة تعاون متبادل بين القرى والمقاومة في الشمال وبين أولئك الذين يقطنون المناطق الجبلية وهم غالباً من الأقليات القومية ، وقد تمكن مبعوث الامبراطور (في بداية المقاومة) نجوين كوانغ بيك من تنظيم وتنسيق عمليات المقاومة مع زعماء الأقليات في

المنطقة الشمالية الغربية . . . ورغم كل الامكانيات العسكرية للفرنسيين فلم يتمكنوا من السيطرة على بعض الطرق الرئيسية والنقاط الاستراتيجية . وظلت بقية المناطق تحت سيطرة الزعماء المحليين والمتعاونين مع المقاومة ، وحاولوا الانتقام من نجوين بيك واجباره على الإستسلام باعتقال والدته لكنهم أيضاً فشلوا في اركاعه . . في المنطقة الشمالية الشرقية لم يحتفظ الفرنسيون بالطريق الرئيسي بين هانوي ولانغ سون أمنا من هجمات الثوار ، ولا هم تمكنوا من الاحتفاظ بمدينة مونغ كاي الساحلية التي استولى عليها الثوار عام ١٨٨٥ وبعد ثلاث سنوات عادت إليها القوات الفرنسية .

أما في منطقة يين تي فان الانتفاضة بدأت عام ١٨٨٥ عندما استولى الفرنسيون على بعض الأراضي هناك فقام أصحاب الأرض من الفلاحين بالإنضمام الى حركة المقاومين القادمين من الدلتا بقيادة هوانغ هوا تام (أو دي تام) الذي اعتمد أسلوب وتكتيك حرب العصابات الموزعة على وحدات صغيرة ، بينما قواته النظامية لم تتجاوز عدة مئات . لذا نجد أن القوات الأساسية تتكون من الفلاحين الذين يعملون في الأرض في نفس الوقت جاهزين للمقاومة والاشتراك في المعركة كلما دعت الحاجة ، وتمكنت الحركة الوطنية من الانتشار من قاعدة يين تي لتشمل مقاطعات باك جيانغ ، باك بينه ، تاي نجوين ، لانغ سون وفشلت الحملات الفرنسية ضدها لذا حاولت القيادة الفرنسية استخدام الغدر السياسي بأن اقترحت عام ١٨٩٤ توقيع هدنة مع قوات المقاومة في مقابل تسليم دي تام السلطة في أربعة مناطق ، لكنهم في العام التالي قاموا بشن هجوم مفاجىء على يين تي ، إلا أن القيادة الوطنية كانت يقظة ولم تؤخذ على حين غرة ، وخاضت معارك عنيفة ملحقة خسائر كبيرة بالقوات المعادية . . الا أن نفوذ الحركة الوطنية بدأ يتراجع في تلك المناطق وتمكن الفرنسيون من قمع العديد من مواقع المقاومة ، ليطلبوا عام ١٨٩٧ هدنة جديدة تسبب في وضع حرج لقوات المقاومة التي ركزت نفسها في يين تي حتى فترة قادمة .

وهكذا ذبلت واحدة من أبرز حركات المقاومة في الشمال وجبال تونكين ، وفي العام التالي ١٨٩٨ تمكن الفرنسيون من الإستيلاء على قاعدة باي ساي وانهاء الحركة التي قادها توان في دلتا النهر الأحمر .

وكان الفرنسيون قد قمعوا مبكراً الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية الغربية ووصلت قواتهم الى لأو كاي،ونجهاي لو،ودين بين فو في نهاية عام ١٨٨٨ وخاصة بعد موت نجوين بيك ، واستلام زعيم جماعة التاي ديو فان تري للفرنسيين ، وتولي دي كيو ودوك نجو لقيادة الحركة الوطنية التي بدأت في التلاشي تدريجياً .

لجأ الفرنسيون في المناطق الجبلية إلى أسلوب التفرقة واستغلال الاختلافات العرقية ليتمكنوا من بسط سيطرتهم هناك ، فرغم أنهم احتلوا بعض المدن (تاي نجوين ، توين

كوانغ) في منطقة فيت باك منذ عام ١٨٨٤ مثلاً إلاأنهم كانوا يواجهون موقفاً صعباً عند تحركهم خارج هذه المدن لسنوات طويلة ، لذا قاموا في فيت باك ومناطق الأقليات الاخرى بإشعال حرب النعرات العرقية والقومية وتأجيج الخلافات لكي يضعفوا المقاومة ضد العدو الخـارجي ، كما قاموا باستمالة العديد من القادة المحليين وساهمت كل هذه النشاطات في التمهيد لهجمات جديدة تشنها القوات الفرنسية ، وهكذا صفيت الحركات المقاومة في المناطق الجبلية تلك .

يلاحظ المؤلفـون الغـربيون أن منـدرينـات هانوي لم تنشيء لها منظمات وجماعات مستقلة ، لكنهم التحقوا بشكل عام بالزعيم الفدائي لو فينه فوك الذي قاد جيشاً خاصاً عرف بإعلامه السوداء ، وكان جزءاً كبيراً من هذا الجيش من للتمردين الصينين الذين فروا إلى فيتنام بعد فشل ثورة ١٨٦٥ في بلادهم . . . وقد أطلق على بعضهم قوات القراصنة .

في مقاطعة سون تاي قاد المقاومة الوطنية دي كيو الذي وزع قواته على شكل وحدات صغيرة في الاقاليم يترأس كل منها ملازم . . وفي نفس المقاطعة قاد دوك نجو مجموعات أخرى من الرجال المقاومة ، والذين اشتهروا بظهورهم في هانوي بين حين وآخر . .

ثالثاً : العسكريون والتنظيمات السرية

سعى الفرنسيون منذ الربع الأخير للقرن الماضي الى ترتيب أوضاعهم الاستعمارية في الهنـد الصينية لكن تلك الـترتيبـات نفـذت تدريجياً تبعـاً للأوضاع العسكرية والأمنية في المنـطقـة ، فالمنـطقة الجنوبية أعلنت مبكراً كمستعمرة فرنسية باسم كوشين شينا(٣٥) وكان الفرنسيون يديرونها مباشرة بالتعاون مع غرفة التجارة في سايجون ثم عبر مجلس الاستعمار لكوشين شينا الذي تأسس عام ١٨٨٠ ، أما الشمال فقد أعلن كمحمية فرنسية ثم ألغيت سلطة الأمبراطور عليه واستعيض عنها بمنصب ممثل الأمبراطور في تونكين على أن يكون فيتنامياً يعينه الفرنسيون اعتباراً من ١٨٨٧.وفي ١٨٩١ أعلن عن فصل تونكين تماماً عن آنام والغي المنصب المذكور ليحل مكانه المقيم الفرنسي ممثلاً للامبراطور الفيتنامي وتابعاً للحاكم العام للهند الصينية .

الاقليم الأوسط بعد احتلاله فقد مركزه الخاص وأصبح « محمية آنام » وبعد تنصيب امبراطور جديد موالٍ لهم قام الفرنسيون بتجريده من سلطته على الشمال ثم حلوا المجلس الإمبراطوري الخاص عام ١٨٩٧ وأنشأوا مجلس وزراء مناصفة بين الفيتناميين والفرنسيين على أن يكـون رئيســه فرنسي هو المنـدوب السامي.بعدها جردوا الامبراطور من حق جمع الضرائب وقررت له مخصصات مالية محددة ثم تحويل الموظفين الفيتناميين في البلاط الملكي

الى الإدارة الاستعمارية مباشرة ولم يتبق للامبراطور من صلاحياته إلا منح الألقاب الشرفية للوجهاء لدرجة أن المندوب السامي كان يرأس مجلس العائلة الملكية.وهكذا استقر التنظيم الإداري والسياسي في المنطقة على أساس وجود اتحاد الهند الصينية الذي يضم خمس ولايات (ثلاثة فيتنامية ولاوس وكمبوديا) على رأس الاتحاد حاكم فرنسي عام للهند الصينية يمارس سلطاته على طريق المجلس الأعلى للهند الصينية (الذي أنشيء عام ١٨٩٧) الذي يضم المندوبين الساميين الفرنسيين ومدراء الأجهزة العامة المركزية بالاضافة إلى أثنين من المحليين ارتفع عددهم الى خمسة في فترة لاحقة ، يلي الحاكم العام ، المندوب السامي الذي يمارس سلطاته في ولايته فقط ، عن طريق مجلس وزراء محلي يشارك فيه المستشارون الفرنسيون للوزراء الفيتناميين أيضاً ، ويعاونه في السلطة مجلس نيابي منتخب نظرياً من الاقطاعيين وكبار التجار والموظفين المتعاونين ، وقد تم انشاء مجلس اقتصادي ومالي أعلى للهند الصينية ، وغرف تجارية وزراعية في فترة لاحقة وأدخل عدد من الفيتناميين والمحليين فيها من أجل خدمة السياسة الاستعمارية لا أكثر .

الترتيبات الادارية السياسية والاقتصادية استدعت بالتالي اعادة تنظيم الوجود العسكري في الهند الصينية وكان باختصار على الشكل التالي :

ـ القوات (الفرق) الفرنسية الرئيسية :

متواجدة في قواعد ومعسكرات مركزية في المدن والمراكز الاستراتيجية الهامة .

ـ القوات المختلطة الاقليمية :

تشكلت من نويات فرنسية ألحقت بها وحدات افريقية وأجنبية وقوات فيتنامية مستحدثة .

ـ وحدات الشرطة والمراسم :

الجيش الامبراطوري السابق تحول الى مجرد فرقة ملكية للمناسبات الوطنية والدينية الى جانب وحدات الشرطة والبوليس المحلية التي يقودها الضباط والفرنسيون .

ولم تمض سوى بضعة سنوات حتى كان على السلطات الفرنسية أن تقوم بتوسيع وتطوير القوات المسلحة المحلية لكي تفي بمتطلبات السياسة الاستعمارية الجديدة ، وهكذا جند الفرنسيون أكثر من مائة ألف شاب فيتنامي (بين جنود وعمال) وأرسلوا إلى مختلف الجبهات القتالية لخدمة المجهود الحربي الفرنسي خلال الحرب العالمية الاولى ، وبقدر ماكان هذا الاجراء الفرنسي جزءاً من سياسة الاستغلال والاضطهاد لشعوب المستعمرة إلاّ أنه حمل في احشائه بداية مبشرة للشعب الفيتنامي ، فقد حمل الجنود والعمال العائدون بعد الحرب الى بلادهم أفكاراً سياسية واجتماعية جديدة نتيجة تعرفهم على التيارات الفكرية الغربية من ناحية ولاحتكاكهم مع أبناء المستعمرات الاخرى ، وقد تركت تلك الافكار أثارها ليس فقط

على الاتجـاه السياسي والسلمي في النضال الفيتنامي ، بل وفرت للحركة الوطنية امكانية مسـاهمة جنود الجيش في العمل الوطني المباشر بين حين وآخر . لكن ذلك لم يكن ليلغي حقيقة أن الجيش الفيتنامي ظل كمؤسسة رجعية تابعاً للاحتلال الفرنسي متعاوناً مع سلطاته حتى الحرب العالمية الثانية عندما نجح الشيوعيون في اقامة رابطة العسكريين الفيتناميين للانقاذ الوطني كإحدى تنظيمات ثورة اغسطس ١٩٤٥ .

حركـة المقـاومـة بدورها كانت قد دخلت مرحلة صعبة في ظل الإستقرار الإداري والسياسي للسلطات الاستعمارية ، ولم تتمكن البؤر المسلحة المنعزلة من الازدهار ، وظلت محدودة التـأثـير والفعالية ، حتى قضي على آخرها « قاعدة ين تي » بقيادة هوانغ تام عام ١٩١٣ وفي الوقت الذي فقد الشعب الفيتنامي الأمل في الخلاص من الفرنسيين كان عدد من أعضاء حركة المقاومة الفاشلة أو ابناءهم قد اتجهوا لتشكيل نويات حركة وطنية جديدة واتجهـوا الى الخـارج يبحثـون عن الفنـون العسكـرية والسياسية المتطورة التي تنقصهم ، استعداداً للمرحلة التالية ، وكانت تلك المجموعات متأثرة بالتجربة اليابانية والجمهورية الصينية .

وسنلاحظ هنا أن النضال الوطني السياسي الذي شهدته فيتنام في الربع الأول للقرن الحالي بدأ في الشمال ذو طابع تعليمي ـ ثقافي ـ سياسي تطور الى سياسي عسكري . بينما في الجنوب كان ذا طابع ديني ثم سياسي تخللته اعمال عنف متفرقة ، وهذا التنوع في أشكال النضال ناتج عن اختلاف طبيعة المنظمات والجمعيات التي قادت النضال في كل منطقة . حركة التوجه نحو الشرق[٣٦] كانت أبرز ملامح النضال السياسي في الشمال ثم تطورت الى حركـة التحـديث التي اسفرت عن قيام رابطة استعادة فيتنام ، وخلال هذه الفترة كانت البرجوازية النامية قد أخذت تؤسس احزابها وتنظيماتها ، التي ساعدت بدورها على تطور الحركة الوطنية في كامل البلاد .

التنظيمات التي شهدتها الساحة الفيتنامية بعد الحرب العالمية الاولى وكانت في الغالب ذات طابع برجوازي وقومي لجأت الى تصعيد نضالها السياسي أما بتطعيمه ببعض العنف أو بتـطويره باتجـاه الكفـاح المسلح وفي الحـالتـين لجأت الى العنـاصر الوطنية في الجيش لكي تساعدها ، وسنتعرض الآن الى تجربتين فاشلتين: الاولى قبل الحرب العالمية والثانية بعدها .

التجـربة الاولى في ١٩١٣ قامت بها رابطة استعادة فيتنام التي كان يقودها المثقف الوطني فان تشو والامير المستنير دي كونغ اللذان قررا الاستعانة بالوطنيين في الجيش الملكي والعاملين المحليين في الجيش الفرنسي لانجاح الجانب العسكري في خطتها لاستلام السلطة الوطنية ، وشكلت لهذا الغرض حكومة في المنفى تضم خمسة وزراء أحدهم للشؤون العسكرية .

في المرحلة الأولى في مسيرتها لجأت الى عمليات الاغتيال السياسي للضباط الفرنسيين (وابرزهم الحاكم العام ساروت) وللخونة المتعاونين مع العدو (أبرزهم هوانغ فو ، نجوين هان) كما قامت بمهاجمة أهداف مختارة داخل هانوي (منها فندق يرتاده الفرنسيون) .

في المرحلة الثانية شن أنصارها هجمات عسكرية (بما توفر من أسلحة قديمة) على مواقع في المناطق الشمالية والحدودية مع الصين ، لكنها فشلت في تحقيق خطتها القاضية بالاستيلاء على السلطة عن طريق انقلاب عسكري داخل العاصمة تسانده قوات مهاجمة من الخارج في نفس الوقت . النتيجة كانت أعدام أو اعتقال عدد من اعضاء الرابطة وهروب الباقي باتجاه الأراضي الصينية ـ في هذه التجربة لم يتوفر لا العامل الذاتي الناضج والمتمكن ولا الظرف الموضوعي المواتي ولا مساندة الحلفاء من الخارج .

ـ التجربة الثانية في ١٩٣٠ : عندما حاول الجناح المتطرف في الحزب القومي[٣٧] ـ بعد ١٥ سنة من المحاولة الاولى ـ أن يستلم السلطة بواسطة العنف الثوري وعن طريق الإنقلاب العسكري وقد تضمنت خطتهم مرحلتين :

الأولى تشمل تنظيم العناصر الفيتنامية في الجيش والشرطة في تشكيلات سرية الى جانب مجموعة اجراءات تنظيمية وتحضيرية أخرى ، بينما تشمل المرحلة الثانية إلى جانب خطوات أخرى السيطرة على الثكنات العسكرية في هانوي والمدن الرئيسية واعتقال الضباط الفرنسيين وإقامة النظام الوطني .

المرحلة الاولى انجزت بشكل جيد مع بعض الاختراقات الفرنسية للتنظيم الا أن المرحلة الثانية تعثرت ولم ينجح الانقلاب العسكري الا في منطقة « ين باي » التي لم تستطع أن تصمد كثيراً في وجه الطيران والمدفعية الفرنسية . وتكبد الحزب القومي وتنظيمه العسكري خسائر فادحة .

وإذا كانت هذه التجربة قد وفرت دروساً وعبراً عديدة للحركة الوطنية (كما سنرى في الباب القادم) إلا أنها من ناحية اخرى نبهت السلطات الفرنسية الى وجود التيارات الوطنية والعناصر المغامرة داخل مؤسستي الجيش والإدارة . وجعلها تقوم بعمليات التنظيف المستمرة ضد كل من هو مشكوك في ولائه التام ، الأمر الذي ترك آثاره السلبية على تلك المؤسسة لسنوات طويلة قادمة .

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب الأول

(١) من كلمة الجنرال جياب الى بعثة عسكرية فلسطينية في وزارة الدفاع في هانوي عام ١٩٦٩ .

(٢) يشبه الفيتناميون خارطة بلادهم بقضيب من البامبو معلقة على طرفيه سلتان من الارز ترمزان الى خصوبة دلتا النهر الأحمر الشمالية ودلتا نهر الميكونغ الجنوبية بينما المنطقة الوسطى ضعيفة ، بينما أطلق الفرنسيون على فيتنام تعبير شرفة الشرق الأقصى المطلة على المحيط الهادىء .

(٣) تستخدم كلمة « كي KY » أحياناً بدلاً من كلمة « بو BO » وتعني هنا المنطقة أو البلد ، فيقال عن الشمال Bac Ky والوسط Trong Ky والجنوب Nam Ky .

(٤) مساحة فيتنام الشمالية تصل الى ١٥٩ ألف كم ، وفيتنام الجنوبية ١٧١ الف كم تقريباً بينما يزيد عدد السكان في الشمالية بنسبة ٨ بالمائة عن الجنوبية .

(٥) بعض المراجع الفرنسية تذكر أن الجبال تغطي حوالي نصف مساحة فيتنام دون أن تحتسب في ذلك الهضاب المتواضعة الإرتفاع .

(٦) بعض المصادر الفرنسية ذكرت أن السهول في فيتنام لاتتجاوز ٧٥ ألف كم . راجع ص ١٧ كتاب الحرب الثورية في فيتنام ـ غابريل بونيه ـ دار الطليعة ـ بيروت .

(٧) النهر الأحمر يسمى بالفيتنامية SO Hong وقد سميَّ بالأحمر نسبة الى لون مياهه الطينية ، وهو ينبع من التيبت ويصل ارتفاع مياهه أحياناً الى ١٣ متراً .

(٨) للمزيد من التفاصيل حول التضاريس والمناخ في فيتنام ، مراجعة كتاب :

Vietnam: geographical Data - Hanoi 1979 للمزيد من التفاصيل حول الثروات الطبيعية والامكانيات الاقتصادية في فيتنام . مراجعة كتاب : وثائق المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الفيتنامي ١٥ ـ ١٨ ديسمبر ١٩٨٦ .

(١٠) حول تأثير المجموعة العرقية الاسترالية الزنجية Australo - Negroid والمجموعة العرقية المنغولية الجنوبية Southern Mongoloid على سكان فيتنام يمكن مراجعة كتاب : Veitnam. AHistorical Sketch صدر في هانوي Hanoi 1974 وكذلك Vietnanese Studies .

(١١) المزيد من المعلومات حول تاريخ الكيان الفيتنامي متوفرة في المصدر السابق .

(١٢) جزيرة بولو كوندور Poulo Condor تقع في مواجهة الساحل الشرقي للرأس الجنوبي الفيتنامي وقد استخدمها الفرنسيون كمعتقل ومنفي للوطنيين الفيتناميين ويطلق عليها جزيرة الشيطان .

(١٣) هناك طوائف وديانات متفرعة عن البوذية مثل هوا هاو Hoa Hao ، كاو داي Cao Dai وقد نشأت بشكل رئيسي في جنوب ووسط فيتنام .

(١٤) ترحيل المسيحيين الشماليين الى الجنوب انجز تحت شعار أن « الله موجود في الجنوب » وقد قامت الولايات المتحدة بتغطية نفقات تلك الحملة التي شملت مليون مواطن ، استغرقت ثلاثمائة يوم استخدمت فيها ١٩ طائرة ٤١ سفينة وكلفت ١١٢ مليون دولار .

(١٥) للمزيد من التفاصيل عن طبقات المجتمع الفيتنامي يمكن مراجعة
Troung Chinh - Seclected Writings. P323 - 447

(١٦) المندرين Mandarin هو موظف كبير الشأن في الإدارة الامبراطورية أو الملكية ، أصلها يعود الى الامبراطورية الصينية .

(١٧) مملكة الشام أو شامبا Champa أسسها الشاميون Chams في المناطق الجنوبية وازدهرت في القرنين الرابع والخامس إلاّ أنها تشتت في القرن الخامس عشر وانتشر سكانها بين جنوب فيتنام وكمبوتشيا .

(١٨) مملكة الخمير أو كمبوتشيا Khmer تأسست في القرن التاسع باسم مملكة انغكور Angkor وبلغت أوجها في القرن الثاني عشر واعتباراً من القرن الرابع عشر تراجعت لصالح مملكتي فيتنام وسيام المجاورتين .

(١٩) مقاطعة تقع في أقصى الشمال الفيتنامي وتشتهر بثروتها المعدنية وخاصة الذهب .

(٢٠) مقتطف من أعمال ليه كيت ص ٧٥ كتاب الأدب الفيتنامي ـ الجزء الأول ، ترجمة عبد المعين الملوحي ـ دمشق . منشورات دار الثقافة

(٢١) كانت الامبراطورية المغولية آنذاك في أوج قوتها خاصة بعد توحيد منغوليا وتوسع ممتلكاتها من شواطىء المحيط الهادي حتى البحر الأسود على يد القائد الشهير جينكيز خان

(٢٢) النص مأخوذ من كتاب V N Historical Sketch . صفحة ٤٤ .

(٢٣) المقتطفات السابقة من كتاب الأدب الفيتنامي . الجزء الأول ص ٩٤ ـ ص ٩٦ .

(٢٤) المقتطفات السابقة من المصدر السابق ص ١٥٥ ـ ١٥٩ .

(٢٥) المصدر V.N Historical SK. ـ صفحة ١٠٩ .

(٢٦) مقتطف من خطاب نجوين هوي للمزيد من المعلومات يراجع Vo Ngugen Giap Selected جياب Writings- Hanoi 1933 . P 340 - 375 : .

(٢٧) المصدر V N Historical ـ صفحة ١١٣ .

(٢٨) المصدر السابق ، كذلك جياب ـ الأعمال المختارة P.368 - 963 .

(٢٩) العميد الذي أصبح أدميرال ص ١٢٠٥ كتاب Joseph Buttinger Vietnam A Dragon Embat- tled .

(٣٠) مراجعة المصدر السابق ص١٢٠٦ .

(٣١) مقاومة الغزو الفرنسي : المصدر السابق ص ١١١ VOL I P. .

(٣٢) فان جيا : مراجعة دراستنا بعنوان « التسوية السياسية في التجربة الفيتنامية » مجلة الفكر الديمقراطي ، العدد الخامس ، صفحة ١٣٠ ـ ١٥٠ .

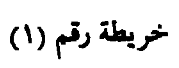
(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) المصدر Vietnam ADragon Embattled ص Vol: II - 1202 .

(٣٥) في كوشين شينا Cochin - China ظل المستوطنون الفرنسيون يحتفظون باستقلالهم وعدم خضوعهم للسيطرة المركزية الاتحادية .

(٣٦) حركة التوجه نحو الشرق Dong Du تشكلت من الطلبة والمثقفين في مطلع القرن الحالي لتنظيم السفر الى اليابان والدراسة فيها لمواجهة الغرب الاستعماري وقد تبناها الزعيم الوطني فان تشو Phan Chou .

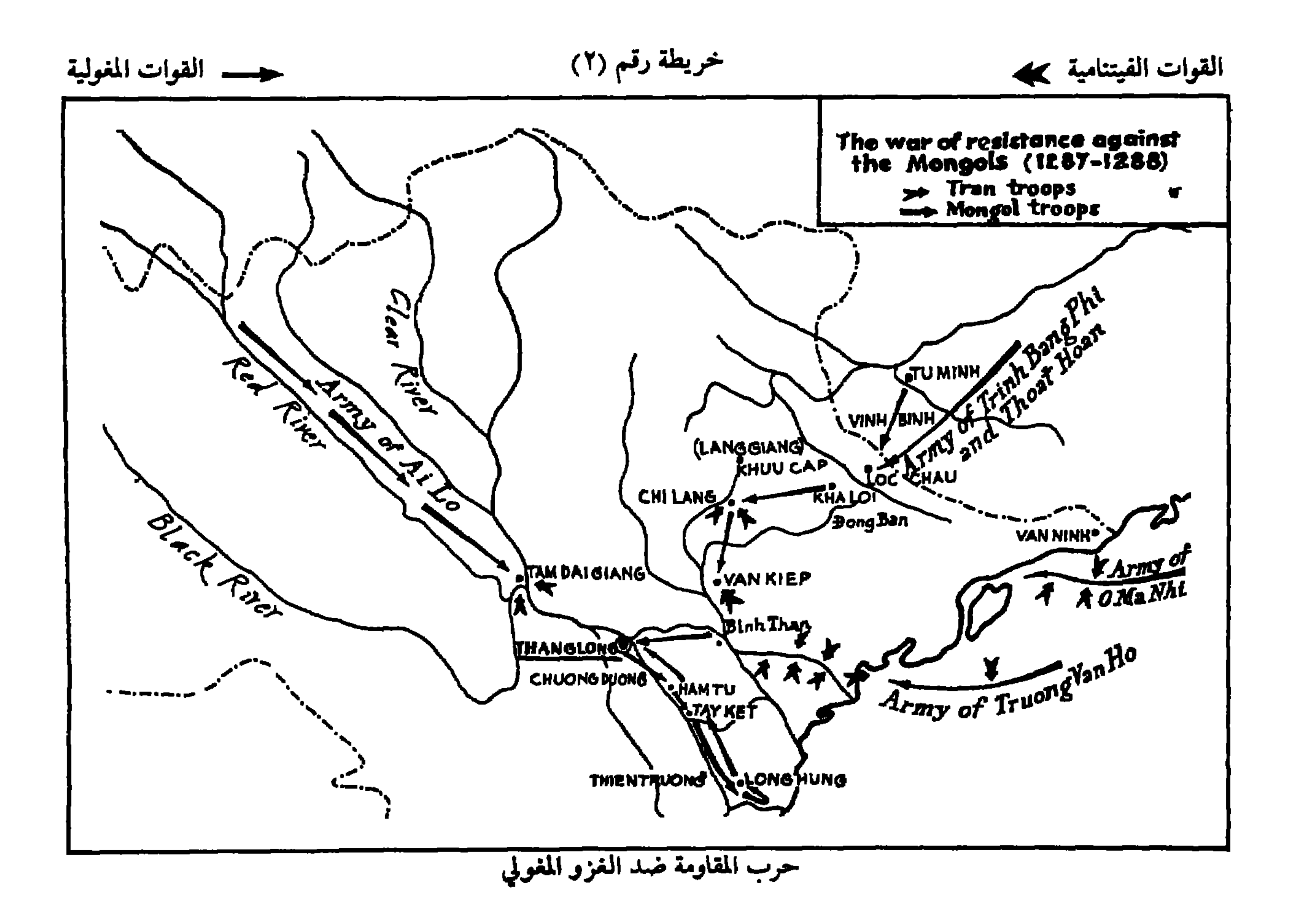
(٣٧) الحزب القومي National P. تأسس عام ١٩٢٧ متشبهاً بالكومنتانغ الصيني ثم انقسم الى جناح محافظ بزعامة نجوين نيب ، وآخر راديكالي بزعامة نجوين هوك حتى انتفاضة ١٩٣٠ التي أدت إلى تشتيت الحزب الى مجموعة من الفروع والتنظيمات الصغيرة .



خريطة رقم (١)

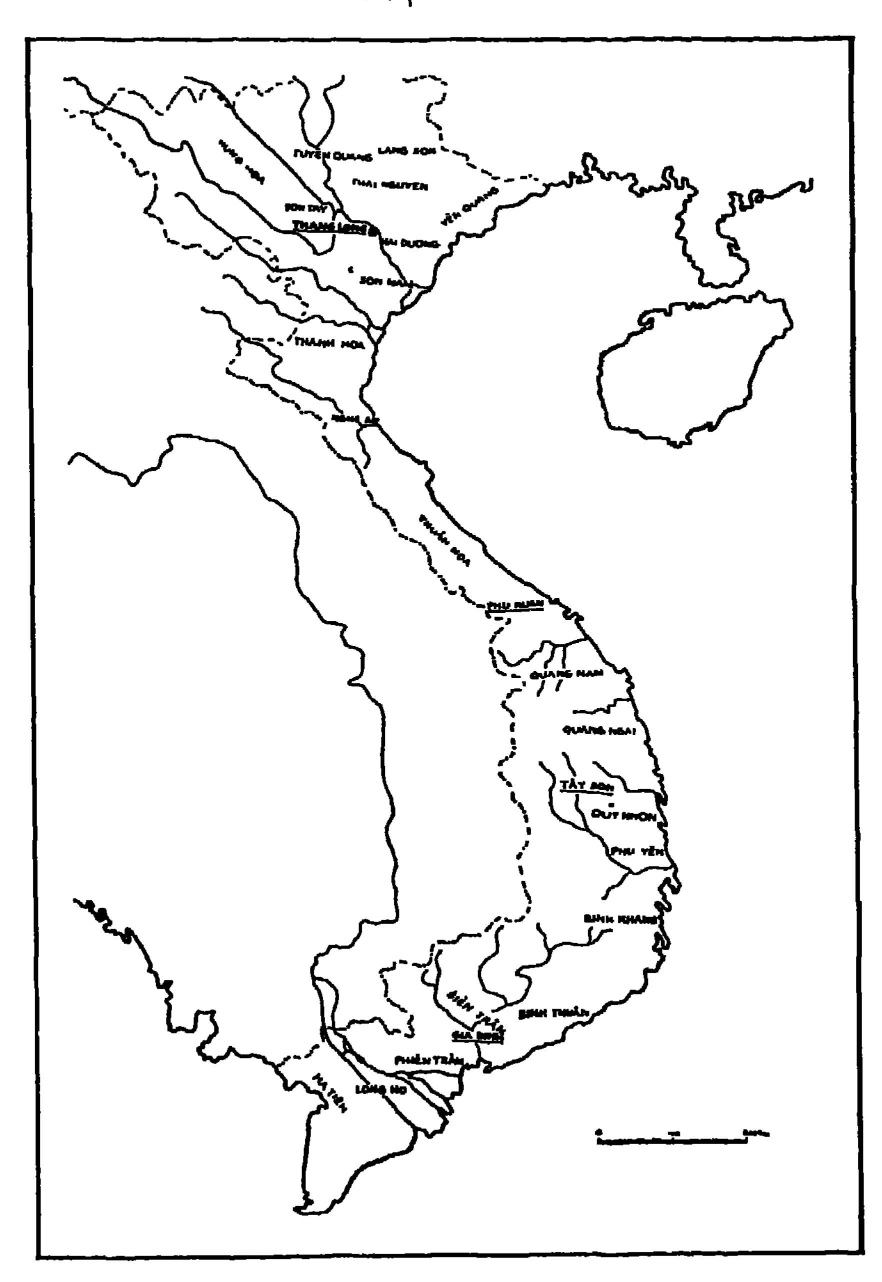
فيتنام والهند الصينية

القوات الفيتنامية   خريطة رقم (٢)   القوات المغولية



حرب المقاومة ضد الغزو المغولي

خريطة رقم (٣)



حدود المملكة الفيتنامية في نهاية القرن ١٨

الباب الثاني

الشيوعيون والعنف الثوري



الشيوعيون والعنف الثوري:

شهادة ميلاد الحزب الشيوعي تشير الى ٣ فبراير ١٩٣٠ لكن قيام الحزب لم يكن نتيجة قرار اتخذته مجموعة من المناضلين في فيتنام ، في ذلك الاجتماع الذي عقد في هونغ كونغ ، بل جاء بعد مخاض صعب وطويل شهدته الحركة الوطنية والتقدمية منذ إفلاس حركة المقاومة الأولية ضد الفرنسيين .

يرجع الفيتناميون تطور الحركة التقدمية إلى أربعة عوامل :

- الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القاسية التي فرضتها السلطات الاستعمارية .
- تطور الأحزاب والتنظيمات السياسية الوطنية في الاتجاهين القومي واليساري .
- دور هوشي منه ونشاطاته الثقافية والسياسية والوطنية والتحضيرية .
- قيام رابطة الشبيبة الثورية الفيتنامية وتطورها نحو الحزب الطليعي .

وقد اسفرت جهود الماركسيين والتقدميين القادمين من مختلف الأحزاب والروابط الفيتنامية عن اقامة الحزب الشيوعي للهند الصينية عام ١٩٣٠[1] - لكن ماهو الجديد الذي جاء به الحزب المذكور ؟ وماهي الاضافات التي ميزته عن المنظمات والأحزاب الاخرى في الساحة الوطنية ؟

● من الناحية الفكرية حدد الحزب طبيعة الثورة المطلوبة بثورة وطنية ديمقراطية تليها ثورة اشتراكية مؤكداً :أن الثورة الفيتنامية جزءاً من الثورة العالمية البروليتارية ، وعلى قيادة الطبقة العاملة للثورة وعلى إقامة تحالف عمالي - فلاحي .

حدد للثورة الوطنية الديمقراطية هدفين : الاستقلال الوطني وتوزيع الأرض على الفلاحين ، وطريق تلك الثورة هو الانتفاضات الشعبية للاطاحة بالنظام الامبريالي وحكم البرجوازية الرجعية،من أجل إقامة السلطة الشعبية الديمقراطية وجيش العمال والفلاحين

الثوري وتحقيق الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الجذرية[٢] .

● قيادة الحزب كانت مشبعة بفكرة « أن الثورة عمل الجماهير العمالية والفلاحية . . وليس من صنع بعض الأبطال الوطنيين فقط » لذلك حرصت منذ البداية على انجاز العمل التنظيمي المطلوب بين أوسع القطاعات الشعبية لتنفيذ مهمة الإستيلاء على السلطة ، لكن بين النظرية والتطبيق تقف الشروط الواجب توفرها لنجاح المشروح الثوري ! لقد بدأت رحلة الشيوعيين الفيتناميين للإستيلاء على السلطة في العام الأول لاعلان الحزب رسمياً لكن هذه الرحلة استمرت خمسة عشر عاماً قبل أن يتمكنوا من تحقيق الهدف . . . لاشك أن الشيوعيين استفادوا في محاولتهم الأولى « انتفاضة نجهي - تينه » من أخطاء وثغرات الحزب القومي ، إلاّ أنهم وقعوا في أخطاء وثغرات من نوع آخر ، وكان الثمن الذي دفعوه فادحاً ، لذلك نراهم في المحاولة الاخيرة « انتفاضة اغسطس » يبدون أكثر حذراً وصبراً ويتحركون بحسابات دقيقة للغاية استفزت العديد من كادراتهم الثورية . مسيرة الكفاح المسلح أو العنف الثوري في فيتنام بدأت قبل انتفاضة الشيوعيين لكنها لم تصل الى غايتها المنشودة إلاّ على يد الشيوعيين . . فكيف تم ذلك ؟ ولماذا ؟

سنجيب على ذلك من خلال استعراضنا لأهم المحطات في مسيرة الثورة الفيتنامية المسلحة حتى إقامة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، والدفاع عنها من الخطر الفرنسي المتجدد حولها . . في بداية تلك المسيرة كانت ارهاصات ، وانتفاضات صغيرة ومحدودة ثم انتقلت الى مرحلة متقدمة أكثر تنظيماً وشمولية تم خلالها بناء القوات المسلحة والقواعد الثورية على طريق الانتفاضة الشعبية المسلحة الشاملة . . . وبعد اقامة السلطة الوطنية كان الدفاع عنها أصعب ، والحفاظ عليها اختباراً قاسياً لجيش الدفاع الوطني الوليد الذي أضطر لخوض معارك عسكرية غير متكافئة مع قوات فرنسية تفوقه تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً ، وكانت النتيجة عودة الثوار مرة أخرى الى الجبال والاستعداد لحرب مقاومة وطنية طويلة ، باستراتيجية شاملة جديدة .

الفصل الأول :

الانتفاضة طريق السلطة الوطنية

أولاً : الانتفاضات الفاشلة

● الانتفاضة الفاشلة الأولى قام بها الحزب القومي وأطلق عليها انتفاضة ين باي في فبراير ١٩٣٠ الفكرة الأساسية فيها قيام مجموعات عسكرية سرية منتشرة في مختلف انحاء البلاد في لحظة واحدة بالانتفاض على المواقع والمراكز العسكرية والسيطرة عليها كمقدمة لاسقاط السلطة الفرنسية وإقامة نظام حكم وطني . . لكن النتيجة كانت مفجعة ، النجاح كان محدوداً . الرد كان قاسياً والحصيلة إعدام قيادة وعناصر التمردرغم ذلك فقد شكلت درساً هاماً ليس فقط للحزب القومي بل أيضاً لكل الساحة الوطنية . لقد كانت أول عمل منظم ومخطط ومسلح يقوم به تنظيم وطني (غيرشيوعي) شكل بداية انطلاقة الثورة المسلحة المظفرة ضد الفرنسيين كما أن أهميتها تعود إلى أنها نقلت مسألة استخدام القوة ضد الفرنسيين أي حل التناقض الرئيسي القائم ـ بالعنف ، نقله من مجرد تنظيرات وخطابات حماسية لاحزاب الساحة الوطنية إلى ممارسة على أرض الواقع،الحزب القومي نقل مسألة الصراع مع الفرنسيين بجرأة إلى الإختيار المسلح عبر مجموعات مختارة من الشباب تقوم بعمل عسكري ـ أقرب إلى الإنقلابي منه إلى الانتفاضة ـ للاستيلاء على السلطة وهنا كان مقتل الانتفاضة ـ عدم الاستناد قواعد شعبية واسعة ومنظمة بل إلى مجموعة مختارة من العسكريين والموظفين والطلبة ـ أي إلى تنظيم من النخبة[٣] .

● في مايو بدأ الحزب الشيوعي تجربة الممارسة الأولى على الأرض عندما قاد انتفاضة « نجهي ـ تينه » أو الانتفاضة الكبرى وفق الأدبيات الفيتنامية . قبل ذلك كان المؤتمر

التأسيسي قد حدد طبيعة الثورة « بوطنية برجوازية » تقودها الطبقة العاملة للإطاحة بالنظام الإستعماري والبرجوازية الرجعية . من هنا جاءت إقامة مجالس السوفييت في مقاطعتي نجهي أن وهـا تينـه على أنقـاض الإدارات الإستعمارية التي تهاوت خلال الانتفاضة ، وأنشئت السلطة الشعبية التي قامت بمعاقبة القوى المعادية للثورة والغاء الضرائب وتوزيع الأراضي وإطلاق الحريات ونشر التعليم .

القيادة لم تعتمد العنف في مواجهة الفرنسيين على اعتبار أن هدف الانتفاضة الأول كان الاقطاعيين والعملاء والادارة المحلية ، وذكر أن فرنسياً واحداً لم يقتل خلال الأحداث ، ورغم ذلك فقد كان الرد الفرنسي عنيفاً وشرساً بدرجة لم يتوقعها المنتفضون ، واستخدام الطيران ضد آلاف الفلاحين العزل . وفي اكتوبر ١٩٣١ كانت الانتفاضة في أيامها الأخيرة بعد خسارة بشرية فادحة بلغت عشرة آلاف قتيل وآلاف المعتقلين والمشردين ، أما الحزب فقد كانت خسارته فادحة ، حيث جرى تصفية العديد من قياداته ، واعتقال المئات من كوادره وأعضائه ، واضطر الباقون للنزول تحت الأرض والتوجه الى الأرياف ، واتضح لقيادة الحـزب أنـه لايكفي « وجـود الشيوعيين » «وفسـاد الادارة » و«غليان الشعب » لإنجـاح الانتفاضة ، وأن هناك شروطاً أخرى لابد من اضافتها على المستويين الذاتي والموضوعي ، وتبين أيضاً أنه لايمكن الحفاظ على سلطة شعبية أو طبقية أو وطنية دون امتلاك الوسائل الكفيلة بردع القوى المعادية لتلك السلطة وإحباط مخططاتها بفعالية عالية .

في دورتها لعام ١٩٣٢ قامت اللجنة المركزية بمراجعة وتقييم التجربة واستخلاص عبرها ، وأقرت في ضوء ذلك برنامج عمل يحتوي على تعزيز المنظمات السرية للحزب . شن حملة بين آلاف المعتقلين . المـلائمـة بين النضـال السري والعلني ، بين الشرعي وغـير الشرعي ، وتم اقـراربرنامج تحرك خاص بكل طبقة وفئة على حدة مع التركيز على مسألة العمل في صفوف الفلاحين .

فشـل التجربة الأولى للحزب جعلت الفيتناميين يحددون بدقة أكثر فهمهم لمسألة الانتفـاضة والسلطة ، وأكدت قيادة الحزب من جديد أن استلام السلطة يتم عن طريق الإنتفاضة الشاملة وعبر الإنتفاضات المحلية أو الفرعية ، وإنه لذلك لابد من توفير عوامل النصر كاملة[1] .

● بين الإنتفاضات الفاشلة ١٩٣١ والانتفاضة الناجحة ١٩٤٥ مرت مرحلة نضالية طويلة جرى خلالهـا توفـير الشروط السياسية والشعبية والعسكرية المطلوبة لنجاح الحركة واستلام السلطة .

ذاتياً : كان لابد من إعادة تنظيم وترتيب أوضاع الحزب ، توحيد منظماته ، اعادة الوحدة التنظيمية والفكرية بين صفوفه في كل مرحلة نضالية يخوضها وبعد كل ضربة يتلقاها

على يد السلطات الاستعمارية ، التصدي للنزعات والتيارات اليمينية واليسارية المتطرفة بحيث يتم تصليب البنيان الذاتي .

جماهيرياً : كان لابد من الإستفادة من طاقات الجماهير واعطاء اهتمام خاص للفلاحين فالعمال الزراعيين الذين يشكلون الطبقة الاعظم حجماً وانتشاراً وامكانيات . وحشد القوى الوطنية من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى عبر تشكيلات جبهوية مناسبة ، وبرامج عمل اعلامية وثقافية ملائمة .

سياسياً : الاستفادة من حالة الإنتعاش التي خلقتها أجواء الحرب العالمية الثانية تحت شعار « النضال ضد الفاشية ومن أجل الديمقراطية والسلام » ودخول الحزب الشيوعي الفرنسي الى حكومة الجبهة الشعبية من أجل شن كافة الأشكال النضالية الممكنة الشرعية وشبه الشرعية وتعزيز مكانة الحزب ومنظماته والجبهة بين الجماهير .

في هذه الفترة ظهرت قوى حزبية تستعجل التحضير للإنتفاضة وتشكك في جدوى النضال العلني والشرعي ، وقوى أخرى كانت تستهين بالتحالف مع الفلاحين . . القيادة تصدت للتيارين المتطرفين حتى عام ١٩٤٠ عندما جدت تطورات جديدة باحتلال اليابان للهند الصينية فقررت اللجنة المركزية أن المهمة « العاجلة » هي قيادة شعوب الهند الصينية في الإستعداد للإنتفاضة المسلحة للإستيلاء على السلطة . . وعلى الفور نفذ الحزبيون في بعض المناطق الشمالية انتفاضة « باك سون » ولجنة سايجون بدورها أعلنت الانتفاضة وأقامت سلطات الثورية في بعض المناطق مما خلق بعض الارباكات في قيادة الحزب ، خاصة بعد موقف هوشي منه المعارض لهذه القرارات « المرتجلة والمتسرعة » السلطات الفرنسية قمعت الانتفاضتين المعزولتين بشدة مستخدمة الطيران والمدفعية في معاقبة الجماهير في المناطق المنتفضة وجوارها .

بعد عودة هوشي منه من الصين جرى إعادة تقييم الموقف وأتفق على أنه لابد من الإعداد الكامل للانتفاضة ، وأعلن الحزب أن المعركة الوطنية لها الأولوية على النضال الطبقي[*] .

ثانياً : بناء القوات والقواعد الثورية :

بعد اختياره أميناً عاماً للجنة المركزية للحزب في نوفمبر ١٩٤٠ اتخذ ترونغ تشنه قراراً بتحويل القوات التي شاركت في انتفاضة «باك سون» الى أول وحدة فيتنامية رسمية لحرب العصابات، وكلف هوانغ فان ثو بتنظيم وقيادة القوات المذكورة استعداداً لمرحلة الكفاح المسلح، ولم تمض ستة شهور حتى كانت اللجنة المركزية تتخذ قراراً بإقامة القواعد الثورية

وبناء القوات المسلحة، وفي تلك الدورة الثامنة اعتمدت اللجنة المركزية منهج الانتفاضة كطريق لاستلام السلطة وأصدر هوشي منه نداءً وطنياً طالب فيه الشعب بتوحيد الصفوف للاطاحة بالمستعمرين الفرنسيين والفاشيين اليابانيين وأذنابهم المحليين وأعلن «ان ساعة التحرير قد دُقت الآن . .»[٦] .

الترجمة المباشرة لقرارات اللجنة المركزية كانت في انشاء رابطة استقلال فيتنام «الفيت منه» وروابط الانقاذ الوطني التابعة لها، أما جيش الانقاذ الوطني الذي تشكل من ثلاث فصائل كانت موجودة آنذاك فقد اعتبر الذراع العسكري «للفيت منه» .

في ديسمبر ١٩٤١ قيمت قيادة الحزب (المكتب الدائم للجنة المركزية) الأوضاع من جديد وأصدرت بياناً حول حرب المحيط الهادي ومهمات الحزب الملحة،شرّعت فيه للتحالفات التي يمكن عقدها مع أية جيوش حليفة أو مع الكومنتانج الصيني ـ على قدم المساواة ـ من أجل محاربة الفرنسيين واليابانيين داخل الهند الصينية، وطلبت من الشعب أن يكون مستعداً للانتفاضة ولإقامة حكومة ثورية تشرف على العلاقات مع القوات القادمة الى البلاد. وفي نفس الوقت الذي كانت قيادة الحزب تؤكد فيه على أهمية إيجاد حلفاء مؤقتين أو مشروطين أو مترددين وجهت انتقاداتها الى التيارات اليسارية داخل اللجان الحزبية التي تستعجل المباشرة في الانتفاضة والاستيلاء على السلطة قبل نضوج الظروف الكفيلة بنجاحها .

التطور العسكري الوحيد الذي حدث في نهاية العام كان تشكيل أول مفرزة نظامية مسلحة لحماية المقر العام للثورة؛بعدها لم يحدث أي جديد عام ١٩٤٢ حيث سافر هوش منه الى الصين في مهمة تفاوضية مع الكومنتانج إلّا أنه اعتقل هناك، وفي غيابه كلفت قيادة الحزب نجوين جياب بالإشراف على تنظيم القوات العسكرية والقواعد الثورية في المناطق الجبلية الشمالية فانطلق لتنفيذ تلك المهمة بمساعدة عدد من الكادرات «وبعد فترة من التحضيرات أقدم جياب على خطوة جديدة ـ مستنداً الى التفويض الحزبي الذي منح له في الشؤون العسكرية ـ وهي اعلان المنطقة الجبلية منطقة عسكرية للثورة، الأمر الذي أثار هوش منه بعد خروجه من السجن فاستدعى جياب حيث وجّه إليه انتقادات حادة لتسرعه، على أساس أن الأولوية يجب أن تكون للجانب السياسي وليس للجانب العسكري في مهمته الثورية، وهكذا اقتنع جياب أو إلتزم بتأجيل بدء الكفاح المسلح ، بينما استمرت عملية تعزيز « الفيت منه » وأعلن عن تشكيل رابطة العسكريين الفيتناميين للانقاذ الوطني ومجال عملها بين الجنود الفيتناميين العاملين في الوحدات والإدارات العسكرية الفرنسية والجيش المحلي ، وتلك كانت أول مرة منذ ١٣ سنة تنجح فيها عملية تنظيمية بين العسكريين .

في النصف الثاني من العام ١٩٤٤ اعتقدت اللجنة المركزية للحزب أن الظروف باتت

مناسبة لاعلان الثورة فعمدت في أغسطس وأثناء غياب هوشي منه[7] إلى دعوة الشعب إلى حمل السلاح وطرد العدو المشترك وأرسلت فام فان دونغ ونجوين جياب الى هوشي منه في جنوب الصين لابلاغه بقرارها ، إلا أن الزعيم الفيتنامي وبالرغم من انطلاقة بعض الانتفاضات المحلية أصدر أمره بتأجيل الانتفاضة المسلحة الشاملة لأن الظروف لم تنضج بعد . . . وهذا الأمر أدخل الساحة الوطنية خلال الشهرين الاخيرين من ١٩٤٤ في أزمة داخلية ، وشهدت نقاشاً واسعاً داخل القيادة حول مسألة الانتفاضة بين دعاة المباشرة ودعاة التأجيل ، حسمها هوشي منه في نهاية العام بالموافقة على تشكيل وحدات الدعاية المسلحة وتكليف جياب بقيادتها[8] .

باعتبار التربة الوطنية عطشى للعمل العسكري فقد كانت الإنجازات التحضيرية خلال الشهور الثلاثة الأولى ممتازة توسعت المناطق المحررة ، زاد عدد القوات المسلحة تنامت القدرات العسكرية للثورة مما أثار قلق القيادة الفرنسية فقررت بالقيام بحملة عسكرية شاملة لتصفية تلك القواعد الثورية اعتباراً من ١٢ مارس ١٩٤٥ إلاّ أن القيادة اليابانية كانت قد أعدت خطتها للانقلاب على الفرنسين في ٩ مارس فاستولت على مناطقهم ونزعت اسلحتهم واعتقلت الآلاف منهم ، وهكذا لم يكتب للحملة الفرنسية أن تر النور .

التغيير الجديد على الموقف في الساحة وسيطرة اليابانيين على الأوضاع مباشرة جعلت القيادة الفيتنامية تغيرٌ شعارها فأصبحت المعركة ضد اليابانيين باعتبارهم العدو الأول ، وأصبحت المهمة هي « طرد الفاشيين اليابانيين » بدلاً من« طرد الفرنسيين واليابانيين» وحيث أن قيادة الثورة قد حددت لمقاتليها وجماهيرها موعد الانتفاضة باللحظة التي يشتبك فيها اليابانيون والفرنسيون معاً[9] فقد بلغ الحماس الوطني ذروته وانطلقت عدة انتفاضات محلية كما انتهز جياب الفرصة المواتية وأخذ يتقدم عسكرياً في المناطق المجاورة ، إلاّ أن هوشي منه استدعاه على عجل وطلب اليه التوقف الفوري عن أية مغامرة عسكرية انفرادية والانتظار لفترة اخرى حتى تنضج الظروف المحيطة لشن الانتفاضة الشاملة .

التطورات الخارجية والداخلية التي تلاحقت في الربع الأول من العام جعلت الساحة مهيأة لتنفيذ خطوة عسكرية أخرى لكن هامة وهي إنشاء جيش التحرر ، ففي أواسط ابريل ترأس الأمين العام ترونغ تشنه مؤتمراً عسكرياً وطنياً في قرية هيب هوا عرف باسم مؤتمر تونكين العسكري شكلٌ نقطة تحول عظيمة في التطور العسكري الفيتنامي من خلال :

أولاً : توحيد الفصائل العسكرية المختلفة الموجودة على الساحة الفيتنامي .

ثانياً : اعلان جيش التحرير الفيتنامي باعتباره الاداة المركزية العسكرية للثورة .

ثالثاً : تشكيل وحدات الدفاع الذاتي المسلحة .

رابعاً : تشكيل وحدات المليشيا المسلحة وتطويرها .

خامساً : فتح مدارس عسكرية ودورات عسكرية سياسية للكوادر .

كما تقرر تشكيل القيادة العسكرية الثورية العليا من قيادة جيش التحرر بالاضافة الى فان زونغ تان نجه قيادة الجيش ضمت في حينه نجوين جياب ، تران نينه ، شوثان، كذلك أعلن عن قيام المناطق المحررة رسمياً والتي ضمت محافظات كاو بانغ ، لاو جيانغ في أقصى الشمال ، لانغ سون ، باك جيانغ في الشمال الشرقي ، توين كوانغ ، تاي نجوين في شمال العاصمة في الدلتا ، وترتبط هذه المناطق بممرات بينها .

بعض اللجان الحزبية في المنطقة الشمالية قامت بدورها بخلع الإدارات القائمة ، تجريد الفرنسيين والقوات العميلة من أسلحتها قبل وصول اليابانيين ، وتشكيل مجموعات عسكرية جديدة ، انتشرت في عدة إتجاهات جديدة .

ثالثاً : ثورة اغسطس واستلام السلطة :

بعد قيام اليابانيين بتنفيذ انقلاب مارس ١٩٤٥ ضد الفرنسيين وازاحتهم عن مسرح الهند الصينية عملوا على تكثيف نشاط اصدقائهم على الساحة الفيتنامية ، ورغم التجارب المريرة السابقة للفيتناميين في علاقاتهم مع اليابانيين ، فإن بعض النشطاء انتشروا في حملات دعائية لصالح اليابان بدعوى أن القوات اليابانية هي المخلص للفيتناميين ، وأن التحالف معها هو الطريق لتحرير فيتنام ونيل استقلالها ، بل أن شعارات مثل « عاشت اليابان العظمى » رفعت إلى جانب « عاش استقلال فيتنام » وهكذا نشطت القوى الاقطاعية الرجعية والمنظمات الحليفة أو الموالية لليابان ، وقامت بتشكيل حكومة في هوي برئاسة تران كيم في ١٧ ابريل[١٠] ، في المقابل كانت قيادة الحزب الشيوعي قد قررت في اجتماعها في قرية توسون في باك نينه في شهر مارس ، شن حركة الانقاذ الوطني ضد الفاشيين اليابانيين بدأت بهجمات عسكرية على المواقع والمراكز العسكرية المنعزلة ، وتعرضت بعد ذلك إلى الوحدات اليابانية المتحركة من توين كوانغ الى تاي نجوين ، ومن باك كان الى كاو بانغ . . ثم هاجمت القوات اليابانية في باك كان وتأسست هناك اللجنة الفيتنامية ـ الفرنسية لمقاومة الفاشيين اليابانيين لكن الجنود الفرنسيين تخلوا عن هذه المهمة المشتركة وفضلوا الانسحاب الى حدود الصين .

وفي مواجهة الدعاية المحلية المؤيدة لليابان قام رجال العصابات الثورية بإلقاء الكلمات واقامة الندوات في الساحات العامة والأسواق ومفارق الطرق لشرح حقيقة السياسة اليابانية . واستولوا على أراضي اليابانيين في باك جيانغ وتاي نجوين وباك كان ووزعوها على الفلاحين ، كذلك كانت بعض الوحدات الثورية تتحرك في المدن الرئيسية علانية أمام

الجنود اليابانيين ، وتقوم بتصفية الخونة، ومعاقبة بعض الضباط اليابانيين الأكثر قسوة ، واحداث ارتباك وخوف بين صفوف اليابانيين وعملائهم .

في يونيه قامت اللجان الثورية بمهمات التصدي لممارسات العسكريين اليابانيين في اضطهاد واستغلال المواطنين الفيتناميين . . . على أساس أنها السلطة الشعبية في مناطقها .

قيام القوات الجوية للحلفاء بشن غاراتها ضد القوات اليابانية ، ونجاح الهجوم السوفييتي في منشوريا . . . ثم ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية . . . شجع الفيتناميين على تصعيد تصديهم لليابانيين ، وعقدت القيادة الحزبية اجتماعاً موسعاً قررت فيه الاستفادة من الظروف الجديدة لاعلان الانتفاضة الشاملة ، ولذلك تم توحيد القيادة العسكرية والسياسية ، وتشكيل لجنة الانتفاضة الوطنية برئاسة الأمين العام وعضوية جياب وآخرين . . وعقدت جبهة «الفيت منه» مؤتمراً وطنياً في ١٦ اغسطس اعتمدت فيه قرارات الحزب واتخذت الاجراءات اللازمة بهدف :

(١) تقوية وتعزيز جيش التحرير الفيتنامي .

(٢) تعبئة الشعب وتدريبه وتسليحه .

واصدر هوشي منه الايعاز بالتحرك للقوات المسلحة ، فانطلق جياب على رأس قواته من المنطقة المحررة باتجاه العاصمة . . . بينما انطلقت الانتفاضات الشعبية والمسلحة تغطي اقاليم ومدن فيتنام وخلال عشرة أيام تم انجاز الانتفاضة الشاملة بنجاح والاستيلاء على السلطة .

وهكذا انتهت مرحلة النضال ضد اليابانيين ، لكن قبل الإيعاز الأخير . كان صعباً على القيادة الفيتنامية أن تضبط الوحدات المسلحة أمام إغراء ضرب اليابانيين وتصفيتهم ، وكانت القيادة الشابة دائماً طموحة في توسيع المناطق المحررة واعلان السلطة ، للدرجة أن جياب نفسه تعرض أكثر من مرة لعملية « تليين وعقلنة » كان آخرها عندما أراد الانتفاض مباشرة بعد قنبلة هيروشيما إلا أن هوشي منه منع حركته حتى تستسلم اليابان تماماً . . الأمر الذي دفع بعض المراقبين الغربيين للقول أن القيادة الفيتنامية تحاشت الصدامات العسكرية مع اليابانيين ، بمعنى أنها لم تزج بقوات فيتنامية ذات شأن في معارك ضد القوات اليابانية إلّا عندما لايكون مفر من ذلك !

قبل ذلك ايضاً كانت الوحدات الثورية في منطقة باك سون فونهاي قد ملت الإنتظار الطويل ولم تقتنع بتكتيك سرية العمل العسكري والاكتفاء بعلانية الموقف السياسي - والدعائي وتنمية منظمات الإنقاذ الوطني . . . فاتجهت إلى إبراز القوة العسكرية للثورة ، وبدأت في الإطاحة بمواقع العدو ومراكزه واقامة السلطة الثورية علناً في مناطقها . . كما دفع اللجنة المركزية للحزب الى اصدار تعليمات مشددة إليها للتقيد، بالسياسة المعتمدة

والانتظار . . . لأن الظروف غير مناسبة . .

الحركة المسلحة لثورة الشعب الفيتنامي خلال هذه المرحلة (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) يمكن تلخيص اتجاهاتها على النحو التالي :

ـ كانت هناك رغبة في الاستفادة من القدرات والامكانيات الصينية (الكومنتانج) لدعم الجهد العسكرية للثورة الفيتنامية (الفيت منه) لكن تلك المحاولة فشلت باعتقال هوشي منه في جنوب الصين .

ـ ثم كانت هنـاك رغبة لاحقة في الاستفادة من الامكانيات الفرنسية لدعم الجهد العسكري الفيتنامي ضد اليابانيين ، وقيل أن اتصالات بهذا الشأن قد جرت ، لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال ، وفضل جنود فرنسا الإنسحاب الى المناطق الآمنة في جنوب الصين على قتال اليابانيين .

ـ الجهد الذاتي الفيتنامي كان متوفراً منذ البداية . . لكن ضعف القوات الفرنسية بعد الانقلاب الياباني عليها . . ثم ارتباك الوضع الياباني على المسرح العالمي بعد ذلك جعل الحركة الفيتنامية أكثرحرية في التجهيز والأعداد العسكري وتطوير الجهود الذاتية في المجال العسكري تحت شعار الخلاص الوطني ضد اليابانيين .

ـ الخطة العسكرية الفيتنامية مرت بثلاث مراحل قبل اغسطس ١٩٤٥:

أ ـ شن حرب عصابات من أجل بناء قواعد للمقاومة . . . في منطقة فيت باك .

ب ـ تحريك وحدات عسكرية منظمة بين المناطق العسكرية المختلفة .

ج ـ تجهيز فصائل صدامية رئيسية . . وتنسيق الجهد بينها وبين الوحدات المحلية الصغيرة .

ـ حركة القوات ومهماتها خلال ثورة اغسطس كانت على النحو التالي :

أولاً : قوات نظامية تتحرك من المناطق المحررة باتجاه العاصمة :

مهمتهـا ترتيب مسـألـة اعـلان السلطة الثورية ثم العمل على تثبيت هذه السلطة والحفاظ عليها ، ثم القيام بمتطلبات الامن الداخلي في العاصمة . .

ثانياً : قوات نظامية تتحرك من المناطق المحررة الى عدة مدن وعواصم اقليمية في الوسط والجنوب .

مهمتها تتخلص في دعم قوى الانتفاضة المحلية ، والحفاظ على سلطة الثورة .

ثالثاً : قوات نظامية تبقى في المناطق الجبلية الشمالية وخاصة في منطقة القيادة في تران داو .

مهمتهـا حماية مقر القيادة واحتياطي التموين والذخائر . . العمل على اعاقة تقدم القـوات الصينية الـزاحفـة من الشـمال لتـأخـير وصولها الى هانوي . . ثم مواجهة أعمال

واستفزازات القوى القومية واليمينية المرافقة للقوات الصينية .

خلال الشهور الأربعة الأخيرة من عام ١٩٤٥ ، حرصت القيادة الفيتنامية على اتباع التكتيكات المختلفة في انحاء البلاد ، والملائم كل منها لظروف المنطقة المعنية ، وهنا يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

أ ـ في العاصمة ، كان التكتيك يقول بتحاشي خوض أية اشتباكات ما أمكن ذلك ، وعدم الرد على الاستفزازات المعادية . . . مهما تمادت ، حتى يوم اعلان الإستقلال وقيام الجمهورية في ٢ سبتمبر[١١] .

ب ـ في المقاطعات الشمالية اعتمد تكتيك مشابه من حيث تجنب الاشتباكات والصدامات الكبيرة، ثم القيام بإفراغ المدن والمواقع المستهدفة. . وتسليمها خالية عند الضرورة .

ج ـ في الجنوب اعتمد التكتيك القاضي ليس بتجنب فتح النار فقط بل المبالغة في ابداء النوايا الحسنة ، والترحيب ببعثة الحلفاء وجيوشهم .

د ـ بعد قيام السلطة الثورية . . . برز بشكل ظاهر اتجاهان داخل الثورة .

الأول ، يعمل على مساومة القوات الصينية ، والقوى الموالية لها ، وعدم الرد عليهم مهما كلف الأمر ، وذلك لتحاشي معركة كبيرة خاسرة . . .

الثاني ، يدعو إلى التصدي الفوري والمباشر لتعديات القوات المعادية ، لكسر شوكتها منذ البداية وتعزيز ثقة المقاتلين والشعب في الثورة . . وذلك قبل أن تستفحل تلك القوى المعادية . لكن قيادة الثورة اختارت الطريق الأول ، كما رأينا ، وتعزز الاتجاه الذي يقوده الرئيس هوشي منه ، طوال العام التالي .

هـ ـ الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٦ كانت القوات المسلحة للثورة الناشئة في أمس الحاجة الى اعادة تنظيم وتدريب ، وتسليح وتحديث . . لكنها كانت تقف على ساحة غير هادئة ، ترابط عليها عشرات الآلاف من الجنود ، قوات صينية ترابط في الشمال بعشرات الآلاف تحتجز قوات فرنسية ويابانية ، قوات فرنسية محتجزة عند اليابانيين ، قوات يابانية جاهزة للاستسلام ، قوات بريطانية في الجنوب لنزع سلاح اليابانيين ، قوات فرنسية تتسرب تحت مظلة الحلفاء . . فكيف تعاملت القيادة العسكرية الفيتنامية مع هذه الحقائق المادية . . . وكيف وفقت بين ضرورة التنظيم والتطوير العسكري وبين المعركة التي لايمكن تحاشيها . . ؟؟

الفصل الثاني :

معركة الدفاع عن السلطة الوطنية

معادلة البناء والدفاع :

عندما تسلم هوشي منه قيادة البلاد في أول سبتمبر كانت في انتظار سلطته تحديات جبارة ، خارجية وداخلية ، عسكرية وسياسية ، وطنية وحزبية ، وكان يعرف إنه أقام جمهورية في الوقت الضائع ، لذلك حرص منذ البداية على تأمين أطول وقت ممكن من السلام والهدوء لكي يتمكن من بناء القوات القادرة على حماية السلطة ، لكنه في مقابل ذلك كان يدفع ثمناً غالياً ، تنازلات متتالية تنسف بالنتيجة الهدف الأصلي .

السنة الأولى من عمر السلطة الوطنية كانت قاسية ومريرة ، ولم يكن انتصار انتفاضة أغسطس إلّا بداية المتاعب الكبرى ، فالقيادة الفيتنامية (الجانب المتنفذ فيها) بزعامة هوشي منه كانت ترمي بثقلها وراء المفاوضات لاستعادة وجودها في كافة المناطق الفيتنامية . خيار التسوية السلمية بالنسبة لهوشي منه لم يكن مريحاً فقد كانت جبهة المفاوضات واسعة ومعقدة ومتداخلة،مع الأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين والصينيين . وكذلك مع عملائهم وأنصارهم على الساحة المحلية ، من أجل تأمين الحد الادنى من الاعتراف الدولي والمحلي بسلطته الوطنية ، وبالتالي الحصول على بعض الوقت لتثبيت دعائم جمهوريته وتقوية امكانيات جيش الدفاع الوطني ، لكنه خلال ذلك لم يستطع تحاشي جميع المعارك المبكرة على الأقل للدفاع عن النفس .

طوال عام ونصف من مسيرة المفاوضات كانت أوهام التسوية تتبخر تدريجياً ، وكما يقول جياب الذي شارك في بعض مراحلها « . . كلما تنازلنا أكثر زادوا من عدوانهم ، وراحوا

يمزقون علناً الاتفاق الذي وقعوه ، ومضوا يشنون حملاتهم العسكرية لسحقنا في المناطق المحتلة ، وداسوا على حقوقنا وبذلوا قصارى جهدهم ليحتلوا بلادنا . . »[12] . لذا كان لابد « بعد أن تأكد الحزب من أن كل امكانيات المحافظة على السلام ذهبت أدراج الرياح » من دعوة الشعب بأسره إلى خوض حرب المقاومة ، وخلال المسيرة السلمية كان على القيادة العسكرية أن توفق بين مهمتي تطوير القوات المسلحة ، والتصدي للهجمات الفرنسية الرئيسية في نفس الوقت .

أولاً : تطوير القوات المسلحة :

شكل مؤتمر تونكين العسكري في ابريل محطة هامة في التاريخ العسكري للثورة الفيتنامية من حيث توحيده للفصائل المسلحة في جيش تحرير وطني ، وتطوير الامكانيات والقدرات العسكرية للثورة ، لكن بعد نجاح الانتفاضة الشاملة والاستيلاء على السلطة واقامة الجمهورية فإن تطويرين جديدين كان لابد من معالجتهما ، المهمات الواسعة الجديدة لوزارة الدفاع وجيشها ، والكم البشري الهائل من المواطنين المستعدين للانخراط في صفوف الجيش .

الفترة من اغسطس ١٩٤٥ حتى ديسمبر ١٩٤٦ شهدت حركة واسعة في مجال اعادة تنظيم القوات المسلحة والاستفادة من المتغيرات الجديدة على الشكل التالي :

- بالنسبة للقوات النظامية فإن جيش التحرير جرى توسيعه بحيث تضاعف عدد أفراده عدة مرات موزعاً على فرق وألوية ، كتائب ، سرايا ، فصائل ، وقد ضم بين وحداته عدداً من الضباط والجنود من وحدات حرس الدفاع المدني التي كانت موجودة في زمن اليابانيين .

وكذلك عدداً من الشباب الذي برزوا في وحدات الدفاع الذاتي ، والفنيين والشبان الذين خضعوا لدورات عسكرية وسياسية ، وقد وضع الجيش تحت قيادة الحزب بواسطة المنظمات الحزبية داخل الوحدات ، وفي هذا الشأن عززّ المؤتمر العسكري الوطني في ١٥ نوفمبر ١٩٤٦ دور الحزب في الجيش وشكلت لجنة عسكرية مركزية لقيادة القوات المسلحة وطبق نظام القائد العسكري والمفوض السياسي في كافة المستويات ودفعت كادرات حزبية للعمل داخل الجيش ، وتولى فان زونغ مسؤولية المفوض السياسي للجيش .

- إلى جانب الجيش كانت هناك قوة نظامية أخرى تشكلت في زمن القواعد الثورية وهي وحدات الدفاع الذاتي المقاتلة التي تشكلت وتعززت بانضمام اعضاء شبيبة الانقاذ الوطني المسيطرين على الثكنات والمعسكرات في المدن ، وهؤلاء كان يعتمدون على الشعب

وسكان الأحياء المجاورة في تأمين التموين اليومي ، اما مهمتهم فتتركز في مقاتلة القوات المعادية عند اقترابها من مواقعهم ، عند وصولها الى القرية أو الناحية أو الشارع ، خلال الشهور الاولى جرى تعزيز هذه الوحدات باعضاء المنظمات الوطنية من الشبان الذين خضعوا لدورات عسكرية في مدرسة هوشي منه للتدريب ومراكز التدريب الاخرى والتي كان ابرزها المدرسة السياسية - العسكرية الفيتنامية (لمقاومة اليابانيين سابقاً) ثم جرى تغيير أسمها الى مدرسة كوادر فيتنام بعد وصول القوات الصينية الى هانوي بهدف تحاشي استفزازات تلك القوات .

- أما القوات غير النظامية فقد تمثلت في وحدات الدفاع الذاتي (ميليشيا ودفاع مدني) التي كانت تنتشر حيث يتواجد الشعب ، في الاقاليم والانجاع والقرى والمزارع والمصانع والشوارع وهذه الوحدات لم تكن لها مهمات قتالية ، إلاّ عند الضرورة ، وكانت مهمتها في حالة السلم حفظ أمن المكاتب والاجهزة والممتلكات العامة ، اضافة الى صيانة الامن الاجتماعي والنظام العام ، وقد كانت هي أكبر كتلة في القوات المسلحة بحيث بلغ عدد أفرادها في هانوي وحدها عشرة آلاف تراوحت اسلحتهم بين البنادق والخناجر .

- بالنسبة للتسليح جرى تزويد القوات المسلحة بأسلحة وذخائر ومعدات اضافية ، وتعتبر الكمية التي حصلت عليها الانتفاضات الشعبية خلال ثورة اغسطس شيئاً مهماً بالنسبة لنوعية وحجم التسليح السابق ، كما شكلت أسلحة حرس الدفاع المدني وأسلحة الجنود اليابانيين جزءاً مهماً بالاضافة الى ما أمكن شراؤه من الجيش الصيني والياباني ، كما جرت محاولات لتطوير صناعة الأسلحة الفردية محلياً ، كان آخرها تحويل المعامل والورشات الفنية الفرنسية الى مصانع للاسلحة أو إلى معامل لإصلاح وصيانة البنادق والمدافع المعطوبة ، ولانتاج القنابل اليدوية والألغام والقذائف المضادة للدبابات .

كما أن جزءاً من الأسلحة والاعتدة الحربية كانت تأتي شحناً من تايلند والفلبين والصين ، براً وبحراً ، وذكرت بعض المصادر الغربية[١٣] ان الأسلحة القادمة من الفلبين جرى نقلها بطائرات وطيارين امريكيين مستأجرين . . ويذكر أن الأسلحة والذخائر التي استقدمت من الفلبين وتايلند كانت في المعظم أمريكية ، من سوق الاسلحة الذي خلفته الحرب العالمية الثانية في المنطقة .

القيادة الفيتنامية كانت تشجع وحدات الدفاع الذاتي والمدني والفلاحين على الحصول على الأسلحة بأية طريقة ممكنة ، واضافة الى سياسة التسليح الذاتي وضعت القيادة مكافئات سخيّة لمن يقدم اسلحة معينة لقوات الثورة ، وتضمنت تلك المكافئات بعض الأراضي الزراعية .

ثانياً : التصدي للهجمات الفرنسية :

رغم التنازلات الفيتنامية المتتالية منذ اعلان الجمهورية الا أن الفرنسيين نفذوا خطه عسكرية متصاعدة المراحل ، وشملت ثلاثة من الهجمات الرئيسية ضد كل من سايجون وهايفونغ وهانوي ، اضطرت القيادة العسكرية الفيتنامية الى اصدار أوامر القتال الى قواتها دفاعاً عن وجود الثورة لكن دون التمكن من الحفاظ على تلك المدن كما سنلاحظ من خلال استعراضنا لأهم ملامح تلك المعارك :

● معركة سايجون SAIGON :

اليوم الأول من عمر الجمهورية الوليدة سجل أول حدث في معركة سايجون التي اعتبرت بدورها فاتحة الحرب الوطنية الطويلة التي شهدتها فيتنام والحادثة بدأت خلال المسيرة الشعبية العارمة التي شهدتها عاصمة الجنوب في الثاني من سبتمبر ، عندما أطلق الفرنسيون النار باتجاه المتظاهرين ، رد فعل الجماهير كان عنيفاً ومباشراً ضد الفرنسيين الموجودين في شوارع سايجون ، وحسب المصادر الفرنسية فقد قتل ثلاثة فرنسيين واعتقل وضرب عشرات آخرين منهم .

السلطات الفرنسية حاولت أن تتبرأ من مسؤولية ماحدث ، والقت المسؤولية على عاتق الفيتناميين - بل أن بعض المصادر ذهبت الى أبعد من اعتباره حادثاً بريئاً ، بالايحاء ان جهات متطرفة في الساحة الوطنية قد نفذت العملية لكي تقطع الطريق على الخط التفاوضي عبر توتير العلاقات مع الفرنسيين .

وكانت الساحة الفيتنامية آنذاك تشهد صراعاً بين وجهتي نظر ، أو بين خطين داخل الثورة كما ذكرنا سابقاً ، خط يحاول البحث عن تأييد الحلفاء للسلطة المعلنة في هانوي ، وبالتالي اقناع الفرنسيين بالاعتراف بحكومة هانوي والبحث عن تسوية تفاوضية معها ، وتجنب أية معارك عسكرية مع الفرنسيين . . وهذا الخط يعبر عن وجهة نظر القيادة الرسمية متمثلة للجنة الادارية للجنوب في سايجون ، وخط آخر ينادي بالمواجهة المباشرة مع الفرنسيين والتصدي لقواتهم فور قدومها الى فيتنام وعدم اعطائهم فرصة لتنظيم أوضاعهم وترسيخ أقدامهم على الأرض . .

في الرابع من سبتمبر طلبت قيادة الحلفاء من قيادة القوات اليابانية في سايجون تحمل مسؤوليتها في حفظ الأمن والنظام حتى وصول بعثة الحلفاء ، وأمرت القائد الياباني تيراوشي بإرسال عدة كتائب الى داخل المدينة وتجريد القوات الفيتنامية من أسلحتها ، لكنه لم يتحمس لهكذا مهمة ، في الثاني عشر نزلت القوات البريطانية وبصحبتها قوات فرنسية إلى الأراضي الفيتنامية . وخلال بضعة أيام تلت شهد الوضع العسكري التطورات التالية (١)

تسليح الجنود الفرنسيين بعد اطلاق سراحهم . (٢) سيطرة الفرنسيين على ادارة المدينة ومطارها وميناؤها . (٣) محاولات تجريد الفيتناميين من أسلحتهم .

في المقابل وتحت ضغط الاجراءات المعادية نظمت القيادة المحلية اضراباً شاملاً ناجحاً في السابع عشر ، وشهدت شوارع المدينة سلسلة نشاطات ثورية خلال اليومين التاليين اسفرت عن اعتقال ستة عشر فرنسياً ، لكن حتى ذلك التاريخ كان العنف يستهدف بشكل عام الفيتناميين العملاء واعداء الثورة ، أكثر منه الفرنسيين . . وكانت القيادة الفيتنامية هناك تحاول التوفيق بين متطلبات الساحة الوطنية خوفاً من انفجارها في صراع داخلي ، وبين حرصها على تجنب الصراع المسلح مع الفرنسيين والحلفاء .

إلاّ أن الفرنسيين ربطوا التفاوض مع الفيتناميين بعودة الأمن والنظام الى المدينة ، كما أعلنوا في التاسع عشر . .

في اليوم التالي منعت السلطات البريطانية الصحف الفيتنامية من الصدور والحقت الشرطة الفيتنامية بالجيش البريطاني ، وفي الحادي والعشرين أعلنت الاحكام العرفية وتبعته بإجراء عدواني مباشر حيث قامت بتسليح ألف وأربعمائة فرنسي من المظليين الذين أطلق سراحهم ، كان ذلك صباح الثاني والعشرين . . يوم الانقلاب الفرنسي على الفيتناميين . . . فجأة انطلق الجنود الفرنسيين في شوارع المدينة يحطمون كل ماهو فيتنامي في طريقهم كما قاموا باحتلال عدة مراكز للشرطة الفيتنامية بعد الظهر ، الليلة التالية شهدت هجمات مفاجئة على مراكز الشرطة المتبقية والبريد والمالية ، انتهت صباحاً بالاستيلاء على مبنى المدينة ، ومقتل واعتقال عدد من الفيتناميين .

اعتقد الفرنسيون ذلك اليوم ٩/٢٢ انهم طردوا المسلحين الفيتناميين وانهوا سيطرتهم على أحياء المدينة ، وبذلك سمحوا لأنفسهم بالاحتفال الصاخب بهذه المناسبة ، في المقابل كانت اللجنة الادارية للجنوب قد انتقلت الى الضواحي لاعداد الرد المطلوب ، وأبلغت هانوي بآخر تطورات الموقف . .

وهنا يمكن رصد الحركة الفيتنامية في اتجاهين ؟

الأول ؛ محلياً قامت قيادة الجنوب بشن هجوم مضاد ابتدأ يوم الرابع والعشرين بإضراب عام في المدينة شلها تماماً ، ثم هجمات ضد محطات الكهرباء والمراكز والسوق المركزية ، والاحياء الفرنسية والاوروبية . . . استمرت في اليوم التالي وأسفرت حسب المصادر الفرنسية[١٤] عن مقتل ١٥٠ فرنسياً واعتقال عدد مماثل .

فشل العدو في التصدي للهجمات الفيتنامية ، رغم محاولته الاستعانة بالبريطانين واليابانيين الذين لم يكونوا متحمسين للمهمة ، إلاّ أنهم ساهموا في اعتقال عشرات الفيتناميين من الشوارع !

ويميل بعض المراقبين الى اعتبار يوم ٢٤ سبتمبر هو اليوم الأول في برنامج المقاومة الذي أعدته قيادة الثورة والذي شمل لاحقاً كل مناطق الجنوب ثم امتد الى هانوي والشمال الفيتنامي .

الثاني ؛ مركزياً ، جرى تنظيم حملة دعم الجنوب التي وجه خلالها هوشي منه رسالة مفتوحة إلى شعب الجنوب في ٢٦ سبتمبر تضمنت ثقة كل الفيتناميين في وطنية الجنوبيين ، تأكيد دعم الحكومة والشعب لهم في الدفاع عن الاستقلال الوطني ، مشيراً إلى حتمية الانتصار بفضل وحدة الشعب وعدالة القضية . ورفع شعار « لنقاتل من أجل الدفاع عن مدينة هوشي منه » ونفضل الموت على العيش في العبودية من جديدة[15] .

في المجال العسكري جرى اتخاذ الخطوات السريعة لارسال تعزيزات من الشمال الى الجنوب شملت قوات نظامية من جيش التحرير ، وحدات من المتطوعين المتدربين ، مجموعات من الكوادر الحزبية والسياسية ، وتشير المصادر العسكرية الفيتنامية الى أن تلك التعزيزات وصلت الى منطقة سايجون في الوقت المناسب وتسلمت المحور الشمالي والشمالي الشرقي للمدينة . وفي ظل تلك النجاحات لجأت القيادة الفرنسية بالتواطىء مع البريطانيين (الذين رتبوا لقاءً فرنسياً فيتنامياً) إلى التوصل إلى هدنة بين الطرفين بدأ سريان مفعولها اعتباراً من الثاني من اكتوبر . . . لماذا ؟

لأن . . . القوات البريطانية لم يتجاوز عددها ثلاثة آلاف مع الجنود الهنود .

ولأن . . القوات الفرنسية كان معظمها من الجنود والمظليين المعتقلين سابقاً .

ولأن . . القوات اليابانية غير متحمسة وغير فاعلة في العمل لصالح الحلفاء والأعداء .

لذلك حاولت القيادة الفرنسية تعزيز أوضاعها العسكرية لتتمكن من التصدي للفيتناميين ، ووصل لهذا الشأن الجنرال لاكليرك يوم ٤ / ١٠ وبدأ في اعداد الحملة العسكرية المضادة التي بدأت في الحادي عشر وكان هدفها اعادة النظام الى المدينة واخراج المسلحين الفيتناميين منها . .

القيادة الفيتنامية بدورها امرت أولاً سكان المدينة من الفيتناميين بمغادرتها ، وهكذا افرغت سايجون من أصحابها الذين لجأوا إلى المناطق المجاورة ولم يتبق فيها سوى قوات الحلفاء واليابان والمدنيين الاوروبيين . .

والخطورة الثانية كانت شن هجمات عسكرية أدت الى إحكام الحصار على المدينة في ١٦/ ١٠ وبعدها كانت مواقع العدو ومراكزه وأفراده هدفاً للغارات الفيتنامية والهجمات السريعة .

نجح الفيتناميون في الإستمرار في خطة الحصار حتى بداية الأسبوع الرابع عندما قرروا تحت ضغط الهجمات المضادة وكثافة النيران التي تعرضوا لها أن يتراجعوا إلى مواقع

خلفية أعمق في المناطق الشمالية والغربية والجنوبية . حملة فك الحصار لم تقتصر على الفرنسيين بل ساهمت فيها بفعالية القوات البريطانية ، الطيران البريطاني ، القوات اليابانية . . وبهذه الحملة وعودة المواطنين الفيتناميين إلى أحياء المدينة من جديد ، تكون معركة سايجون قد انتهت بانتصار فرنسي وهزيمة فيتنامية كما تصورت القيادة الفرنسية التي قرر قائدها « لاكليرك » في ٢٥ / ١٠ الانتقال من تطهير سايجون إلى تطهير االمناطق الجنوبية تلك المهمة التي استغرقت أربعة شهور وليس أربعة أسابيع كما حدد ، ثم اكتشف بعد ذلك الوقت والجهد إنه لم يسيطر سوى على المدن الرئيسية وبصورة غير تامة كما سنلاحظ لاحقاً .

● معركة هايفونغ HAI- PHONG

كما هي سايجون مهمة ، فإن هايفونغ كذلك بالنسبة للفرنسيين الذين يريدون بالسيطرة عليها اعلان وجودهم السياسي المادي والمعنوي من جديد ، في ممتلكاتهم لما قبل الحرب العالمية ، فيتنام ـ الهند الصينية ـ شمالها وجنوبها . . لكن بالنسبة لهايفونغ هناك خصوصية ، تتمثل في ؛

أولاً ، الأهمية العسكرية للميناء الذي يشكل المعبر الرئيسي للقوات الفرنسية للوصول إلى المناطق الشمالية والعاصمة .

ثانياً ، الأهمية العسكرية للميناء الذي تدير حكومة هانوي عبره بعض الامدادات من الأسلحة والذخائر عن طريق المهربين وتجار السلاح الصينيين .

ثالثاً ، عبر الميناء تتأكد سلطة الجمارك والتجارة الخارجية لحكومة هانوي غير المعترف بها فرنسياً . . أول تحرك فرنسي عسكري باتجاه هايفونغ كان في أوائل شهر مارس ١٩٤٦ عندما توجه إليها الأسطول الفرنسي تاركاً المياه الدولية والإقليمية بقيادة لاكليرك نفسه الذي أراد الضغط على المفاوض الفيتنامي في المباحثات الدائرة في هانوي . . . بعد توقيع هوشي منه لاتفاقية مارس[١٦] لم تعد وحدات الأسطول إلى حيث جاءت بل واصلت ابتزازها ونزلت بعض الوحدات إلى الأرصفة مما دفع القوات الصينية ـ التي مازالت مرابطة في ذلك الحين ـ إلى الاشتباك معها .

اتفاق مارس سمح للفرنسيين بالاحتفاظ بقوات عسكرية فرنسية في الشمال ، وهذا يعني أن هايفونغ ستكون مركز عبور لهذه القوات ، بالإضافة إلى القوات الشمالية الموجودة أصلاً عبر حدود الصين ، ولتأكيد عزمهم على اثبات سلطتهم بجدية رد الفرنسيون بعنف على مهاجمة قافلة فرنسية في منطقة باك نينه (بين هانوي وهايفونغ) استخدموا الطائرات والمدفعية بدرجة جعلت القيادة القتالية تعيد النظر في ترتيباتها العسكرية . . في ٢٩ اغسطس قامت القوات الفرنسية في هايفونغ بطرد العناصر الفيتنامية العاملة في إدارة الجمارك بحجة

أنهم أجبروا التجار الصينيين على دفع ضرائب تعفيهم منها المعاهدة الفرنسية ـ الصينية!

خطوة ثانية أقدم عليها الفرنسيون في هذا الاتجاه ـ في ١٠ سبتمبر عندما طلب المفوض السامي من معتمده في هانوي مورلير تثبيت السيطرة الفرنسية على الرسوم الجمركية والتجارة الخارجية في هايفونغ لدى السلطات الشمالية اعتباراً من ١٥ اكتوبر . . واعتقد الفيتناميون أن اتفاق هوشي منه في باريس في ١٤ سبتمبر قد شمل هذه المسألة إلا أن سلطات سايجون اصرت على موقفها في تنفيذ الإنذار . .

في الحادي عشر من نوفمبر قدمت الحكومة الفيتنامية احتجاجاً رسمياً حول هذا الموضوع لكن أحداً لم يكترث ! حتى بدأت معركة السيطرة على المدينة صباح اليوم العشرين من نوفمبر.سقط للفرنسيين ستة قتلى في بلدة دوسون القريبة من هايفونغ ، فكان رد فعل الفرنسيين واسعاً بحيث شمل السيطرة على البلدة كلها .

وفي نفس الوقت احتجز قارب دورية فرنسي سفينة صينية تحمل بترول حسب الرواية الفيتنامية ، إلاّ أن مسلحين فيتنامين تدخلوا وأطلقوا سراح السفينة الصينية واعتقلوا طاقم القارب المكون من ثلاثة فرنسيين ، عقب الحادث جرت عدة اشتباكات محدودة داخل وخارج الميناء اسفرت عن اعتقال ثلاثة فرنسيين آخرين ، وقتل في الاشباكات شرطي فيتنامي .

تدخلت في المعارك كتيبة فرنسية هاجمت محطة السكة الحديدية ، وحاولت استرداد الأسرى بالقوة متوغلة في الأحياء الفيتنامية إلاّ أن المحاولة فشلت فقام الفرنسيون بعد ذلك بمهاجمة العسكريين الفيتناميين في الأحياء الفرنسية وطردهم خارجاً كما ارسلوا وحدات اضافية إلى الأحياء الأخرى لتأكيد السيطرة عليها .

حاولت لجنة الارتباط المشتركة في المدينة التدخل لوقف اطلاق النار لكن العقيد ديبس Debes (قائد القوات الفرنسية) أصر على إطلاق سراح الفرنسيين المعتقلين ونزع سلاح شرطة وحواجز الفيتنامين ، وانسحاب الوحدات الفيتنامية من الاحياء الصينية ، وافق الفيتناميون على الطلب الأول وأطلق سراح الفرنسيين مقابل وقف اطلاق النار الا أن الجرافات الفرنسية انطلقت في الساعة الثانية بعد الظهر لازالة الحواجز الفيتنامية من الطرق . . ودارت معارك عنيفة بين الجانبين .

ونظراً لاستمرار المعارك أرسلت القيادة الفيتنامية تعزيزات عسكرية إلى المدينة مع الحرص على عدم توسيع دائرة القتال كما يقول جياب ، كانت التعليمات إلى قوات هايفونغ بالقتال دفاعاً عن النفس فقط .

في مساء نفس اليوم توصل العسكريون الفيتناميون والفرنسيون في هانوي الى اتفاق ينص على وقف اطلاق النار الفوري ، انسحاب القوات المتحاربة الى مواقعها السابقة ، وسفر لجنة مشتركة الى هايفونغ .

الجانب الفيتنامي التزم بوقف اطلاق النار اعتباراً من الساعة الثامنة مساءً لكن المدفعية الفرنسية لم تلتزم حتى بعد وصول اللجنة المشتركة صباح اليوم التالي ، اتفاق آخر توصلت إليه اللجنة المشتركة بخصوص وقف القتال والانسحابات الّا أن ديبس رفضه ، واتفق بعدها على أن تبقى القوات المتحاربة في مواقعها وتتوقف اعمال الإستفزاز . .

في المساء توقف اطلاق النار تماماً . . وغادرت اللجنة المشتركة إلى هانوي مطمئنة إلى سلامة الوضع ، في ٢٢ نوفمبر .

إلّا أن التعليمات التي وصلت ديبس من سايجون ليلة ١١/٢٢ تقضي بتخطي سلطة الفرنسيين في هانوي واستعمال « كل الوسائل التي تحت تصرفك ، لتكون سيداً على هايفونغ »[١٧] وشجعته على ابلاغ الفيتناميين في هايفونغ عند السابعة صباح ١١/٢٣ إنذاراً لمدة ساعتين لسحب المسلحين من الأحياء الصينية والاوروبية وتجريد وحدات الدفاع من أسلحتها ، وحيث أن قيادة المدينة لم تتمكن من الإتصال بالحكومة من هانوي حتى الساعة التاسعة مدَّد ديبس انذاره ٤٥ دقيقة اضافية ، بدأ بعدها مباشرة هجوماً واسعاً استخدمت فيه أسلحة الدبابات والمدفعية والطيران والبحرية وشمل الميناء والمدينة وضواحيها ، واستمرت حتى يوم ١١/٢٨ أبدى الفيتناميون خلالها مقاومة شديدة ، لكن الفارق في الأسلحة والعتاد جعل الاحتفاظ بالمواقع أمراً غير ممكن ، فتراجعوا إلى خارجها لاعادة تنظيم قواهم في مواقع جديدة .

البربرية التي رافقت الحملة الفرنسية لم يتحدث عنها الفيتناميون وحدهم ، بل أن كثيراً من الفرنسيين والاوروبيين ندّدوا بها ، وهذا ديفلير Devillers يصف حالة الشعب الفيتنامي في المدينة « . . اخرجهم الرعب من بيوتهم ، يلتطمون الواحد بالآخر ، في محاولة للوصول إلى خارج المدينة . . ، قذائف البحرية انشطرت في كل مكان ، وكل شيء ، البيوت ، النساء ، الاطفال المسنين الشباب ، . . عبر الدخان الأسود والحاد ارتفعت رائحة الدماء . . القتل في طوابير الهائمين الذين انسابوا عبر الطرق الى دوسون وكين آن كان مرعباً »[١٨] وحتى أولئك الذين تمكنوا من الوصول الى خارج المدينة لم يسلموا من قذائف البحرية الذي أدعى قائدها إنه كان يعتقد أن أولئك الناس جنود فيتناميون في طريقهم لمهاجمة الفرنسيين . . . حصيلة معارك هايفونغ أو مجازرها كانت أكثر من عشرين ألف قتيل وفق المصادر الفيتنامية ، اعترف الفرنسيون فقط بستة آلاف منهم !

هوشي منه حاول تهدئة الأوضاع أكثر من مرة ، وفي يوم ٢٣ نوفمبر وجه نداء بالإذاعة إلى الحاكم العسكري والضباط الفرنسيين طالباً منهم التدخل لوقف إراقة الدماء ، لكن الأوامر كانت قد صدرت . . . دون تراجع .

وكان جياب قد تدخل شخصياً في بداية الأحداث في نهاية اغسطس في محاولة لتأجيل

المعركة وبعدها لتهدئة «الشباب» في هايفونغ الاّ أن للفرنسيين تقديراتهم العسكرية الخاصة . لقد كانت الخطة الفرنسية تقضي بتحريك وحدات، « ماسو » المدرعة ووحدات « ماليه » المشاة الى هايفونغ مع استمرار القصف المدفعي والتقدم لاطلاق سراح الجنود الفرنسيين المحتجزين في القلعة ثم إكمال الزحف بالمدرعات نحو هانوي لاحتلال المواقع الاستراتيجية فيها .

في كتابه « أيام لا تنسى » تحدث جياب عن المقاومة التي أبدتها وحدات الدفاع الذاتي في وجه الفرنسيين ، والتي أجبرتهم على التوقف ظهر يوم ١١/٢٣ ، ثم قامت بشن هجوم معاكس بعد الظهر استردت فيه المسرح البلدي ، كما قامت يوم ١١/٢٥ بمهاجمة مواقع الفرنسيين في مطار كات بي وسيطرت عليه لبعض الوقت ، وفي اليوم التالي بدأت الوحدات الفيتنامية بالتراجع إلى خارج المدينة . .

في ١١/٢٧ طلبت القيادة العسكرية الفرنسية في هانوي من الفيتناميين إزالة الحواجز والكمائن الموجودة بين المناطق والمواقع الفرنسية في ضواحي هايفونغ ، وعلى الطريق الى دوسون ، وصباح ١١/٢٨ كرروا نفس المطالب . . إلّا أن التكتيك الفيتنامي كان يكسب بعض الوقت لتمكين المقاومة في هايفونغ من تعزيز حصارها للمناطق الفرنسية وتلغيم الطرق بينها .

بعد الظهر ربط الجنرال Morliere مورلبير بدء المفاوضات مع حكومة هانوي بتنفيذ المطالب . . وكان المقاتلون الفيتناميون قد فقدوا آخر مواقعهم داخل المدينة والميناء وحول المطار في اليوم نفسه وهكذا تركز الجهد العسكري في الضواحي والطرق الخارجية في الأسبوع الأول من ديسمبر حاول الفرنسيون تعزيز مواقعهم على طريق دوسون ، وأرسلوا قوات جديدة إلى مدينة هايفونغ في اتجاه هانوي . . وفي الأسبوع الثاني استقبلوا أكثر من ألف جندي اضافي في هايفونغ . . . بعثوا بطائراتهم الاستكشافية إلى أجواء العاصمة وضواحيها . . أنها الاستعدادات والتحضيرات التي تتطلبها معركة هانوي القادمة .

● معركة هانوي HANOI :

خلال الشهور الستة الأولى من عمر الجمهورية الديمقراطية ، لم يكن للفرنسيين تواجد عسكري ذي بال، وباستثناء بعثة العسكريين ، في العاصمة . . . وكما رأينا ظل الثقل العسكري صينياً في مواجهة القوات الثورية المسلحة التابعة لحكومة هانوي ، مع تواجد مسلح للاحزاب المواليه للصين ، إلى أن وقعت السلطات الصينية اتفاق في ٢٨ فبراير ١٩٤٦ مع الفرنسيين[١٩] سمحت للآخرين بإحلال قواتهم الموجودة في الصين محل القوات الصينية في فيتنام .

اتجه الفرنسيون بعد ذلك الى تعزيز مكانتهم عبر الاتفاق مع هانوي وعندما تعثرت المفـاوضات استخدموا قوتهم البحرية لابتزاز المفاوض الفيتنامي الذي قبل أخيراً بالسماح لخمسة عشر ألفاً من العسكريين الفرنسيين للمرابطة على أرضه . وكان ذلك في اتفاق مارس الذي انتقده عدد من الفيتناميين .

الحكومة تدافع عن وجهة نظرها بالقول أن ١٥ ألف فرنسي مؤقتين خير من ٨٠ ألف صيني دائمين ! ولكن هل هناك ضمانة إن هذا العدد سيظل محدوداً ولفترة محدودة ؟!

الحكومة تدافع عن موافقتها على وقف اطلاق النار الذي تضمنته الاتفاقية بانه يتيح الفرصة لتعزيز القوات المسلحة الثورية والاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات . .

لكن هل هناك ضمانة ان الجانب الآخر لن تكون استفادته أكثر من هذه الفرصة ؟!

الأسابيع والشهور التالية اعطت الإجابة الشافية، في المناطق الشمالية أخذت القوات الفرنسية تتحرك دون أدنى التزام بالاتفاق الى أن وصلت إلى العاصمة فدخلتها بأسلحتها وذخائرها ، وفي الجنوب والوسط استأنفت هجماتها . حاول هوشي منه استيعاب الضربة فاتفق مع القيادة الفرنسية على تنظيم مسيرة عسكرية مشتركة في شوارع العاصمة ، لكن ذلك لم يحد من حركة الفرنسيين الذين استغلوا وجود الزعيم على ظهر سفينة للتفاوض معهم في ٢٤ مارس من أجل استعراض قوتهم البحرية والمدفعية امامه .

في أواخر مارس قام الفرنسيون بعدة استفزازات عسكرية كما احتلوا عدة مواقع ، ورفضوا الطلب الفيتنامي بالإنسحاب منها ، وطالبوا بتسليم أسلحة الفيتناميين في المناطق الجنوبية والوسطى .

حاول الفيتناميون تطويق الاحداث عبر اللجنة العسكرية المشتركة التي اجتمعت في أول ابريل ، ومثل فيتنام فيها جياب وفو هونغ ، وفرنسا سالان وفالوي ، وتوصلوا إلى اتفاقية مؤقتة حول تنظيم العلاقات العسكرية ، نصت على تشكيل لجان ارتباط وانضباط مشتركة ولجـان وقف اطـلاق النـار في الجنوب . . لكن الفرنسيين لم يتقيدوا بوقف إطلاق النار ، ورفضوا الإنسحاب من المناطق التي احتلوها بعد اتفاق مارس .

في أواسط ابريل تابع الفيتناميون مسألة تثبيت وقف الاطلاق في الجنوب ، عبر بعثة ترأسهـا هوانـغ كوك فيت لكنه عاد دون نتيجة . . جياب نفسه تعرف مباشرة على النوايا الفرنسية خلال اشتراكه في مؤتمر دالات في مايو[٢٠] فاكتشف أن التسوية السلمية غير ممكنة ، وأن لابديل عن الاستعداد للحسم العسكري . . فام فان دونغ أيضاً تأكد من عدم جدوى المفاوضات خلال ترأسه وفد فيتنام الى محادثات فونتين بلو فانسحب منها عائداً إلى هانوي بعد أن كان الفرنسيون قد هاجموا مدينتي كانتوم وبليكو، وأعلنوا المناطق الجبلية الوسطى منـطقة حكم ذاتي ، تمثل فيتنام الوسطى ، إلى جانب جمهورية كوشين شينا التي أعلنوها

سابقاً لتمثل فيتنام الجنوبية . .

الإتفاق المؤقت الذي توصل إليه هوشي منه مع الفرنسيين في ١٤ سبتمبر[٢١] لم يتطرق إلى الوجود العسكري الفرنسي بل أبعد من ذلك وضع مهمة حفظ الأمن العام في المناطق التي تديرها حكومة هانوي كمسؤولية مشتركة ، فرنسية فيتنامية ، وهكذا فتح الباب واسعاً أمام التحرك العسكري الفرنسي تحت ستار المشاركة في حفظ الأمن في المناطق الأخرى !

بعد عودة جياب من دالات إنهمك في التركيز على الاستعدادات العسكرية ، ورفع عدد القوات المسلحة النظامية من ٣٠ ألف جندي في يونيه إلى ٦٠ ألف في نوفمبر ، كما ضاعف عدد أعضاء وحدات الدفاع الذاتي . وعزز القدرات العسكرية للقوات المسلحة ـ كما سنرى لاحقاً . .

بعد تخلص الفيتناميين من القوات العسكرية الموالية للصين والمعادية للنظام القائم في المناطق الشمالية ، والحدودية مع الصين ، بدأ مؤشر التوتر بين العسكريين الفيتناميين والفرنسيين في المناطق الشمالية يرتفع . شهدت المناطق عدة اشتباكات كان أبرزها في باك نينه في ٢ اغسطس ـ تحدثنا عنه قبل قليل ـ واستخدام فيه الفرنسيين قوة نيران جوية ومدفعية لتلقين الفيتناميين درساً قاسياً يحد من نشاطهم . . . لكن فائدة ذلك الاشتباك إنه وضع أمام القيادة العسكرية الفيتنامية حقائق عسكرية ميدانية لمراجعة حساباتها وترتيباتها الحربية .

في الشهر العاشر ناقشت القيادة الفيتنامية الوضع ، وقررت اعتماد الخطط العسكرية الكفيلة بالضغط على العدو للتقيد بالاتفاقية الاخيرة ! ، الاَّ أن الفرنسيين استمروا في الضغط العسكري على القوات الشمالية وتشديد الحصار على مناطقها ، وواصلوا سياسة القضم التدريجي للمناطق في جنوب ووسط البلاد . .

التغييرات العسكرية التي حدثت في هذا الشهر كانت ذات دلالة على النوايا التي يبيتها الفرنسيون ، والقناعة التي توصل إليها الفيتناميون ، في الجانب الفرنسي تعين الجنرال فالوي Valluy قائداً عاماً ، ونيو Nyo قائداً للقوات في الجنوب ، وكوليير قائداً للقوات الشمالية . . . على الجانب الآخر تسلم جياب ولأول مرة وزارة الدفاع وقيادة جيش التحرير وكان قد شغل في أول حكومة فيتنامية وزارة الداخلية واقرت الجمعية الوطنية دستوراً يتجاهل العلاقة مع اتحاد الهند الصينية والإتحاد الفرنسي ، وأصدرت عملة وطنية فيتنامية لكل فيتنام أطلق عليها « قرش هوشي منه » .

كانت الاستفزازات الفرنسية قد بدأت قبل شهر قبل التوصل إلى اتفاق لوقف اطلاق النار في ٣٠ اكتوبر ، في هدنة جديدة تمهيداً لاجتماع اللجنة المشتركة في ٧ نوفمبر . . الفرنسيون كالعادة لم يلتزموا بالتنفيذ إلاّ شكلياً بينما على الأرض استمروا في قضم مناطق جديدة .

هايفـونغ وصل من سايجون وفد مدني برئاسة La charriere لاكاريير في ١٨ نوفمبر لبحث المسـألة . . وبعد يومين أبلغ هوشي منه الوفد موافقته على تشكيل لجنة مختلطة لبحث هذا الموضوع في هانوي . . إلاّ أن فالوي اتصل من سايجون بوفده ليضع شرطين لبدء المفاوضات المـذكـورة أولهما الإجلاء الفوري للقوات الفيتنامية من ميناء هايفونغ ، وثانيهما السيطرة الفرنسية الكاملة على منطقة هايفونغ . لاكاريير لم يبلغ الفيتناميين بالشرطين لعلمه المسبق انهم لن يوافقوا وانسحب عائداً إلى سايجون في ٢٢ نوفمبر ، لتبدأ الحملة الفرنسية الرئيسية ضد هايفونغ والتي أسفرت بعد أسبوع عن احتلال المدينة والميناء والمطار كما رأينا .

جياب في كتاباته يعتبر معركة هايفونغ تجربة ، أو تمريناً بالذخيرة الحية استعداداً لمعركة هانوي . . فكيف كانت استعدادات الطرفين ؟؟

ـ على الجانب الفرنسي كانت قواته تتشكل من وحدات الفيلق الاجنبي التي أرسلت من فرنسا بعد اتفاق مارس ، وافراد الفيالق الاجنبية الذين اسرتهم القوات اليابانية وأطلق سراحهم بعد ذلك . . قدرت القوات الفرنسية بستة آلاف وخمسمائة جندي .

تجهيزات القـوات الفرنسية كانت تشمـل أسلحـة فردية ، اتـومـاتيكية ، امريكية جديدة ، مدفعية ثقيلة ، دبابات وسيارات مصفحة . . ومساندة جوية ، ذكر أن أربعين دبابة وثلاثين طائرة ومئات المصفحات كانت تحت تصرف هذه القوات .

القسم الأكـبر من القوات تمركز في القلعة وفي مستشفى دون تاي ، ومدرسة بوي ومطار جيالام . . كما تواجدت قوة متنكرة في فندق متروبول مقابل دار الحكومة ، الفرنسيون يشتركون أيضاً مع الفيتناميين في حراسة المراكز الاستراتيجية والهامة في المدينة مثل الجسر ، محطات المياه والكهرباء ، البنك ، السكة الحديدية . . . كما جرى تسليح عدد من المدنيين الفرنسين البالغ عددهم ثمانية آلاف مع عائلاتهم .

ـ على الجانب الآخر ، القوات الفيتنامية المسلحة تتكون من وحدات جيش التحرير النظامية (حوالي ٢٠٠٠ مقاتل) والسرايا القتالية في وحدات الدفاع الذاتي ، ومجموعات الـدفاع الذاتي ، ومجموعات الحراسة . . ويبلغ مجموع هذه القوات ثمانية آلاف وخمسمائة عنصر (المزودين باسلحة نارية فقط) .

إمـا تجهيزاتها فإنها تتراوح بين المدافع المضادة والهاونات ـ التي أخذت من اليابانين والفـرنسـين والصينيين وجرى اصلاحها وصيانتها ـ والأسلحة الفردية المتنوعة ، والقنابل والألغام الجاهزة أو المصنعة محلياً ، وكانت وحدات الحرس الوطني للهند الصينية أول مصادر الإسلحة . . والقوات الصينية جنوداً وضباطاً آخر المصادر حتى اندلاع معركة هايفونغ .

تمركزت القوات الفيتنامية في مناطق مختلفة ، فالقوات النظامية أخذت مواقع لها داخل

المدينة وخارجها ، الوحدات القتالية للدفاع الذاتي انتشرت في أحياء المدينة التي قسمت إلى قطاعات عسكرية يقول جياب إن الاستعدادات العاجلة للمعركة في هانوي بدأت في نوفمبر ، وعلى أثر احداث هايفونغ تشكلت لجنة حزبية لجبهة هانوي من أربعة أعضاء سكرتيرها فان تران ، ورئيسها تران هوان مندوب القيادة المركزية . أما اللجنة العسكرية فقد رأسها فونغ ثوا قائداً وتران دو مفوضاً سياسياً .

الاستعدات على مستوى الشارع الفيتنامي شملت عدة خطوات :

- نداءات ورسائل من لجان الفيت منه تحت الحكومة الفيتنامية ورئيسها على الرد الثوري على استفزازات الفرنسيين .

- اعتماد شعارات ثورية ، وعقد اجتماعات ونداءات ومؤتمرات تحريضية للعمل ضد القوات الفرنسية .

- شن حملة للحصول على الأسلحة الفردية والذخائر ، تصليحها ، صيانتها ، صناعة ماأمكن منها . . .

- حملات التسجيل في لجان الحراسة ، والاسعافات ، الحفريات ، التحصينات .

- تنظيم حملة جمع التبرعات العينية والتي شملت القطن ، والصوف ، والأقمشة والغزل لصنع البطانيات والملابس الشتوية للمقاتلين .

- حملة من أجل تهجير الشيوخ والأطفال من المدينة الى المناطق الخارجية ، تحت إشراف لجنة الاخلاء المركزية .

على مستوى مجموعات الدفاع الذاتي فقد قامت بالتعاون مع المواطنين ، ببناء التحصينات المطلوبة ، وشبكة الفتحات بين البيوت ، وحفر الخنادق ، وثقب الاشجار الكبيرة في الشوارع لزراعة الديناميت بداخلها والاستعداد لسد الطرق بالسيارات وعربات القطار والترماي . . . وبناء الملاجىء والمخازن ولتخزين الأرز والمواد الغذائية بكمية احتياطية .

في أول ديسمبر انجزت الوحدات المقاتلة الإنتحارية تدريباتها ، وتسلمت القنابل والألغام اللازمة لعملياتها ضد الدبابات . . . كما نقلت الدوائر والمؤسسات الحكومية ذات العلاقة المالية والعسكرية إلى خارج المدينة .

القيادة العسكرية الفيتنامية وضعت خطة مضادة في حالة بدأ الفرنسيون القتال ، تشمل القوات المسلحة والمواطنين هدفها إبادة الجزء الأكبر من قوات العدو ، ومحاصرة واحتجاز ماأمكن من هذه القوات لفترة محدودة تتمكن من خلالها القيادة العسكرية من اتخاذ الإجراءات الحربية المطلوبة ، وتشمل الخطة هجمات منسقة بين خارج المدينة وداخلها بهدف إرباك قوات العدو وتثبيتها في مواقعها الحالية ، وفي هذا الخصوص أعطيت المنطقة العسكرية

المجاورة للمواقع الفرنسية والتي يشملها القطاع رقم ١ مواد غذائية تكفي لثلاثة أشهر كما صرفت له كمية ذخائر تشكل نصف الإحتياطي وفق الوثائق الفيتنامية .

في تحليلها للموقف العسكري اشرت القيادة الفيتنامية على نقاط القوة لدى الطرف الآخر ، والتي تمثلت في قوة نيران وتمركز يكفي لتسديد ضربة قوية للمؤسسات القيادية الرئيسية . . وقوة دبابات وآليات تساعدهم في قطع المدينة عن الخارج عن طريق سد الطرق الرئيسية ، وبهذه الآليات يمكن تقسيم المدينة إلى أحياء وعزلها عن بعضها تمهيداً لتصفية المقاومة تدريجياً ، كما تنبهت القيادة الفيتنامية الى نقاط الضعف لديها والتي تشمل عدم خبرة آلاف الشباب حديثي التجربة في وحدات الدفاع الذاتي . . . ، وضعف سلاح : المدفعية على مستوى الصلاحية وقوة النيران . . ثم النقص الشديد في الألغام المضادة للآليات حيث لم يتجاوز عددها الثمانين لغماً .

من الاستعدادات الى الاشتباك :

ـ بدأت الاستفزازات العسكرية في هانوي، والتحركات العسكرية في اتجاهها مع بداية شهر ديسمبر، التحرشات بالمواطنين، اطلاق النار في الشوارع والساحات، نهب الأسواق، والمخازن، تمزيق الشعارات والأعلام والمنشورات الوطنية، عمليات خطف للنساء والرجال. . . تلك كانت البداية.

ـ المرحلة التالية شهدت تصعيداً في الخط العسكري الفرنسي، هجمات عسكرية من هايفونغ الى خارجها، تعزيرات اضافية على الطريق الدولي الى هانوي، قوات اضافية تتحرك من الجزائر الى هايفونغ، هجمات على مناطق تيان ان، دنه لاب وتوسع القتال في الشمال الشرقي، مناورات بحرية في خليج دانانغ. . .

ـ النصف الثاني من ديسمبر شهد المرحلة الثالثة التي شملت:

١٢/١٥ : فتح النيران في عدة مناطق، وإلقاء قنابل يدوية وشن هجمات ضد الشرطة الفيتنامية وأفراد الدفاع الذاتي.

١٢/١٧ : طلعات جوية استطلاعية فوق العاصمة، ومحاولة إزالة المواقع والتحصينات القتالية بالسيارات المصفحة، إطلاق النار على المواطنين والبيوت يسبب في مقتل واصابة عدد من المواطنين. . . صباحاً. ثم حشد قوات عسكرية جديدة باتجاه الجسر والقلعة قتل شرطي وقصف مدفعي . . . بعد الظهر.

الجانب الفيتنامي إلتزام الهدوء وضبط النفس واستمرت الوحدات في تعزيز مواقعها بصمت ومتابعة تحركات العدو.

١٢/١٨ : أبلغ الفرنسيون حكومة هانوي إنذاراً صباحياً لازالة «كل مامن شأنه أن

يعيق تحرك القوات الفرنسية في بعض ا لمناطق»[٢٢] وإلا فإن القوات الفرنسية ستقوم بتدميره بنفسها . . وبعد ساعتين تحركت الآليات الفرنسية لمحاصرة المناطق المقصودة وتدمير الاستحكامات في بعض المناطق الاخرى.

وفي المساء أبلغ الفرنسيون هانوي إنذاراً يقضي بتسلم الجيش الفرنسي مسؤولية أمن العاصمة وحده اعتباراً من صباح ١٢/٢٠ اذا مااستمر فشل الشرطة في تلك المهمة.

الفيتناميون ردوا بأن المحافظة على الأمن هو أهم حقوق الحكومة ولايمكن التفريط به واجتمعت اللجنة المركزية للحزب في هادونغ في نفس اليوم لمناقشة الاستعدادات للمواجهة، وأصدرت القيادة تعليماتها بقطع الطرق المؤدية الى هانوي.

١٢/١٩ : وجه الفرنسيون انذارهم الثالث الذي يطالب بنزع سلاح وحدات الدفاع الذاتي ووقف الاستعدادات للمقاومة ـ والتخلي عن أمن العاصمة للقوات الفرنسية . . . بل طالبوا لاحقاً بتخلص هوشي منه من العناصر المتطرفة في قيادته! مساء ذلك اليوم قام جياب وقيادة المدينة بتفقد المواقع والمناطق العسكرية والاطمئنان الى آخر الاستعدادات . .

في اليوم العشرين نقلت اذاعة هانوي، التي نقلت من العاصمة الى قاعدة خلفية نداء من الرئيس هوشي منه الى الشعب بشن المقاومة المسلحة ضد الفرنسيين، وكان جياب قد أصدر اوامره العسكرية الى القوات المسلحة ليلاً ببدء التصدي للعدو، وقد شكى الفرنسيون من أن الفيتناميين هم الذين بدأوا معركة هانوي بشن هجوم على محطة الكهرباء الرئيسية، ليلاً، وبعدها مباشرة تعرضت المراكز والاهداف الفرنسية الى سيل من الهجمات اسفرت عن متقل ٣٧ أوروبياً واعتقال ٢٠٠ أخرين، وتوالت الانباء عن اشتباكات ومعارك اخرى شهدتها المدن الشمالية تلك الليلة. في العشرين من ديسمبر شن الفرنسيون مااسموه هجوماً مضاداً ودفاعاً عن «ارواح الفرنسيين» وشهدت أحياء العاصمة وضواحيها صراعاً عسكرياً عنيفاً استخدام فيه كل طرف مايملك من اسلحة وذخائر.

لقد اعتقدت القيادة الفرنسية انها نتيجة التفوق في مجال الأسلحة والذخائر وخبرة الجنود تتمكن من انجاز مهمتها في تنظيف العاصمة من المسلحين خلال ٢٤ ساعة، لكن حملة هانوي استغرقت شهرين كاملين. لقد أخذت المعركة من الجانب الفيتنامي طابع حرب شعبية وطبقت خلال تكتيكات قتال المدن وحرب العصبات واثناء ذلك تم سحب القوات النظامية الرئيسية من العاصمة والمدن وكلفت وحدات الدفاع الذاتي بمواصلة المهمات القتالية المطلوبة.

إن معركة هانوي باستمرارها ستين يوماً أعطت جسم الثورة وقتاً كافياً للإنتقال من حالة السلم الى حالة الحرب، ومكنت القيادة من ترحيل معظم الكادرات، والوثائق

والأوراق المهمة ، وكذلك الآلات والتجهيزات ووسائل الانتاج التي نقلت إلى منطقة فيت باك حيث القاعدة الآمنة في شمال شرق البلاد .

وحسب المصادر الفيتنامية فإن الفرنسيين تكبدوا في معركة هانوي أكثر من خمسمائة قتيل وألف خمسمائة جريح رغم تبجحات فالوي واستهانته بقدرات ألفيتناميين قبيل المعركة « . . . اذا كان هؤلاء الفلاحين القذرين يريدون القتال فسوف ينالونه »[٣٣] .

الفصل الثالث :

حرب العصابات : التجربة الأولية

من المعروف أن الساحة الفيتنامية كانت قد شهدت عدة أمثلة في أعمال التمرد والعصيان كما رأينا في مراحل سابقة على تولي الشيوعيين للسلطة ، وقد تخللتها بعض أشكال قتال العصابات ، لكن الظروف التي جدّت بعد العودة الفرنسية إلى الهند الصينية فرضت على القيادة الفيتنامية أسلوباً قتالياً أكثر ملائمة من المواجهة المباشرة مع القوات الفرنسية المتفوقة وخاصة في المناطق الجنوبية ، تلك كانت السمة العامة للصراع العام عام ١٩٤٦ ممارسة حرب العصابات في تجربة أولية قبل استكمال الاستراتيجية الثورية المتكاملة . وكانت ملامح تلك التجربة على الشكل التالي :

اعتقدت القيادة العسكرية الفرنسية ان نجاحها في السيطرة على عاصمة الجنوب . هو مقدمة للانتقال الى المرحلة التالية من مخطط اعادة احتلال فيتنام . وهكذا تحددت المهمة الجديدة بالسيطرة على المناطق الجنوبية حتى خط عرض ١٦ ، وقاد لاكليرك قواته في حملة التطهير التي ابتدأت في ٢٥ اكتوبر ، وكان تحت تصرفه آنذاك ، القوات الفرنسية ، القوات اليابانية ، المساندة البريطانية .

وكان خط سيرها على الشكل التالي :

الاتجاه الأول للعملية كان مدينة ماثيو على بعد ٤٥ ميل جنوب سايجون ، بعدها هاجم مدينة فينه لونغ غرب سايجون واحتلها في ٢٩ اكتوبر ، ثم مدينة كانثو في نفس الاتجاه في ٣٠ أكتوبر . .

الاتجاه الثاني للعملية كان مدينة ثاي نينه شمال سايجون وهي مركز ديانة كاوداي واستولى عليها في أول نوفمبر .

في شهر ديسمبر كان اتجاه الحملة مناطق نهر الميكونغ حيث احتلت ميناء « نها ترانغ » في ١٩ ديسمبر ، ولونغ سوين في ٩ يناير ١٩٤٦ ، ثم تشاودوك وهاتين في أقصى الشمال الغربي في ٢٠ يناير ، وفي الجنوب الأوسط احتل الفرنسيون دالات في ٢٦ يناير وفي ٦ فبراير احتلوا أقصى نقطة جنوبية « كامو » .

بعد أربعة شهور أمكن لقائد الحملة أن يبشر في مؤتمر صحفي بنجاح العملية وانجاز احتلال أو الوصول الى تلك المناطق وتهدئتها ، وإقامة الإدارات المحلية والاقليمية فيها .

لكن في المقابل كانت قيادة المنطقة الجنوبية للثورة قد انسحبت من سايجون الى الضواحي الخارجية ، لتنظيم قواها المسلحة وشبه المسلحة من أجل شن حرب عصابات واسعة ضد الفرنسيين وحلفائهم .

أول مرحلة كانت تستهدف سايجون وضواحيها .

ثم أخذ اتجاه العمليات الفدائية يتسع مع انتشار قوات الحملة الفرنسية .

القيادة الفيتنامية طبقت خلال هذه المرحلة سياسية « الأرض المحروقة » .

- شن هجمات أو غارات فدائية بمجموعات صغيرة لكن متواصلة . . .
- نسف الجسور والكباري والعبارات أمام القوات الفرنسية .
- اغراق المراكب . وتثبيت المتاريس في الأنهر والممرات المائية .
- تلغيم الشوارع والطرق المحتملة لتحرك العدو .
- شن غارات ليلية مفاجئة بعيد استقرار القوة الفرنسية .
- حرق احياء ومناطق ومراكز محددة عند تقدم الفرنسيين .

القوات الفدائية كانت فقيرة في تسليحها وذخائرها ووسائل النقل ومع ذلك واكبت باستمرار تقدم القوات الفرنسية ، وفي كثير من الحالات كانت وحداتها في استقبالهم بقنابلها المتخلفة تعيق تقدمهم ، وتدمر سياراتهم ، . . . أما لالكيرك Leclec فبالاضافة الى ٣٥ ألف جندي تحت تصرفه ، كان يتمتع بأحدث الآليات وقطع المدفعية والرشاشات التي وصلته حديثاً الى سايجون ، والمساندة الجوية التي توفر له قوة نيران وامدادات كافية لحملته .

قيادة الثورة المركزية ، تابعت بنشاط معركة الجنوب ، واعتبر خروج لالكيرك بحملته العسكرية من سايجون شمالاً ، إنذاراً بالنوايا الفرنسية نحو أجزءا فيتنام الأخرى وسطاً وشمالاً . ومن هنا أصدرت الحكومة الفيتنامية في ٢٠ ديسمبر نداءات إلى قطاعات الشعب وقواته المسلحة لنجدة شعب الجنوب ودعم المقاومة الجنوبية ضد الفرنسيين . .

كما صدرت نداءات مماثلة باسم الحزب في ٢٢ ديسمبر !

الخطوة الميدانية الهامة التي اتخذت في الجنوب كانت عقد اجتماع عام لتنظيم الحزب في منطقة الجنوب ، في أقليم ماي ثو في ٢٥ ديسمبر لبحث وسائل تصعيد المقاومة

الوطنية . . . وقد حضر هذا الإجتماع من القيادة الجنوبية دوك تون تانغ ولي ذوان بعد إطلاق سراحهما من السجن . ومثل القيادة المركزية في هانوي هوانغ كوك فيث[21] .

وفي هذا المؤتمر تقرر :

- العمل على تصعيد المقاومة الشعبية في الجنوب .
- تعزيز القيادة الحزبية للوحدات المسلحة .

الشهر الأول من عام ١٩٤٦ شهد تطورات جديدة ، وتمكنت القوات الثورية من الإطاحة بالادارات العميلة في مناطق بالجنوب والوسط ، وأنشأت سلطة ثورية لادارة المناطق ، وشهدت اللجنة المؤقتة لجنوب فيتنام نفسها تغييرات ، تولى على أثرها نجوين بنه رئاسة اللجنة بدلاً من تران فان تشو الذي استدعى الى هانوي .

في شهر مارس أدرك القائد الفرنسي إنه إذا كان قد احتل المدن الرئيسية في الجنوب من الوجهة العسكرية الصرفة ، فإن هذا الإحتلال أو التهدئة كما يطلق عليها لا تتجاوز المدن نفسها مع شريط ضيق ملاصق لها ، وأن الإدارات التي جرى انشاؤها في عواصم الاقاليم ليست أكثر من شكلية وأن نفوذها محدود للغاية .

فنطاق تحرك القوات الفيتنامية كان قد اتسع الى درجة كبيرة شملت معظم المناطق الريفية ، ونفوذ اللجان الثورية شمل معظم القرى التي يشكل سكانها أغلب الشعب الجنوبي . .

وأدرك لاكليرك أن دائرة نشاط رجال العصابات قد تجاوزت المناطق الريفية الى الدرجة التي تشن فيها حرب استنزاف ضد الوحدات الفرنسية الموجودة في المدن وعواصم الأقاليم . . وأن مثل هذه الحرب لاتستطيع الطائرات ولا الدبابات والاسلحة الثقيلة أن تحسمها . . وقد وصف أحد مرافقي الحملة المعضلة التي تواجهها القوات الفرنسية ؛ قائلاً :

« إذا هاجم الفيتناميون منطقة خاضعة لسيطرة الفرنسيين . . دفعوا وحدة اضافية لمطاردة الفيتناميين ، وعندما يعتقد الفرنسيون انهم هدأوا المنطقة ، يضرب الفيتناميون المنطقة المجاورة ، يحرقون ، يدمرون ويعاقبون الخونه . . . وبعدها ، يصبح ملحاً انجاز عملية واسعة من تدعيم المراكز والمواقع ، وتدريب وتسليح وحدات للدفاع الذاتي ، تابعة للفرنسيين . . وهكذا عملية بحاجة إلى مائة ألف جندي بدلاً من ٣٥ ألف متوفرة »[22] . .

انها معضلة الفرنسيين حقاً ، وامتياز حرب الشعب . . كلما توسع الفرنسيين في انتشارهم أمكن إلحاق خسائر أكثر فيهم . . . وعندما ينكمشون ويتمركزون تصبح سيطرتهم على المناطق ضعيفة أو مفقودة . . .

بعد اتفاق مارس بين حكومة هانوي والفرنسيين ، قررت القيادة الفيتنامية تطوير

خطها النضالي في الجنوب في اتجاهين :

- النضال السياسي في المناطق الهادئة .
- تنمية القوات وبناء القواعد العسكرية .

● بالنسبة للمهمة الاولى كان على الفيتناميين مواجهة السياسة الفرنسية الرامية الى تشكيل كيان سياسي انفصالي في الجنوب ، والتي كانت قد بدأت بتحويل المجلس الاستشاري لكوشين شينا من وضعه الاستشاري الى كونه ناطق رسمي باسم شعب الجنوب في شهر مارس .

الخطوة التالية كانت تسيير حملات (شعبية) تطالب بتشكيل حكومة خاصة بالجنوب تدير شؤونه تحت شعار « الجنوب للجنوبين » في نهاية الشهر المذكور .

لذلك سارعت قيادة الجنوب الى توسيع القاعدة الوطنية للحركة الثورية وتوسيع تحالفاتها لتشمل قطاعات جديدة من القوى السياسية والعسكرية لطوائف الكاوداي ، وهواهاو ، والكاثوليك الوطنيين ، والبوذيين ووحدت هذه القوى في « جبهة وطنية متحدة » في ١٠ إبريل لمواجهة العدو المشترك .

اعلان الفرنسيين عن قيام جمهورية كوشين شينا في أول يونيه وتشكيل أول حكومة من الفيتناميين وحدهم ، كان من الممكن أن يوجه ضربة مؤثرة إلى نشاط القوى الثورية لو لم يكن اعضاء الحكومة جميعاً من الاقطاعيين والعملاء والشخصيات سيئة السمعة . . ليس ذلك فقط بل السيطرة الفرنسية على الوزارات تأكدت من خلال وجود سكرتير فرنسي في قسم وإدارة في كل وزارة ، وكذلك استمرار تسلم الفرنسيين شؤون الأمن الداخلي والخارجي والعلاقات الخارجية للدولة ، وهيمنة المجلس الإستشاري على الميزانية . . . كما أن تغيير رؤوساء الاقسام الفنية يتطلب موافقة المفوض السامي الفرنسي .

تلك العوامل ساعدت القيادة الجنوبية على شن نضال سياسي ناجح بين الجماهير ضد الحكومة ، أداة ، الاستعمار الفرنسي التي انتشرت أخبار ضعفها ، ولم يتمكن رئيسها نجوين ثنه من الإستمرار فاختلف مع الفرنسيين بعد ستة شهور مفضلاً الإنتحار على إكمال المهمة في نوفمبر ، وتولى بعده العقيد نجوين سوان .

الإجراء السياسي الأخر الذي إتخذه الفرنسيون بعد اعلان سلطة كوشين شينا هو احتلالهم مدينتي كونتوم وبليكو في فيتنام الوسطى ، واعلانها (المنطقة الوسطى) منطقة حكم ذاتي لسكان الجبال في شهر يوليه . .

وكان ذلك تمهيداً للاجراء الإستفزازي الأخير .

الإجراء السياسي الثالث للفرنسيين كان عقد مؤتمر اتحادي عام لدول الهند الصينية في مدينة دالات العاصمة المقترحة للاتحاد في أول أغسطس يضم وفود عن جنوب فيتنام ووسطها

والجبال الوسطى بالاضافة الى لاوس وكمبوديا .

وفي مقابل ذلك نظمت القوى الوطنية ، عبر تنظيماتها الشعبية نضالاً سياسياً واسعاً في العاصمة ، والمدن الرئيسية ، عواصلم الأقاليم ، وقد تخلل ذلك بعض العنف المدروس :

فقد شمل النضال في المدن تصفية العملاء الخطرين ، ومعاقبة عدد من المتعاونين مع العدو ، ومنهم رؤساء احزاب ومنظمات معادية ، وشخصيات سياسية موالية للفرنسيين .

● بالنسبة للمهمة الثانية فقد ازداد عدد القوات المسلحة بشكل ملحوظ وانضمت اعداد كبيرة من الفلاحين الذين شكلوا الجسم الرئيسي في القوات الجنوبية بشكل عام ، أما في المنطقة الشرقية من الجنوب فقد التحق بالقوات عدد من العمال حيث تكثر هناك المعامل ومزارع المطاط . . . وفي الربع الأخير من عام ١٩٤٦ كان قد انضم إلى قوات الثورة عدد من الجنود الاوروبين والأفارقة الهاربين .

وبخصوص القواعد فقد جرى تنظيم ثلاثة أنواع منها :

أولاً :

ـ القواعد الرئيسية أو المناطق العسكرية الكبيرة .

وشملت المنطقة العسكرية د. وسهل القصب ، وغابات يومنه .

ثانياً :

ـ القواعد المتوسطة والصغيرة وتشمل كل منها مجموعة قرى متجاورة من ٥ إلى ٦ أو ناحيتين-ثلاث نواحي متجاورة . وانتشرت في دلتا الميكونغ ، ومنطقة تاي نجوين .

ثالثاً :

ـ القاعدة المدنية ، أي سايجون التي شكلت مستودعاً هاماً للتجهيزات والإمدادات (المدنية والعسكرية) .

وفي هذه القاعدة جرى انشاء المنظمات الجماهيرية وتعزيزها ، كما أنشئت مناطق عسكرية بداخلها .

ومن الجدير بالذكر أن افتقار بعض مناطق الجنوب إلى الغابات الكثيرة الكثيفة والمرتفعات المناسبة عكس نفسه على طبيعة القواعد الثورية واحجامها ومهماتها في تلك المناطق .

القيادة الفرنسية وسعت عملياتها العسكرية ، واتبعت تكتيكاً جديداً يقضي بالزحف على مناطق محددة للسيطرة عليها ، سياسة القضم التدريجي للمناطق التي تسيطر عليها القوات الفيتنامية ، وكان ذلك يتم بهدوء أي في ظل المعاهدات واتفاقيات وقف اطلاق النار .

من أبرز العمليات التي نفذها الفرنسيون في هذا المجال كانت الإستيلاء على كونتوم وبليكو في شرقي المنطقة الوسطى في الشهر السابع ، ثم التعزيزات العسكرية التي بعثوا بها الى قواتهم في الميناء الرئيسي لوسط فيتنام دانانغ ، كذلك اتخذت القيادة الفرنسية عدة اجراءات لزيادة عدد الجيش العميل الذي أنشأته ، وتطوير فعاليته وتسليحه .

لمواجهة التصعيد الجديد أصدرت القيادة الفيتنامية المرسوم رقم ١٨٢ في ١٣ سبتمبر لاعادة تنظيم لجنة المقاومة في الجنوب ، لكي تشمل مسؤولياتها الاشراف على حركة المقاومة الوطنية في جنوب ووسط البلاد وفي ٢٢ سبتمبر اعلنت اللجنة المؤقتة للمقاومة كإدارة سياسية شرعية وحيدة .

وبذلك جعلت هانوي من اللجنة الجنوبية الهيئة التي تتحمل مسؤولية تطبيق بنود الاتفاق الفيتنامي الفرنسي الأخير (١٤ سبتمبر) المتعلقة بالجنوب ، في مواجهة الإدارات العملية التي أقامتها فرنسا في تلك المناطق .

وقررت القيادة العسكرية المحلية تكثيف العمل السياسي داخل الجيش العميل ، مع توجيه عدة ضربات عسكرية إلى تجمعاته ، مما أدى إلى شل فعالية جزء عظيم منه .

كثفت القيادة الفرنسية العسكرية الجديدة ـ فالوي قائداً عاماً ، ونيو قائداً للقوات الجنوبية ـ عمليات القضم التدريجي والهادىء خلال شهري اكتوبر ونوفمبر ، واستغلت قرار وقف إطلاق النار في الجنوب المعلن بين الطرفين في ٣٠ اكتوبر الذي التزام به الجانب الفيتنامي .

ورغم الاحتجاجات المتكررة من هانوي على خرق الإتفاق إلاّ أن فالوي استمر في اكتساح مناطق جديدة ، وفي اللحظة التي أعلن تمسكه بوقف اطلاق النار في ٢١ نوفمبر كان يستعد لاكتساح ميناء هايغونغ الشمالي وكان يزج بقوات فرنسية جديدة احضرها من فرنسا في مناطق قتالية جديدة في الجنوب .

الموقف العسكري خلال عام :

أولاً طبيعة الحرب .

طبيعة حرب المقاومة في تلك الفترة كانت مرنة ولم تقتصر على شكل واحد ، بل نجد الأمين العام للحزب (آنذاك) يوزعها على خمسة أشكال :

١ ـ حرب الأمشاط المتشابكة وتعني ان كل طرف يقاتل عميقاً في صفوف الطرف الآخر .

٢ ـ حرب خشنة غير مقيدة، بمعنى أنها تجري بين الطرفين دون أن تحكمها الأنظمة والقوانين العسكرية .

٣ ـ حرب بلا جبهات قتالية، حيث ان طبيعة المعارك فيها متغيرة وبلا حدود قاطعة بين الطرفين .

٤ ـ حرب الحصار والحصار المضاد، فالفرنسيون يملكون قوات كبيرة في المدن والبحر تحاصر الوحدات الفيتنامية، لكن الأخيرة تتمكن من حصارهم كلما خرجوا للقتال .

٥ ـ حرب الأرض المحروقة، بمعنى تدمير كل امكانية يستطيع الطرف الآخر استعمالها، ولا يستطيع الطرف الأول الحفاظ عليها .

ثانياً : نتائج الحرب

نتائج تلك المعارك في المرحلة الأولى تلخصت في :

- القوة العسكرية للثورة تضاعفت . . . ولم تسحق .
- المنطقة المحررة وشبه المحررة توسعت الى أكثر من ثلثي الجنوب . . ولم تتقلص .
- الحركة الوطنية بقيادة الشيوعيين تعاظمت في كل المدن والاقاليم . . . ولم تخبو .
- القوات الفرنسية تكبدت خسائر جسيمة أثرت على الحالة المعنوية للضباط والجنود ودنت من فعاليتها .
- القوات العميلة تلقت ضربات شديدة شلت فعاليتها وفي نفس الوقت شكلت مصدراً مهماً للسلاح والذخيرة للقوات الثورية .
- الاعمال الإرهابية التي ارتكبتها القوات الفرنسية وسياسة العقاب الجماعي التي نفذتها ضد القرى والمناطق الفيتنامية دفعت المواطنين الى الالتحاق أكثر بالوحدات الثورية، والإلتفاف حول تنظيماتها بدلاً من ردعهم ومنع تعاونهم مع الثوار .

تلك صورة الموقف العسكري في الجنوب حتى نهاية العام ١٩٤٦ والتي كانت أحد العوامل الذاتية المساعدة للإنتقال إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية المظفرة الأولى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب الثاني

(١) الحزب الشيوعي للهند الصينية اعلن في ٣ فبراير ١٩٣٠ نتيجة لاندماج ثلاث تنظيمات شيوعية هي الحزب الشيوعي في الهند الصينية ، الحزب الشيوعي الأنامي ، التحالف الشيوعي للهند الصينية .

(٢) يمكن مراجعة أدبيات الحزب الأولية في كتاب VN. Historical Sketch (P. 288 - 296) وكتاب (P. 7 - 22) The Vietnam Workers Party - Hanoi 1978. .

(٣) من مقالنا في مجلة المقاتل الثوري (الجبهة الشعبية) العدد ٦٦ مارس ١٩٨٨ .

(٤) (٥) من مقالنا في مجلة الهدف (الجبهة الشعبية) العدد ٨٧٩ ـ ١٤/ ٩/ ١٩٨٧ .

(٦) من مختارات هوشي منه Haoi 1977 - P 46 - Ho Chi Minh - Selected Writings .

(٧) هوشي منه كان آنذاك موجوداً في الصين بصفة مسؤول لجنة العلاقات الخارجية للحزب .

(٨) تشكلت الوحدة المذكورة من ٣٤ مقاتلاً في ديسمبر ١٩٤٤ وكانت مهمتها سياسية اعلامية أكثر منها عسكرية .

(٩) المصدر P. 34 - The Vietnam Worker - Party .

(١٠) حكومة تران كيم Tran Kim شكلت احدى القوى المتصارعة على السلطة الى جانب حكومة الفيتامنة وحكومة القوميين والامبراطور لكن لم تلبث ان اختفت عن المسرح بعد هزيمة اليابان .

(١١) اقيم احتفال مهيب في ميدان « بادنه Ba Dinh » حضره نصف مليون مواطن ، تلا فيه هوشي منه اعلان وقسم الاستقلال ، للمزيد راجع مختارات هوشي منه بالانجليزيةP 53 .

(١٢) راجع مذكرات الجنرال جياب في « أيام لاتنسى » ترجمة سهيلا منصور ـ دار الكاتب ـ بيروت .

(١٣) راجع VOL. I P.656 - V.N Embattled Dragon .

حول تجربة وحدات الدفاع الذاتي ووحدات الدفاع الذاتي المقاتلة في الثورة الفيتنامية يمكن مراجعة كتاب « الحب في ظلال الفانتوم » ص٨٧ ـ ص٩٤ .

(١٤) حول معركة سايجون راجع المصدر السابق P. 331-337 ومذكرات الجنرال جياب .

(١٥) المصدر ؛ مختارات هوشي منه بالانجليزية P. 48 .

(١٦) اتفاقية مارس قدم فيها هوشي منه تنازلات عديدة على حساب الاستقلال الوطني لكن بهدف الحفاظ على السلطة الوطنية المهددة من كل جانب وقد أثارت ضده معارضة القوميين والتروتسكيين .

(١٧) المصدر ؛ مذكرات الجنرال جياب في « أيام لاتنسى » .

(١٨) المصدر Vol I P. 428 - V. N AEmbattled Dragon .

(١٩) كان الصينيون والفيتناميون يجرون اتصالات ومفاوضات سرية مع الفرنسيين كل على انفراد دون علم الآخر .

(٢٠) مؤتمر دالات Dalat تركزت مهمته في بحث مهمات وصلاحيات اتحاد الهند الصينية ودالات هي منتجع جبلي سياحي في الجنوب .

(٢١) الاتفاق الموقت Modus Vivendi وافق فيه هوشي منه على أكثر التنازلات المذلة في حياته .

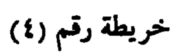
(٢٢) (٢٣) الانذار الفرنسي وتصريحات فالوى Vol I P 431-432 V NA Embattled Dragon

(٢٤) رئيس الجمهورية وأمين عام الحزب ورئيس الجبهة الوطنية على التوالي ، سابقاً بالطبع .

(٢٥) المصدر السابق Vol I P 337

٢٦ ترونـغ تشـه أفضل من كتب عن تلك المرحلة، وهو على رأس السلطة الحربية ، وقد تحدث في ١٩٤٦/٩/٢٩ عن استعداد الشعب الفيتنامي لشن حرب مقاومة طويلة والتغلب على كل الصعاب والعقبات حتى تتحرر الأمة الفيتنامية ، راجع اعماله المختارة ص ٨١ ، ص١٣٤ .

من ناحية اخرى نلفت انتباه القارىء الكريم إلى أنه ربما يلاحظ بعض الإختلاف في كتابة أو ترجمة بعض الأسماء (للأشخاص أو الأماكن أو المعارك) بين مرجع وآخر، وأحياناً في المرجع الواحد. والسبب في ذلك يعود إلى أصل الكلمة (صينية أو لاتينية أو مولدة) وإلى طريقة لفظها ، فكلمة Dong بالفيتنامية تلفظ زونغ، بينما تلفظ عادة دونغ وكلمة Dong وكلمة Giap تلفظ في فيتنام زياب وكلمة Troung تشونغ ، وكلمة Trinh تلفظ تشنه وتطلق بعض المراجع والترجمات كلمة الأناميين على الشعب الفيتنامي، بينما أنام هي المنطقة الوسطى لا أكثر ، كما يطلق أحياناً نام بو على الجنوب بأسره، وأحياناً يكون المقصود بها المنطقة الجنوبية من فيتنام الجنوبية ، خاصة في التقارير العسكرية .



CHINA
LAOS
CAMBODIA
Boundaries of Viet Nam
Main rivers
Provincial capitals
Other centers
LAO CAI
BAC CAN
LANG SON
HANOI
HAI PHONG
NAM DINH
THAI BINH
NINH BINH
THANH HOA
NGHE AN
QUANG TRI
HUE
THUA THIEN
QUANG NAM
QUANG NGAI
BINH DINH
PHU YEN
Nha Trang
Dalat
PLAIN OF REEDS
Saigon
Mekong River
Poulo Condor
SAIGON
GIA DINH
CHOLON
THU DAU MOT
BIEN HOA
MY THO
VINH LONG
CAN THO
TRA VINH
SA DEC
TAN AN

فيتنام: المعالم والمعارك الرئيسية

الباب الثالث

حرب التحرير الشعبية:
النظرية والممارسة



حرب التحرير الشعبية: النظرية والممارسة

يؤرخ البعض لبـدء حرب المقاومة الوطنية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي بالنداء الذي وجهه هوشي منه إلى الشعب الفيتنامي في ١٩/١٢/١٩٤٦ عشية معركة هانوي التي أعقبهـا إنحسار القوات الثورية الرئيسية إلى منطقة محدودة في جبال تونكين ، بينما ذهب البعض إلى اعتبار معركة سايجون في ٢٣/٩/١٩٤٥ بداية لحرب المقاومة .

في دراستنـا هذه نميل إلى اعتبـار معركة هانوي لاسايجون هي التي شكلت نقطة التحول الحاسمة في النضال الوطني الفيتنامي من مرحلة « امكانية التسوية السياسية » إلى مرحلة «حتمية العنف الثوري» .

إن هوشي منه نفسه الذي كان يقود سفينة المفاوضات والأكثر مراهنة عليها لأكثر من عام لم يستطع أن يتحمل شروط آخر جولة من المفاوضات فانتفض ثائراً وحسـم الأمر إلى جانب رفاقه « نفضل أن نضحي جميعاً على أن نخسر وطننا »[1] قبل تلك اللحظة وجد جناح (متـطرف) داخـل الحزب وفي الساحة الوطنية يعارض النهج السلمي وتقديم التنازلات المجانية ، ولا يعتقد بإمكانية التوصل إلى تسوية سلمية للعلاقات الفيتنامية ـ الفرنسية ، لكن هذا الجناح لم يتعزز خطه إلاّ بعد إفلاس الخط الآخر في قيادة الثورة في آواخر ١٩٤٦ ، وحينها فقط أمكن الحديث عن حرب التحرير الشعبية باعتبارها استراتيجية المواجهة الأكثر ملائمة .

وفي العـام التـالي كانت الخطوط الرئيسية لنظرية الحرب الشعبية قد أرسيت ، كما تبلورت معـظم تفـاصيلهـا السياسية والعسكرية ، والتعبوية ، وأصبحت فكراً سائداً في الثورة ، اعتمدت حزبياً ووطنياً وأصبحت جاهزة للتطبيق .

مهتـدين بنـظرية حرب الشعب ، ومعتمـدين على تطبيق خلاق يتـوافق والظروف الخاصة ، خاض الثوار الفيتناميون حربين تحرريتين طويليتين قاسيتين لكن مظفرتان .

لماذا اختارت القيادة الفيتنامية هذه الإستراتيجية ؟

وهل كانت بالفعل هي الأنسب لطبيعة وظروف الصراع في فيتنام ؟

ماهي معالم هذه الإستراتيجية ؟ مراحلها ؟ متطلباتها ؟ شروطها ؟

الفصل الأول :

نظرية حرب الشعب

حدد هوشي منه في ندائه الأول للمقاومة الوطنية (في ديسمبر ١٩٤٦) طبيعة الحرب القادمة مع الفرنسيين ببساطة بأنها حرب كل الشعب « من يملك البندقية يستخدمها ، ومن يملك السيف يستخدمه ، ومن لايملك سيفاً ، يستخدم المعول أو الفأس أو العصى » . . وبأن يشارك كل مواطن بجهده في المعركة .

أما طبيعة الحرب فإنها حرب طويلة وصعبة وقاسية ، ففي مواجهة استراتيجية الحرب الخاطفة التي يعتمدها الفرنسيون ، فإن استراتيجية الثورة من وجهة نظر هوشي منه يجب أن تكون حرب مقاومة طويلة الأمد « بحيث نتمكن خلال حرب العصابات من تنمية قوات الثورة وتطوير خبراتها لأجل شن الهجوم العام » وحذر الزعيم الفيتنامي في أواسط عام ١٩٤٧ من أن الحرب قد تستغرق من خمس إلى عشر سنوات وستمر بمراحل صعبة وتتطلب تضحيات كبيرة ، ومن أجل نجاحها يجب أن « يتحول كل مواطن إلى مقاتل وكل قرية إلى قلعة »[١٢] .

هوشي منه كان رئيس الجمهورية وقائد الثورة في نفس الوقت لكنه لم يكن « منظر » الحرب الشعبية الرئيسي ، في تلك الفترة ، بل ترونغ تشنه الامين العام للحزب هو الذي وضع الخطوط الرئيسية للإستراتيجية الجديدة ومراحلها وتكتيكاتها المختلفة ، أما نجوين جياب ، فقد أشرف على تنفيذها ، وأدخل عليها التعديلات والإبداعات خلال عملية التطبيق الفيتنامي .

القادة الثلاث استفادوا من تجارب الحروب الثورية وحروب الانصار المختلفة ، لكنهم تأثروا بشكل خاص بتجربة الشيوعيين الصينين الأقرب مكاناً وزماناً وظروفاً ، لدرجة أن

عدداً من المـراقبين الأجانب أشاروا إلى تأثر واستفادة القادة الفيتناميين بشكل خاص من كتابات ماوتسي تونغ في الحرب الثورية ١٩٣٦ ، وفي حرب العصابات ١٩٣٧ . وفي الحرب طويلة الأمد في أواخر الأربعينات .

لكن في الحرب الوطنية الثانية (ضد الامريكيين) كان لدى الفيتناميين تجربة خاصة غنية في الحرب الشعبية إضافة إلى التراث الثوري العالمي ، كما كان لديهم المزيد من القادة والمبدعين الذين برزوا في هذا المجال .

التـأثـر بالتجـربة الصينية لاينكره القادة الثلاث إلاّ أنهم كانوا حريصين على أبراز خصـوصية التجـربة الفيتنامية وتفردها ، وفي هذا الشأن حرص الجنرال جياب دوماً على التـأكيد بأن الـطريقـة الفيتنامية تختلف عن الصينية في مسائل حرب العصابات والجيش الثوري ، ونضال المدن .

على العموم الطريقة الفيتنامية لم تظل جامدة ، بل تطورت كثيراً منذ بدايتها النظرية حتى ممارستها العملية ، ومن التجربة الأولى ضد الفرنسيين حتى التجربة الثانية ضد الامريكيين .

ترونغ شنه نشر أفكاره النظرية في الفترة من مارس حتى اغسطس ١٩٤٧ في نشرة الحقيقية Suthat الحـزبية واعـاد طباعتها في سبتمبر في كتاب تحت عنوان « المقاومة سوف تنتصر » الذي أجاب فيه على أسئلة :

لماذا علينا أن نحارب ؟ ومن أجل ماذا نقاتل ؟

نحن نقاتل من ؟ من هو عدونا المباشر ؟

وكيف نقاتل ؟ . .

وأجاب على السؤال الأخير ببساطة :

« لأن قواتنـا أضعف من قوات العدو فمن الضروري إطالة حرب المقاومة ، ومن خلال القتال سوف نطور قواتنا ، وتدريجياً نضعف قوات العدو حتى نتمكن من تدميرها نهائياً ، لكن شرط هذه الحرب أن تُشن بكامل الشعب في كافة الحقول ، بحيث يجد العدو اينما يذهب مقاومة عنيفة تحاصره وتخنقه ولا تعطيه فرصة لالتقاط النفس »[٣] .

الجنرال جياب أحد أفضل من كتبوا عن حرب المقاومة ضد الفرنسيين والتي قادها بنفسه ، وهو الذي حرص دوماً على التأكيد بأن الشعب الفيتنامي انتصر فقط لأن حربه التحريرية كانت حرباً شعبية نُفذت بشكل خلاق مع ظروف الساحة الفيتنامية ، فهي قد اختلفت عن بلدان أخرى ،

أولاً : بطول حرب العصابات فيها قبل أن تتحول الى حرب متحركة أو نظامية .

ثانياً : بقسوتها وصعوبتها نتيجة آلاف المعارك والاشتباكات الصغيرة فيها .

ثالثاً : باعتماد النضال السياسي في المدن الى جانب النضال المسلح في الأرياف .
رابعاً : باعتماد أشكال مرنة ومتنوعة للتنظيم المسلح وليست قوات ثورية ضاربة فقط .

أولاً : الفكرة الاساسية

في الفترة الصعبة التي واجهتها السلطة الوطنية فور ولادتها كان على قيادة هذه السلطة أن تجيب على كافة المسائل والمعضلات التي انتصبت أمامها ، وأبرزها كيفية مواجهة التفوق العسكري والتقني والإقتصادي للعدو الفرنسي الذي قرر استخدام العنف الإستعماري العدواني دون هواده ، وهنا برزت الحاجة إلى تصعيد العنف الثوري بأدوات قادرة ومناسبة ، والاستغلال الأقصى لحالة التفوق السياسي والمعنوي في قوى الثورة وتطويرها لمواجهة التفوق المعادي ، وهذه العملية تتطلب وقتاً كافياً بينما العدو يحاول حسم المعركة بسرعة .

أن فكرة تمديد وإطالة الصراع بين قوى الثورة والقوى الإستعمارية تنبع من الحاجة الى فترة زمنية تتيح لقوى الثورة زيادة أسباب القوة والمنعة لديها ، وتسمح بالإستفادة القصوى من الميزات المعنوية والسياسية من ناحية وتفقد العدو الاستعماري قوته المركزة تدريجياً وتزيد من نقاط الضعف لديه من ناحية أخرى .

وهنا تبرز أهمية الميزات المعنوية (من شجاعة ومبادرة وتصميم وصلابة وسرعة) في تقوية وتصليب العامل الذاتي ليتمكن من الصمود في مواجهة الميزات المادية والتقنية للعدو حتى تستطع قوى الثورة معادلتها والتفوق عليها لاحقاً ، وهذه المعادلة تستدعي أن تحافظ قيادة الثورة في البداية على قواها الرئيسية بحيث لاتزج بها في معركة مواجهة مكشوفة خاسرة ، بل تستبدل ذلك بمئات الغارات والإشتباكات الصغيرة التي تؤدي الى تراكم من الإنتصارات والإنجازات الصغيرة التي تجذب إليها المزيد من القوى والفعاليات الوطنية للإنخراط في الصراع وتوسيع دائرة العنف الثوري .

إن عدم قدرة القوى الثورية (محلياً وعالمياً) على إلحاق الهزيمة العسكرية السريعة والمباشرة بالقوى الإستعمارية والإمبريالية العاتيه ، والتلويح المستمر بشبح الحرب العالمية الثالثة وأهوالها وأخطارها على البشرية جمعاء (بتقدمييها ورجعييها) يجعل الطريق الوحيدة المتيسرة أمام الشعوب المستعمرة والمضطهدة هو اللجوء إلى حرب النفس الطويلة خوض حرب طويلة ، شاقة ، مؤلمة ، وإلحاق خسائر صغيرة بالعدو وتحقيق انجازات أو انتصارات محدودة تؤدي في النهاية إلى خلق حقائق جديدة على الأرض لصالح أهدافها الوطنية .

القيادة الفيتنامية أدركت هذه الحقيقة منذ البداية ، لذا عندما قررت اعتماد العنف

الثوري ، أجرت دراسة وافية ودقيقة لأوضاع الثورة وامكانياتها المادية والبشرية والعسكرية ، وكذلك الموقف على الجبهة المعادية ، وصاغت نظريتها العسكرية التي أصبحت جاهزة اعتباراً من عام ١٩٤٧ كما ذكرنا .

النظرية الجديدة القائلة بحرب تحرير شعبية تطلبت شرطين أساسيين لتحقيقها :

أولاً : أن تكون : طويلة الأمد :

لمواجهة التفوق الساحق للفرنسيين في كافة الميادين المادية والتقنية والفنية عبر تنمية وتطوير قوى الثورة (الشعبية) تدريجياً والإستفادة من القوى والإمكانيات الكامنة ، لأن إطالة الحرب يعطي فرصة كبيرة لتطوير القوات عبر القتال والممارسة وتحويلها من قوات متواضعة الامكانية والفعالية الى قوات ذات فعالية عسكرية وسياسية على المستوى الاقليمي والوطني .

ثانياً : أن تكون : معتمدة على الذات

لمواجهة الحصار والعزلة المفروضة حول الثورة من كافة الإتجاهات ، وخلق امكانيات الصمود (ذاتياً) حتى تتغير الظروف الموضوعية المحيطة والمتدخلة في ساحة الصراع ، وفي هذه الحالة فإن الإعتماد على الذات يكون شاملاً لكافة المجالات ابتداء بوضع الخطط والتكتيكات المناسبة مروراً بتدبير الأسلحة والمعدات والذخائر والتجهيزات والتدريب عليها وإصلاحها ، وتوفير الإمداد والتموين . . . وانتهاء بحل المشاكل الغذائية والإجتماعية والصحية للسكان .

وبغير هاتين الميزتين فإن حرب التحرير الشعبية تصبح عرضة « للتصفية » على يد القوة العسكرية الهائلة من ناحية ، وأمام تكتيكاته الهجومية السريعة ، والنتيجة تكون سيطرة كاملة للعدو (على الأرض والشعب) لمرحلة زمنية جديدة وطويلة .

ثانياً : ميزان القوى

عندما بدأ الفيتناميون تطبيق الاستراتيجية الجديدة كان ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين يميل كثيراً إلى كفة الفرنسيين :

من حيث القوة العسكرية :

كانت القوات الفرنسية التي تدفقت على الجنوب والشمال إلى جانب القوات الموجوداً سابقاً والقوات المحلية التابعة لها ، تفوق القوات المسلحة الثورية عدداً وعدة ، وكانت تضم وحدات عسكرية قوية مدربة مقاتلة شاركت في الحروب الحديثة ، بينما القوات الثورية حديثة التشكيل ، تضم في معظمها وحدات الدفاع الذاتي والميليشيا ، اما الوحدات

النظامية فمتواضعة القوة والخبرة، بعض خبرات حرب العصابات المحدودة خلال انتفاضة اغسطس، وبعد معركة سايجون فإنها لم تخض معارك فعلية إلاّ في أحياء هايغونغ وهانوي ، كما أن أسلحتها وتجهيزاتها كانت بدائية جداً اذا ماقورنت بالأسلحة والمعدات التي بحوزة القوات الفرنسية ، ومن ناحية الوضع القيادي فإن القوات الفرنسية تضم ضباطاً واخصائيين على كافة المستويات نتاج أرقى المدارس العسكرية ، بينما مجموعة الضباط الفيتناميين تضم عدداً محدوداً من الذين تلقوا تدريبهم في المدارس الصينية أو في المعسكرات والمعاهد المحلية ، وآخرين حصلوا على خبرتهم في ميادين القتال نفسها .

- من حيث القوة المالية والاقتصادية :

كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تواجه صعوبات مالية واقتصادية ناتجة عن الحرب العالمية الثانية ، إلاّ أنها قياساً بالوضع الاقتصادي الفيتنامي الضعيف والمرهق نتيجة المجاعة الرهيبة والنهب الياباني-كانت في وضع أفضل . فالفرنسيون لديهم امكانياتهم الذاتية وامكانية المستعمرات التي يسيطرون عليها ، وكذلك المساعدات الامريكية المالية والاقتصادية الهائلة ، وفي المقابل فإن الثورة كانت قد فقدت بخروجها من المدن الكثير من مواقعها ومراكزها الإقتصادية ، واستنزفت قواها لاعادة بناء قواعدها ومؤسساتها ، دون أن تقدم لها أية مساعدات خارجية .

- من حيث الدعم الخارجي :

تلقى الفرنسيون فور عودتهم إلى الهند الصينية مساعدة القوات البريطانية الثمينة وعقدوا اتفاقاً ايجابياً مع حكومة الكومنتانج التي أفرجت عن قواتهم المحتجزة سابقاً ، وقدمت لهم تنازلات عديدة بل أنها ساعدتهم بالتضييق على قوات هوشي منه ، كذلك حظي الفرنسيون بمباركة الامريكيين - الذي تردد في البداية انهم غير متحمسين لعودة الفرنسيين للهند الصينية - وقامت سفنهم بنقل القوات الفرنسية وأسلحتها إلى فيتنام .

أما حكومة الثورة فإن أحداً من العالم الخارجي لم يمد لها يد العون والمساعدة ، بل لم تعترف أية دولة ، بجمهوريتها منذ قيامها ، ولم يف الحلفاء (الأمريكيون خاصة)[1] بوعودهم لها ، وعلى العكس تآمروا لاسقاطها لصالح البدائل .

كان من الممكن أن يشكل ميزان القوى المذكور حالة يأس وقنوط لدى القيادة الفيتنامية ، فالنظرة المباشرة على عوامل القوة لدى الفرنسيين تصيب بالهلع والرعب وفي نفس الوقت فإن النظرة المباشرة الى مظاهر الضعف لدى الثورة تدفع إلى التشاؤم والإحباط . . لكن القيادة الفيتنامية درست بدقة متناهية وتحليل عميق « الميزات » التي يتمتع بها الفرنسيون ، واكتشفت أن قوة تلك العوامل ليست بدائمة ولن تكون أبدية ، بل على العكس يمكن أن تصبح مؤقتة كما أنها حللت مظاهر الضعف الفيتنامي لتجد أن عوامله

ليست بقدرية بل إنها قابلة للتغير . . كيف ؟

ـ فالقوات الثورية يمكن أن تتضاعف اعدادها ، وأن تتطور أسلحتها ومعداتها ، وأن يتحسن أداؤها وأن تزداد خبرتها ، اذا ما استطاعات أن تحصل على مشاركة شعبية كاملة ، فالامكانيات الشعبية (البشرية والمادية) هنا ليست محدودة اذا ماقورنت بالامكانيات الفرنسية المسموح بها .

ـ أما القوات الفرنسية فيمكن الحاق خسائر تدريجية فيها ، وتحييد الكثير من أسلحتها ، وإبطال العديد من تجهيزاتها ، وبالتالي اضعافها معنوياً وارهاقها مادياً ، ومنعها من الإستفادة من الميزات الفيتنامية (بشرياً ومادياً) وبذلك يمكن إثارة نقاط ضعفها ، وزيادة الإنقسامات بين التيارات السياسية المختلفة داخل الإدارة الاستعمارية ، وتصعيد المعارضة الشعبية الفرنسية للحرب ، ونمو الإدانة العالمية لحربها الإستعمارية .

وهكذا من خلال تطور الصراع على الأرض يجري معالجة كل من عوامل القوة عند العدو وعوامل الضعف عند الثورة ، بالتغلب التدريجي على الأولى وافقادها مفعولها وزيادة عوامل ضعف العدو ، وبالتطوير التدريجي للثانية نحو الأفضل بحيث تصبح عوامل قوة اضافية للثورة(*) .

ثالثاً : مراحل الصراع

من أجل الاستفادة الكاملة من أسباب القوة البشرية والمادية الاقتصادية وضعت القيادة الفيتنامية تقسيماً استراتيجياً لحرب التحرير الشعبية ، يضم ثلاث مراحل متعاقبة (دفاعية ، متوازنة ، هجومية) وقد حذر ترونغ تشنه منذ البداية بان لافصل حاد أو دقيق بين المراحل الثلاث خلال عملية الصراع . وبإنه قد تحدث عوامل وأسباب تؤثر على مركز الطرفين المتصارعين وبالتالي على مدة المراحل وتكتيكاتها .

● المرحلة الأولى : الدفاعية

السمة العامة لهذه المرحلة من ناحية الثورة تكون قواتها ضعيفة ، وحداتها صغيرة ، خبرتها قليلة ، أسلحتها بدائية ، تتحاشى العمليات الصدامية ، لكن من ناحية العدو فإن قواته ضخمة ، أسلحته ومعداته حديثة ، نيرانه وحركته متفوقة بشكل مطلق ، يسعى إلى استفزاز وابتزاز قيادة الثورة .

العدو في هذه المرحلة يلجأ إلى الإستراتيجية الهجومية من أجل تحقيق هدفين رئيسيين :

١ ـ السيطرة على المدن الكبيرة وطرق المواصلات والمناطق الاستراتيجية والحدودية .
٢ ـ تصفية القوات النظامية للثورة وتدمير قواعدها العسكرية والإنتاجية والشعبية .
ويستخدم لانجاز ذلك القوة البرية والجوية اللازمة للضرب والحصار ، والادارات والمؤسسات الرجعية لاصطياد الوطنيين والمتساقطين ، والاقليات الدينية والقومية والعصابات لإلحاق الاذى بسمعة الثورة ومصداقيتها .

أما التكتيكات العسكرية للعدو فإنها تشمل حرب المواقع والحرب المتحركة والهجمات الخاطفة والعمليات المفاجئة ، تكتيك فكي الكماشة .

ـ الاستراتيجية الثورية في هذه المرحلة تكون دفاعية في سمتها العامة ، لكنها تشمل تكتيكات هجومية في معظم الأحيان ، وتكون على الشكل التالي .

الهدف العام هو المحافظة على القوات الرئيسية للثورة ومنع العدو من تدميرها ، خلال القتال في المدن يطبق تكتيك حرب المواقع وبينما يجري سحب القوات الرئيسية من المدن تطبق حرب العصابات الى جانب حرب المواقع ، ويستدرج العدو إلى خارج المدن أي إلى خارج مواقعه الرئيسية .

عندما يحتل العدو المدن تماماً يحاول الخروج إلى المناطق الثورية بحثاً عن الثوار وهنا لإمكان لحرب المواقع ، بل تستخدم حرب العصابات والحرب المتحركة بحيث تشن غارات مفاجئة على مواقعه في المدن أيضاً .

الحرب المتحركة في هذه المرحلة تحتل موقعاً هاماً حتى يجري بناء واعداد وحدات الميليشيا والدفاع الذاتي ، عندها تصبح حرب العصابات هي الشكل الرئيسي للقتال من جانب القوات الثورية .

● المرحلة الثانية : التوازن أو التعادل

ـ السمة العامة لهذه المرحلة من ناحية الثورة الصمود في وجه العدو وعدم التراجع أمام قواته بل مقارعتها ، وتصليب عود القوات الثورية ، ازدياد عددها وتطور تنظيمها وفروعها ، أما من ناحية العدو فتصبح قواته العسكرية غير كافية للسيطرة على مناطق اضافية نتيجة التشبع ، لكنه أمام الخسائر والاستنزاف اليومي يضطر أحياناً للتراجع أو التمركز .

ـ العدو في هذه المرحلة يضطر الى الاستراتيجية الدفاعية بشكل عام لتحقيق هدفين رئيسيين :

١ ـ تعزيز المواقع والمراكز التي يسيطر عليها (في جهة المدن وطرق المواصلات والحدود) .
٢ ـ اعادة تثبيت الأمن والنظام في المناطق المدينية .

ولانجـاز ذلك يستخدم حملات التنظيف الارهابية ، قوات عسكرية محلية مركزية ومعززة ، منظمات وأجهزة أمنية وادارية رجعية مطورة .

ـ التكتيكات التي يلجأ إليها العدو عسكرياً : محاصرة قواعد التورة ، تقطيع المناطق المحررة إلى أقاليم ، تكثيف عمليات التجسس والتخريب ، استخدام الطيران في الغارات على العمق ، الانسحاب التكتيكي من بعض المواقع .

ـ الاستراتيجية الثورية في المرحلة الثانية تتراوح بين الدفاعية والهجومية بينما التكتيكات تأخذ طابعاً هجومياً في أغلب الأوقات ، وتركز الثورة جهودها هنا على تدعيم القوات وتطوير أسلحتهـا ، وإنشـاء الـوحدات الاقليمية ، وفي نفس الوقت اعداد الكادرات والمنظمات الثورية اللازمة .

ـ القوات الثورية تكون مهمتها الدفاع عن القواعد الآمنة والثورية والمناطق المحررة ، وخـلال ذلـك يتـطور دفـاعها إلى دفاع نشط ، كما تشن الدعاية المسلحة لتعبئة الجماهير وتنظيمها للنضال ضد الإدارات العميلة وخطط العدو ، ولردع العصابات والخونة ، كما تقوم الوحدات الثورية بغارات مفاجئة في المدن .

ـ من أجـل تدمـير المـزيد من قوات العـدو وتمزيق وحداته يجري التركيزعلى حرب العصابات بأوسع درجة ممكنة ، ويجري استخدام جزء من الوحدات النظامية لشن حرب العصـابات عند اللزوم الى جانب وحدات العصابات الأصلية ، كما تهاجم مواقع العدو المنعزلة وتحاصرها مؤقتاً بوحدات متحركة .

ـ أما القوات النظامية فإنها تتمركز في مواقع رئيسية محددة ، تشتبك مع قوات العدو المتحركة أو المتمركزة في بعض الحالات ، وهنا تقوم حرب المواقع بمساعدة حرب العصابات والحـرب المتحـركـة في تشتيت قوات العـدو . . . ومـع نهاية المـرحلة الثانية تكون حرب العصابات قد بلغت أوسع انتشار لها ، وتبدأ في تحويل بعض مقاتليها الى وحدات الحرب المتحـركة التي تصبح شكلاً هاماً في الصراع . من الممكن أن تكون المرحلة الثانية أطول وأصعب المراحل الثلاث وأكثرها تعقيداً لذا تظهر فيها بعض حالات اليأس والتردد والتساقط بين المقاتلين ، وتنمو تيارات مساومة وانهزامية داخل صفوف الثورة ، وأحياناً تيارات يسارية متطرفة (مستعجلة) .

● المرحلة الثالثة : الهجومية

السمة العامة لهذه المرحلة من ناحية العدو ارهاق قواته وتعرضها للخسائر المتواصلة التي تؤدي الى انحطاط معنوياتها وتشتتها ، وتدني قدرتها القتالية ، كما أن صعوبة الإمداد والتموين وعرقلة طرقه تقلل من القوة المادية للعدو ، وفي نفس الوقت فإن نضالات الشعوب

المستعمرة الأخرى وتصاعد الحركة الشعبية والتقدمية المعارضة للحرب في داخل دولة العدو تحد من حركة السلطة الإستعمارية الحاكمة .

السمة العامة من ناحية الثورة هي تجاوزها لمرحلة الخطر ، وبناءها للقواعد الشعبية والاقتصادية المتينة يضاعف من قوتها العسكرية ، ويجذب إليها الدعم السياسي والدبلوماسي التقدمي والخارجي فتحدث تطورات ايجابية في الشروط الموضوعية للانتصار .

ـ استراتيجية العدو هنا دفاعية ، وتكتيكاته تراجعية في معظمها ، ويكون هدفه الرئيسي الحفاظ على العاصمة والمدن الرئيسية والمراكز الأكثر استراتيجية ، لذا يستعين بقوى عسكرية واقتصادية اضافية لتحطيم قوة الثورة ، وتتضمن تكتيكاته ؛ الإنسحاب من المواقع الثانوية ، ترك المدن الإقليمية ، التراجع إلى المدن الرئيسية ، المفاوضات لكسب الوقت ، محاولة تثبيت الحكومة الرجعية .

ـ استراتيجية الثورة تكون هجومية وتكتيكاتها أيضاً هجومية ، والهدف العام شن الهجوم العام وإلحاق الهزيمة النهائية بالعدو ، وتحقيق الإستقلال الوطني .

في هذه المرحلة تتحول حرب العصابات بشكل رئيسي وبسرعة إلى حرب متحركة ، وخلال تطور الصراع تتحول الحرب المتحركة بشكل رئيسي إلى حرب مواقع ، وتتواصل معارك المدن والتحصينات حتى تنضج الظروف للمعركة العسكرية الواسعة « الوطنية » التي يتم فيها سحق آلة العدو العسكرية الرئيسية[٦] .

رابعاً : شروط حرب الشعب

تحدث الاستراتيجيون الفيتناميون عن سمات حرب التحرير الشعبية المطلوبة لكي تستطيع تحقيق اهداف النضال الوطني ، ويمكننا تلخيصها في خمس شروط أساسية :

أولاً : أن تكون حرباً شعبية حقيقية :

بمعنى أن تشارك فيها كافة الجماهير الشعبية ، الوطنية والطبقية والمشاركة هنا تعني أن تكون تلك الحرب قضية الجماهير الأولى ، وتشعر فيها انها صاحبة المصلحة الأولى وبالتالي تقوم بالمشاركة الجادة والإرادية المباشرة في الحرب وليس فقط خدمتها أو المشاركة الموسمية أو الشكلية ، وهذا يعني المشاركة الحماسية والحيوية لكل أبناء الوطن بغض النظر عن العمر أو الجنس أو الدين أو العرق .

ثانياً : أن تكون حرباً شعبية شاملة :

بمعنى أن تستخدم كافة الأشكال النضالية المتاحة أمام الجماهير (عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية) للاستفادة من كافة الامكانيات والطاقات ، واحباط مخططات العدو في

كافة الحقول ، وبما أن الكفاح المسلح والنضال السياسي هما الشكلات الرئيسيان بين الأشكال الكفاحية ، فإنه من الأهمية بمكان التركيز على الإستفادة الكاملة من طاقات الجماهير العسكرية والسياسية في المدن والأرياف على حد سواء ، والتنسيق الدقيق بينها بحيث يقود النضال السياسي الى توفير الشروط الأفضل لتصعيد الكفاح المسلح ، وفي نفس الوقت يؤدي الكفاح المسلح إلى تشتيت واضعاف قبضة العدو العسكرية مما يدفع النضال السياسي قدماً .

ثالثاً : أن تكون حرباً شعبية هجومية

صحيح أن الثورة في المرحلة الاولى (مرحلة الضعف) تضطر إلى اعتماد استراتيجية دفاعية ، لكن ذلك يتم بشكل محدود ومؤقت ، حتى تلتقط أنفاسها وتعيد ترتيب قاعدتها الآمنة ، ولمنع العدو من تحقيق نصر سريع على قواتها الرئيسية ، وحتى خلال هذه الفترة فإن الثورة تعتمد على نفس هجومي بتنفيذ تكتيكات هجومية .

وخلال تطوير القوات المسلحة والقواعد الثورية تلجأ الوحدات الثورية الى الهجوم دون توقف واعتماد الهجوم مهما كان صغيراً أو محدوداً أو جزئياً ، ومهما كانت المرحلة والظروف صعبة والانتقال من الهجمات الصغيرة جداً الى الصغيرة فالمتوسطة وحتى الاقليمية الأوسع .

ولتأمين شرط الهجومية لابد من التثقيف والتوعية المستمرة والمكثفة بين الجماهير والمقاتلين ، لكي يتم التغلب بواسطة « الروح القتالية البطولية » على تفوق العدو التقني والعسكري المؤقت ، وهجومية الحرب الشعبية يجب إلّا تقتصر على جانب نضالي واحد ، ولا على فترة زمنية محدودة ، ولا على شكل محدود من القوات الثورية . . بل تعني امتلاك زمام المبادرة الثورية في كل الاوقات والأماكن والظروف بل وخلق الظروف المناسبة لاستمرار الهجمات [٧] .

رابعاً : أن تكون بقيادة شعبية طليعية

لتوفير الشروط السابقة لابد من انجاز عملية تعبئة وتنظيم وتدريب وتسليح الجماهير الشعبية على أوسع نطاق ، وهذا يتطلب وجود تنظيم جماهيري من طراز خاص :

- يؤمن قبل كل شيء بدور الجماهير في صياغة التاريخ البشري وبمشاركتها الكاملة في الثورة
- يضع خطاً سياسياً صحيحاً وملائماً للثورة وقيادة سياسية وعسكرية سليمة على رأسها .
- يضع برامج التوعية والتدريب والتسليح الملائمة وينشىء المنظمات السياسية والعسكرية اللازمة .
- يلتزم بالجماهير الشعبية باعتباره جزءاً عضوياً منها وتلتصق كادراته بالقواعد الشعبية

نضالاً وحياة اجتماعية .

خامساً : أن تكون ذات إطار وطني :

حيث أن الحزب الطليعي أي حزب مهما كان جماهيرياً لايستطيع أن ينظم في صفوفه كامل الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية ، والقوى السياسية والدينية ، بل هو يوفر لها قيادة ثورية طليعية ، لذا لابد من ايجاد الأطر التنظيمية الوطنية الأوسع القادرة على استيعاب الاتجاهات والتيارات السياسية والاجتماعية (الوطنية) المختلفة وحشد كامل الطاقات البشرية في جبهة أو تحالف وطني عظيم :

- يتم بناءها على أساس المصالح الاساسية المشتركة لمعظم المواطنين .
- تتبنى برنامجاً سياسياً وطنياً تجمع عليه القوى الوطنية والديمقراطية .
- يحافظ باستمرار على الوحدة الوطنية وتحبط محاولات العدو التفريقية والتقسيمية .
- تحدد العدو الرئيسي في كل مرحلة وبرنامج العمل الخاص بها .
- ترسم خارطة التحالفات بدقة وتميز بين مختلف التحالفات .

خامساً : تكتيكات حرب الشعب

الحرب الشعبية لاتقتصر على نوع واحد من الحروب ، بل هي تشمل اشكالاً متنوعة تبدأ بالحرب الدعائية المسلحة وتنتهي بالحرب النظامية ، ويمكننا الحديث في هذا المجال عن خمسة تكتيكات قتالية رئيسية .

أولاً : حرب الدعاية المسلحة : (مرحلة التحضير)

تبدأ الحرب الشعبية عادة بحرب العصابات ، لكن قبل ذلك لابد من انجاز مرحلة تحضيرية حيث وحدات الدعاية السياسية (المسلحة وشبه المسلحة) تكلف بالتحرك في منطقة محددة من أجل رفع مستوى الوعي السياسي للسكان وبناء القواعد السياسية للثورة ، وتنظيم وقيادة الجماهير في النضالات الشرعية وشبه الشرعية ، وخلال ذلك يتم القيام ببعض العنف الثوري مثل معاقبة الخونة أو العملاء الأكثر رجعية ، واختيار وتدريب المجموعات الأولى لحرب العصابات ومن هنا فإن المهمة الأساسية للوحدات الثورية الأولى هي سياسية أكثر من عسكرية ، لكنها تقوم بالتحضير للعمل العسكري القادم .

ثانياً : حرب العصابات :

تعتمد على استخدام القوى الجماهيرية بصرف النظر عن سنها أو جنسها أو مهنتها في شن الكفاح المسلح ضد القوات المعادية ، وتهدف إلى اغراق قوات العدو العسكرية في بحر

من الجماهير المسلحة وتكبيدها الخسائر البشرية والمادية المتلاحقة .

صحيح أن حرب العصابات تبدأ في منطقة محددة بمجموعات محددة إلاّ أنها تنتشر بسرعة ولا تقتصر على مكان معين أو زمان محدد أو نوع جامد من العمل العسكري ، فطالما هناك عدو لابد من مناوشة قواته وانهاكها وتمزيق وحداتها بتطبيق قواعد الحرب العصابية الأربع الشهيرة[٨] . تتشكل قوات العصابات من المليشيا ووحدات الدفاع الذاتي وتعتمد بشكل رئيسي على وحدات مسلحة وشبه مسلحة غير متفرغة ، أي أنها تقوم بالقتال والانتاج في نفس الوقت ، وخلال تطورها تساعد قوات العصابات في بناء القوات المسلحة والقواعد الثورية الارقى ، كما أنها تقوم بالدفاع عن الإنجازات الثورية (العسكرية والانتاجية) وحمايتها ضد عمليات التجسس والتخريب ، وعند الحاجة تفكك القيادة بعض الوحدات الإقليمية أو النظامية لممارسة حرب العصابات .

ثالثاً : الحرب المتحركة

هي الشكل الأرقى للحرب الشعبية ، بمعنى أن عمليات حرب العصابات تساعد على تطوير شكل القتال من وحدات صغيرة جداً ، متفرقة ، تقوم بانجازات محدودة على قوات العدو وأهدافه ، الى وحدات أكبر وأكثر تنظيماً وأكثر خبرة تتصدى لوحدات العدو العسكرية في مناطق محددة وأوقات محددة وتجبره على خوض معارك معرولة . تلحق به الخسائر المادية والأذى المعنوي . وتوفر للقوات الثورية مجالاً مباشراً للتدريب والخبرة الميدانية .

رابعاً : حرب المواقع

هي شكل من أشكال الحرب النظامية تأخذ دوراً مساعداً لكل من الحرب العصابية والحرب المتحركة وتستند إلى وحدات مسلحة أكبر حجماً وأفضل خبرة وأحسن تسليحاً من القوات السابقة .

حرب المواقع تكون مهمتها بشكل عام إلحاق خسائر ممكنة بوحدات العدو العسكرية ومنشآته لكنها لاتهدف الى الاحتفاظ بالأرض ، وتشارك فيها بشكل رئيسي الوحدات النظامية الاقليمية وتساعدها حرب العصابات المنتشرة وكذلك الوحدات النظامية المركزية عند الحاجة .

خامساً : حرب الحصار والتدمير :

هذا الشكل الأخير من الحرب الثورية تقوم به القوات النظامية المركزية للثورة وهو يتدرج عادة من معارك الحصار الجزئية المحدودة إلى معارك أوسع على مستوى الأقليم ، ويتوج بالهجوم المضاد العام .

في حرب الحصار والتدمير تكون القوات الثورية قد بلغت درجة عالية من المركزية والنظامية وتكون مزودة بأسلحة ومعدات حديثة نسبياً ، ويتخللها درجة عالية من التنسيق بين مختلف فروع الوحدات النظامية (المدفعية والفنية) اضافة الى التعاون الأقصى مع الوحدات العصابية والوحدات الإقليمية ضمن خطة موحدة وقيادة ميدانية واحدة وقاعدة آمنة منيعة .

هدف حرب الحصار يكون إبادة القوة الرئيسية للعدو وتدمير امكانياته العسكرية وأهدافه الأكثر أهمية ، وسوقه نحو الهزيمة العسكرية الشاملة ، ومن هنا يمكن القول إن حرب التحرير الشعبية لاتقتصر على شكل واحد للقتال فهي ليست حرب عصابات وحسب وهي ليست مناهضة للحرب النظامية الثورية ، فالقتال بوحدات نظامية كبرى يصبح أمراً ملحاً في المرحلة الثالثة (الهجومية) وبدونه لايمكن سحق القوات الرئيسية الضاربة للعدو ، في الحرب النظامية الثوريةً كما في حرب العصابات المهم طبيعة المقاتل طريقة التربية والإعداد ودرجة الوعي الثوري لدى المقاتل .

سادساً : طبيعة المعارك والقوات

تختلف طبيعة المعارك القتالية وحجم القوة المشاركة في القتال من مرحلة ثورية الى أخرى خلال حرب التحرير الشعبية على الشكل التالي :

أولاً : في المرحلة المبكرة يكون الهدف هو الحفاظ على الذات أي تجنيب القوات الرئيسية للثورة التدمير والتصفية ، واقامة القاعدة الآمنة للثورة ، ومن هنا فإن المعارك التي تجري بين الطرفين تكون متفرقة وعشوائية الى أن يسمح الوقت بشن عمليات فدائية أكثر تنظيماً وأكبر حجماً وأكثر تركيزاً للاهداف والوسائل . .

ـ في هذه المرحلة يكون حجم القوات صغيراً جداً ، وتكون المجموعات قليلة العدد متفرقة وتقاتل في كل مكان وكل زمان وسهلة الإختفاء .

ثانياً : في المرحلة الأولى عندما يكون وضع الثورة دفاعياً ويكون الهدف بناء القوة العسكرية للثورة فإن الوحدات العصابية تصبح أكثر تنظيماً وأكبر حجماً ، وتخوض معارك أكبر في ميدان عسكري أوسع من السابق ، ضد قوات مكشوفة للعدو ، لكنها لا تواصل قتالها مدة طويلة بل تنسحب بأقصى سرعة ممكنة قبل حضور تعزيزات اضافية للعدو .

ـ في هذه المرحلة يكون القتال على شكل مجموعة مقاتلة متوسطة الحجم (أقرب الى الفصيل) تقاتل في أوقات محددة وظروف مختارة ، مع استمرار قتال الوحدات الأصغر بالطبع .

ثالثاً : في المرحلة الثانية عندما تكون قواعد الثورة قد تعززت نوعاً ما ، فإن المعارك مع العدو تصبح أقرب الى الدفاع النشط ثم الدفاع المبادر المتحرك ، عبر شن هجمات أكبر ضد أهداف معادية تشارك فيها وحدات نظامية بهدف سحق قوات مركزة للعدو في مكان محدد .

- في هذه المرحلة تشارك في القتال وحدات نظامية مركزية على مستوى السرية والكتيبة إضافة إلى المجموعات المحلية ، وتقوم بالاستفراد بوحدات أو أهداف معادية هامة .

رابعاً : في المرحلة الثالثة تكون طبيعة المعارك هجومية ، تستهدف ضرب القوات الرئيسية للعدو وتدمير امكانياته البشرية والتقنية والمادية تمهيداً لتحقيق النصر العسكري الكامل عليه .

- حجم القوات المشاركة هنا يبلغ أعظمه ، حيث تشارك وحدات نظامية على مستوى اللواء والفرقة ، اضافة إلى القوات المحلية[9] .

سابعاً : القواعد الثورية

ردد هوشي منه أكثر من مرة أن قلوب الجماهير هي القواعد التي يجب المحافظة عليها دوماً خلال النضال الوطني بينما القواعد الأخرى يمكن فقدانها وتعويضها ، يمكن التخلي عنها والعودة إليها ، خلال مراحل الحرب الشعبية :

فما هي تلك القواعد ؟.

أولاً : القواعد السياسية :

هي أول أشكال التواجد الثوري بين السكان ، ويجري بناءها في الوقت الذي يسيطر فيه العدو على كامل المناطق ويفرض سلطته على البلاد بالارهاب والعنف . وهي تعني ايجاد مجموعات رائدة بين السكان تتمتع بوعي سياسي وحسن وطني عال ومهمتها فضح سياسات العدو وممارساته ونشر مبادىء الثورة ، تمهيداً لبناء المنظمات الجماهيرية السياسية ، ويقوم بهذه المهمة غالباً وحدات الدعاية المسلحة (الدعوة) والمكونة من كادرات ثورية واعية وصلبة ومتواضعة وهي لاتلجأ للعنف المسلح إلاّ في حالات محدودة .

ثانياً : قواعد العصابات :

بعد بناء القواعد السياسية بين السكان يجري اختيار العناصر المحلية صغيرة السن والاكثر حماسة واندفاعاً ليكونوا نوايات وحدات العصابات الثورية في المنطقة المحددة ، وبعد اختبار الاعضاء المرشحين عملياً ، يخضعون لبرنامج تدريب عسكري وسياسي يعقبه مهمات اختبارية جديدة يتم في ضوئها تشكيل الوحدات الرسمية لحرب العصابات . وبعد بناء

بضعة قواعد سياسية وعصابية يمكن للنضال أن يدخل مرحلة أكثر فعالية حيث تشن النضالات السياسية والانتفاضات المحلية ضد الادارات الفاسدة . ويجري معاقبة العملاء والمسؤولين الأكثر فساداً .

ثالثاً : القواعد الثورية

هي الشكل الارقى من قواعد الثورة ، حيث يكون تواجد القوات الثورية في المنطقة المحددة ملموساً بين السكان ، وهذا الشكل من القواعد يأتي تتويجاً لتطور الشكلين السابقين ، بحيث تنافس سلطة الثورة ـ السلطة المعادية وتقضي عليها وفي بعض الحالات تتحول الإدارة الرجعية إلى مجرد سلطة نظرية ، بينما النفوذ الحقيقي يكون للثورة إذا اقتضت مصلحة الثورة عدم الإطاحة بالادارة الرجعية .

رابعاً : القواعد الآمنة :

بعد انتشار مجموعة من القواعد الثورية في أقليم أو محافظة أو قطاع يمكن للقيادة الثورية اعلان ذلك المكان منطقة محررة بمعنى القضاء على كافة اشكال السلطة والإدارة الرجعية والمعادية ، واقامة الإدارة الثورية عليها ، وغالباً ماتكون هذه المناطق ذات ميزات جغرافية مناسبة . في هذه الحالة يمكن اعلان التشكيلات السياسية والتنظيمية وبناء القوات المسلحة وممارسة السلطة الشعبية وبناء القواعد الاقتصادية والانتاجية .

ومن بين القواعد الآمنة والمناطق المحررة يتم اختيار القاعدة الرئيسية أو المؤخرة التي يتم فوقها بناء القوة الرئيسية للثورة عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً ، وتضم عادة مراكز القيادة والمؤسسات والأجهزة المركزية ويتم فيها بناء السلطة الشعبية بمعظم مرتكزاتها السياسية والادارية والثقافية .

الفصل الثاني :

حرب التحرير الشعبية الأولى

اندلاع القتال بين قوات السلطة الوطنية والقوات الفرنسية في الشهر الأول لاعلان الجمهورية الديمقراطية واستمراره بأشكال ووتائر مختلفة حتى معركة ديان بيان فو ١٩٥٤ دفع الكثير من المختصين الى اخضاع الفترة كاملة للتقسيم على المراحل الثلاثة لحرب الشعب ، فاعتبرت المرحلة الأولى للحفاظ على الذات وتطوير القوات الرئيسية تمتد من ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ حتى آواخر ١٩٤٧ ، والمرحلة الثانية للتعامل مع العدو بفعالية وتوازن من أوائل ١٩٤٨ حتى نهاية ١٩٥١ ، بينما المرحلة الثالثة للتفوق والهجوم تمتد من أوائل ١٩٥٢ حتى أواسط ١٩٥٤ ، وقد وصف الجنرال جياب في كتاباته المرحلة الأولى بمرحلة الضعف والدفاع ، والثانية بمرحلة التعادل أو شد الحبل ، والثالثة بمرحلة التفوق والهجوم متفقاً في ذلك مع تقسيمات هوشي منه .

في دراستنا هذه ستتناول حرب التحرير الشعبية الفيتنامية باعتبارها بدأت فعلياً منذ آواخر العام ١٩٤٦ وهذا لايعني أن المقاومة الوطنية لم تبدأ قبل ذلك بعام أو أكثر ، إنما يعني التحديد ، فقبل معركة هانوي كان الهدف الرئيسي للثورة الدفاع عن « الجمهورية » دبلوماسياً وسياسياً ثم عسكرياً ، وبعد معركة هانوي لم يعد هناك جمهورية قائمة للدفاع عنها ، بل أصبح هناك وطن محتل لابد من تحريره من القوات الإستعمارية الفرنسية ، في ذلك الوقت فقط وحسب اعتراف جياب قررت قيادة الحزب دعوة الشعب بأسره للمقاومة ، أما ماتم انجازه عسكرياً قبل هذا التاريخ فلم يذهب أدراج الرياح بل جرى الإستفادة منه وأعيدت صياغته ليتلائم مع متطلبات الاستراتيجية الجديدة .

انطلاقاً مما تقدم فأننا سنعرض إلى تجربة حرب الشعب الأولى في فيتنام وفق التقسيم التالي :

المرحلة الأولى : مرحلة التراجع والاستعداد والدفاع وتشمل الأعوام الثلاثة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ .

المرحلة الثانية : مرحلة التوازن الاستراتيجي بعد دخول العامل الصيني الموضوعي إلى المعادلة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ .

المرحلة الثالثة : مرحلة الهجوم المضاد والشامل التي انتهت بمعركة ديان بيان فو الحاسمة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .

مع ملاحظة أنه لايمكن وضع حدود ثابتة أو حاسمة بين المراحل الثلاثة ، كما إنه من غير المنطقي اعتماد خطوط قاطعة بين أشكال الصراع وأدواته وطبيعة المعارك وحجم القوات في المراحل الثلاثة المتداخلة والمتشابكة ، فالتعقيدات الميدانية والتطورات السياسية والدبلوماسية والمستجدات العسكرية تتدخل بقوة للتأثير على الخطط والخرائط المعدة سابقاً ، لذا فإن تقسيماتنا الحالية للمراحل المذكورة انما تستند الى الاتجاه العام للموقف ، والوضع الاستراتيجي ، والمهمات التكتيكية عند الطرفين خلال تطور الصراع .

المرحلة الأولى :

التراجع والإستعداد والدفاع

في تاريخ الثورة الفيتنامية تعتبر الفترة الأولى من حرب الشعب ضد الفرنسيين من أصعب المراحل التي واجهتها الثورة بل أن البعض يعتبرها « مرحلة عنق الزجاجة » حيث اعترضت الثوار الفيتناميين صعوبات عسكرية وسياسية وداخلية لامثيل لها !

ـ على المستوى العسكري فقدت الثورة الأرض ولم تتمكن من المحافظة على المدن الرئيسية ولا المواقع الاستراتيجية ولا الطرق الهامة ، فانكفأت الى الجبال الشمالية تحاول بناء القاعدة الآمنة من جديدة ، بينما القوات الفرنسية تواصل زحفها نحو مناطق جديد ، وتجهز للضربة العسكرية القاضية .

ـ وعلى المستوى السياسي فشلت آخر محاولات القيادة السلمية ولم تنفع كل التنازلات الكبيرة والخطيرة التي قدمتها للفرنسيين الذين لايرضون بأقل من الإستسلام التام للثورة ، ولم يصل الإعتراف والدعم السوفييتي المتوقع ، وفترت العلاقة مع اليسار الفرنسي ، ولم يف الأمريكيون بالتزاماتهم تجاه الشعوب المضطهدة التي قطعوها على أنفسهم خلال الحرب العالمية .

ـ وعلى المستوى الداخلي انتعشت الاحزاب والقوى الرجعية واليمينية والمحايدة

والملكية تحاول وراثة الشيوعيين ، وأصاب عدد من الكوادر والمقاتلين حالة من اليأس والتردد والتساقط نتيجة الصعوبات العسكرية والمعيشية ولتبعات الانتقال من حياة المدن - السلمية والمريحة نسبياً - الى حياة الجبال والغابات أمام هذه الصورة القاتمة استعاد هوشي منه كلمات قائد وطني سابق يحث مقاتليه على الصمود ؛

« قد نفقد الأرض مؤقتاً ، لكننا مصممون على ألا نفقد قلب شعبنا ، لان قلب الشعب يعطينا بوصلة استعادة الأرض - المفقودة مؤقتاً - من جديد »[10]

أ - التراجع :

قبل اندلاع معركة هانوي ، ومنذ تكشفت الاستعدادات الفرنسية ونوايا القيادة الفرنسية في شن حملة هايغونغ العسكرية ، اتضح للقيادة الفيتنامية أن معركة الاحتفاظ بهانوي كعاصمة للسلطة الثورية ستكون مكلفة جداً ، وبالنتيجة ستكون خاسرة ، لذا كان قرارها نقل السلطة الثورية مرة أخرى إلى الجبال واتخاذ منطقة فيت باك كقاعدة رئيسية للثورة .

أول خطوة كانت تكليف نجوين لونغ بانغ[11] بمهمة اعداد وتجهيز القاعدة لاستقبال القيادة السياسية والعسكرية للثورة ، واجهزتها الحكومية والحزبية ومؤسساتها الانتاجية .

الخطوة الثانية كانت انجاز عمليات الاخلاء والترحيل من العاصمة والمدن الشمالية الرئيسية خلال الفترة التي تجري فيها الاشتباكات في العاصمة مع الاحتفاظ بالقوات النظامية الرئيسية للثورة سليمة خلال تراجعها الى المناطق الجبلية أما القوات في المناطق الوسطى فتم سحبها الى مناطق محددة في جنوب هوي وفي المرتفعات الوسطى .

الخطوة الثالثة بعد انسحاب القوات النظامية كانت تتطلب الدفاع المؤقت عن الطرق الإستراتيجية بين المدن الرئيسية ثم التراجع الى المدن الأصغر وعواصم الأقاليم والصمود فيها مؤقتاً ، مع تدمير المنشآت والإمكانيات الحيوية في كل مدينة يزحف عليها الجنود الفرنسيون .

الخطوة الرابعة كانت الإكتفاء بوحدات الدفاع الذاتي وقوات الميليشيا للقيام بالمهمات العسكرية وحدها ، أولاً لقتال القوات الفرنسية رغم البون الشاسع في الامكانيات المادية والقتالية ، وثانياً للبقاء والإستمرار داخل المناطق والمدن المحتلة .

الخطوة الخامسة كانت تهيئة المقاتلين والشعب لمرحلة صعبة وطويلة ، وهنا ساهم هوشي منه في تبديد أوهام التسوية السلمية مطالباً « باسم حكومته » كافة المقاتلين بالقتال ببسالة أكبر ، وكل المواطنين بمساعدة المقاتلين والاداريين بالتغلب على الصعاب على طريق النصر .

ب ـ الاستعداد :

تركز الجهد الرئيسي للثورة منذ آواخر العام ١٩٤٦ على اعداد منطقة فيت باك بحيث تستطيع استقبال المهمات الرئيسية التالية :

عسكرياً : معسكرات التدريب والمدارس العسكرية والفنية المختلفة ، مواقع التشكيلات العسكرية النظامية « جيش الدفاع الوطني » المتطورة في الحجم والمهمات ، مقرات القيادة العسكرية المركزية وغرف العمليات المطلوبة ، الورشات والمعامل العسكرية والفنية .

حكومياً : مقرات قيادات الحكومة والحزب والجبهة ومنظماتها الفرعية ، والأجهزة والوزارات والمؤسسات الانتاجية والصناعية ، ومركز الاذاعة والمؤسسات الأعلامية الأخرى ، والتنظيمات الشعبية .

بعد إتمام عملية الانتقال الى القاعدة الآمنة تم توحيد المناطق العسكرية المختلفة تحت قيادة واحدة مركزية ، وتأمين الإتصال والتنسيق المتواصل بينها بحيث تشكل جميعها جسم عسكري واحد يضم المنطقة الرابعة والخامسة والجنوبية ودلتا النهر الأحمر اضافة الى القاعدة الآمنة .

وبعد ذلك نفذت سلسلة من المهمات الأساسية داخل القاعدة الآمنة والمناطق المحررة ، استعداداً لشن حرب الشعب طويلة الأمد ، ومن أبرز تلك المهمات :

عسكرياً : بناء وتقوية وتطوير القوات المسلحة بأشكالها الثلاث وتأمين الحماية والدفاع عن مراكز الثورة ومؤسساتها الانتاجية .

سياسياً : تعبئة الجماهير الشعبية وتثقيفها وتنظيمها وتعزيز الوحدة الوطنية بين مختلف طوائفها وقومياتها وبناء الادارة الشعبية القادرة على تعبئة القوى البشرية والمادية .

اقتصادياً : تطوير البناء الاقتصادي للثورة على أساس اقتصاد حرب مقاومة وزيادة الانتاج وخاصة الزراعي والعمل على تحقيق الإكتفاء الذاتي .

ثقافياً : إرساء ثقافة جماهيرية جديدة أساسها روح المقاومة ، وتثمين التضحيات الخاصة التي يقدمها سكان « فيت باك » وروحهم الوطنية ، وفي هذا الشأن أولت قيادة الثورة اهتماماً خاصاً بمسلكية جنود وضباط ومقاتلي الثورة داخل المنطقة وبمدى الانضباط في صفوفهم .

وفي الجبهة المقابلة كانت القيادة الفرنسية التي تولاها الجنرال فالوي Valluy تستعد للمرحلة التالية ـ بعد سيطرتها على المدن الرئيسية والطرق الاستراتيجية والسواحل ـ والهادفة الى تصفية الوجود المسلح وشبه المسلح للثورة ، وقد اعتمدت تكتيك الضربة السريعة الشاملة .

الحملة العسكرية الفرنسية ضمت ثلاثين الف جندي ، ثلاثمائة دبابة وآلية ، أربعين طائرة وزودت بعشرات القطع النهرية « المعدّيات » وبكمية كبيرة من الأسلحة والمعدات الحديثة (الامريكية والبريطانية) اطلق عليها اسم الهجوم الشتوي أو عملية ليا التي اعتبرت « أهم عمل عسكري في تاريخ فرنسا الاستعماري »[12] .

القيادة الفرنسية وضعت للعملية ثلاثة مراحل ، تبدأ باحتراق القاعدة الآمنة ثم تدمير القوات النظامية للثورة وأخيراً اعتقال القيادة الفيتنامية ، وهذا يتطلب أولاً أحكام الحصار على القاعدة ثم شن الهجوم .

وقد نجحت المرحلة الأولى من الهجوم حيث تمكنت قوات الجناح الأيسر من احتلال تاي نجوين وتوين كوانغ وتقدمت قوات نهرية عبر نهر Clear وقد انجزت هذه المرحلة التي استغرقت عدة أسابيع في اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ دون أي اشتباك عسكري ، بل أن القوات والآليات الفرنسية كانت تتحرك وكأنها في منطقة مهجورة تماماً لدرجة أن الجنود الفرنسيين كانوا يشعرون بوجود الفدائيين دون أن يروهم مما خلق حالة قلق وتوتر بينهم أكثر من القتال نفسه « القرى التي يدخلونها كانت محترقة ، والمدن كانت مدمرة ، والجسور منسوفة ، والطرق غير سالكة »[13] .

المرحلة الثانية بدأت عندما وصل الفرنسيون الى آخر مايمكن أن يصلوا إليه من المدن والقرى في غرب وشرق وشمال الفيت باك واستهلكوا أكبر كمية من الوقود والأغذية ، وهبطت روحهم القتالية حينها فقط انطلقت موجات الهجمات الفيتنامية المفاجئة من كل مكان في المدينة والقرية والغابة ، وتحول الموقف الفرنسي مباشرة إلى الدفاع ، وبدلاً من تحطيم القوات الفيتنامية أصبحت مهمة القيادة الفرنسية محاولة منع تحطيم القوات الفرنسية وتأمين خطوط الامداد الطويلة .

في ديسمبر كانت القوات الفرنسية قد دفعت ثمناً باهظاً لتقدمها السريع في القاعدة الآمنة ، ومع ذلك فإن قائدها تردد في تنفيذ عمليات الإنسحاب الأمر الذي كبدها المزيد من الخسائر البشرية والمادية ، واضطرت أن تتراجع عن كافة المدن التي احتلها في حملتها ، وفي يناير ١٩٤٨ تراجعت الى منطقة دلتا النهر الأحمر ، بعد أن فقدت ٣٣٠٠ قتيل وأربعة آلاف جريح ١٨ طائرة ، ٣٨ مركب ، ٢٥٥ دبابة وآلية اضافة إلى حوالي ثمانية آلاف قطعة سلاح .

الاستعدادات الفيتنامية لمواجهة الهجوم المذكور بدأت مبكراً كما رأينا ، وفي سبتمبر دعت اللجنة المركزية للحزب الى تعبئة جميع القوات لاحباط الهجمات الكبيرة المتوقعة وفي أواسط أكتوبر اصدرت القيادة العسكرية أمراً بعنوان « علينا تحطيم الهجوم الشتوي للمعتدين الفرنسيين » .

الفيتناميون اعتبروا نتيجة المعركة أكبر هزيمة واجهتها القوات الفرنسية منذ عودتها الى الهند الصينية وبأنه فشلاً ذريعاً لتكتيك الحرب الخاطفة ، ويرى الجنرال جياب أن هدف الهجوم كان تحقيق نصر عسكري سريع يسحق الثورة ويفتح الطريق أمام انشاء حكومة عميلة لكل البلاد ، إلاّ أن فشل الهجوم اضطر العدو الى صرف النظر عن تكتيكه السابق واللجوء إلى اطالة أمد الحرب عبر التهدئة واستخدام الفيتناميين في قتال الفيتناميين .

ح ـ الدفاع :

المرحلة الدفاعية ليست منفصلة عن سابقتها ، فالدفاع يأتي تثبيتاً لحالة التراجع ، ومتداداً لحالة الإستعداد والسمة العامة لهذه المرحلة هي خروج قوات الثورة من حالة الكمون والتحاشي إلى حالة الدفاع الإيجابي والمبادرة النشيطة ، كما أن القيادة الثورية تصبح قادرة على التخطيط والاعداد لهجوم مسلح كبير نسبياً لكن في اطار دفاعي .

بعد فشل هجومها اعتمدت القيادة الفرنسية استراتيجية جديدة مع مطلع العام ١٩٤٨ قوامها أربعة مرتكزات رئيسية ؛ عزل القاعدة الأمنة عن بقية المناطق المحررة الأخرى ، والقيام بتهدئة تلك المناطق بشكل مركز وكثيف ، تجريد الثورة من الإمدادات الغذائية والمواد الخام والضرائب والقوى العاملة وبالتالي اجبارها على الخروج من معاقلها لمواجهة الفرنسيين في معركة مكشوفة لاتستطيع الانتصار فيها .

هذه الاستراتيجية تطلبت عملاً شاقاً من الفرنسيين للزحف على المناطق المحررة ، وتطلبت قواتاً كبيرة لتحويلها إلى مهمات ثابتة ودفاعية في المناطق المهدأة وفي نفس الوقت الحاجة إلى قوات متحركة كبيرة للتصدي لغارات الفدائيين ومجموعات أخرى لتخريب اقتصاد الثورة ، وقوات اضافية لتأمين بعض المواقع الهامة على الطريق رقم ٤ وخلف القاعدة الآمنة .

في مواجهة الاستراتيجية الفرنسية الجديدة عمد الجانب الفيتنامي إلى تطوير استراتيجيته العسكرية بما يتلائم والوضع الجديد ، بينما كان التركيز سابقاً على تكتيك الأرض المحروقة حيث يتقدم العدو ثم حرب العصابات حين ينتشر ثم استخدام بعض المجموعات الصدامية لوقت محدد ومكان محدد ، أصبح التركيز الآن على نشر ما أمكن من المجموعات الصغيرة خلف خطوط العدو في كافة الأماكن ، وخلق جبهات متداخلة وتكثيف العمل السياسي والدعائي بين جماهير المناطق المحتلة لتعزيز نفوذ الثورة بينها واحباط حملات العدو التصفوية والسياسية والنفسية .

وفي هذا الاطار عقدت قيادة الثورة مؤتمراً وطنياً عاماً لممثلي وحدات الميليشيا في ابريل ١٩٤٨ لنشر وتكريس مفهوم ومبادىء حرب العصابات الثورية من ناحية ، ولمعالجة

المشكلات الميدانية والتطبيقية الناتجة عن الوضع الجديد من ناحية ثانية . وتكريس مبدأ الاعتماد على الذات (في الانتاج والتسليح والإمداد) من ناحية ثالثة

كما اتخذت القيادة خطوة لاحقة في يونيه ، بإطلاق حملات التنافس الوطني بين مختلف الوحدات القتالية والإنتاجية والسكانية تحت شعار « مقاومة يتمها كل الشعب وفي كل المجالات » وفي هذا السياق طالب هوشي منه كل فيتنامي « صغيراً كان أم كبيراً ، رجلا أو امرأة ، غنياً أو فقيراً ، واينما كان موقعه الاجتماعي » بأن يتحول الى مقاتل في احدى الجبهات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية[٤١] .

شهد العام ١٩٤٨ قبل وبعد فصل الأمطار سلسلة من العمليات والحملات العسكرية الفرنسية تطبيقاً للاستراتيجية الجديدة ، امتدت حتى ربيع العام التالي ، واستهدفت شمال غرب ، وشمال شرق وشرق دلتا النهر الأحمر وجنوبها ، وقد استهدفت الاجراءات الفرنسية ، تعزيز الجبهة العسكرية الشمالية وإغلاق الحدود الفيتنامية الصينية وتهدئة المناطق المحتلة في دلتا الأحمر ، وأحكام السيطرة على الممر الواصل بين القطاعين الشرقي والغربي في الجبهة الشمالية ، وعلى المربع الهام بين لانغ سون وهونغ جيا وهانوي وهايغونغ اضافة إلى تطوير قدرات الجيش المحلي لأخذ مكان الوحدات الفرنسية وانشاء وحدات متحركة من الفرنسيين والأجانب (غير الفيتناميين) .

أحرز الفرنسيون بعض الإنجازات واستولوا على عدة مناطق تحتوي على مخازن ومعامل في منطقة الدلتا لكنها لم تؤثر على الوضع الإستراتيجي للطرفين ، ومع ذلك فإن القيادات الحزبية تدارست في سلسلة اجتماعات عقدتها في يناير ١٩٤٩ تجربة العام السابق ودروسها واتخذت الاجراءات الكفيلة بتنفيذ خطة العام الجديد في الإستراتيجية الثورية والتي كان أبرز ملامحها :

- في مواجهة سياستي التهدئة (للمناطق المحتلة) والتمشيط (للمناطق الثوربة) تقرر تصعيد حرب العصابات في كل البلاد بهدف الحاق أكبر قدر ممكن في الخسائر البشرية والمادية بالفرنسيين والقوات العميلة ، وبالفعل شهدت معظم المناطق تصعيداً واسعاً للعمليات الفدائية خلف خطوط العدو واستهدفت مراكزه ومواقعه المنتشرة على مختلف الجبهات ، وفي نفس الوقت استمرت عملية بناء الوحدات العسكرية الأكبر وجرى زج مجموعات أكبر حجماً من السابق في ساحة المعركة كما نظمت دوريات وكمائن باعداد متزايدة فتمكنت من ضرب أهداف أهم وساعدت على توسيع القواعد الثورية .

- وفي مواجهة سياسة بناء الجيش والقوات العميلة عمدت قيادة الثورة إلى تطوير الوحدات الفدائية والى تكوين الوحدات الاقليمية لمساعدة المجموعات الفدائية في تطوير حرب العصابات من ناحية ، ولمساعدة الوحدات النظامية في الحرب المتحركة من ناحية ثانية

وقد أمكن في هذه المرحلة استخدام قوات بحجم كتيبة في القتال ثم تطور الأمر إلى استخدام ثلاث كتائب في بعض الأحيان . وهكذا أمكن الشروع في تطوير وتعزيز الاشكال الثلاثة للقوات الثورية .

- في مواجهة التشكيلات الإدارية والدستورية ، والتنظيمات الرجعية في القرى والمناطق المحتلة كثفت القيادة من إرسال وحدات الدعاية المسلحة وبناء القواعد السياسية بين الجماهير في تلك المناطق كقدمة لخلق الوحدات الفدائية والقواعد الثورية المسلحة .

ولانجاز ماتقدم كان لابد من تطوير وتحديث البنية الثورية في القاعدة الآمنة ولهذا اعتمدت خطة للعام ١٩٤٩ شملت المبادىء التالية :

- تعزيز المجهود الحربي ووضع مسألة حرب المقاومة فوق كل المسائل الوطنية .
- تفعيل الجهاز الإداري من القاعدة الى القمة وإعادة تنظيم الشبكة الإدارية .
- الحد الى أدنى درجة من الإنفاق وزيادة الانتاج في كافة المجالات .
- اعادة تنظيم وتنشيط المنظمات الجماهيرية والنقابية .

ولم يكن ممكناً القيام بتلك المهام على أكمل وجه دون تصليب الأداة التنظيمية (الحزبية) العاملة في الجيش والقوات المسلحة والحكومة والاقتصاد والمنظمات الشعبية ، ومن أجل ذلك اتخذت القيادة سلسلة من الإجراءات التي شملت تدريب الكوادر القديمة والجديدة ، والتنسيق بين الطرق التقليدية والحديثة في العمل الجزبي ، تكريس شيوعية الفعل والممارسة لا العنوان ، تحقيق الوحدة الفكرية والانضباط الحديدي بين الكادرات .

العام ١٩٤٩ حمل للفرنسيين فشلاً ذريعاً في « التقدم نحو تصفية الحكومة الشيوعية » فاضطرت الحكومة الفرنسية الى ايفاد رئيس هيئة الأركان الجنرال ريفيرز Revers على رأس بعثة عسكرية لانقاذ الوضع ، فأوصى بعد عودته باعتماد استراتيجية عسكرية جديدة تتطلب :

أولاً : اخلاء المواقع والمراكز المعزولة والبعيدة لصعوبة امدادها والحفاظ عليها .
ثانياً : بناء جيش فيتنامي محلي قوي وكبير قبل القيام بأية هجمات عسكرية كبيرة .
ثالثاً : يتولى الجيش المحلي مهمات تنظيف وتهدئة دلتا الأحمر قبل شن الهجمات العسكرية على المناطق المحررة .

لكن العام ١٩٤٩ انتهى قبل أن تنجز توصيات رئيس الاركان على الوجه المطلوب ، بسبب الصراعات بين القيادات العسكرية والمدنية الفرنسية من ناحية وبسبب إسراع القيادة الفيتنامية الى تنفيذ خطوات استباقية[١٥] .

المرحلة الثانية :

التوازن الاستراتيجي

المرحلة الثانية افتتحت بالانتصار « الشيوعي » في الصين وإقامة جمهورية الصين الشعبية التي اعترفت فوراً بحكومة هانوي ، وقد تبع الاعتراف الصيني اعتراف الاتحاد السوفييتي وبقية بلدان المعسكر الاشتراكي ـ وهذا العامل الجديد يعتبره جياب « حدثاً تاريخياً عظيماً أثر تأثيراً هاماً في حرب التحرير التي كان شعبنا يخوضها ، ولم تعد فيتنام في قبضة طوق العدو بل أصبحت متصلة جغرافياً بالمعسكر الاشتراكي »(١٦) .

الظرف الموضوعي الجديد وأن كان لم يرم بثقله على الفور إلاّ أنه سمح للقيادة الفيتنامية ان تتصرف على أساس أن ظهرها بات محمياً على امتداد الحدود مع الصين ، فشرعت في تنظيم القوى الحية من جديد :

ـ وبما أن الفلاحين هم أكبر هذه القوى فقد شرعت القيادة منذ أوائل ١٩٥٠ في تكثيف العمل السياسي بينهم ، من أجل تنظيمهم بشكل أفضل ، وتوحيد قواهم الإنتاجية ورفع مستواهم السياسي ، وحل مشاكلهم الطبقية الوثيقة الصلة بالمسألة الوطنية واستناداً الى مقررات مؤتمر الكادرات الفلاحية الذي عقد في آواخر العام ١٩٤٩ فقد أطلقت بين ملايين الفلاحين ثلاث حملات تنافسية ؛ لزيادة الانتاج ، ولمحو الأمية ولمساعدة القوات الثورية .

ـ أما الطبقة العاملة فقد بحثت مشكلاتها ومهماتها في المؤتمر العام للنقابات العمالية الذي عقد في فبراير ، والذي كانت أبرز المهمات التي أقرها تنظيم وتدريب عمال المناطق المحررة والمحتلة ، الاستفادة القصوى من امكانيات العمال في زيادة الانتاج المدني والعسكري ، وتكريس مسألة التحالف العمالي ـ الفلاحي في مسيرة الثورة . عامل موضوعي آخر ترك أثاره في المرحلة الثانية هو الحرب الكورية ، فقد انشغلت الولايات المتحدة مع ستة عشر دولة حليفة في الحرب الكورية مما أثر على الجهد العسكري الفرنسي ، وكان واضحاً أن واشنطن لم تتمكن من تلبية كافة احتياجات الفرنسيين في الهند الصينية . وبالتالي فإن الحشد العسكري البشري والتقني لن يتجاوز سقفاً محدداً طالما الحرب مستمرة . صحيح أن الصين كانت مشغولة أيضاً بتلك الحرب الاّ أن « نوعية » مساعداتها المنتظرة للقوات الفيتنامية تختلف عن تلك المساعدات الامريكية المطلوبة للقوات الفرنسية .

هذه التطورات هي التي دفعت هوشي منه للتنويه بالظرف الموضوعي المتغير ، خلال احتفالات الذكرى الخامسة لثورة اغسطس معتبراً أن الحكومة الفرنسية هي التي في مأزق عسكري وسياسي وداخلي بينما الثورة الفيتنامية تتوسع دائرة حلفائها من موسكو الى بكين الى بيونغ يانغ ، وثلاثتها قوى ناهضة .

العاملين الخارجيين السابقين ساعدا على انضاج عامل داخلي هام وهو الوضع التنظيمي ، وقد اتخذت قيادة الثورة خطوتين هامتين على طريق تصليب الوضع الذاتي التنظيمي : الأولى : عبر عقد المؤتمر الوطني العام الثاني للحزب (المحلول رسمياً) في فبراير والذي تحول من حزب شيوعي للهند الصينية الى حزب شيوعي لفيتنام وحدها باسم حزب العمال الفيتنامي ، وبالتالي أصبح ممكناً التركيز كلية على المسألة الوطنية ، وقيادة الشعب والجيش من أجل انجاز هدف المقاومة الوطنية وقد اتخذ المؤتمر سلسلة من القرارات والاجراءات في هذا الإتجاه .

الثانية : عبر عقد مؤتمر وطني عام لجبهتي لين فيت وفيت منه اسفر عن توحيدهما في جبهة وطنية واحدة باسم الجبهة الوطنية المتحدة في مارس ، على طريق تعزيز الوحدة الوطنية بين مختلف القوى السياسية والطبقات الاجتماعية والطوائف الدينية ، وتأمين مشاركتها الجادة والفعلية في حرب المقاومة الوطنية وخاصة مراحلها الأكثر حسماً .

وهاتان الخطوتان هما اللتان سمحتا لحكومة الثورة أن تنجز على وجه جيد قرار التعبئة العامة وحملة التنافس الوطني الكبرى في العام الثاني في مرحلة التوازن والتي كان شعارها « التحضير للانتقال الى مرحلة الهجوم العام المضاد » .

○ التطورات العسكرية :

القيادة الفيتنامية ركزت في العام الأولى على توسيع نشاط وحدات العصابات لتدمير مواقع العدو ومخازنه ومواصلاته ، ثم تكثيف العمل السياسي والعسكري بين الجماهير والتنسيق بينهما ثم القيام بحملة دعائية واسعة في صفوف القوات المعادية ، وخلال ذلك خولت القيادة العسكرية باستخدام وحدات عسكرية نظامية كبيرة ومتحركة في معارك واسعة مختارة .

في تلك الفترة كان القائد العسكري الفرنسي اليساندري Alessandri قد دفع بقوات اضافية للحفاظ على عدد من المدن في شمال وشمال شرق القاعدة الآمنة ، الأمر الذي شجع القيادة الفيتنامية لمنازلته في مدينة لاو كاي على الحدود الصينية حيث استخدمت في المعركة خمسة كتائب فيتنامية مزودة بمدفعية هاون ٨١ ، وتمكن الفيتناميون من تحريرها في فبراير بعد تكبيد الفرنسيين خسائر كبيرة .

من أبرز المعارك التي خاضها الفيتناميون في النصف الأول من العام كانت معركة دونغ كاي التي حرروها في ٢٥ مايو ، إلا أن القوات الفرنسية المظلية تمكنت من اعادة احتلالها في نفس الأسبوع ، وهنا لعب التفوق التقني دوراً مهماً .

يعتبر بعض المراقبين ان معارك تلك الفترة كان تدريباً عملياً لعملية الحدود الشهيرة

التي قادها جياب واستهدفت فتح الحدود الصينية ـ الفيتنامية نهائياً ، وتأمين مؤخرة القوات الفيتنامية .

حملة الحدود بدأت ـ بعد موسم الأمطار ـ في سبتمبر بإعادة الهجوم على دونغ كاي الذي استمر ثلاثة أيام قبل تحريرها في ١٨/٩/١٩٥٠ وفي الأسبوع الأول من اكتوبر سيطر الثوار على مدينة كاو بانغ التي أصبحت معزولة بعد سقوط دونغ كاي ، وفي الأسبوع الثاني دارت معارك ضارية في الجبهة الشمالية الشرقية تكبد الفرنسيون فيها خسائر كبيرة مما سهل سقوط مدينة لانغ سون في يد الثوار في ١٩ اكتوبر

من الناحية الاستراتيجية اسفرت حملة الحدود عن تحرير شمال تونكين فأصبحت القاعدة الآمنة تمتد من بحر الصين الجنوبي حتى النهر الأحمر ، وحسب المصادر الغربية فإن القوات الفرنسية تكبدت ستة آلاف قتيل وجريح وأسير من أصل عشرة آلاف جندي وفقدت كميات كبيرة من الأسلحة والآليات والذخائر[11] ، كما تركت المعركة آثارها على الجبهات الأخرى حيث تعزز وضع القوات الثورية على حساب الفرنسيين الذين لم يتمكنوا من الصمود في مدينة هوا بينه Hoa Binh فانسحبوا منها في نوفمبر فاتحين الطريق أمام اقامة قاعدة ثورية جديدة في جنوب الدلتا .

الحكومة الفرنسية التي هزتها الإنتصارات الفيتنامية قررت إحداث تغييرات في قيادتها العسكرية في الهند الصينية ، حيث اعفي الجنرال اليسندري من منصبه كقائد للقوات الفرنسية في تونكين ، واستدعى قائد القوات في الهند الصينية الجنرال كاربنتر Carpentier وكذلك المندوب السامي بينون Pignon إلى فرنسا وتقرر توحيد السلطتين السياسية والعسكرية في منصب واحد حيث عين الجنرال دي لاتر De latter في الموقع الجديد .

منذ اليوم الأول لتسلمه المنصب في ١٧/١٢/١٩٥٠ قرر الجنرال دي لاتر تنفيذ الاجراءات التالية :

أ ـ توسيع دائرة الحرب والمناطق القتالية .

ب ـ شن غارات جوية على المناطق المحررة لتدمير القوات الثورية والمشاريع الاقتصادية وخاصة شبكات الري .

ج ـ تكثيف عمليات التمشيط والتدمير في المناطق المحررة .

ولإنجاح ذلك شرع فوراً في زيادة التعزيزات العسكرية الفرنسية ، واستقدام مساعدات امريكية (أسلحة ومعدات حديثة) اعادة تنظيم وتقوية الجيش المحلي بحيث ارتفع عدده من ٩٦ ألف عام ١٩٤٩ إلى ١٢٥ ألف عام ١٩٥٠ وتشديد القبضة على العاصمة والمدن الرئيسية واستخدام الأحكام العرفية .

القيادة الفيتنامية بدورها مستفيدة من خبرات حملة الحدود الناجحة وأثرها في تطوير

القوات الثورية عدداً وتسليحاً وتجهيزاً اعتقدت أن الوقت بات مناسباً لاستخدام وحدات نظامية كبيرة في عمليات واسعة ، لهذا قررت المبادرة بشن هجمات استباقية لاحباط خطط الجنرال دي لاتر قبل حلول موسم الأمطار في العالم الجديد ١٩٥١ :

ـ الهجوم الرئيسي الأول استهدف منطقة العاصمة ودارت معاركه على جبهة طولها ١٢ ميل من فيت تري الى لوك نام . واستخدمت فيها حسب المصادر الغربية ١٨ كتيبة وجيش هائـل من المـواطنـين لعمليات الامداد والتموين وذلك بسبب ابتعاد القوات الثورية عن مراكزها الرئيسية . .

استمـر القتال من ١٣ ـ ١٧ يناير اضطرت القوات الثورية بعدها للانسحاب الى مواقعها ، فقد كانت قوة النيران التي واجهتها أحد أسباب تراجعها بالاضافة الى الخسائر التي لحقت بوحداتها في تلك المواجهة الواسعة الجديدة عليها .

ـ الهجوم الرئيسي الثاني استهدف شمال منطقة هايغونغ حيث مناجم الفحم الشهيرة ودارت معاركه انطلاقاً من دونغ سون الى دونغ تريو استمر القتال من ٢٤ مارس حتى أوائل ابريل لكن نتائجه لم تكن أفضل من السابق كثيراً بسبب تدخل الطيران بكثافة اضافة الى قوة النيران الارضية الفرنسية المتفوقة .

الفيتناميون يؤكدون من ناحيتهم أن هذا الهجوم الذي حمل اسم « هواتام » قد نجح في تدمير الخط الدفاعي الساحلي الممتد بين مدينتي دونغ تريو وأونغ بي .

ـ الهجوم الثالث كان يستهدف جنوب الدلتا حيث دارت المعارك في المنطقة الممتدة من هانام الى فولي الى نينه بنه إلى فات دييم واستمرت أكثر من عشرة أيام ، وقد تميزت هذه الحملة التي حملت اسم « كوانغ ترونغ » عن سابقيتها بان قواتها لم تحضر من القاعدة الآمنة الرئيسية ، بل تشكلت من الفرقة ٣٢٠ التي جرى انشاؤها وتطويرها وتسليحها في خارج القاعدة الآمنة ، وساعدتها وحدات من الفرقتين ٣٠٤ ، ٣٠٨ أرسلت من فيت باك .

المصادر الغربية العسكرية عزت عدم تمكن القوات الفيتنامية من الإحتفاظ بالمناطق التي سيطرت عليها خلال الهجوم الثالث الى استخدام الفرنسيين للنابالم ولتدخل البحرية وقـوة النيران المتفوقة بالإضافة إلى عدم تعاون السكان في المقاطعات المسيحية مع القوات الثورية مما اضطرها للانسحاب الى قواعدها[١٨] .

على الجانب الآخر كان الجنرال دي لاتر منهمكاً في انجاز خط دفاعي حول دلتا النهر الأحمر يشمل سلسلة من التحصينات الأسمنتية القوية (حملت اسم الجنرال نفسه) بحيث تساعد في صد هجمات القوات الثورية من ناحية وتسمح للفرنسيين باعداد فرق عسكرية ضاربـة جديدة ، وقـد سافـر الجنرال الى واشنطن في سبتمبر يطلب المزيد من الطائرات والـدبابات والأسلحة الثقيلة لتسليح تلك الفرق إلّا أن الحرب الكورية اجهضت معظم

احلامه التسليحية .

آخر انجازات الجنرال قبل أن يتوفى بالسرطان كانت اعادة السيطرة على منطقة هوا بنيه بعد معركة كبيرة انتهزت في ١٤/١١/١٩٥١ الاّ إن القيادة الفيتنامية قررت العمل على تحريرها من جديد ونظمت الحملة الشهيرة التي تحمل اسمها والتي استغرقت ثلاثة شهور واشتملت على مرحلتين .

المرحلة الاولى : احكام الحصار على المنطقة بوحدات نظامية كافية لمنع وصول أية نجدات فاعلة إليها .

المرحلة الثانية : استخدام فرقتين نظاميتين لاقتحامها اضافة الى القوات الاقليمية والمحلية . وحسب البيانات الفيتنامية فإن القوات المعادية تكبدت أكثر من ٢١ ألف جندي وضباط بين قتيل وجريح وأسير ومفقود في معارك هوابينه التي أدت بدورها إلى تحرير حوالي مليوني مواطن من السيطرة الإستعمارية[١٩] .

وهكذا لم يتمكن القائد الجديد للقوات الفرنسية الجنرال سالان Salan من المحافظة على النصر الذي حققه سلفه الجنرال دي لاتر أكثر من بضعة أسابيع !

في النصف الأول من عام ١٩٥٢ حاول الفرنسيون ـ من جديد ـ تنظيف دلتا النهر الأحمر والرد على حملة هوا بينه بثلاثة عمليات رئيسية ، الجنرال سالان Salan أعد الخطة العسكرية وحصل على موافقة المفوض السامي الجديد (الوزير السابق ليثورنو) وعلى الامكانيات اللازمة :

العملية الأولى: اطلق عليها امغيبي واستهدفت منطقة نها نام بين هانوي وثاي نجوين في مارس .

العملية الثانية : ميركوري استهدفت ثاي بنه جنوب خليج تونكين في ابريل .

العملية الثالثة : بولو توركو في ابريل واستهدفت باك نينه شمال هانوي . . .

وقد لعبت المساعدات العسكرية والمالية الامريكية دوراً هاماً في انجاز تلك العمليات العسكرية وكذلك في اعداد القوات الرجعية ، وفي نطاق الاجراءات الفيتنامية لاجهاض المكاسب الفرنسية عقدت القيادة مؤتمراً خاصاً بكادرات حرب العصابات في يوليه للتغلب على سلبيات ونواقص المرحلة السابقة واتخاذ القرارات اللازمة لتصعيد الحرب العصابية خلف خطوط العدو .

أما في النصف الثاني من العام فقد نقلت القيادة الفيتنامية ضرباتها العسكرية الرئيسية الى منطقة الشمال الغربي ، وقامت وحداتها النظامية بانجاز حملة تاي باك Tay Bac الكبرى التي استغرقت شهري اكتوبر ونوفمبر وأسفرت عن تحرير ٢٨ ألف كم مربع من الأرض يسكنها ربع مليون مواطن من قومية تاي . . فكيف تم ذلك ؟

قامت ثلاث فرق فيتنامية بالتجمع شرقي النهر الأحمر بين فوتو وين باي فاعتقد الفرنسيون ان هدفها منطقة الدلتا ، لكنها تحركت غرباً وشمالاً بين النهر الأحمر والأسود ، في تلك المنطقة تتركز المواقع الفرنسية في لاي تشاو . . شمالاً وسون لا وناسام وسطاً ونجهيا لو وموك تشاو جنوباً . . وبين هذه المناطق توجد مواقع صغيرة عديدة يشغلها الجنود المحليون بقيادة ضباط فرنسيون . القوات الفيتنامية هاجمت أولاً نجهيا لو ليلة ١٧ اكتوبر وتمكنت من تحريرها مما دفع الفرنسيون الى اخلاء مواقعهم غرب النهر الأحمر واتجهوا نحو النهر الأسود تحت تغطية القوات الجوية إلاّ أن وحداتهم طوردت وتعرضت لخسائر فادحة . القيادة الفرنسية قامت بعد ذلك بتعزيز مواقعها في ناسام وسون لا بهدف قطع الطريق على القوات الفيتنامية المتوجهة غرباً وشمالاً .

في نفس الوقت كان الجنرال سالان قد قرر شن هجوم كبير على قاعدة فيت باك الرئيسية لاجبار قيادتها الرئيسية ، على سحب قواتها المتقدمة في وادي النهر الأسود (الشمال الغربي) للدفاع عن قاعدتها الرئيسية ، عملية سالان اطلق عليها لورين وانطلقت في ٢٩ اكتوبر من ترونغ ها وفيت تري شمال خط تحصينات دي لاتر ، فوصلت القوات الفرنسية الى فوثو في ٥ نوفمبر ، وبعد أربعة أيام أنزلت قوات فرنسية الى فو دوان شمالاً ، كما وصلتها قوات مدرعة على أمل التقدم منها نحو توين كوانغ بمحاذاة النهر الصافي Clear والتقدم بقوات اخرى على نهر Clay غرباً لقطع الطريق على القوات الفيتنامية المتوقع تراجعها للدفاع عن فيت باك ، وقد تشجع الفرنسيون بتراجع القوات الفيتنامية عن فو دوان وتركهم الأسلحة والمعدات والخسائر ، فتقدموا شمالاً مع نهر كلاي ـ Clay حتى مدينة فويين .

لكن الأرتال الفرنسية وقفت عاجزة عن اختراق قاعدة فيت باك وتورطت مرة ثانية في معركة بعيدة عن قواعدها في الدلتا (مائة كيلو تقريباً) كما أن امداداتها برياً وبحرياً لم تكن مأمونة تماماً ، والنقل الجوي لايستطيع تأمين كل احتياجات الثلاثين ألف جندي المتقدمين بأسلحة وتجهيزات حديثة فكانت مشكلة الامداد والتموين احدى المسائل الصعبة أمام القيادة الفرنسية ، من ناحية أخرى فإن القيادة الفيتنامية لم تقم بسحب قواتها النظامية نحو فيت باك وكلفت القوات الاقليمية والمحلية بالدفاع عن المنطقة وبالصمود على امتداد خط المواجهة من الدلتا حتى فو دوان ، أما الفرق النظامية فقد عبرت النهر الأسود غرباً وتركت سريتين نظاميتين لمساندة القوات الاقليمية .

القيادة الفيتنامية انتهزت بدورها اندفاع الوحدات الفرنسية من الدلتا نحو الشمال فاوعزت الى الفرقة ٣٢٠ الموجودة في ثانه هوا جنوباً بالتحرك شمالاً لمهاجمة الدلتا الأمر الذي وضع القيادة الفرنسية في مأزق كبير ، مكاسب محدودة في الشمال ومؤخرة مهددة في الجنوب

فأضطرت الى الإنسحاب حبواً اعتباراً من ١٤ نوفمبر ، وخلال أسبوع من التراجع تكبدت القـوات الفـرنسية خسائر حسيمة للغاية وخاصة في الوداي الضيق المسمى تشان مونغ ، وانتهت عملية لورين بمقتـل وإصابـة حوالي ١٢٠٠ جندي وسقوط المواقع الفرنسية في بالاي ، موك تشاو في وادي النهر الأسود دون أن تشترك الوحدات النظامية الفيتنامية في المعارك .

في الجبهة الشمالية الغربية استمرت القوات الفيتنامية في التقدم فاحتلت الفرقة ٣١٢ بلدة ديان بيان فو في نوفمبر ١٩٥٢ ، كما حاصرت المواقع الفرنسية في ناسام وسون لا بعد أن فشلت في ٣٠ نوفمبر في السيطرة عليها تم بدأت اعتباراً من ديسمبر عملية إعادة تدريب وتنظيم الفرق العسكرية الثلاثة المرابطة في شمال غرب البلاد ، مع الإهتمام الخاص بتأمين الإمداد والتموين الكافي واتخذ من موك تشاو قاعدة رئيسية[٢١] وبحملة تاي فيت اصبحت حدود القاعدة الآمنة في شمال فيتنام تمتد من المحيط الهادي (في الشمال الشرقي) امتداداً مع الحدود الصينية حتى الحدود اللاوسية (في الشمال الغربي) ومع نهاية المرحلة الثانية من حرب المقاومة الشعبية أصبح لدى الثورة الفيتنامية خمس مناطق محررة في البلاد :

- فيت باك في الشمال الشرقي .
- تاي باك في الشمال الغربي .
- المنطقة الرابعة في وسط البلاد .
- المنطقة الخامسة في جنوب الوسط .
- المنطقة الجنوبية لدلتا الميكونغ .

وأصبحت السيطرة الفرنسية الفعلية لاتتجاوز تلث الأراضي الفيتنامية بينما القوات الفرنسية والأجنبية والمحلية فقدت العديد من وحداتها النظامية المتحركة ، وخرج من القتال عشرات الآلاف من جنودها وقد عزت القيادة العسكرية الفرنسية هزائمها لعام ١٩٥٢ الى تدفق الاسلحة والمعدات الصينية التي وصلت للفيتناميين[٢١] .

وفي المقابل فإن القوات الثورية كانت قادرة على تعويض خسائرها البشرية والمادية وتطورت وحداتها النظامية عدداً وعدة وخبرة ، واذا استندنا الى المصادر الفرنسية فإن عدد القوات النظامية الفيتنامية كان يتراوح بين ١١٠ ـ ١٢٥ ألف (موزعة على ستة فرق وستة ألوية وعدة كتائب مستقلة) بينما القوات الاقليمية تتراوح بين ٦٠ ـ ٧٥ ألف ، والقوات المحلية يتراوح عددها بين ٢٠٠ ـ ٣٥٠ الف عضو (منهم حوالي مائة ألف مسلح)[٢٢] .

المرحلة الثالثة :

من الهجوم المضاد الى الهجوم الشامل

المرحلة الثالثة من حرب التحرير الشعبية بدأت مع الإنجاز التام والدقيق لمرحلة الاستعداد والتحضير التي استمرت طويلاً ، والتي تعززت خلالها السلطة الثورية والقدرة العسكرية بشكل لم يسبق له مثيل :

- على المستوى الحزبي تواصلت عميات تعزيز القيادة الحزبية في القوات والحكومة والجبهة ، وجرى الاهتمام بالتثقيف الايديولوجي ورفع الوعي الطبقي للقوات المسلحة ، وكذلك بتوسيع منظمات الجبهة الوطنية ودائرة نشاطها .

- على المستوى الحكومي حرب الاهتمام بتعزيز السلطة الديمقراطية الشعبية وخاصة في القرى والمناطق المحررة ، واقرت الجمعية الوطنية في دورتها الثالثة في ديسمبر ١٩٥٣ اعتماد الإصلاح الزراعي باعتباره مهمة مركزية مركزية ملحة إلى جانب مهمة المقاومة الوطنية .

- في المجال السياسي طورت العلاقات مع ثوار لاوس وكمبوديا لخدمة التحالف بين الشعوب الثلاثة في مواجهة العدو المشتركة ، ودخلت العلاقات مع البلدان الاشتراكية مرحلة جديدة قوامها التزام الدول الاشتراكية بدعم فيتنام والتزام حكومة هوشي منه بالخط السياسي للمعسكر الاشتراكي .

- في المجال الدبلوماسي حققت القضية الفيتنامية مكاسب أولية في الساحة الدولية ، وتلقت مساندة وتأييد الحركات العمالية والتقدمية العالمية ، واتسعت دائرة التعاطف مع الفيتناميين داخل فرنسا نفسها وتعاظمت القوى الفرنسية المعارضة للحرب والمطالبة بالإنسحاب .

- في المجال الاجتماعي توفرت شروط جديدة لتصليب القاعدة الآمنة ، عبر الإنجازات التعليمية الواسعة التي استفادت منها معظم القطاعات الشعبية ، والتوسع في التعليم المهني وفي الخدمات الصحية ، وتطوير النشاطات الثقافية .

إضافة إلى ماتقدم فإن تطورين هامين كان لهما أثراً بالغاً على إنجازات المرحلة الثالثة :

- أولهما داخلي هو إنجاز الإصلاح الزراعي الذي ترددت القيادة سابقاً في تطبيقه كاملاً ، وبهذه الخطوة أمكن تحرير ملايين الفلاحين في الأرياف واطلاق العنان لمشاركتهم في المقاومة الوطنية من ناحية وأمكن زيادة الانتاج الوطني وتطويره من ناحية ثانية ، وقد ترك هذا المشروع أثاره الايجابية على القوات الثورية التي تتشكل في معظمها من قوى فلاحية وعلى امكانيات القاعدة الخلفية التي يعتبر الانتاج الزراعي والحيواني أساساً لبقية فروع انتاجها .

ـ ثانيهما خارجي هو انتهاء الحرب الكورية بخروج الامبريالية الامريكية وحلفائها دون النصر الموعود بل بخسارة بشرية ومادية ومالية فادحة اعتبرت كارثية ، وتعزيز السلطة الثورية في كوريا الشمالية ، الأمر الذي ترك أثاره المعنوية على المواطنين والمقاتلين الفيتناميين وفتح الباب واسعاً أمام المساعدات الصينية والاشتراكية لفيتنام .

صحيح أن توقف الحرب الكورية قد سمح للأمريكيين بالاهتمام أكثر بالجبهة في الهند الصينية[٣٣] إلا أن المساعدات الامريكية كانت محكومة بعقدة كوريا داخل الادارة من جانب ، وبالتناقض بين المصالح الفرنسية والامريكية في المنطقة من جانب آخر ، مما جعل السلاح الصيني لدى المقاتل الفيتنامي يعطي مفعولاً مضاعفاً لما للسلاح الأمريكي لدى الجندي الفرنسي وهنا كان للعامل المعنوي والسياسي قيمته غير المشكوك فيها .

الفصل الثالث :

الانتصار العسكري والتسوية السياسية

أولاً : التطورات العسكرية

ـ في نهاية العام ١٩٥٢ ، كانت القوات الثورية قد بدأت انتقالها التدريجي من مرحلة التوازن ، أو شد الحبل مع القوى العسكرية المقابلة ، الى مرحلة المبادرة النشطة والحركة المستمرة ضد فعاليات العدو في الساحات الرئيسية ، وبذلك تطور شكل القتال والمواجهة من هجمات مضادة محلية كما حدث في الجبهة الشمالية الى اشتراك قوات نظامية كبيرة في عمليات عسكرية هجومية أكبر ، وفي جبهات عديدة خارج الجبهة الرئيسية .

ـ وهكذا كانت احدى السمات العسكرية لهذه المرحلة بخصوص الجبهات القتالية ، امتداد الهجمات العسكرية الكبيرة الى خارج الجبهة الشمالية باتجاه الجنوب الى المنطقة الخامسة ، ثم باتجاه مناطق الهند الصينية الأخرى إلى لاوس . . السمة الثانية بخصوص الأهداف القتالية حيث تم توجيه الضربات العسكرية المباشرة الى المراكز والمعاقل الفرنسية المحصنة الرئيسية ، بدلاً من العمل العسكري ضد أهداف تقع بين المواقع القوية للاستفراد بها . . ، أما السمة الثالثة بخصوص العمليات القتالية حيث تطور شكل العمليات من حرب متحركة بقوات محلية ثم اشتراك قوات نظامية محدودة الى حرب متحركة بقوات نظامية كبيرة تشترك في معارك حصار محدودة الى حرب متحركة كبيرة تتحول الى حرب حصار واسع ، وقتال مواقع واسعة النطاق . . . كل ذلك مع الإحتفاظ بحرب العصابات النشطة في مؤخرات العدو وخاصة في بنه ـ تري تين والجنوب .

وهذا التطور في ساحات وأشكال وأهداف العمليات العسكرية سمح للقيادة

الفيتنـامية أن تقـرر في النهاية خوض معارك فاصلة كما حدث في ديان بيان فو ، ويمكن ملاحظة هذا التطور من خلال الاتجاهات التالية :

ـ اللجنة المركزية للحزب قررت في اجتماعها في أوائل ١٩٥٣ أن المهمة الرئيسية تتمثل في تدمير فعاليات العدو ، وأرست الخط العسكري التالي : إجبار العدو على حشد قواته في مناطق محددة لمواجهة قوات الثورة ، فنجرها الى خارج جبهات القتال . . وبالنسبة للجبهة الشمالية الاستمرار في تصعيد حرب العصابات في مؤخرة العدو ، مثل شن هجمات صغيرة بقوات نظامية في مناطق محدودة ، وفي مناطق اخرى تشن هجمات كبيرة بقوات كبيره فنخلق ظروفاً ملائمة للوصل الى المرحلة الاخيرة بتعزيز الدلتا .

ـ اللجنة المركزية وضعت أيضاً مبادىء أساسية للحرب الوطنية في تلك المرحلة كالتالي :

● نخوض معركة مقاومة طويلة بوسائلنا الذاتية ، لذا يجب إلَّا نبتعد عن الموضوعية ، ويجب ألَّا نقلل من قدرة العدو .

● يجب أن نضرب بتأكد . . وأن نتقدم بثقة ، أن نضرب لكي نكسب ، نضرب فقط إذا كنا متأكدين من أن النجاح مضمون ، وإلا فلا داعي للضربة . . القتال المنتصر هو المسموح به فقط .

القيادة الفيتنامية قررت توجيه ضربة عسكرية للعدو في لاوس العليا في ابريل ، حيث تحركت الفرقة ٣٠٨ يوم التاسع منه من قواعدها باتجاه غرب لاوس وكلفت احدى سراياها بالتعـامـل مع القـوات الفـرنسية في ناسام ، واستمرت بقية الفرقة جنوباً باتجاه العاصمة الإدارية فانتيان ، احتلت موقـع سينـغ خوانـغ ، الـذي انسحب منه الفرنسيون لتعزيز مواقعهم في غرب سهل الجرار وقد عززوها بخمس كتائب اضافية من الدلتا . . أما الفرقة ٣١٢ الموجودة في منطقة ديان بيان فو فتحركت مع وادي نهر نام أو باتجاه العاصمة الملكية لونغ بارابانغ وحاولت احتلال مونغ خوا إلَّا أن الفرنسيين عززوه جواً ، فتجاوزته القوات الفيتنـامية التي أكملت اقترابها من العاصمة في ٣٠ ابريل . . الفرقة ٣١٦ بدورها تركت قاعـدتهـا في موك تشاو وتحركت جنوباً باتجاه سام نيوا ، وعندما اكتشف الفرنسيون حركة القـوات الفيتنـامية حاولوا استباق الفيتناميين وتعزيز المواقع الامامية إلَّا أنهم لم يتمكنوا، فتكبدوا خسائر فادحة في سام نيوا في ١٣ ابريل وتقدمت الفرقة باتجاه العاصمة الملكية بعد ذلك أمرت القيادة الفيتنامية الفرقتين ٣٠٨ ، ٣١٦ بالتوجه الى سهل الجرار وهناك خاضت قتالاً عنيفاً ضد القوات المعادية اسفر عن هزيمتها واستسلامها في ٢٣ إبريل .

حركة القوات الفيتنامية في الاراضي اللاوسية كانت بالتعاون مع قوات الثورة اللاوسية ـ الباتيت لاو ـ بقيادة الأمير سوفانو فونغ ، وعندما أمرت الفرق الفيتنامية بالعودة الى شمال

فيتنام تركت بعض الوحدات الصغيرة الى جوار القوات اللاوسية كما زودتها بعدد من المستشارين العسكريين السياسيين للمساهمة في عملية تطويرها.

أما في الساحة الفيتنامية فقد شنت الوحدات المنطلقة من تانه هوا سلسلة من الهجمات ضد المواقع الفرنسية القوية في محافظة فات دييم المسيحية في الدلتا وألحقت بها خسائر عديدة، كذلك شكلت القيادة الفيتنامية في المنطقة الوسطى سريتين نظاميتين جديدتين في المنطقة الخامسة فاصبحت قادرة على تهديد طرق المواصلات بين شمال الوسط وجنوبه وفي تلك الجبهة كانت القيادة الفرنسية تركز جهودها على الدفاع عن مدينتي كونتوم وبليكو، وواصلت دفع قواتها الى منطقة الدلتا في محاولة لتنظيفها من الوحدات الفيتنامية.

بينما كان هدف القيادة العسكرية الفيتنامية آنذاك يتلخص في منع القيادة الفرنسية من تجميع وبناء قوات هجومية كبيرة، وتمرين الفرق الفيتنامية على العمل بقوات كبيرة ثم اختبار امكانيات الامداد والتمدين لمسافات طويلة.

الموقف العسكري في الجبهة المعادية شهد أيضاً مجموعة تطورات على الشكل التالي:

بالنسبة الى حجم القوات الاجنبية تمكنت القيادة الفرنسية من اعداد جيش نظامي يصل تعداده الى ٢٥٠ ألف، توزع على عدة فرق مشاة ٢٦ كتيبة مدفعية، ٥٢٨ طائرة، ٣٩٠ قطعة بحرية.. بينما ضمت القوات المحلية حوالي ٣٢٠ ألف جندي موزعين على ٨٦ كتيبة مشاة وعدد من الوحدات المتخصصة والفنية.. كذلك ارتفعت نسبة الدعم العسكري الامريكي من معدل ٦ الف طن شهرياً في عام ١٩٥١ الى ٢٥ ألف طن شهرياً لعام ١٩٥٣ قفزت الى ٨٨ ألف طن عام ١٩٥٤ ، والمدفوعات الامريكية من اجمالي نفقات الفرنسيين العسكرية ارتفعت من نسبة ٤٠٪ عام ١٩٥٢ الى ٦٠٪ عام ١٩٥٣ على أن تصل ٨٠٪ في عام ١٩٥٤ ... كما قام الطيران الامريكي بمساهمات كبيرة في تنظيم حركة الامدادات (تأمين) من فرنسا واليابان والفلبين، ورابطت حاملتان للطائرات الامريكية من الأسطول السابع في خليج تونكين وشارك ٢٥٠ طيار امريكي في المجهود الحربي الفرنسي.. وقد تتوج الجهد الامريكي ـ الفرنسي المشترك في ادارة الحرب بالاتفاق على ارسال الجنرال نافار الذي تعتبره فرنسا اشهر قادتها العسكريين ليقود المعركة في الهند الصينية.

● خطة نافار العسكرية:

بعد وصوله الى الهند الصينية في ٢٠ مايو ١٩٥٣ كان تحت تصرف نافار حوالي ٤٥٠ ألف جندي بينهم ١٢٠ ألف أوروبي وافريقي والباقي قوات محلية، وهذا الرقم يعتبر عالياً بالنسبة لعدد القوات المسلحة الثورية.. لكن التوسع في الوجود العسكري الفرنسي استتبع بالتالي نشر هذه القوات على مناطق واسعة لتتمكن من الدفاع عن المواقع والمراكز المنتشرة

وهذا الإنتشار اضعف بالتالي قدرة القوات في مواجهة هجمات قوات الثورة . . في ظل هذا الوضع قام نافار بدراسة الموقف العسكري على الطبيعة ووضع خطة عسكرية عامة لانقاذ الموقف بالتنسيق مع القيادة العسكرية الامريكية ، أرسل خطته إلى القيادة في باريس حيث جرى الموافقة عليها .

الفكرة الاساسية عند نافار كانت ، أنه لكي تحافظ فرنسا على امتيازاتها في الهند الصينية فلابد من وجود دول مستقلة تابعة لفرنسا هناك ! ولكي يتحقق ذلك لابد من هزيمة قوات الثورة العائقة ، ولكي تتحقق تلك الهزيمة لابد من توفر عاملين لاحراز النصر . قوات محلية كبيرة ، مسلحة ، مدربة ، منظمة . . جيداً وقوات مركزية متحركة ضاربة . . فرنسية . . مع اعتماد « المبادأة . . . والهجوم دائماً » شعاراً للعمليات القتالية .

الأهداف العسكرية لخطته كما حددها نافار تتخلص في :

أولاً : ضرب القوات الفيتنامية النظامية الرئيسية التي توجد في الدلتا الشمالية وهي أغنى منطقة سكاناً وامكانيات وتسهيلات وطرق مواصلات لصالح الفيتناميين المقاتلين .

ثانياً : ضرب القوات الفيتنامية النظامية في شمال غرب فيتنام ولاوس العليا . وهي منطقة جبلية ، تشطر القوات المعادية الفرنسية ، وتصعب فيها الإمدادات ، والظروف المناخية غير مواتية للفرنسين

ثالثاً : محاصرة القوات الفيتنامية في منطقة الجبال الغربية ـ الوسطى ـ ومنع تمددها إلى الجنوب . .

والمحصلة تكون إبادة القوات الفيتنامية النظامية الرئيسية وسهولة سحق المنطقة المحررة الرئيسية فيت باك في النهاية . ومن هنا قرر نافار في البداية اتباع التكتيك التالي ؛

المحافظة على موقف دفاعي في شمال فيتنام ، والقيام بعمليات تدمير ومطاردة لقواعد وقوات العصابات في الجنوب . . وهذا التكتيك كان يمهد لخطة عسكرية ثلاثية المراحل ؛

في المرحلة الأولى تتحرك قوات فرنسية رئيسية ضاربة لمهاجمة القوات الفيتنامية الرئيسية في دلتا النهر الأحمر ، وتقوم قوات فرنسية أخرى باحتلال ديان بيان فو لتحويل المنطقة الشمالية الغربية الى قاعدة انطلاق قوية .

في المرحلة الثانية تندفع القوات الفرنسية المتحركة الى الجنوب مستفيدة من فصل الشتاء بعد أن تكون القوات الفيتنامية الرئيسية قد انهكت ويتم احتلال المنطقة المحررة الخامسة[٢٤] وقواعد العصابات في الجنوب .

في المرحلة الثالثة ، بعد تهدئة المنطقة الجنوبية . تعود القوات الفرنسية الضاربة الى الشمال لضرب مؤخرات القوات الفيتنامية ، ثم تتحرك القوات الموجودة في الدلتا الشمالية

والقوات الموجودة في الشمال الغربي باتجاه القاعدة الرئيسية الشمالية فيت باك ، لتسحق آخر القوات الرئيسية للثورة وتسيطر على الموقف نهائياً .

بعد اقرار الخطة العسكرية قام نافار بانجاز المرحلة التمهيدية لعملياته وشملت :

ـ اعـادة تنظيم القوات الأجنبية (الفرنسية وغيرها) وتحويلها الى قوات استراتيجية متحركة تضم ٧ فرق متحركة احداها مظلية والباقية مشاة وموزعة على ٢٧ لواء ، كما قام بانتقاء وحدات أوروبية وافريقية وسحبها الى الخلف لاعادة صياغتها ثم طلب من باريس امداده بفرقتين جديدتين فوصلت منها ١٢ كتيبة من فرنسا وكوريا وافريقيا .

ـ أجريت عملية تطوير وإعادة تدريب للقوات المحلية في الجيش الفرنسي لكي تتمكن من القيام بمهمات القوات الاجنبية التي سحبت من الجبهة وضوعف عدد قوات الجيش المحلي باضافة ٥٤ كتيبة عام ١٩٥٣[٢٠] بحيث يرتفع عددها الى ٢٩٠ ألف جندي بالاضافة الى الوحدات المحلية العاملة في الجيش الفرنسي . . وفي هذا النطاق شنت حملة تجنيد بين الشباب والرجال في الجنوب استخدمت فيها مختلف أساليب القمع والارهاب واسفرت عن تجميع ٩٥ الف مواطن وزعوا على ١٠٧ كتائب حتى نهاية الحملة (مارس ١٩٥٤)

خطة نافار كان مقرراً لها أن تستغرق ١٨ شهراً لانجاز أهدافها . . وقد بدأ تنفيذ المرحلة الأولى منها بشن سلسلة هجمات قوية على المناطق المحررة في دلتا النهر الأحمر . لارباك القوات الفيتنامية النظامية هناك ووضعها في حالة دفاع مستمر واشترك في هذه الهجمات ٤٤ كتيبة متحركة ، قامت بهجمات كاسحة ضد مناطق نينه بنه ، نهو كوان ، تانه هوا ، كما انزلت قوات مظلية في لانغ سون تقدر بثلاث كتائب في ١٧ يوليه كان هدفها تدمير المخازن الاحتيا طية للقوات الفيتنامية وبعد عودتها الى الدلتا أوكلت الى القوات المحلية مهمة المتابعة على الأرض حيث انتشرت في مناطق لاوكاي ، لاي تشاو ، سون لا . . وأطلق على عملية لانغ سون ، هيروندي

في أغسطس قام الفرنسيون بتنفيذ عملية تارينتس ضد محافظة نام دنه ، ومنطقة تاي بنه ، التي اسفرت عن تدمير مناطق واسعة وشن حملة ارهابية كبيرة ضد المواطنين في المنطقة بحثاً عن الثوار .

كما قام الفرنسيون في ٢٨ يوليه بعملية كمارج لتأمين الطريق رقم ١ التي يربط هوي مع كوانغ تري شمالاً وتنظيفه من الوحدات الاقليمية الفيتنامية والتي انتهت في ٤ أغسطس بعـد أن انسحبت القـوات الفيتنـامية من المنطقـة وعادت اليها بعد انسحاب الفرنسيين مباشرة . . وفي ٨ أغسطس قام الفرنسيون بعملية عسكرية لاخلاء وانقاذ قواتهم المحاصرة في نا سام في الجبهة الشمالية الغربية حيث لم يتبق لهم سوى موقع لاي تشاو .

في سبتمبر نفذت عملية بروشيت التي استهدفت محافظتي تاي نجوين وهونغ يين . .

كما شن الفرنسيون عملية كبيرة ضد الوحدات الفيتنامية الاقليمية في شمال الدلتا بدأت في ٢٢ سبتمبر باشتراك ٢٠ كتيبة وعادت الى قواعدها بعد شهر تقريباً تحاشت خلاله القوات الفيتنامية الاشتباكات الكبيرة معها ، ثم عاد الفيتناميون وانتشروا في المنطقة ، كما نفذ الفرنسيون عملية مشابهة في قرى محافظة تاي بينه باسم عملية جيرفوت وأسفرت عن نفس النتائج .

من العمليات الهامة في الحملة الفرنسية آنذاك كانت عملية موبيه التي استهدفت اخراج الفرقة الفيتنامية ٣٢٠ من جنوب الدلتا واحتلال موقع فاي لاي على نهر داي وابادة القوات الفيتنامية التي عبرته الى الدلتا ، بدأت العملية في ١٤ اكتوبر وحشدت قوات كبيرة مجهزة جيداً على أمل أن تقوم القيادة الفيتنامية بإرسال تعزيزات اضافية لنجدة الفرقة المذكورة وهناك يجري استدراج هذه القوات وابادتها ، الاّ أن القيادة الفيتنامية اكتفت بالقوات الاقليمية والوحدات المحلية الموجودة في المنطقة بالاضافة الى الفرقة ٣٢٠ . . العملية انتهت في ٧ نوفمبر واعلن الفرنسيون عن انتصارهم فيها وتدمير الفرقة الفيتنامية ، إلاّ أن القيادة الفيتنامية كذبت البلاغ الفرنسي وأكدت أن الفرقة قد جرى اعادة تنظيمها بعد المعركة استعداداً لمعركة ومهام جديدة .

القيادة الفرنسية بعد عملية موبيه اعتبرت ان المرحلة الاولى من خطة نافار قد نفذت بنجاح ، وان الحصيلة كانت تهدئة المناطق الخلفية الجنوبية ، وتهديد المناطق المحررة بقوات ضاربة جرى تنظيمها وجيش محلي كبير جرى حشده وهجمات وانسحابات مخطط لها نفذت وشارك سلاح الجو باغارات كثيفة ومتواصلة على المناطق الفيتنامية التي نالت منها مناطق نينه ـ بنه ، فوتو والرابعة والخامسة نصيب الأسد ، أثناء العمليات البرية ، لم تكن القيادة الفرنسية قد التقطت أنفاسها حتى وصلتها أخبار حول تحرك قوات نظامية فيتنامية نحو المنطقة الشمالية الغربية ، لكنها لم تكن تعرف حقيقة نوايا هذه القوات ، هل الشمال الغربي ، أم الدلتا . . أن سقوط لاي تشاو في الجبهة الشمالية الغربية سيعني فتح الطريق إلى لاوس العليا . . . ومن هنا وكإجراء احترازي قرر نافار تنفيذ عملية استثنائية لتعزيز لاي تشاو باحتلال ديان بيان فو المجاورة ، وأطلق عليها عملية كاستور .

قام الفرنسيون بإنزال ست كتائب متحركة في وادي مونغ تانه عن طريق الجو ، ومن هناك تقدمت القوات الفرنسية نحو ديان بيان فو واحتلتها من القوات الفيتنامية في ٢٠ نوفمبر . . يقول جياب أن هدف العملية الأول كان تعزيز موقف العدو في تلك الجبهة وتأمين اتصال مع لاي تشاو ثم القيام باحتلال ثوان جياو ، سون لا ، ناسام في المرحلة التالية وبذلك يتسع مجال عمليات العدو في المنطقة الشمالية الغربية ليشمل حماية لاوس العليا .

بعد احتلاله ديان بيان فو علم نافار ان القوات الفيتنامية النظامية قد اتجهت فعلاً نحو

الشمال الغربي فقرر الاستعداد لاستقبالها ، وقام بتحويل المنطقة التي يحتلها الى شبكة تحصينات منيعة مع قوة نيران وفيرة بهدف تدمير أية قوات فيتنامية مندفعة لتحريرها .

القيادة الفيتنامية بدورها درست الموقف العسكري ورأت انه اذا استمرت الوحدات النظامية في التقدم في تلك الجبهة بهدف مهاجمة القاطع الذي يحتله الفرنسيون فإنها تكون قد استدرجت الى معركة مكشوفة يجري خلالها استنزافها وانهاكها، بينها يقوم العدو باعادة تنظيم وتقوية قواته الأساسية استعداداً للمرحلة التالية من خطته وهي شن هجوم استراتيجي في الجهة الجنوبية من المناطق المحررة .

المرحلة الثانية من خطة نافار بدأت بعملية اطلنطه في ٢٠ يناير ١٩٥٤ ضد قوات الثورة في المنطقة الخامسة التي تشمل محافظات فويين ، بنه دنه ، كوانغ نجاي ، كوانغ نام ، وقد استخدمت فيها ١٥ كتيبة[٣٦] لكن القيادة الفيتنامية كانت أسرع في تحركها ، فسحبت قواتها النظامية باتجاه كونتوم عبر المرتفعات الغربية وقامت بتدمير تحصينات خط مانديل المنيعة في يومي ٢٦ ، ٢٧ يناير ، واحتلت موقع داكتو . وشمال مقاطعة كونتوم . . . في ٥ فبراير تمكنت القوات الفيتنامية من تحرير مدينة كونتوم . وطرد العدو من شمال المرتفعات الغربية . وتقدمت الى الطريق رقم ١٩ ثم حاصرت مدينة بليكو فاضطرت القيادة الفرنسية الى تعليق عملية اطلنطه ضد المنطقة الخامسة وسحب جزء من قواتها في لاوس الوسطى ومنطقة بين ـ تري ـ تين لتعزيز قواتها في بليكو وجنوب المرتفعات الغربية . . وبذلك لم تعد عملية اطلنطة تهدد مؤخرة القوات الفيتنامية بل على العكس بتحرير كانتوم ومحاصرة بليكو توسعت المناطق المحررة في المنطقة الخامسة حتى حدود كمبوديا ولاوس السفلى (بعد تحرير لاوس العليا كما سنرى لاحقاً) . . .

اعتباراً من شهر مارس كانت القيادة الفرنسية قد نشرت قواتها المتحركة الرئيسية في الدلتا الشمالية على عدة جبهات، وفي نفس الوقت واصلت الوحدات الفيتنامية شن هجماتها على المواقع الفرنسية في المرتفعات الغربية وسجلت عدة انجازات أبرزها تدمير الفوج رقم ١٠٠ القادم من كوريا ، والاستيلاء على كميات كبيرة من السيارات والأسلحة والذخيرة .

● خطة جياب المضادة :

القوات والتجهيزات التي أعدتها القيادة الفرنسية على مسرح العمليات كانت غير عادية والقوات التي دفعت الى مناطق الدلتا الشمالية كانت هائلة العدد ، متحركة ، مجهزة . . فكيف تصرف الفيتناميون ؟؟

يقول جياب ان خياران كانا أمام القيادة الفيتنامية ، أما الاحتفاظ بالقوات النظامية الرئيسية داخل المنطقة المحررة ووضع خطة دفاعية لهذه القوات بالتنسيق مع القوات

المحلية ، لوقت محدد . . وبعد أن يتكبد العدو خسائر كبيرة خلال تقدمه ، يتقرر في ضوء تطور الموقف العسكري إبقاء القوات النظامية في الجبهة أو سحبها الى مناطق أخرى . . هذا خيار أول ، أو انطلاقاً من حقيقة أن الظروف في الدلتا الشمالية هي لصالح القوات المعادية أكثر مما هي في صالح القوات الثورية وانه بامكان الفرنسيين الحاق خسائر كبيرة بها ، فإن سحب القوات النظامية الرئيسية الى مناطق اخرى يكون العدو فيها أضعف بهدف تدمير قوات هناك فيجبر على إرسال قواته اضافية لنجدتها . . بينما يجري تصعيد حرب العصابات في بقية المناطق وفي نفس الوقت تتحرك القوات المحلية للتعامل مع قواته المهاجمة . . وبالتالي فإن العدو كلما هاجم منطقة محررة اجبر على توزيع قواته أكثر ، وكلما انتصرت القوات النظامية الفيتنامية في مواقع أخرى اضطر الى سحب قواته من المناطق المحررة . . إلى المواقع الجديدة . . . هذا خيار ثان . القيادة الفيتنامية اعتمدت الخيار الثاني ، وأقرت اللجنة المركزية للحزب خطة العمليات لشتاء ١٩٥٣ وربيع ١٩٥٤ والتي تشمل الخطوط العامة التالية :

ـ استخدام جزء من القوات النظامية لشن هجمات على المناطق التي يكون العدو فيها مكشوفاً .

ـ في نفس الوقت انتهاز الفرصة لتدمير القوات المتحركة للعدو في المناطق التي تتمكن من اختراقها في عمق المناطق المحررة . .

ـ في نفس الوقت تصعيد حرب العصابات في كل الجبهات في مؤخرة العدو . .

ـ اتخاذ الاستعدادات اللازمة بين الجماهير والوحدات المحلية ورجال المليشيا وأفراد العصابات في المناطق المحررة للقيام بهجمات كاملة ، وبذلك تكون القوات النظامية حرة وقادرة على القيام بمهماتها المستقلة .

القيادة الفيتنامية أقرت أيضاً الخطة التفصيلية لكل من الساحة الشمالية والجنوبية ؛ على الجبهة الشمالية تقرر :

١ ـ استخدام قوات نظامية لشن هجوم في الشمال الغربي وتدمير القوات المعادية في لاي تشاو وبذلك تتحرر كل الجبهة الشمالية والغربية .

٢ ـ الاشتراك مع قوات الباتيت لاو لشن هجوم على لاوس الوسطى لتدمير قوات العدو وتوسيع المنطقة المحررة .

٣ ـ حيث أن تكتيك العدو لم يتضح تماماً بعد تكتيك الثورة الراهن يكون بمرابطة قوات نظامية في مناطق محددة واخفائها للتحرك في أي وقت .

٤ ـ في الدلتا تصعد حرب العصابات في مؤخرة العدو وتعزز قواعد الفدائيين وتقوم بعمليات منسقة مع الهجمات السابق ذكرها ، واذا هاجم العدو المناطق المحررة هناك فإن

الواجب يكون محاولة تدمير جزء من فعالياته .

بالنسبة للجبهة الجنوبية تقرر :

أ ـ هناك منطقة محررة كبيرة نسبياً هي المنطقة الخامسة حيث القوات الفيتنامية قوية نسبياً ، وردت معلومات أن العدو يجهز قواته الاحتلال المنطقة المذكورة . . لذا يجب توجيه جزء كبير من القوات النظامية لمهاجمته في الهضاب العالية الغربية بغرض تدمير فعالياته وتحرير جزء آخر من الأرض . . وأثناء ذلك تكون مهمة الجماهير والقوات المحلية والميليشيا والعصابات مع جزء من القوات النظامية الاستعداد لمواجهة قوات العدو المهاجمة للمنطقة المحررة . وإذا تمكن العدو من احتلال بعض المناطق واذا كانت الظروف تتطور لصالح قوات الثورة في جبهة الهضاب العليا فإن العدو سيجبر على ترك ماأحتله وسحب قواته المتقدمة .

ب ـ بالنسبة الى جنوب الوسط والجنوب ، فإن المهمات تظل تصعيد حرب العصابات والاستفادة من سحب العدو لقواته الرئيسية إلى المناطق الأخرى . لشن هجمات صغيرة يكون النصر فيها مؤكداً . وتدمير جزء جزء من جيش العدو ، وتصعيد العمل السياس بين جيش العملاء ، وتوسيع قاعدة ومناطق حرب العصابات ـ ويستعد الشعب والجيش في المنطقة التاسعة المحررة لمواجهة هجمات العدو المرتقبة .

خطط العمليات الفيتنامية استندت إلى مجموعة من المبادىء :

ـ تدمير فعاليات العدو وزيادة قوات الثورة . . بهدف تحقيق التوازن .

ـ الهجوم عند التأكد من النجاح فقط . . الهجوم الناجح ـ وتجنب الهزيمة .

ـ مهاجمة العدو في المناطق المكشوفة وعندما يكون العدو ضعيفاً نسبياً .

ـ التمسك بالمبادرة واجبار العدو على توزيع قواته .

ـ الديناميكية والمبادرة والحركة والسرعة في اتخاذ القرار لمواجهة التطورات الطارئة أو الجديدة .

وقد بحثت القيادة الفيتنامية الموقف العسكري عند العدو لاستغلال الى الحد الاقصى نقاط الضعف لديه والتي تتمثل في :

ـ التناقض بين تعزيز الدفاع في المناطق التي يحتلها . . وبين متطلبات الهجوم على المناطق المحررة .

ـ التناقض بين احتلال المناطق وتهدئتها في الجنوب والحاجة الى نقل القوات الى الشمال .

ـ التناقض بين احتلال الارض والتركيز العسكري . .

الاستعدادات التي جرى اتخاذها لشن الحملة العسكرية الكبرى شملت الخطوات

التالية :

- في المناطق المهددة بالهجوم الفرنسي قام الفيتناميون بتوزيع المخازن ونشرها في مناطق عديدة ، ونقلت المكاتب والمدارس . الى مناطق أعمق ، وجرى التحضير للمواجهة بكافة الوسائل والامكانيات المتوفرة .

- في المناطق الخلفية جرى التنسيق بين الجماهير والوحدات المسلحة المحلية والمليشيا لشن غارات فدائية .

- في اكتوبر جرى حشد عشرات الآلاف من المواطنين المتطوعين للنقل وتوسيع خطوط المواصلات واصلاحها . .

- في نوفمبر تحرك جزء من الوحدات النظامية الى خط الجبهة باتجاه لاي تشاو . . كما جهز الفيتناميون واللاوسيون داخل لاوس للعمل في منطقة لاوس الوسطى .

معركة لاي تشاو: (Lai Chau) :

منذ شهر اغسطس ١٩٥٣ لم يتبق للفرنسيين أية مواقع هامة في المنطقة الشمالية الغربية باستثناء لاي تشاو . . لذلك كان القرار الفيتنامي بتصفية هذا الموقع ، في شهري اكتوبر ونوفمبر جرى تحريك بعض الوحدات النظامية إلى جوار البلدة على أمل احتلالها ثم الانطلاق منها إلى وسط لاوس للعمل المشترك مع قوات الباتيت لاو ، لكن الفرنسيون كما رأينا سارعوا باحتلال ديان بيان فو استعداداً للتصدي للقوات الفيتنامية المذكورة . . . وهنا برز أمام القيادة العسكرية الفيتنامية سؤال حول أي الموقعين سيركز العدو عليه في دفاعه لاي تشاو أم ديان بيان فو ؟! فكان القرار الفيتنامي بضرب لاي تشاو ومنع القوات الفرنسية في ديان من التدخل لنجدتها .

وهنا تذكر بعض المصادر أن القيادة الفرنسية تجنباً لخسائر كبيرة نقلت جواً قواتها من لاي تشاو الى ديان يومي ٥ ، ٧ ديسمبر ولم تبق فيها سوى القوات المحلية وبينها كتيبتين نظاميتين ٢٣ سرية جاهزة للانسحاب براً . . في ١٠ ديسمبر قامت القوات الفيتنامية بمهاجمة دفاعات العدو في باهام على بعد ٣٠ كم عن المدينة وجرى السيطرة عليها والتقدم نحو لاي تشاو التي حررت في ١٢ ديسمبر . أما القوات المحلية التي انسحبت سراً عبر الجبال باتجاه ديان فقد لاحقتها القوات الفيتنامية على الطريق رقم ٤١ ، كذلك جرى التصدي لبعض الوحدات التي كانت قادمة للنجدة في ١١ ديسمبر عند قرية توا ١٠ كم شمال ديان وتم تشتيتها ، القوات المعادية التي تراجعت نحو جبال مونغ بون وبوسان دمرت في ١٣ ديسمبر . . ثم استمرت ملاحقة القوات الفيتنامية للقوات المنسحبة والاشتباك معها لمدة عشرة أيام اسفرت عن تدمير معظم سراياها ، وبذلك تم تنظيف كامل المحافظة البالغة

مساحتها ١٠ ألف كم٢ وسكانها ١٦٠ ألف نسمة . . . وتفرغت القوات الفيتنامية لمحاصرة ديان بيان فو .

معركة تاخيك واتوبيو (Thakhek. Attopeu) :

وحـدات فيتنامية أخرى كانت قد تقدمت باتجاه الأراضي اللاوسية، وهناك قامت القوات المشتركة، يومي ٢١ ، ٢٢ ديسمبر بمهاجمة المواقع المعادية الحدودية في خام هي ، بانـا ـ فاو ، مما أدى إلى تدمـير كتيبتـين من المشاة وجزء من كتيبة متحركة وكتيبة مدفعية للعدو . . بعدها واصلت القوات المشتركة تقدمها باتجاه مدينة تاخيك في وسط لاوس على الطريق رقم ٩ لكن القوات الفرنسية بدأت في اخلائها والتمركز في قاعدة سينو العسكرية قرب سافاناخيك . . وفي ٢٥ ديسمبر دخلت القوات المشتركة تاخيك بعد تدمير عدد من المـواقع المعادية على الطريق ٩ وأصبحت قوات الثورة على ضفاف الميكونغ . في مواجهة التطورات الجديدة قرر الفرنسيون سحب عدد من وحداتهم في الدلتا الشمالية لتعزيز سينو وتحويلها إلى قاعدة محصنة ، منيعة في وجه أي تقدم للطرف الآخر نحو لاوس السفلى . . لكن الوحدات المشتركة واصلت تقدمها تجاه المناطق الجبلية وتمكنت في ٣٠ ، ٣١ ديسمبر من تدمير دفاعات مدينة اوتوبيو وتحريرها ومنها تقدمت القوات نحو سارافانس وسيطرت على مرتفعـات بولوفن في لاوس السفـلى فقررت القيادة الفرنسية التصدي للزاحفين ، وقامت بسحب وحدات اضافية وارسالها الى مدينة باكسي الجنوبية لتعزيزها .

معركة فونغ سالي : (Phong Saly) .

بعد سقوط لاي تشاو في المنطقة الشمالية الغربية قام العدو بتعزيز ديان بيان فو وكذلك ربطها بمناطق لاوس العليا عن طريق احتلال حوض نهر نام أو حتى مونغ خوا . . القيادة الفيتنـامية قررت احبـاط خطة العدو ، وشنت هجوماً بالتنسيق مع القوات اللاوسية على منطقة النهر حيث تمكنت من تدمير كتيبة أوروبية في مونغ خوا في ٢٦ يناير ثم أكملت تنظيف الحوض من القوات المعادية وحرمت العدو من هذا الطريق الاستراتيجي ، وأصبحت لونغ بارابـانغ تحت مرمى مدفعية القوات المشتركة بعد تكبيد العدو حوالي ١٧ سرية دمرت أو تشتت . . الخطوة التالية للقوات المشتركة كانت الاتجاه نحو مدينة فونغ سالي الشمالية التي تمّ تحريرها ، وبذلك توسعت المنطقة المحررة في لاوس بعد ربطها مع منطقة سام نيوا ومع شمال غرب فيتنـام . . . وانتهت الحملة المشـتركة في ١٨ فبراير . . . وفي مواجهة التقدم المـذكـور قررت القيادة الفرنسية التركيز على بارابانغ وتعزيزها بقوات متحركة اضافية من منطقة الدلتا الشمالية .

منطقة الدلتا الشمالية :

شنت قوات المليشيا والعصابات والوحدات المحلية هجماتها المقررة ضد قوات العدو وكبدتها خسائر هامة في المناطق التالية ، هوانغ دان في محافظة هانام ، لاتين بمحافظة ثاي بنه ، توسون بمحافظة باك نينه ، كما أجبروا العدو على الإنسحاب من عدة مناطق مثل قطاع نو بمحافظة باك جيانغ ، ديم دين ، كاو ماي بمحافظة هاي دونغ ، أو هوانغ ، سوي مي بمحافظة سون تاي ، شهدت المنطقة أيضاً مجموعة من الهجمات والاغارات ، الكمائن . . . ضد جماعات وسرايا واحياناً كتائب كاملة ، كما جرى قطع الطريق رقم ٥ لمدة اسبوع وتهديده لفترة أطول . . . وهوجمت مطارات كات بي ، جيالام ودمرت عدة طائرات . . وتوسع نفوذ الثورة في الدلتا ليشمل ثلاثة أرباع مايحتله العدو .

المنطقة الوسطى والجنوبية :

في منطقة بنه ـ تري ـ تين وفي جنوب المنطقة الوسطى كثفت الوحدات الثورية عملياتها العسكرية . وتعرضت طرق المواصلات الى العديد من الهجمات ، ودمرت عدة قطارات . . واسفرت النشاطات الثورية عن توسيع القواعد الفدائية وانتشار العمل الدعائي .

في المنطقة الجنوبية قام العدو بسحب عدد كبير من قواته المتحركة الى جبهات اخرى ، مما فتح المجال أكثر أمام القوات الفدائية والميليشيا لشن سلسلة من الهجمات الناجحة التي أسفرت عن تدمير أو اخلاء أكثر من ألف موقع ومركز وبرج مراقبة للعدو . . وقواعد الفدائيين السابقة جرى استعادتها واقيمت قواعد جديدة ، وأخذت قوات الجيش العميل تنتقل بالآلاف الى المناطق المحررة . . وبذلك تعززت المنطقة الخامسة وتوسعت بدلاً من سقوطها وتدميرها .

وتبلورت ملامح الموقف العسكري في فبراير كالتالي :

تكثيف حرب العصابات خلف خطوط العدو في الشمال ، تكثيف العمليات في منطقة بنه ـ تري ـ تينه في الوسط ، تصعيد النضال السياسي والعسكري في جنوب الوسط والجنوب .

في آواخر فبراير وأوائل مارس قامت الوحدات الفدائية بالاغارة على خطوط العدو الشمالية وخاصة طريق هانوي ـ هايفونغ الهام ، ومهاجمة مطاري كات بي وجيالام مرة أخرى في ٤ ـ ٧ مارس أسفر عن تدمير واعطاب بعض الطائرات . وعلى أبواب معركة ديان بيان فو كان الموقف العسكري يتميز بمبادرة القوات الفيتنامية الهجومية في عدة مناطق ، ويتوزع الكثافة العسكرية الضاربة للعدو من الدلتا الشمالية الى خمسة مناطق اخرى هي لونغ بارابانغ ومونغ سالي في لاوس العليا ، سينو في لاوس الوسطى ، بليكو في جنوب المرتفعات الغربية ،

وديان بيان نو في الشمال الغربي . ولم يتبق في الدلتا سوى ٢٠ كتيبة معظمها غير متماسك أو متكامل من أصل ٤٤ كتيبة . .

وبذلك تكون حصيلة خطة نافار حتى شهر مارس ، تحويل القوة الفرنسية الضاربة الى وحدات موزعة ، قيام القوات النظامية الفيتنامية بعدة انجازات بدلاً من تدميرها ، الاعمال الفدائية تصاعدت في المؤخرات بدلاً من تهدئتها ، معظم المناطق المحررة حوفظ عليها أو توسعت وهددت مؤخرة الفرنسيين بدلاً من مؤخرة الفيتناميين .

ذلك كان تقدير القيادة الفيتنامية للموقف على مختلف الجبهات . . لكن تقدير القيادة الفرنسية كان يختلف . . فقد كانت ترى أن الهجمات الفيتنامية في حملة الشتاء ـ الربيع قد استنفذت القدرة العسكرية وبالتالي فإن توقف تلك الهجمات في المواقع التي ذكرناها سابقاً إنما ناتج عن ضعف وبداية الانحسار ، لذلك قرر نافار مواصلة الهجوم في الجبهة الجنوبية ، وحشد قوات كبيرة للتوغل في المنطقة الخامسة واستئناف عملية اطلنطه التي علقت سابقاً ، في ١٢ مارس بدأ الهجوم الفرنسي على كوي نهون . . معتقداً أن الهجوم الفيتنامي على ديان بيان فو قد صرف عنه النظر . . . في اليوم التالي ١٣ مارس كانت القيادة الفيتنامية قد بدأت المعركة التاريخية[٢٧] التي استمرت حتى ٧ مايو .

● ديان بيان فو (باختصار) .

ـ بلدة صغيرة تقع في وادي ثانه بمقاطعة لاي تشاو في شمال غرب فيتنام ، تسكنها قومية التاي وتحيطها المناطق الجبلية التي تسكنها قومية الميو . . وكان نافار قد احتلها ضمن خطته العامة لاختراق الجبهة الشمالية الغربية ، وانزال بها ست كتائب في ٢٠/١١/٥٣ أي بعد عام من سيطرة الفيتنامين عليها . . وعندما علم نافار باحتمال قيام الفيتناميين بتحريك قوات كبيرة من الجبهة الشمالية إلى الشمالية الغربية قرر تعزيز ديان بيان فو وتحويلها الى قاعدة هجومية لمنع تقدم الفيتناميين نحو لاوس .

ـ منذ ديسمبر حشد قوات اضافية في القاعدة ١٢ كتيبة ٧ سرايامشاة، ووحدات مدفعية وهندسة ودبابات ونقل عسكري وسبع طائرات نقل . . كل ذلك استعداداً لملاقاة الفيتناميين . الذين تحاشوا القاعدة وفضلوا التمركز حولها وفي لاي تشاو المجاورة .

ـ القيادة الفرنسية قسمت القاعدة الى معسكر وثلاث قطاعات عسكرية رئيسية (أوسط شمالي وجنوبي) تشمل ٤٩ موقع لكل منها نظام دفاعي خاص به يشتمل على قوات متحركة ومدفعية وشبكة خنادق واسلاك معقدة واعتمد الفرنسيون على الطيران لحل مشكلة الامداد والتموين في القاعدة البعيدة عن مراكزه وقواعده الرئيسية ولضرب امدادات العدو .

ـ القيادة الفيتنامية حشدت أيضاً قوات ضخمة تقدر بأربعة فرق ، ووضعتها داخل

ملاجىء ومخابىء وتحصينات ، ومجموعات مدافع ميدان ومضادات جوية في مرابض وكهوف مموهة ، ومخازن احتياطية للتموين والتجهيزات . . وقد اعتمد الفيتناميون على الجهد البشري ووسائل النقل المتخلفة في حل المشاكل التموينية والادارية على امتداد أكثر من ٥٠٠ كم تطلبت ٣ مليون يوم عمل حسب التقديرات الفيتنامية .

ـ بدأ الهجوم الفيتنامي في ٣/١٣ ضد القطاع الشمالي وجرى خلاله تدمير المراكز الخارجية الشمالية والشمالية الشرقية وتشتيت القوات المدافعة عنها ، وانتهى في ٣/١٧ قام الفرنسيون بعدها بتعزيز قواتهم بوحدات مظلية ومدفعية ثقيلة وعتاد أنزلت بالجو ، وقام الفيتناميون من جانبهم بالزحف أكثر قرباً نحو المواقع الفرنسية وبناء خنادق جديدة تحاصر العدو .

ـ الهجوم الثاني بدأ في ٣/٣٠ ضد القطاع الاوسط وجرى فيه احتلال معظم التلال الشرقية والمطار وقطع طرق الامداد . . استمرت المعارك حتى ٤/٢٤ كثف الفرنسيون بعدها من الغارات العنيفة جواً ضد القوات الفيتنامية ومؤخراتها وخطوط امداداتها ، كما حاولوا انزال الأسلحة والذخيرة المطلوبة لقواتهم بالمظلات . . أما الفيتناميون فقد اعادوا تنظيم قواتهم ، وعوضوا الخسائر التي لحقت بها . وشنوا حملة تثقيف داخل الوحدات تحضيراً للمرحلة الثالثة من المعركة .

ـ الهجوم الثالث بدأ في ٥/١ وتم خلاله احتلال بقية التلال الشرقية والمراكز الغربية وضرب المركز الرئيسي ، واغلاق المجال الجوي امام حركة الطيران والامدادات ، وقد انتهت الهجمة في ٥/٦ بانحشار القوات الفرنسية المتبقية مع قياداتها في مساحة لاتتجاوز كيلومتر مربع واحد في المعسكر الرئيسي ، ولم تأت المساعدات الامريكية المنتظرة لانقاذ الموقف ، ولم يتمكن الطيران من انزال الامدادات والغذائية الضرورية ولا من سحب الجرحى من الساحة .

ـ أمام هذه الظروف الصعبة قررت القيادة الفرنسية العمل على فك الحصار من حلقة ضعيفة والإنسحاب إلى الأراضي اللاوسية ليلة ٥/٨ الا أن القيادة الفيتنامية علمت بالأمر وشنت هجوماً أخيراً ومفاجئاً ظهر يوم ٥/٧ فاستسلمت القيادة وهيئة الضباط التي يتجاوز عددهم الألف مع حوالي سبعة آلاف من الجنود ، معلنة بذلك نهاية المعركة . . وهزيمة الفرنسيين الكبرى .

ثانياً : التطورات السياسية

أسفرت العمليات العسكرية خلال المرحلة الاخيرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ عن شطب وتشتيت[٣٨] ١١٢ ألف جندي تشكل حوالي ربع قوات العدو المسلحة في الهند الصينية . منها حوالي ٢٥ كتيبة دمرت تماماً أما الطائرات القاذفة والنقل العسكري من طراز ب ٢٤ ، سي ١١٩ ، فقد اسقط منها ٢٣٩ طائرة تشكل جزءً هاماً من مجموع القوة الجوية في الهند الصينية ، وكذلك جرى تدمير كمية كبيرة من الأسلحة والتحهيزات والذخائر والسيارات والآليات . وهكذا تكون معركة ديان بيان فو قد وجهت الضربة القاصمة ليس الى خطة نافار فحسب بل إلى الوجود العسكري الفرنسي في فيتنام والمنطقة .

بالنسبة للتواجد على الأرض ، فقد رحل آخر جندي فرنسي من المنطقة الشمالية الغربية ، فامتدت المنطقة المحررة الى كل الأقاليم الجبلية من فيت باك حتى الشمال الغربي وهوابين . . ومتصلة مع منطقة محررة كبيرة في لاوس العليا وحُشرت القوات الفرنسية في دلتا النهر الأحمر . . أما المنطقة الخامسة فقد توسعت خاصة في شمال الهضات العليا ، ولم يعد العدو قادراً على تهديد خلفيات كوانغ نام ، كوانغ نجاي ، بنه دينه ، وامتدت المنطقة المحررة من الساحل حتى حدود لاوس ، واتصلت مع المنطقة المحررة في لاوس السفلى . وفي جبهات العدو الخلفية ، دلتا النهر الأحمر ، منطقة بنه ـ تري ـ تين والجنوب توسعت نشاطات العصابات الثورية وقواعدها . . وضاقت الى حد كبير المناطق التي يسيطر عليها العدو . .

أما في لاوس فقد تم تحرير فونغ سالي ونام هوا ، وتوسعت المناطق المحررة في لاوس الوسطى والسفلى ، وأصبح أكثر من نصف السكان ونصف الأرض تحت سيطرة الثورة اللاوسية .

وبهذه النتيجة تكون خطة نافار قد تلقت ضربات قاتلة ، سحق جزء كبير من القوات الاستراتيجية المتحركة ، وتوزع جزء كبير آخر على عدة مناطق ، وهبطت معنويات جنودها ، اما القوات المحلية فلم يكن وضعها أفضل ، ورغم محاولات اعادة تنظيمها العديدة الاّ أنها ظلت مهلهلة ، ولم يعد بامكان القيادة الفرنسية اعطاء الأوامر بهجمات جديدة على الاقل لبعض الوقت ، وأصبحت المهمة الملحة المحافظة على القوات الباقية ، ولهذا أصدر رئيس الأركان الفرنسي عند زيارته لسايجون في منتصف مايو تعليماته بتخفيض الوجود الفرنسي في دلتا النهر الأحمر كمقدمة للانسحاب من الشمال الى جنوب خط عرض ١٨ الذي تم انجازه في آواخر وأوائل يوليه بعد الجلاء عن فيت تري ، تشو بنه ونام دنه ، تاي بنه ، ننه بنه ، فات دييم ، بوي تشو ، وتذكر المصادر الفيتنامية أن عدة خسائر قد الحقت بالقوات المعادية

حلال انسحاباتها على يد القوات الثورية ، وأن عشرات الآلاف من القوات المحلية تركت تشكيلاتها والتحقت بالشعب والثورة . في أول يوليه كان الفرنسيون قد اعادوا تنظيم وتجميع قواتهم على طريق هانوي - هايفونغ ، ثم غادروها واحتفظوا بمنطقة تجمع في هايفونغ فقط حتى مغادرتها نهائياً وفق جدول تفصيلي اتفق عليه خلال محادثات عسكرية جرت في ٣ يوليه ، وفي ٥ يوليه توصل الطرفان لاتفاقية تبادل الأسرى ، وفي ١٤ يوليه لاتفاق بخصوص الجرحى والمرضى . حتى غادر آخر جندي فرنسي الهند الصينية في ٢٨ ابريل ١٩٥٦ .

وبذلك تكللت العودة الفرنسية الى الهند الصينية (١٩٤٥ - ١٩٥٤) بالفشل الذريع ، ولم تكن رحلة مريحة بل مكلفة جداً عسكرياً ومادياً رغم أن الاستغلال والاستثمار للموارد المحلية ، بالاضافة الى المعونة الامريكية الهائلة قد غطت جزءاً عظيماً من تلك النفقات ، الخسائر البشرية وصلت الى أكثر من نصف مليون جندي (أجنبي ومحلي) بين قتيل وجريح وأسير ومفقود ، أما التكاليف المالية فقد تجاوزت ثلاثة تريليون فرنك .

الجنرال جياب قائد الحملة اعتبرها « أعظم مأثرة عسكرية » في حرب التحرير الشعبية لأنها أسفرت عن سحق الحامية الفرنسية عن بكرة أبيها الأمر الذي غير مجرى الحرب في فيتنام فأحدث تحولاً هاماً في الوضع العسكري السياسي في كامل الهند الصينية ، ويرد الفيتناميون سبب الانتصار المأثرة الى عدة عوامل أبرزها الخط السياسي للحزب الفيتنامي الماركسي - اللينيني وسلامة الخط العسكري (حرب التحرير الشعبية) والإرادة المصممة للشعب الفيتنامي والوحدة الوطنية وآثار الثورة الزراعية . وفي الجانب الموضوعي يأتي دور التنسيق الفيتنامي - اللاوس ، والدعم العسكري الصيني (أسلحة ومعدات وخبرات) وتأييد المعسكر الاشتراكي والتطورات العالمية حسب التحليل الفيتنامي .

الجانب الفرنسي لم ينكر هزيمته عسكرياً ، لكنه أعاد أسبابها إلى ثلاثة عوامل رئيسية ؛ التقييدات الداخلية ومعارضة استمرار الحرب ، والدعم الصيني المبالغ فيه للفيتناميين . . والتقصير الامريكي في التلبية السريعة لمتطلبات الميادين القتالية :

أولاً : المعارضة الداخلية للحرب كانت قد اتسعت لتشمل الحزب الاشتراكي وبعض احزاب الوسط الى جانب الحزب الشيوعي ، وكذلك قطاعات العمال والطلاب والجنود والمثقفين الأمر الذي أجبر الحكومة على الموافقة على المفاوضات من أجل تسوية قبل ديان بيان فو .

ثانياً : المساعدات الصينية الهائلة للفيتناميين قابلتها مساعدات امريكية بأسلحة متطورة وتجهيزات أحدث ، كما وضعت واشنطن قوتها النووية التكتيكية في مواجهة « التدخل الصيني المباشر » في القتال الدائر بين الطرفين المباشرين ، لكنها طالبت الفرنسيين برفض التسوية السياسية ، والموافقة على عمل عسكري مباشر ، غربي مشترك كثمن لتدخلها المباشر

في معركة ديان بيان فو .

ثالثاً : الامريكيون حملوا الفرنسيين والبريطانيين مسؤولية الهزيمة العسكرية في الهند الصينية ، وذكروا أن الانهيار العسكري بعد ديان بيان فو لامبرر له ، فالخسائر في تلك المعركة لم تكن تتجاوز ٥ بالمائة ، من القوة العسكرية الفرنسية حسب الرئيس الامريكي الاسبق نيكسون ، لكنها تركت لتقرر مصير فرنسا في المنطقة . إلاّ أن نكسون يعود لينتقد تردد امريكا في توجيه الضربة الجوية المطلوبة في ديان بيان فو .

خطة النسر والإحتمال النووي

حرصت ادارة الرئيس ايزنهاور منذ أوائل الخمسينات على دعم المجهود الحربي الفرنسي في الهند الصينية ، لكن بشكل يعزز الوجود العسكري والاستخباري الأمريكي ، ومع ازدياد تورط الفرنسيين في ميادين القتال كانت حاجتهم إلى المساعدات الامريكية تزداد أكثر ، فيتصاعد بالتالي التدخل الامريكي ليس فقط في المسائل الرئيسية بل وأيضاً في الشؤون التفصيلية والميدانية .

في عام ١٩٥٣ كانت الخطة العسكرية الفرنسية التي أعدها نافار بمباركة الامريكيين مثالاً صارخاً على استغلال واشنطن لحاجة الفرنسيين الى الطائرات والطيارين والفنيين فقامت بتعزيز المجموعة الاستشارية الامريكية في سايجون ، بالجنرال أو دانيل قائداً ، والجنرال دايني مساعداً ، والعقيد لانسدال للاستخبارات وتوسعت صلاحيات المجموعة من التخطيط . . حتى التدريب .

السياسية الامريكية (في تلك الفترة) تجاه الهند الصينية ارتكزت على المهمات التالية :

- ابقاء الهند الصينية خارج السيطرة الشيوعية لمنع تسرب الشيوعية إلى جنوب شرق أسيا .
- القيام بما يؤكد تصميم الغرب وقدرته على هزيمة الشيوعية ودعم الحكومات المحلية .
- منع فرنسا من الدخول في مفاوضات تسوية قبل احراز النصر العسكري الموعود .

في ضوء ذلك فإن الجنرال ايلي رئيس الاركان الفرنسي لم يتمكن من الحصول على العون العسكري العاجل المطلوب لانقاذ قواته في اللحظات الحرجة في معركة ديان بيان فو ، لان الامريكيين كانوا يعطون الأولوية للاتفاق على عمل عسكري غربي مشترك ضد الشيوعيين في المنطقة ، على مساعدة الفرنسيين في كسب معركة عسكرية واحدة لتحسين شروط المفاوض الفرنسي .

الرئيس الامريكي كان أمامه ثلاثة وجهات نظر حول طبيعة التدخل الامريكي

المباشر ؛ نائبه نكسون يرى أن الصين هي أصل البلاء ولابد من ردعها في أسيا حتى بدون موافقة الحلفاء ، وزير خارجيته دالاس يفضل موافقة الحلفاء على التدخل ضد شيوعي الهند الصينية فقط . أمـا رئيس الأركان رادفورد فكان يحبذ التدخل المطلق وحسب خطته التي حملت اسم « النسر Vulture » فإن الطائرات الامريكية في الفلبين والمحيط الهادي ستقوم بتدمير القوات والفعاليات والمواقع الشيوعية في فيتنام نهائياً وبالاسلحة المتوفرة لديها!

قرار الفرنسيين السريع (والمفاجيء للامريكيين) بوقف القتال والتفاوض من أجل التسوية على أثر خسارة ديان بيان فو استدعى ادخال تعديلات على الخطط الامريكية بعد فشل الضغط على فرنسا .

في ٢٦ مايو ١٩٥٤ رفع رئيس الأركان خطته العسكرية المعدلة[٣٠] إلى وزير دفاعه تشارلز ويلسون وتضمنت المعالم الرئيسية التالية :

أولاً : نصح بعدم ارسال قوات عسكرية هامة لان الهند الصينية تخلو من أهداف عسكرية حاسمة لان المصادر الرئيسية لامداد الفيتناميين تأتي من الخارج وعبر الحدود الصينية لذلـك يمكن تحطيم أو تعـطيل تلك الامدادات هناك ومساندة القوات الفرنسية بحاملة الطائرات الامريكية فقط ، والاعتماد على قوات الاتحاد الفرنسي وتوابعه في القتال الارضي في حالة التدخل الصيني . أما إذا تدخلت الصين بشكل مباشر فإن رئيس الاركان ينصح بتدمير الاهـداف العسكـرية في الهـند الصينية والصـين والجزر القريبة بواسطة الأسلحة الجوية والبحرية . «واستخدام الأسلحة الذرية إذا تطلب الأمر[٣١]» وفي نفس الوقت تقوم قوات الاتحـاد الفـرنسي الـبرية بمهمات ضد قوات العدو في الهند الصينية وتجري غارات جوية وبحرية منسقة لتدمير العدو في المنطقة .

وإذا لم تعط تلك الاجراءات ثمارها ـ اقترح رادفورد ـ اجراءات اضافية تشمل تدمير أهداف عسكرية إضافية في الصين ومحاصرة الشواطيء الصينية تدريجياً ، واحتلال جزيرة هانيان ، واستخدام قوات برية من الصين الوطنية في عمليات برية داخل الأراضي الصينية .

أمـا في حالـة عدم قيام الصـين بالتدخل المباشر لصالح الفيتناميين فتقتصر المهمة العسكـرية على حماية الدول التابعة وتحطيم القوات الشيوعية في الهند الصينية عن طريق الإجـراءات المقـترحة على الشكل التالي : شن هجمات جوية أمريكية بينما تواصل قوات الاتحاد الفرنسية وقوات فلبينية وتايلندية عملياتها لتحطيم القوات المعادية في الهند الصينية ويمكن بالإضافة الى المساندة البحرية والجوية الامريكية استخدام الاسلحة النووية عند اللزوم .

وأخيراً :

هل حقق الانتصار العسكري الفيتنامي على عظمته ، النتائج السياسية المرجوة والمنتظرة منه ؟

المسؤولون الفيتناميون يشيدون عادة بنتائج مؤتمر جنيف التي تحققت (بفضل الانتصار العسكري) من حيث أنها قدمت الضمانات الدولية للاستقلال الوطني الذي طالما حلم الفيتناميون به وقاتلوا من أجله جيلاً بعد جيل . لكن بعيداً عن الجانب الدعائي في الموضوع والمكابرة الدبلوماسية التي استمرت أكثر من عشرين سنة يمكننا القول أن أبرز نتائج جنيف كانت إيقاف الانتصارات الفيتنامية (عسكرياً) والاعتراف بحكومة فيتنام الديمقراطية (دبلوماسياً) وفتح الطريق أمام قيام جمهورية مستقلة في الجنوب تشكل قاعدة متقدمة للامريكيين (عملياً) والاعتراف بحق شعوب الهند الصينية الثلاثة في الاستقلال والسيادة ووحدة الأراضي (نظرياً).

اتفاقيات جنيف ضمت قسمين :

- الوثائق العسكرية التي تغطي وسائل وقف اطلاق النار وفصل القوات وتجميع المحاربين الشيوعيين شمال خط عرض ١٧ والمحاربين الفرنسيين وحلفائهم جنوب الخط المذكور باعتباره خطاً للهدنة ، بالاضافة الى تنظيم شؤون المدنيين في المنطقتين وتشكيل لجان الرقابة والإشراف الدولي ، وحظر القواعد والاحلاف العسكرية .

- الوثيقة السياسية التي تتضمن التعهد باحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي فيتنام ولاوس وكمبوديا ، واعتبار خط الهدنة مؤقتاً لايشكل حدوداً سياسية أو اقليمية ، على أن تجري انتخابات عامة حرة خلال سنتين باشراف دولي لتقرير مستقبل البلاد ، تسبقها مفاوضات ثنائية بين الشمال والجنوب .

الفرنسيون المهزومون عسكرياً حققوا من المؤتمر مكاسب عديدة تتجاوز امكانياتهم الفعلية ، حيث تجنبوا المزيد من الخسائر في الأرواح بين قواتهم وكذلك الخسائر في المعدات والتجهيزات والأموال ، واحتفظوا بمواقع اقتصادية وثقافية متميزة ، وتخلصوا من النفوذ الامريكي المصاحب للمعونة ، وضمنوا انسحاب المقاتلين الشيوعيين من الجنوب ولاوس وكمبوديا واقامة أنظمة رجعية هناك . . أي أن الفرنسيين حصلوا على تسوية مشرفة في اطار الهزيمة الكاملة المحتومة .

أما الفيتناميون فإنهم إلى جانب المكاسب الدبلوماسية والسياسية التي حصلوا عليها والتي لم تتناسب مع الإنتصار العسكري الذي حققوه ، فقد اضطروا لانهاء وجودهم الثوري في الجنوب ، والأخطر من ذلك أنهم قبلوا بتقسيم مؤقت للبلاد تحول الى تقسيم فعلي ، ولم يحصلوا بذلك إلّا على نصف الإستقلال والوحدة ، وهكذا قبل الفيتناميون (الطرف المنتصر عسكرياً) بمكاسب سياسية ووطنية أقل بكثير مما كان قادراً على تحقيقه بقواه الذاتية ، وقدم

من التنازلات في مؤتمر دولي ماكان لايقبل بتقديمه في تسوية تفاوضية ثنائية !

لماذا قبل الفيتناميون الذهاب الى المؤتمر الدولي ولم يواصلوا القتال ؟ ولماذا لم يرفضوا نتائج المؤتمر طالما كانوا قادرين على مواصلة القتال ؟

هناك أكثر من سبب وسبب ، ومعظمها تتعلق بالمواقف التي اتخذها حلفاء فيتنام قبل عقد المؤتمر وخلال جلساته ، وكذلك بالتهديدات الامريكية النووية التي ذكرنا وأخيراً بالأوهام حول امكانيات إكمال استقلال ووحدة فيتنام بالطرق السلمية[٣٢] .

واشنطن لم تكن متحمسة لذلك المؤتمر ولم تشارك فيه بفعالية وحاولة عرقلة سير أعماله لكنها أيضاً اتخذت من نتائجه حجة لتصعيد تدخلها وتثبت نفوذها على حساب الوجود الفرنسي ـ وهكذا يمكن القول أن مؤتمر جنيف وضع نهاية للحرب التحريرية الأولى وفتح الطريق أمام الحرب التحريرية الثانية .

الفصل الرابع :

معركة ديان بيان فو Dien Bien Phu

● ديان بيان فو . . . الموقع الاستراتيجي :

بلدة صغيرة تقع في أقليم ديان بيان التابع لمحافظة لاي تشاو التي تشكل احدى محافظات المنطقة الشمالية الغربية لفيتنام الشمالية . يحد الاقليم من الشمال والشمال الغربي اقليم مونغ لاي واقليم مونغ تي ومن الجنوب والغرب الحدود اللاوسية ومن الشرق اقليم توان شو بمحافظة سون لا . بلدة ديان بيان فو هي عاصمة الاقليم وتقع في وادي مونغ ثانه الذي يبلغ طول ٢٠ كم وعرضه ٦ كم تقريباً ، ويعتبر هذا الوادي من اغنى مناطق الأرز الأربعة الرئيسية في المنطقة الشمالية الغربية التي تسكنها في الأغلب قومية تاي Thai . . هؤلاء القوم يسكنون الوادي ويزرعون الأرز بينما توجد اقليات قومية أقل عدداً تسكن المناطق الجبلية المحيطة ، حيث قومية ميو Meo تسكن القمم ، جماعات خمو ، نانهي ، فولا ، كونغ ، سنغ مول ، زاو تعيش في السفوح . . بالأضافة إلى وادي مونغ ثانه توجه عدة وديان ضيقة وصغيرة لاتتجاوز عرضها مئات الأمتار . . . ، تمر بها ثلاثة أنهار ، نهر ما Ma الذي يصب في المحيط شرقاً ، نهر نام نوك Nam Nutc الذي يلتقي مع النهر الأسود أكبر فروع النهر الأحمر، ونهر نام نوا Nam Nua يخترق الحدود اللاوسية ويلتقي مع نهر نام كو Nam Cu أحد فروع الميكونغ . ديان بيان فو تتقاطع حولها المرتفعات الجبلية من جميع الاتجاهات ، ففي الجنوب الغربي جبال فو سام سان بارتفاع ١٨٩٧ كم . . وفي الشمال مرتفعات تاي ترانغ ذات الصخور الكلسية والغابات . . وفي الشرق سلسلة جبلية بارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠ الى ١٧٠٠ كم وتفصل الوادي عن بقية الشمال الفيتنامي ، بالنسبة لطرق المواصلات فإن الممرات المائية تظل صالحة

لربط الاقليم مع مدن لاي تشاو ، سون لا ، ثانه هوا ، هانوي . . الفيتنامية ، ومدينة لونـغ بارابـانـغ اللاوسية باستثناء فترة الفيضانات ، والطرق البرية توصلها بعدة مدن في لاوس ، والصين وبورما . ولهذا كان لها في الماضي مركزاً وسيطاً في التجارة بين تلك البلدان(٣٣) .

● الاستعدادات الفرنسية :

في ضوء خطة نافار القاضية بضرب الوحدات الفيتنامية النظامية الرئيسية ومنع هذه الوحدات من القيام بمبادرات هجومية ، وابقاءها مشتتة ومرتبكة تحت الضربات الفرنسية قررت القيادة الفرنسية ابقاء الجبهة الشمالية الغربية مخترقة حتى لا تتمكن الفرق الفيتنامية التي تحركت في تلك المنطقة من اتخاذها قاعدة انطلاق آمنة للسيطرة على لاوس العليا وتهديد المواقع الفرنسية جنوبياً ، وقامت في ٢٨ اكتوبر ١٩٥٣ بتوقيع معاهدة دفاع مشترك مع حكومة لاوس الملكية !

لذلك قام الفرنسيون بإنزال ستة كتائب في سهل مونغ ثانه ، وقامت باحتلال ديان بيان فو في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣ ، بعد أن كانت الفرقة الفيتنامية ٣١٢ قد سيطرت عليها قبل عام تقريباً ، وبدأوا في تعزيزها وتحصينها لتكون مصيدة كبيرة للقوات الفيتنامية .

جياب يؤكد أن احتلال ديان بيان فو لم يكن أصلاً ضمن خطة نافار لكن الأخير عندما وصلته معلومات عن تحرك القوات الفيتنامية الشمالية الى المناطق الشمالية الغربية ، قرر ملاقاتها عن طريق بناء قاعدة هجومية في المنطقة تؤدي الى شل القوات الفيتنامية المتقدمة ، ومنعها من التقدم إلى لاوس .

القيادة الفرنسية بدأت مستعدة للمعركة منذ ديسمبر ـ وقامت بحشد أثنى عشر كتيبة ، سبع سرايا مشاة ، ثلاث وحدات مدفعية ، وحدة هندسة ، وحدة مدرعات ، وحدة نقل عسكري ، سرب طائرات نقل عسكري قام باحضار القوات والاعتدة والتجهيزات المذكورة . . . لكن القيادة الفيتنامية لم توفر للفرنسيين الفرصة المنتظرة ، لم تدفع وحداتها النظامية لاخراج الفرنسيين بل بدأت رحلة طويلة وشاقة لاحكام الحصار على المنطقة .

أسابيع عديدة انتظر الفرنسيون الهجوم الفيتنامي ، لكن شيئاً مثيراً لم يحدث فقط بعض الوحدات الفيتنامية كانت تشتبك بين الحين والآخر مع الدوريات الفرنسية الاستطلاعية . . وفي الليلة التي توقعت الاستخبارات الفرنسية أن تبدأ المعركة ٢٦ يناير ، حرك الفيتناميون بعض وحداتهم خارج الدلتا وطلبوا من الفرقة ٣١٦ أن تغادر منطقة لاي تشاو باتجاه بارابانغ بحيث وصلت القوات الزاحفة في ٧ فبراير الى جوار العاصمة اللاوسية بعد تدمير المواقع الفرنسية في مونغ خوا مما دفع القيادة الفرنسية الى نقل ٥ كتائب بالجو الى

بارابانع للدفاع عنها ، وكانت في انتظار الهجوم الفيتنامي عليها عندما أمرت القيادة الفيتنامية قواتها بالانسحاب الفوري ، والعودة الى المشاركة في حصار ديان بيان فو .

القيادة الفرنسية حاولت خلال ثلاثة شهور لاحقة على احتلالها استدراج الوحدات الفيتنامية وتهشيمها بكافة السبل ، ولكن دون جدوى ، واعتمدت عدة اجراءات مثل :

- القصف العنيف والمركز ضد لاي تشاو لاخراج القوات الفيتنامية منها .
- اعاقة التعزيزات والامدادات وخطوط المواصلات للقوات المحاصِرة .
- استخدام المدفعية والطيران لالحاق خسائر بشرية بالوحدات .
- العمل على التمدد ، وتوسيع مناطق الاحتلال .

أما بالنسبة لأعمال التحصينات والتجهيزات الدفاعية داخل ديان بيان فو فقد انجزت على الشكل التالي :

- اقامة معسكر محصن جداً في المركز .
- حول المعسكر تنتشر ثلاثة قطاعات عسكرية رئيسية (شمالي - جنوبي - أوسط)
- القطاعات الثلاثة تربطها شبكة دفاعية تتكون من ٤٩ موقع .
- المواقع المذكورة، لكل منها نظام دفاعي خاص به يشكل مع دفاعات المواقع الاخرى خريطة مقاومة معقدة .
- الشبكة الدفاعية المذكورة تحميها قوات متحركة ووحدات مدفعية ومحاطة بخنادق مواصلات واتصالات واسلاك شائكة .

أما القطاعات العسكرية الرئيسية الثلاثة فإن كلاً منها تتبعه عدة مراكز مقاومة قوية ، ولكل مركز منها شبكة مواصلات تحت الأرض ، وشبكة اسلاك شائكة وحقول ألغام ، وقوة نيران متناسقة وجاهزة .

- القطاع الاوسط يعتبر أقوى القطاعات الثلاثة .

يوجد في قلب بلدة مونغ تانه ، ترابط فيه ٨ كتائب أي ثلثي القوات الفرنسية ، يتكون من عدة مراكـز مقـاومـة ، متصلة معاً ، وتحيط بمقر القيادة ، وقواعد المدفعية ، ومراكز التموين ، والمطار .

في شرقي القطاع توجد سلسلة تلال محصنة أهمها: A - 1. B - 1. C - 1. D - 1. تقوم بمهام الدفاع عن القطاع .

عامل قوة آخر يتمتع به هذا القطاع ، يتمثل في قوة المدفعية وحركة المدرعات التي تسيطر على أية حركة داخل الوادي . .

ثم شبكة تحصينات واسلاك شائلة وخنادق لاعاقة أي تقدم .

- القطاع الشمالي يشمل مراكز المقاومة على تلة دوك لاب ، وتلة بان كيو ، الأولى لحماية

الجانب الشمالي من القطاع وصد الهجمات القادمة من لاي تشاو ، والثانية لحماية الجانب الشرقي ـ الشمالي وصد الهجمات القادمة من توان حياو ، ويشارك في الدفاع عن هذا القطاع أيضاً مركز هيم لام التابع للقطاع الأوسط

ـ القطاع الجنوبي يشمل مراكز مهمتها التصدي للهجمات القادمة من الجنوب ، وتأمين الإتصال مع لاوس العليا ، ويطلق عليه هونغ كوم ، وتوحد به قواعد مدفعية ، ومطار احتياطي .

ـ بالإضافة الى مواقع المدفعية الرئيسية في مونغ ثانه وهونغ كوم ذات الواجبات المركزية ، فإن لكل مركز وحداته المدفعية الخاصة التي تشمل الهاونات وقاذفات اللهبة ، ومدافع قصيرة المدى .

ـ القوة الجوية . كان تحت تصرفها مطارين ، أحدهما رئيسي في مونغ ثانه وآخر احتياطي في هونغ كوم ، وهذان متصلان مع هانوي وهايغونغ في خط جوي يشهد حوالي مائة رحلة يومية ، تنقل من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طن مواد وتجهيزات كما يجري اسقاط مواد تزن من ١٠٠ ـ ١٥٠ طن يومياً إلى داخل المعسكر يضاف إليها طيران الحماية المرافق لطائرات النقل ، والقاذفات التي تواظب على طلعاتها التدميرية . . ، وقد كانت طائرات الحماية تنطلق في البداية من مطاري جيالام ، وكات بي ثم لاحقاً من حاملات الطائرات الامريكية المرابطة في هالونغ .

ـ القيادة الفرنسية كان لديها قوات كبيرة في المعسكر ، لكن ثقتها كانت في نوعية هذه القوات أكثر من عددها ، متدربة تدريباً خاصاً ، لها تجارب قتالية عديدة . . وحدات مختارة . . . كان لها ثقة كبرى بالأسلحة الثقيلة ، والحديثة والتجهيزات التي تلقتها من باريس ، ومن القيادة العسكرية الامريكية . . . كما كانت تعتمد على دعم احتياطي يتمثل في امكانيات الاسطول الامريكي السابع ! لكن ذلك كله لم يكن لينجح في علاج الحالة المعنوية لآلاف الجنود المحاصرين داخل مواقع ومعسكر في أرض معادية ، والتي اضطرت القيادة الى دعمهم بأربعة كتائب مشاة وسريتي مظلات .

اثارت خطة نافار بعض القلق في فرنسا تجاه تجميع أفضل الوحدات في منطقة بعيدة ، لكن بعد سلسلة من الزيارات والمشاورات للقيادات الفرنسية السياسية والعسكرية ، ثم تحمس المفوض السياسي الجديد في الهند الصينية موريس ديجان ودعمه لنافار . . ازالت ذلك القلق ، ولم تعترض عليها لجنة الدفاع الوطني . . . العسكري الوحيد الذي عارضها هو القائد الفرنسي لشمال فيتنام الجنرال كوجني Cogny .

وزير الدفاع الفرنسي بليفن ورئيس هيئة الأركان المشتركة ايلي ورئيس المجموعة

الاستشارية العسكرية الامريكية الجديد أو دانيال من الشخصيات الهامة التي قامت بالتنفيش على الاستعدادات الفرنسية في المنطقة .

● الاستعدادات الفيتنامية :

انطلاقاً من الاستراتيجية التي رسمتها اللجنة المركزية لحزب العمال الفيتنامي للعمل العسكري في مرحلة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ والقاضية باستخدام بعض الوحدات النظامية لمهاجمة العدو في المناطق التي يكون فيها مكشوفاً . وانتهاز الفرص لتدمير القوات المتحركة المعادية حين توغلها في المناطق المحررة . . . اتخذت القيادة العسكرية المركزية قرارها بخوض معركة ديان بيان فو بعد أن يحشد العدو فيها أكبر قوات ممكنة لكي تشكل مصيدة جاهزة لأفضل وحداته العسكرية .

قبل هذه المعركة ، كانت الهجمات العسكرية الفيتنامية ـ حتى حملة الحدود ـ لاتتجاوز استخدام بضعة سرايا ، لايام محدودة . . وكان الطابع العام للهجمات غارات فدائية سريعة ، معظمها تتم ليلاً . . ضد مواقع منعزلة ، يستخدم فيها أسلحة غير حديثة . . وكانت أعظم مسافة تقطعها الوحدات لاتتجاوز مائة كيلومتر ، وبأعداد متواضعة يمكن تزويدها بالشوربة ـ لا أكثر ـ كوجبة طعام ميدانية .

لكن ، الآن ، القيادة قامت بإرسال التعزيزات الضخمة والمتواصلة الى منطقة توان جياو ، ومراكز الامداد الموجودة في الاقليم وحشدت قوات تقدر بأربعة فرق من ضمنها الفرقة الضاربة رقم ٣٥١ . . القوات الفيتنامية وباعدادها الكبيرة كانت بعيدة عن قواعدها الرئيسية لمسافاتٍ تصل إلى ٦٠٠ كيلومتر ، وهذا الأمر يحتاج للتغلب على مشاكل هامة إدارية وتموينية وامداد حربي ، كذلك نقل الأسلحة الثقيلة والاعتدة والذخائر الخاصة بها الى مناطق قريبة جداً من تحصينات العدو . . والأهم من ذلك تأمين طرق المواصلات والممرات حول ديان بيان فو ، ومايتطلبه ذلك من المرور في مناطق عسكرية مكشوفة للعدو .

القيادة العسكرية الفيتنامية واجهت نوعاً جديداً من المعارك لم تمارسها قبل الآن إلاّ بشكل محدود ، التعرض لمعسكرات محصنة يحيط بها نظام معقد من الدفاعات ، يفوق عدة مرات ماشهدته معارك العامين الماضيين . . القيادة الفرنسية نفسها لم تكن خبيرة في هذا النوع من التحصينات بل نقلته عن القوات الألمانية التي مارسته في دفاعاتها لصد القوات السوفييتية الزاحفة الى برلين في الحرب العالمية الثانية .

اعتمد الفيتناميون دائماً سياسة تدمير فعاليات العدو وضرب وحداته عندما يكون النصر مؤكداً . . . ولكن في حالة ديان بيان فو كيف يمكن التأكيد من امكانية النصر !؟

القيادة المركزية قررت ضرورة ضرب المعسكر المحصن لانه أصبح الحلقة المركزية في

حطة نافار . . وبذلك يمكن تشتيت الخطة الفرنسية ـ الامريكية الرئيسية .

ان وجود المعسكر في اقليم معزول ، في المنطقة الشمالية الغربية ،وكونه محاط بمناطق جبلية وتلال صعبة ، وبعد مئات الأميال عن المراكز الرئيسية للتموين والامداد ، والمطارات الرئيسية . كلها عوامل حفزت القيادة الفيتنامية على الإستعداد لضربه . . اعتباراً من ديسمبر

وهـذا هو هوش منه يبلغ « اعزاءه الضباط والرجال في جبهة ديان بيان فو» في ١٢ ديسمـبر انـه انيطت بهم مهمة الزحف على المعسكر « لتدمير المزيد من فعاليات العدو ، وتوسيع قواعدنا المقاتلة ، وتحرير المزيد من مواطنينا » وبعد أن يذكرهم في رسالته المفتوحة بمعـاركهم الشجـاعـة وانتصـاراتهم العظيمة في العام السـابق . وبانجازاتهم على مستوى التحصيل الايديولوجي والعسكري يطلب منهم « أن تقاتلوا بشجاعة ، والاستعداد للتغلب على الصعاب ، والمحافظة على التصميم العالي لتدمير العدو ، والالتزام السياسي ، وتحقيق نجـاحـات جديدة . . .»القيادة العسكـرية الفيتنـامية بذلت جهـداً خاصـاً لكي تظل استعـداداتها حول ديان بيان فو سرية ، ورغم صعوبة الأمر ، خاصة وأن هناك طائرات استكشـاف برحلات يومية ، ومجموعات استطلاع وعيون للفرنسيين تحاول جمع المزيد من المعلومات إلّا ان الفيتناميين نجحوا في تضليل العدو جيداً.

ان الاشتباكات الاولى أو الأولية التي وقعت بين الجـانبين خلال شهري يناير وفبراير في المنـاطق المحيطة بالمعسكـر لم يكن مردها إلا محاولة الفرنسيين التعرف على مايجري خارج مستعمرتهم الصغيرة ، وأبرز تلك المعارك كانت :

ـ التصدي الفيتنامي ـ بحوالى سرية ـ لتقدم بضعة كتائب في المنطقة الشمالية في ٣٠ يناير.

ـ تصدي ـ خمسة مجموعات قتالية فيتنامية ـ لكتيبة متقدمة في ١٢ فبراير.

ـ صمود سرية فيتنامية في وجه عدة هجمات قامت بها ثلاث كتائب في ١٥ فبراير.

وخلال تلك الاسابيع كانت القيادة الفيتنامية قد انجزت المهام التالية ؛

ـ توضيع ٤٠ ألف جندي داخل الملاجىء والمخابىء والتحصينات.

ـ تركيز مجموعات مدافع من عيار ١٠٥ ملم في مرابض حصينة وقريبة للمعسكر.

ـ نشر وحدات المضادات الجوية من عيار ٣٧ ملم في كهوف وقواعد مموهة .

ـ توزيع مواد التموين والذخيرة والتجهيزات في مخازن احتياطية تحت متناول اليد.

ـ متـابعة التطورات والتغييرات التي تجري داخل قطاعات العدو ومراكزه الدفاعية . .

أنجزت تلك المهمات بنجاح الى الدرجة التي أذهلت الفرنسيين خلال المعركة ، وقد اتضح انهم عجزوا تماماً ، وليس جزئياً ، عن وضع تقديرات صحيحة :

ـ للمدفعية الفيتنامية الميدانية ، نوعها ، قوة نيرانها . . . مواقعها .
ـ للأسلحة المضادة للطيران وامكانياتها في التأثير على حركة الطائرات .
ـ لحجم الإمدادات والإحتياط الذي قدروه لتغطية أربعة أيام قتال متواصل فقط .

اللجنة المركزية للحزب كانت تتابع تقارير التطورات العسكرية على مختلف الجبهات ، وتحديداً الشمالية الغربية ، عندما أصدرت تعليماتها الأخيرة بتدمير القوات الفرنسية في ديان بيان فو . وأخذت القيادة العسكرية على عاتقها تنفيذ خطة العمليات المعتمدة معتمدة على المبدأ المتفق عليه : « التقدم بحذر والضرب بثقة » الذي لم يقتنع به كثيرون كما ذكر جياب في كتاباته فاضطرت القيادة السياسية في الجيش الى القيام بحملة تثقيف سياسي كبيرة ، لتشريب المقاتلين وضباطهم حقيقة أن انتضار الحملة لن يتحقق الا بنضالات وتضحيات كبيرة ، والتغلب على سلسلة من الصعاب والعراقيل الهامة . العمل التحضيري الذي تم قبل المعركة ، يعادل الانتصار الذي تم في نهايتها ووفر الكثير من الدماء والخسائر ، وهذا ماأكدته التعليقات الفيتنامية خلال المسيرة التحضيرية والتي رفعت عدة شعارات تعبوية :

ـ بناء الطرقات لنقل المدفعية بحماسة . . يقود الى النصر الحاسم .
ـ تجهيز التحصينات والملاجىء بنشاط . . يقود الى النصر الحاسم .
ـ صيانة الطرق والممرات جيداً . . . عمل من أجل النصر .
ـ مزيداً من بناة الطرق يعني ظروفاً أفضل لتحقيق النصر .

ويمكن الاشارة في هذا المجال الى الاستعدادات الاستثنائية التالية :

ـ تم افتتاح الطريق رقم ٤١ والذي يصل ديان بيان فو مع توان جياو ، والبالغ طوله مائة كيلو وبناء عدة جسور وعبارات على الممرات المائية التي تقطعه ، رغم العمليات التخريبية المعادية ، وهطول الأمطار وحدوث الفيضانات .

ـ تم بناء الطرق لايصال المدفعية إلى أقرب مواقع ممكنة ، ونقلت المدفعية على مرحلتين ، الأولى بالسيارات إلى مناطق محدودة ، ثم على ظهور الرجال والشباب والبغال والدراجات لمدة سبعة أيام ولياليها ، عبر ممرات جبلية ، وممرات مكشوفة كانت خلالها تغني « للفيلة الحديدية » كما أطلق على المدفعية الثقيلة .

ـ تم بناء مواقع منيعة للمدفعية تضمن ارسال قوة نيران كافية ، وفي نفس الوقت حماية ضد المدفعية المعادية من عيار ١٠٥ ـ ١٥٥ ملم ، وبناء مقرات محصنة للمنظمات القيادية تمكنها من الإداء بواجبها القيادة على أفضل وجه .

ـ تمّ تجهيز خنادق ومواقع خاصة بالمقاتلين تمكنهم من القيام بالهجمات المفاجئة وسط المواقع المعادية ، بلغ طول هذه الخنادق مائة كيلومتر .

ـ انجزت اللجنة الحكومية التي شكلت للإشراف على امداد الجبهة والمنظمات التابعة لها ، مهماتها لتأمين الغذاء والذخيرة ، والأدوية عبر طرق إمداد طولها مئات الأميال ، ساهم فيهـا مئـات الآلاف من الـرجـال والنسـاء نفـذوا ٣ مليون يوم عمـل وفق التقـديرات الفيتنـامية . . . وقد ابدعت في هذا المجال فصائل « الأحصنة الحديدية » أي الدراجات الهوائية التي ارتفعت قدرتها على التحمل من معدل ١٠٠ كيلو جرام إلى ٢٥٠ للدراجة الواحدة .

ـ القيادة الفيتنامية في مقابل الأسلحة والأعتدة الحديثة التي يملكها العدو ، توفرت لديهـا في هذه المعـركـة امكـانيات عسكرية لم تتوفر لها سابقاً تمثلت في المدفعية الثقيلة ، والمضادات ، والسيارات التي تلقتها من الصين الشعبية . . . لكن لم تكن تلك مراهنتها الوحيدة ، كانت تعتمد على عامل نصر لم يتوفر للقيادة الفرنسية وهو الامكانيات اللامحدودة للجماهير ، معنوياً ومادياً ، والقادرة على حل المشاكل والمعضلات الإدارية والتموينية . . . ثم نوعية المقاتل الذي يخوض المعركة . . وعيه ، مصلحته . . . يقاتل من ؟ ولماذا ؟ وهذا إمتياز توفر للقيادة الفيتنامية ولم توفره التكنولوجيا الحديثة للقيادة الفرنسية !

ـ صحيح أن المعـركة القادمة ، بشكل عام تفرض نوعاً جديداً من القتال بالنسبة للمقاتل الفيتنامي الذي اعتاد عموماً على خوض معارك حرب التحرير الشعبية التي تراوحت بين تكتيكات حرب العصابات والحرب النظامية البسيطة . . . لكن المعركة الجديدة تتطلب منـه التطبيق الخلاق للدروس التي مر بها خلال تطور هذه الحرب الشعبية ، ولاستيعاب الأسلحة والمعدات والتقنية التي تزودت بها القوات المسلحة الفيتنامية خلال الشهور الماضية . .

في الأسبوع الأول من مارس وضعت اللمسات الأخيرة على خطة الهجوم الفيتنامي الذي يشمل ثلاث مراحل ،

ـ أولها : هجوم ساحق على القطاع الشمالي لتدمير مواقعه وإبادة قواته . .

ـ ثانيها : عزل القطاع الجنوبي عن الأوسط واحتلال التلال الشرقية .

ـ ثالثها : هجوم عام لتصفية المواقع المركزية والسيطرة على المعسكر . . وفي نفس الوقت كانت الحركة الخارجية للوحدات الفيتنامي توحي بأن الهجوم المفترض قد تم الغاؤه أو على الأقل تأجيله ، إلى درجة أن القيادة الفيتنامية حركت قواتها يوم ١٢ مارس لمهاجمة كوي نهون .

كانت الأوامر الحقيقة قد صدرت بشن الهجوم على ديان بيان فو في اليوم التالي ، مع تحية هوشي منه الى الكوادر والمقاتلين عبر الأثير .

« أنتم جاهزون للهجوم لكن مهمتكم هذه المرة ثقيلة جداً . . . وعظيمة » قد انجزتم

كثيراً في المجالات الايديولوجية والعسكرية والتقنية والفنية . . ولهذا فأني أكيد من أنكم ستحققون الانتصارات الراهنة ، وستقهرون كل الصعاب والعقبات من أجل الوفاء بمهمتكم العظيمة . . . » .

ويختتم رسالته « أنني أتطلع لاستقبال أخبار انتصاراتكم . . وسوف نكافىء أفضل الوحدات والأشخاص . . مع تمنياتي لكم بنصر عظيم » . .

المرحلة الأولى : الهدف تدمير المراكز الخارجية الشمالية والشمالية الشرقية التي تضم مركز هيم لام وهو أهمها ثم تلة دوك لاب ، وتلة بان كيو .

وقد روعيت من الجانب الفيتنامي الإحتياطات التالية :

١ ـ أن يكون عدد القوات المهاجمة أكثر من ثلاثة أضعاف المدافعة .

٢ ـ أن تكون قوة النيران ـ هاونات ومدفعية خفيفة ـ اضعاف قوة نيران العدو .

٣ ـ أن تقوم المدفعية الثقيلة بحماية قوات المشاة وتحييد مدفعية العدو .

معركة هيم لام ؛ يطلق عليه الفرنسيونBeatrice :

كان من المقرر آن تبدأ المدفعية قصفها الساعة الرابعة مساء يوم ١٣ مارس على أن يبدأ الهجوم الساعة الخامسة إلّا أن اكتشاف العدو لبعض الإستعدادات وقيامه بالتعامل معها مبكراً جعل المدفعية تبدأ قبل الموعد المحدد لتدمير بعض تحصينات العدو ومنها مقر القيادة حيث قتل قائد المركز وقائد القطاع الأوسط الذي تصادف وجوده .

بالتنسيق بين المدفعية والمشاة المتقدمة تم تدمير أول موقع في المركز بعد ساعة ، والموقع الثاني ، بعد ساعتين ، أما معركة الموقع الثالث فكانت أكثر ضراوة حيث استعاد الفرنسيون نشاطهم المدفعي واستمرت حتى الساعة العاشرة والنصف ليلّا عندما دمر الموقع وسقطت هيم لام نهائياً التي كانت تدافع عنها كتيبة اجنبية تابعة للواء الثالث عشر ، سقط منها ٣٠٠ جندي واعتقل ٢٠٠ آخرين .

معركة دوك لاب : يطلق عليه الفرنسيون Gabrielle

طوله ٧٠٠ متر وعرضه ١٥٠ متر ويبعد عن المركز الرئيسي ٤ كم تدافع عنه كتيبة من شمال افريقيا ، بدأ القصف الساعة الخامسة مساء ١٤ مارس ، استهدف مقر القيادة ومواقع المدفعية والمطار قام الطيران الفرنسي بالرد وكذلك المدفعية . . الهجوم البري تأخر بسبب هطول أمطار غزيرة أعاقت تقديم المدفعية ، حتى الساعة الثانية صباح ١٥ مارس واستمرت المعركة ضارية حتى الساعة السادسة والنصف وانتهت بالتدمير الكامل للموقع ، حاول العدو حينها إرسال وحدة مشاة معززة بالمدرعات من مونغ ثانه لنجدة قواته إلا أنها أجبرت على الإنسحاب بعد تكبيرها عدة خسائر . .

حول قوة نيران العدو أفادت المصادر الفيتنامية أن العدو إستهلك خلال الأيام الثلاثة الاول ٣٠ ألف قذيفة

معركة بان كيو : Anne. Marie حسب التسمية الفرنسية .

يبعد الموقع كيلو مترين عن المركز ، وتدافع عنه كتيبة من القوات المحلية بقيادة فرنسية ، بدأ الهجوم الساعة الثالثة مساء ١٧ مارس بإطلاق عشرين قذيفة على الموقع أدت الى لجوء الضباط الفرنسيون إلى الملاجىء فانتهزت القوات المحلية الفرصة لترفع اعلام الإستسلام وقامت بتسليم أسلحتها حاولت المدرعات الموجودة مطاردتهم لكن المدفعية اجبرتها على العودة.بذلك تكون المرحلة الاول قد انتهت بتدمير مواقع العدو وتشتيت قواته ، وكشف الجبهات الشمالية ، الشمالية الشرقية ، الشمالية الغربية ، وخلق ظروف أفضل للقوات الفيتنامية لشن الهجوم الثاني على القطاع الاوسط بعد التضييق عليه .

القيادة الفرنسية حاولت تبرير هزيمتها في هذه المعركة بالقول أن القيادة الفيتنامية استخدمت تكتيك الموجات البشرية الانتحارية مع كثافة نيران المدفعية الثقيلة، ويزعم الفرنسيون أن جياب دفع ثمناً لانتصاره بلغ حوالي ٢٥٠٠ ضحية .

بالنسبة للفيتناميين فإن المعركة كانت أول تجربة من نوعها في مواجهة هكذا مواقع معنيعة ، وأن سمتها كانت حرب أو قتال « مواقع » وحصار يليه قتال التحامي . . . ويرى الفيتناميون انه لولا الأعداد الجيد والكامل لما أمكن تحقيق الإنتصار فيها . . كما يشيدون بمستوى التنسيق بين المدفعية الثقيلة والمدافع المضادة والذي أدى الى تحييد مدفعية العدو وشل طيرانه . . . لدرجة دفعت قائد وحدات المدفعية الثقيلة الفرنسي إلى الإنتحار .

خسائر الفرنسيين في المرحلة الأولى كانت كتيبتين اخرجت من المعركة . وكتيبة ثالثة تمزقت ، مواقع المدفعية دمرت جزئياً وتدنت فاعليتها ، المطار الرئيسي جرى شل حركة بالمدفعية ، خلال المعركة حاولت القيادة الفرنسية تعزيز مواقعها بكتيبتي مظليين من هانوي وانزال مدفعية ثقيلة وعتاد ، ودعم الخطوط الدفاعية . . كما اعادت تنظيم وتقوية دفاعاتها في المطار ، استعداداً لحولاتٍ جديدة ، واستبدلت القوات المحلية في المواقع الخارجية بقوات أوروبية وافريقية ، كما جرى تكثيف القصف الجوي على الجبهة وخطوط الإمداد .

المرحلة الثانية : الهدف احتلال التلال الشرقية والمطار وقطع طرق الإمداد وتشديد الحصار وتقليص القطاع المحتل والمجال الجوي للقطاع المركزي تمهيداً للهجوم العام . القطاع الأوسط يشمل ٥ مراكز مقاومة تضم ٣٠ موقعاً تدافع عنها ٧ كتائب أوروبية وافريقية وكتيبة محلية ، كما تضم وحدات مظلية ، وبداخله مقر للقيادة ، مواقع المدفعية الثقيلة ، وحدة مدرعة ، الإدارة والتموين ، المطار الرئيسي .

المرحلة الثانية من المعركة تعتبر أهم وأطول وأشرس من الأولى ، حيث القتال

سيتواصل نهاراً وليلاً ، قتال في أرض مكشوفة ومنبسطة أيضاً ، بعكس القتال السابق الذي كان يتم بشكل رئيسي ليلاً ، وفي مناطق جبلية ومحصنة .

من هنا اعداد المواقع الهجومية ومواقع الحصار ومحاور الاتصالات حول المركز للتمكن من قطع القطاع الأوسط عن الجنوبي . . هذه العملية التحضيرية استغرقت ١٢ يوماً حفر خلالها حوالي مائة كيلو متر من خنادق المواصلات والقتالية . . بذلت القوات الفرنسية جهوداً كبيرة لتدمير خطوط المواصلات والمواقع المذكورة إلّا أنها كانت تقترب منها أكثر وأكثر حتى يوم المعركة المنتظرة في ٢٠ مارس .

المقاتلون الفيتناميون كانوا قد هاجموا موقع 106 غربي المطار واحتلاله ليلة أول إبريل ، واحتلوا الموقع 113 غربي المطار في الليلة التالية . . . واستمروا في سياسة القضم التدريجي. للمواقع الفرنسية لتقريب مواقعهم وتشديد الحصار في ظل تغطية متواصلة ليلاً ونهاراً من نيران المدفعية . . ليلة ١٨ إبريل انتقل الزحف الفيتنامي إلى شمال المطار حيث احتلوا الموقع 105 ، ثم إلى غرب المطار ليلة ٢٢ إبريل حيث سقط الموقع 206 . . . وبذلك أصبح المطار مكشوفاً من ثلاث اتجاهات . . فتقدمت القوات من هذه الاتجاهات لتقطع المطار وتسيطر عليه في اليوم التالي ، حاول الفرنسيون استخدام مالديهم من قوة نيران برية وجوية لتغطية هجوم مضاد لاسترداد المطار شاركت فيه الآليات ، ودارت على الأثر معركة عنيفة في ٢٤ ابريل انتهت بفشل الهجوم المضاد ، وتدمير جزء من قوات الفرنسيين ، وتعزيز المواقع الفيتنامية .

تقول الوثائق الفيتنامية أن خسائر الفرنسية في معركة ديان بيان فو حتى ذلك الوقت كانت قد بلغت اخراج ست كتائب من المعركة ، ثلاثة منها تدمرت نهائياً ، وان المنطقة المركزية المحتلة تقلصت الى حوالي كيلومترين فقط . . . وبذلك أصبحت تحت مرمى كافة أنواع الأسلحة ، بحيث تقدمت المدافع المضادة الى الداخل لتشل الحركة الجوية ، بينما زحفت المجموعات القتالية المختلفة الى مواقع جديدة لها ، مما زاد في تدهور الحالة المعنوية للجنود الفرنسيين وانتابتهم حالة من الخوف والتوتر . . بعد النجاحات الفيتنامية الأخيرة وتعطيل عمل المطار ، أصبح واضحاً لدى الأوساط الفرنسية أن الاحتفاظ بالمعسكر غير ممكن . فبرز اتجاهان في هذه الأوساط :

ـ الاتجاه الأول يدعو للعمل على التوصل الى وقف لاطلاق النار مع الفيتناميين قبل أن تتمكن قواتهم من السيطرة على الموقف العسكري . . ويرى أصحاب هذا الاتجاه التفاوض مع حكومة هاشي منه تمهيداً لبدء مؤتمر جنيف الذي دعت إليه الدول الأربع الكبرى .

ـ الاتجاه الثاني يدعو إلى إنقاذ الموقف العسكري بأسرع مايمكن ، وبأية وسائل متوفرة

حتى لو استدعى ذلك التدخل الامريكي العسكري المباشر لانقاذ حامية ديان بيان فو .

لكن التطورات الميدانية تسارعت وبدأ الفيتناميون هجومهم في بدأ الساعة الخامسة مساءً بمهاجمة خمس تلال في القطاع الأوسط تشكل خطاً دفاعياً متكاملاً ، سقوطها يجعل الدفاع عن المعسكر امراً غير ممكن . . . ومن هنا كانت شراسة القتال .

- في الساعة الاولى تم احتلال التلة رقم C-1 .
- بعد ساعة ونصف سقطت التلة رقم E .
- بعد ساعتين احتلت التلة رقم D والتلة D-2 .
- في ٣١ مارس شن الفرنسيون هجوماً مضاداً ، وكذلك في أول إبريل ، على المواقع السابقة وجرى صدهم .
- اشرس المعارك دارت حول التلة رقم A-1 لأهميتها الاستراتيجية وقد احتلت القوات الفيتنامية ثلثي التلة ليلة ٣٠ مارس وفي صباح ٣١ مارس سيطر الفرنسيون على ثلثي التلة وهاجم الفيتناميون مرة أخرى ليلة ٣١ مارس حتى صباح اليوم التالي ليسيطروا على ثلثي الموقع الذي استمرت الهجمات والهجمات المضادة عليه حتى تقاسمه الطرفان في ٤ إبريل .
- معركة شرسة اخرى دارت حول التلة C-1 بعدما انزل الفرنسيون عليها قوات مظلية في ٩ إبريل ، واستمرت المعارك أربعة أيام بلياليها اسفرت عن اقتسام التلة .

كل الإجراءات العسكرية التي اتخذت لانقاذ الوضع في هذا القطاع لم تفلح فحاولت القيادة الفرنسية حل مشكلة التموين والإمداد بإسقاط المواد المطلوبة عن طريق المظلات لكن معظم المواد كانت تسقط في مناطق الفيتناميين وتساهم في دعم صمودهم ، كما أن القوات التي انزلت (حوالى كتيبتين) جرى أسر عدد كبير منها عند الفيتناميين ، الطائرات الأمريكية بذلت جهداً متواصلاً لنجدة الفرنسيين ، على مستوى القاذفات وطائرات النقل ، حيث استخدمت طائرات من طراز سي 119 والفرنسيون استخدموا ثلثي قوتهم الجوية في الهند الصينية . . وضوعف عدد الغارات على المواقع الفيتنامية ليبلغ ٢٥٠ غارة يومياً في بعض المراحل ، كما جرى الاستنجاد بالقوات الفرنسية الموجودة في حوض نهر نام هو لشن هجوم على القوات الفيتنامية من الخلف لكن القوات المذكورة لم تتمكن من القيام بالمهمة حتى نهاية المعركة . . . حاولت القيادة الفرنسية أيضاً اعداد هجمات في جبهات أخرى مثل توين كوانغ ، يين باي ، تو دوان لضرب مؤخرة القوات الفيتنامية لكنها تراجعت عن محاولاتها لتجنب هزيمة جديدة .

الصعوبات لم تكن في الجانب الفرنسي وحده ، بل كانت الجبهة الفيتنامية تعاني مشاكل عديدة وخطيرة في المرحلة الثانية حيث طالت أكثر مما كان مخططاً لها . فخلقت وضعاً قلقاً وتململاً في أوساط القوات ، التي بدأت تعاني من مشاكل الإمدادات . . القيادة

الفرنسية ركزت خلال شهر ابريل جهوداً غير عادية لضرب طرق الإمداد والمواصلات وخلفية القوات الفيتنامية ، استخدمت خلالها ماتحت يدها من أنواع القنابل الموقوتة ، وذات الفراشة ، والقنطارية ، فحولت الممرات الى جحيم يومي وخاصة أن وسائل النقل الفيتنامية غير ممكننة وبطيئة ، مما أخر وجبات الإمداد إلى درجة هبوط المخزون في خطوط الجبهة الأمامية إلى مستوى متدني . . . وزاد في سوء الموقف وتفاقمه الآثار التي سببتها الأمطار والفيضانات التي تعرضت لها المنطقة . كذلك بقاء المقاتلين فترة طويلة داخل الخنادق والملاجىء ، واستمرار الإشتباكات لأيام متواصلة دون توقف ، أثرت على الحالة المعنوية والصحية لهم .

يقول جياب حول هذه المرحلة من الحملة أن أهم السلبيات التي واجهتها القيادة كانت النزعة اليمينية السلبية التي ظهرت بين القوات والتي استغلت حجم الضحايا والخسائر التي تواجهها الحملة في حالة استمرارها . . .

وقد شكت القيادة الفيتنامية أن ضباطاً ارتكبوا أخطاء عديدة وبسبب نزعتهم اليمينية كبحوا إلى حد ما آثار الانتصارات العسكرية التي حققتها القوات المقاتلة استعداداً للهجوم الأخير . . . لذلك أصدر المكتب السياسي للحزب تعليمات الى كافة أعضاء الحزب في الوحدات المقاتلة بمحاربة النزعة اليمينية وتصحيح الأخطاء التي ارتكبت ، لتعزيز التصميم ورفع الإحساس بالمسؤولية ، وطالبت الجميع بإطاعة الأوامر وتنفيذ التعليمات المركزية . أشارت القيادة الفيتنامية إلى ظهور اتجاه عالي الذاتية ، مستخف بالعدو ، لديه غرور يظهر عند الإنتصار ، لابد من كبحه والسيطرة عليه .

الحكومة المركزية حاولت بدورها العمل على حل المشاكل في مجال الطعام والذخيرة ، قامت بشن حملة واسعة جندت لها مئات آلاف من المواطنين للعمل على توفير الدعم - لعشرات الآلاف المقاتلين - في خطوط أمداد طولها تراوح بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كيلومتر ، وأرسلت مئات الكوادر المتوسطة والعليا للعمل في مجال الإمداد . . . القيادة العسكرية بدورها قامت بسحب بعض الوحدات الى الخلف لاعادة تنظيمها ، ووحدات أخرى لاستكمال النقص نتيجة الخسائر التي لحقت بها ، وذلك خلال القتال المستمر ، وقامت بالتركيز على العمل السياسي داخل القوات .

القيادة الحزبية - عقدت مؤتمراً لمندوبي الحزب في الفرق والتشكيلات الأدنى . ناقشت فيه تفصيلاً أوضاع الجبهة ، والموقف عند الطرفين المتقابلين ، والشروط اللازمة للقيام بتدمير قوات العدو قبل هطول الأمطار الغزيرة . . . يذكر جياب أن المؤتمر شهد « نضالاً ايدلوجياً وسياسياً جدياً وشاملاً » أسفر عن التأكيد على التقيد التام بالمبادىء الأساسية لكسب المعركة ، وعلى « الروح الديناميكية الثورية للبروليتاريا في حزبنا وجيشنا ، روح

القتال بلا تنازل أو اذعان للعدو . . . تحذر الشعب إلاّ يستند إلى أمجاده فقط ، إلاّ يجفل من الصعـاب ، بل يقاتل في كل الظروف حتى النصر النهائي ؛ وتنعكس هذه الروحية على القوات المسلحة في روح قتال بطولية ، وتصميم على تدمير العدو ، وأصرار على التغلب على الصعاب ، والتنفيذ الصارم للأوامر ، يجعل الشعب بدوره لا يهاب الخطر ولا التعب أو الخسائر والتضحيات . .

وحذرت المقاتلين من الغرور عند النصر ومن الإهتزاز عند الإخفاق .

وهكـذا اخضعت القـوات الفيتنامية بعد المؤتمر إلى حملة تثقيف أيدلوجي وسياسي واسعة شملت كافة الوحدات والتشكيلات ـ أدت ـ حسب المصادر الفيتنامية ، إلى القضاء على النزعات الخاطئة السابقة وإعادة الثقة بالنصر النهائي إلى المقاتلين ، وانخرط الجميع في التحضير للمرحلة الثالثة والنهائية للحملة .

العمل السياسي بين القوات انطلق خلال تلك المرحلة يكرس المفاهيم التالية :

ـ المعنى العظيم لحملة ديان بيان فوواستمراريتها حتى النصر .

ـ شرح قرارات اللجنة المركزية للحزب وتصميمها على تدمير قوات العدو نهائياً .

ـ الـتركيز على كل انتصار يتحقق على الجانب الفيتنامي ، وكل تراجع أو انتكاسه تصيب القوات المعادية .

ـ الإشـادة بالأمثلة المتميزة خلال القتال بين الضباط والجنود ، وتشجيع البطولات الفردية للضباط والجنود .

ـ التركيز على أهمية الإنضباط ، الالتزام ، النظام في الحياة على الجبهة ، وضرورة تطبيق العقاب والثواب الصحيح والسريع بين المقاتلين لرفع الروح القتالية . .

كما شارك التفويض السياسي في متابعة ومراقبة الشؤون التنظيمية والتعبوية والإدارية للمقاتلين ، على سبيل المثال ؛

ـ الاهتمام بتجنيد أعضاء جدد للحزب ، وتنظيم الخلايا الحزبية داخل القوات .

ـ مراقبة الحفاظ على الوحدات المقاتلة باعدادها الكاملة عبر الاستكمالات والتبديلات ورفدها بكادرات جديدة خلال القتال .

ـ متابعة السهر على سلامة المقاتلين عبر سلامة التحصينات والمواقع ، وتوفير الوجبات الأكثر ملائمة والشروط الصحية المناسبة .

المرحلة الثالثة : احتلال التلال الشرقية الباقية ، والمراكز الغربية والتقدم الى الأمام أكثر كمقدمة لضرب مركز القلب واغلاق المجال الجوي نهائياً . . وتنفيذ الضربة الأخيرة .

بدأ الهجوم ليلة أول مايو على التلة رقم C-1 واحتل الفيتناميون ماتبقى منها في نفس الوقت جرت السيطرة على مواقع 505-505A الموجودة على التلال الشرقية على الضفة الشرقية

لنهر نام روم ، كما جرى احتلال الموقع A - 311 على الجانب الغربي للنهر .

العمليات في القطاع الجنوبي اسفرت على اخراج القوات الفرنسية المرابطة في شمال شرق هونغ كوم من المعركة .

في ٣ مايو جرى احتلال الموقع B - 311 في الجانب الغربي . . .

وبذلك جرى تشديد الحصار على مقر القيادة الذي اصبح على بعد ٣٠٠ متراً من بعض الوحدات المتقدمة .

معركة التلة رقم 1 - A بدأت الساعة السادسة مساء ٦ مايو بإدخال كمية متفجرات إلى داخل الموقع ، ثم قامت الوحدات بمهاجمته من كافة الإتجاهات . . مما أدى الى سقوطه واخراج القوة الأجنبية التي كانت تدافع عنه . . . وفي نفس الليلة تم احتلال التلة 2 - C التي تشكل موقع التخزين بين التلة 1 - C ونهر نام روم . . تلاها سقوط الموقع 506 شمال جسر مونغ ثان والموقع 310 جنوب الجسر وبذلك تكون التلال الشرقية قد سقطت كاملة مع الجزء الأعظم من القوات المعادية . . .

وتبقى من المنطقة المحتلة مساحة تتراوح بين ٧٠٠ ـ ١٠٠٠م[٢] الأوضاع الفرنسية قد ساءت كثيراً قبل هذه الجولة من القتال ولم تصل المساعدات الأمريكية الموعودة والمنتظرة لانقاذ الموقف . وجعلت المدفعية الفيتنامية استعمال المطار أمراً مستحيلاً ، ولم يتمكن الفرنسيون من اخراج جرحاهم ، والتموين والذخيرة لم تعد تصل جواً . . المجموعات الفيتنامية تزحف عبر الممرات والأنفاق لتضيق الدائرة على الفرنسيين الذين لم يتمكنوا اطلاقاً من ضرب دائرة الحصار . . . ويصف بعض الفرنسيين هطول الأمطار الكثيفة في تلك الأيام الأخيرة من ابريل بإنها « حولت معسكر ديان بيان فو إلى بحر من الأوحال ، والخنادق والملاجيء الى أكفان من الطين لآلاف الجنود والمقاتلين . . . ، وتحول المعسكر إلى جهنم قبل أن يبدأ الفصل الثالث من المعركة . . . والذي لم يترك للفرنسيين خيارات عديدة في المرحلة الأخيرة من الحملة »؛

المرحلة الأخيرة : الهدف احباط خطة الإنسحاب . . . واستسلام القيادة الفرنسية .

بعد المعارك الأخيرة ، تأكدت القيادة الفرنسية بما لايدع مجالاً للشك أن هزيمتها المنكرة قادمة ، لذلك حاولت انقاذ مايمكن من القوات الفرنسية والافريقية المحاصرة ، فاعدت خطة لسحب القوات المذكورة الى مناطق آمنة ، وتشمل الخطة خطوتين :

الأولى : فك الحصار الفيتنامي في احدى حلقاته ليلة السابع من مايو .

الثانية : التوجه بالقوات الى الأراضي اللاوسية عبر ثلاث محاور .

المظليون ينسحبون الى الجنوب الشرقي ، المرتزقة والأفارقة ينسحبون إلى الجنوب . أما القوات المدافعة عن هونغ كوم فتنسحب أيضاً إلى الجنوب . . . ويلتقي مع هذه القوات

المنسحبة قوات فرنسية قادمة من لاوس العليا . . على أن يبقى الجنرال دي كاستري مع الجرحى داخل مقر القيادة في المعسكر . . ولهذا السبب خفف الفرنسيون من طلعات الطيران في اليوم الأخير ولم يسقط سوى بعض المواد التموينية لا الذخائر ، كما قام الفرنسيون بتدمير الأسلحة والذخائر المتوفرة ، وألقى بعض الجنود بأسلحتهم وذخائرهم في نهر نام روم . .

القيادة الفيتنامية كانت على علم بنوايا الفرنسيين الانسحابية ، فشنت هجوماً على الموقع 507 قرب الجسر عند الساعة الثانية ظهر ٧ مايو أسفر عن استسلام الجنود بعد معركة قصيرة ، كما هاجمت الموقعين 508 - 509 على الضفة اليسرى للنهر فاستسلمت القوة الموجودة فيهما . .

الساعة الثالثة بذا الهجوم العام الذي استهدفت المقر العام ، حيث تقدمت الفرق الفيتنامية من عدة اتجاهات وفق تنسيق محدد للحركة . . . وعند الساعة الخامسة والنصف تم السيطرة على المقر واعتقال الجنرال دي كاستري ومجموعة القيادة التي تضم ١٦ عقيد ، ١٧٤٩ ضابط وصف ضابط . وحوالى سبعة الاف من قواته . .

وفي نفس الوقت قامت وحدات فيتنامية أخرى بمهاجمة القطاع الجنوبي الذي يضم حوالى ألفي جندي حاولوا الإنسحاب نحو لاوس العليا إلّا أن المطاردات استمرت خلفهم حتى منتصف الليل ، وألقي القبض عليهم . . . كآخر أسرى المعركة التي استمرت ٥٥ يوماً .

أما هوشي منه الذي كان يتابع تطورات القتال من مقر قيادته ، فقد أسرع في الصباح التالي ٨ مايو بإرسال التهنئة الحارة باسمه واللجنة المركزية الى ضباط وجنود ومتطوعي وشباب وجماهير ديان بيان فو على انجازاته العظيمة . محذراً من « الذاتية والغرور والتقليل من قوة العدو لان هذا النصر عظيم . . . لكنه البداية فقط . . »[٣٧] .

أكد الزعيم الفيتنامي في برقيته التصميم على القتال من أجل الإستقلال والوحدة الوطنية والديمقراطية والسلام ، وأشار إلى أن النضال العسكري «والدبلوماسي قد يكون طويلاً وشاقاً قبل أن يتحقق النصر الكامل » . .

وقد وعد بمكافأة المشتركين في المعركة لإنجازاتهم الباهرة . .

وذكرت بعض المصادر أن القيادة الفيتنامية قد قامت لاحقاً بتوزيع الأراضي التي صادرتها خلال حملة الإصلاح الزراعي على أبطال ديان بيان فو .

نتائج المعركة لم تقتصر على الخسائر العسكرية الفرنسية والتي بلغت مقتل واصابة وأسر أكثر من ١٦ ألف جندي وضابط ١٥٠٠ قتيل ـ ٣٥٠٠ جريح ١٠ آلاف أسير ومفقود يتبعون ٢١ كتيبة مشاة ومظلية ومدفعية وهندسة ، واسقاط ٦٢ طائرة قاذفة وشاحنة من طراز ب

٢٤ ، سي ١١٩ وتدمير كميات كبيرة من الأسلحة والتجهيزات والآليات والذخائر . . . بل شكلت ضربة قاصمة لاستراتيجية نافار ، التي لم يعد ممكناً المضي فيها ، وأدت إلى انحطاط معنويات القوات الفرنسية والأجنبية إلى أدنى حد ، وارتباك القيادة والتشكيلات العسكرية ، التي كان مخرجها السريع اعادة التمركز والتجمع في المناطق الجنوبية بعد انسحاباتها المتتالية من الشمال . . ومن الناحية السياسية أدت المعركة الى خلق وضع جديد في مفاوضات جنيف واسقاط حكومة لانيال الفرنسية لصالح حكومة منديس فرانس الذي أقر بالأمر الواقع الجديد ووقع الاتفاقية التي اعترفت باستقلال وسيادة فيتنام . . . وتقسيمها أيضاً !

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب الثالث

(١) هوشي منه : المختارات بالانجليزية P. 70 .

(٢) المقطفات من المصدر السابق 73 - P. 68 .

(٣) ترونغ تشنه : المختارات بالانجليزية P. 85 .

(٤) كان الامريكيون والبريطانيون يظهرون موقفاً متعاطفاً مع الفيتناميين لكنهم عندما فشلوا في استمالة هوشي ، انقلبوا لصالح الفرنسيين تماماً .

(٥) للمزيد حول هذه النقطة يمكن مراجعة ترونغ تشنه : المختارات 172 - P. 158 . جياب . المختارات 224 - P. 212 .

من الجدير بالذكر أن محاولة فلسطينية قد جرت لتعريب المراحل الثلاث للحرب الثورية على التشكل التالي مرحلة النواة . مرحلة التحريك . مرحلة النضوج . كما جاء في دراسات ثورية ـ حركة فتح ، عدد ١ ، ص ١٥٢

(٦) حول مراحل الحرب الثورية يمكن مراجعة المصدرين السابقين ومختارات ماوتسي تونغ .

(٧) مسألة الهجومية والنفس الهجومي اثارت جدلاً كبيراً بين وزير الدفاع الفيتنامي الجنرال فان تيز زونغ ووفد فلسطيني زار هانوي في ديسمبر ١٩٧٦ بحضور المؤلف .

(٨) عندما يتقدم العدو ننسحب ، وعندما يتوقف نناوشه ، وعندما يتحشانا نهاجمه ، وعندما ينسحب نتعقبه .

(٩) حول هذا الموضوع راجع ، جياب : قصة المقاومة الشعبية ـ دار الاداب بيروت .

(١٠) اعتادت القيادات الفيتنامية على الاستنجاد بأقوال وكلمات تاريخية مأثورة في نداءاتها وخطاباتها الجماهيرية .

(١١) نجوين لونغ بانغ كان نائباً لرئيس الجمهورية عند وفاته وقبلها شغل مواقع هامة في الرقابة المركزية والسلك الدبلوماسي .

(١٢) (١٣) المصدر Val. II P. 744 - 745 - VN. A Gmbattled Dragon .

(١٤) انظر نداء هوشي منه من أجل التنافس الوطني ـ المختارات P. 84 .

(١٥) حصل الفيتناميون على نسخة من التقرير السري للجنرال وبث اذاعة الثورة بعض مقتطفاته فاذهلت الفرنسيين .

(١٦) الجنرال جياب : حرب المقاومة الشعبية ، ونجد نفس المضمون في كتابات هوشي منه وترونغ تشنه .

(١٧) الجنرال زونغ كان أحد ضباط معركة الحدود . وقد تحدث في مذكراته عن الهروب الكبير للوحدات الفرنسية على الطريق رقم ٤ ، بقيادة شارتون وليباج ، أما الجنرال جياب قائد المعركة فقد رصد خسائر

الفرنسيين كالتالي

١٣ قدلمة مدفعية ثقيلة ١٢٥ قطعة هاون ٩٥٠ بندقية آلية ١٢٠٠ نصف آلية ٨ الاف بندقية عادية ٤٥٠ سيارة وآلية ، وفق ماجاء على لسان الجنرال جياب : المصدر السابق ص ١٩ .

(١٨) المصادر الغربية ذكرت الخسائر الفيتنامية في الهجمات الثلاث كالتالي ، ستة الاف ، ثلاثة الاف ، ستة الاف كما جاء في P. 752 - VN. A Embattld Dragon بينما المصادر الفيتنامية لم تتحدث عن تلك الخسائر .

(١٩) الجنرال جياب : حرب المقاومة الشعبية ص ٢١ .

(٢٠) على اعتبار ان القوات الثورية أصبحت على بعد مئات الأميال من قواعدها الآمنة الاصلية .

(٢١) ذكر ضباط فرنسيون أن الفيتناميين استخداموا مدافع ميدان ومضادات وهاونات ورشاشات وآليات شرقية .

(٢٢) الأرقام المذكورة منقولة من Vol II P 758 - V.N AEmbattled Dragon .

(٢٣) كان هوشي منه قد حذر منذ عام ١٩٥٠ بأن التدخل الأمريكي في الحرب الفرنسية سيلقى نفس المصير الذي لاقاه تدخلهم الى جانب كومنتانج الصين .

(٢٤) بعد سيطرة الفرنسيين على خطوط المواصلات الرئيسية خلال توسعهم الكبير قاموا بتقسيم فيتنام الى عدة مناطق رئيسية تشمل كل منها مجموعة من محافظات .

(٢٥) اضيف نفس العدد (تقريباً) من الكتائب في العام التالي ١٩٥٤ .

(٢٦) ذكرت مصادر اخرى أن القوات المستخدمة في عملية اطلنطة شملت ٢٠ كتيبة مشاة ٣ كتائب محمولة ٤ وحدات مدفعية .٠

(٢٧) افردنا فصلاً خاصاً بديان بيان فو نظراً لاهميتها الاستراتيجية عسكرياً وسياسياً والنتائج الخطيرة التي ترتبت عليها .

(٢٨) الشطب أو الابادة تعني في البيانات الفيتنامية قتل وجرح وأسر كل أفراد الوحدة ، أما التشتيت أو التمزيق فيعني قتل وجرح جزء من الوحدة .

(٢٩) بخصوص الخسائر الفرنسية في حرب الهند الصينية راجع الملحق رقم (٣) .

(٣٠) (٣١) من وثائق البنتاغون : التاريخ السري لحرب فيتنام جزء ١ ـ ترجمة محمد أنيس ـ حمدي عبد الجواد ـ المؤسسة المصرية العامة للكتاب ص ٦٢ .

(٣٢) راجع دراستنا في التسوية السلمية ـ مجلة الفكر الديمقراطي ـ العدد الخامس .

(٣٣) للمزيد من المعلومات حول الموقع الجغرافي والتاريخي لديان بيان فو يمكن مراجعة كتاب : Dien Bien Phu - Before, during, After. Vietnamese Studies No 43 Hanoi 1976.

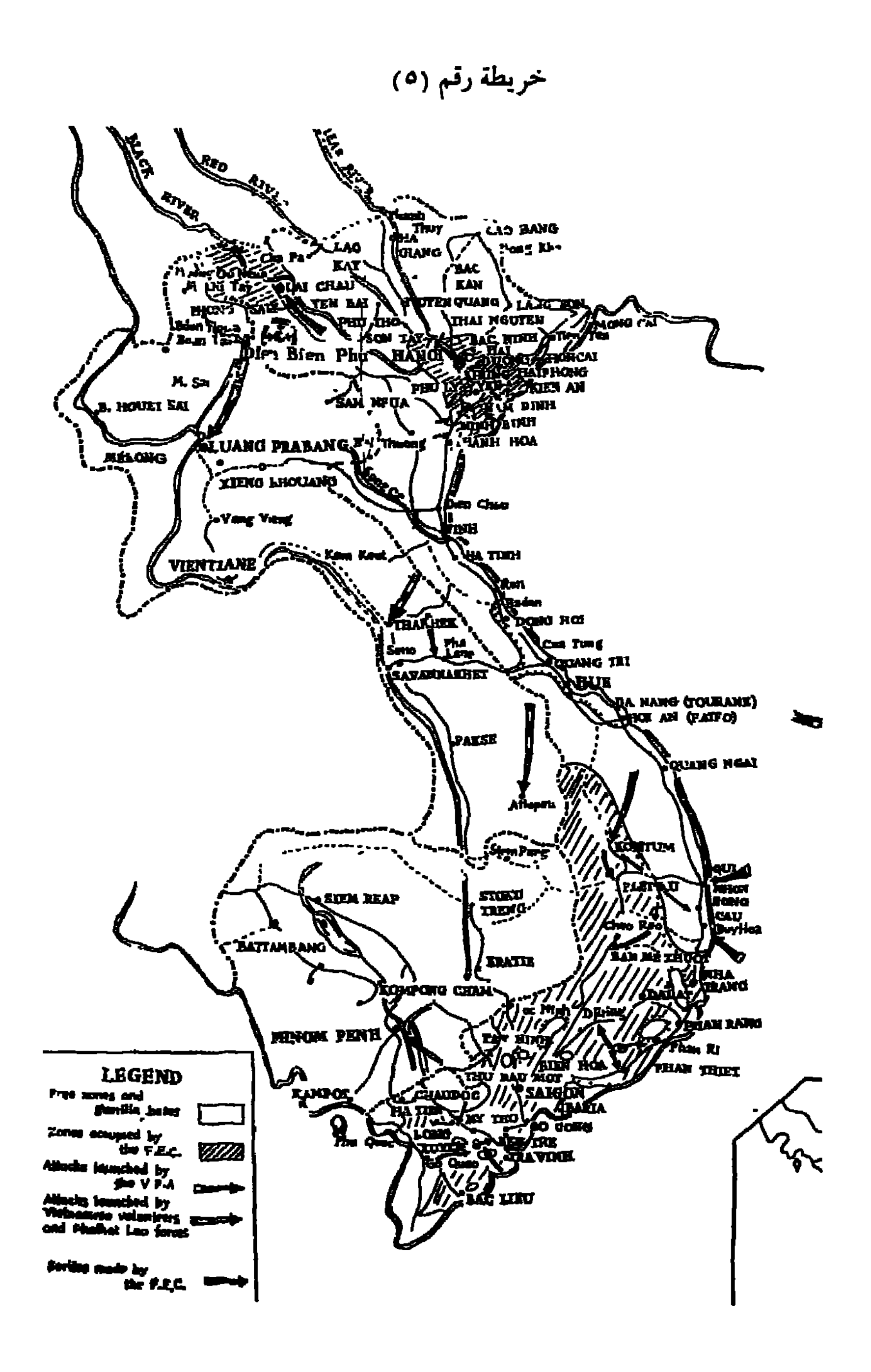
(٣٤) حول الاستعدادات العسكرية لدى الفريقين المتحاربين يراجع كتاب الجنرال جياب بعنوان : Dien Bien Phu - 4 th Ed Hanoi 1984.

(٣٥) المصدر السابق P. 9 .

(٣٦) للمزيد من التفاصيل عن المعارك الحاسمة الأخيرة وخطوطاتها القتالية يراجع كتاب : Contribution To The History of Dien Phu. Vietnamese Studies No 3 Hanoi 1965 .

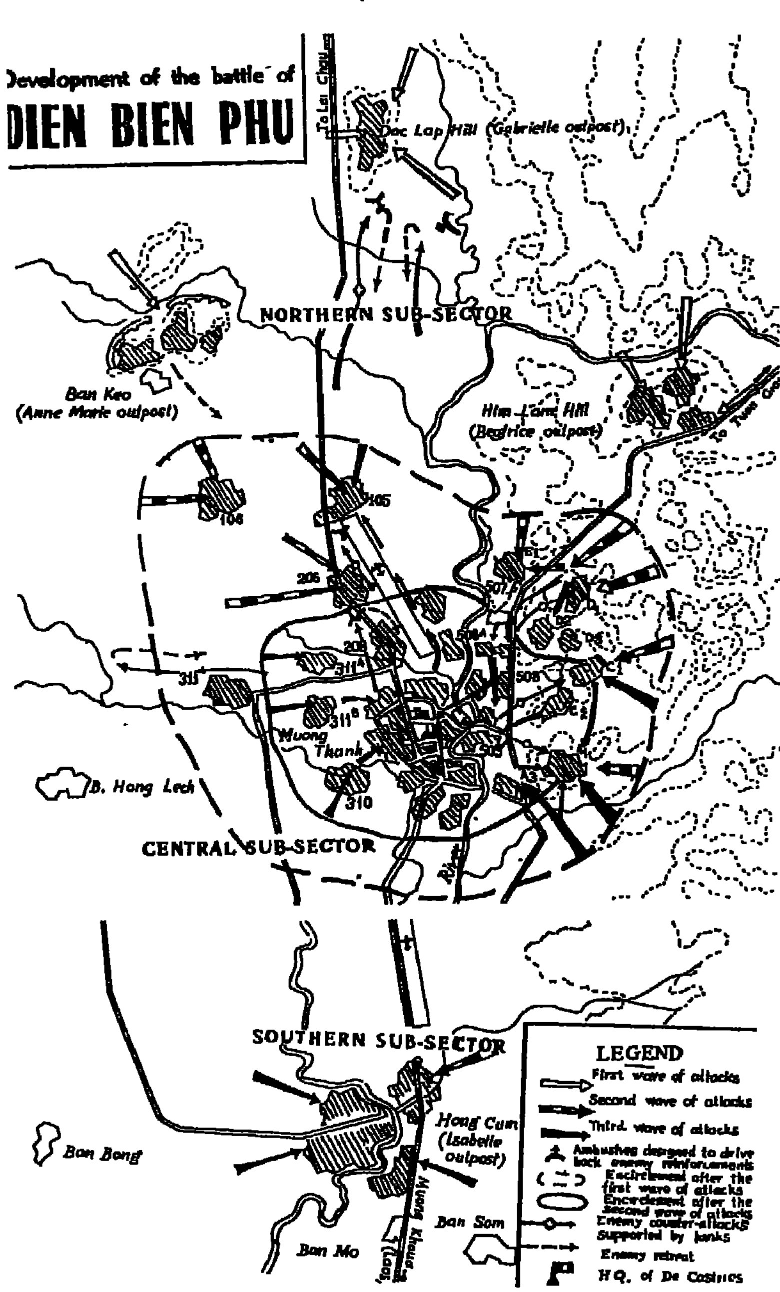
(٣٧) المصدر كتاب الجنرال جياب السابق ذكره P. 10 .

خريطة رقم (٥)



معارك المرحلة الهجومية

خريطة رقم (٦)



معركة ديان بيان فو

الباب الرابع

حرب الشعب الثانية



حرب الشعب الثانية

على الرغم من اكمال الإنسحاب العسكري الفرنسي من الهند الصينية وتضاؤل نفوذهم العسكري والسياسي هناك إلاّ أن القيادة الفيتنامية فشلت في استكمال الإستقلال الوطني وتحقيق الوحدة الوطنية وإعادة السلام إلى الهند الصينية وذلك ببساطة بسبب التدخل الأمريكي المباشر في شؤون المنطقة ، الدبلوماسية الفيتنامية ركزت في النصف الثاني من الخمسينات حملتها من أجل تطبيق اتفاقية جنيف تطبيقاً صحيحاً ، لكن أحداً لم يكترث للإنتهاكات السايجونية والأمريكية لبنود تلك الإتفاقية ، وعلى عكس ذلك كرس الامريكيون جمهورية نجوديم التي أقاموها في الجنوب ، وتطور النفوذ الأمريكي في ظلها من مجرد مساعدات عسكرية للمجهود الحربي ومعونات مالية واقتصادية للادارات المحلية إلى قاعدة سياسية عسكرية متكاملة .

وخلال السنوات الخمس (١٩٥٥ ـ ١٩٥٩) سعى نظام سايجون إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية :

ـ تنظيف المناطق الجنوبية من بقايا الثوار والمحاربين ومطاردة القوى الوطنية والديمقراطية .

ـ بناء قوات مسلحة وبوليسية وأمنية قوية وواسعة وخالية من أي نفوذ فرنسي .

ـ شن العمليات التخريبية والنفسية ضد الشمال لعرقلة مسيرة البناء الوطني والاشتراكي فيه .

ومع نهاية الخمسينات كان الجيش الجنوبي قد بلغ عدده ١٥٠ ألف جندي نظامي ، وقوات الشرطة والأمن مائة ألف وقوات الحرس المدني في القرى مائة ألف[1] ، كما أقيمت الطرق والمطارات الإستراتيجية ، وأصبح مطار سايجون واحداً من أهم ثلاث مطارات في جنوب شرق أسيا ، كذلك أكملت واشنطن استعداداتها العسكرية في الجنوب التي تضمنت

سلسلة من القواعد والمنشآت العسكرية وشبكة من المخازن والمستودعات الميدانية والإحتياطية[٢] بحيث تكون جاهزة لخدمة قوات حلف « سياتو » في أية معركة واسعة في المنطقة بل أن السفير الأمريكي في سايجون أكد في حينه أن الجمهورية الجنوبية باتت قادرة بتلك الاستعدادات على مواجهة الشمال !

وفي نفس الوقت كانت الحركة على الجبهة المقابلة تسير على خطين متوازيين :

ـ الوطنيون الجنوبيون يشنون نضالات سلمية ، شرعية ، وشبه شرعية ، من أجل التطبيق الجاد لاتفاقية جنيف وتطبيع العلاقات الجنوبية ـ الشمالية على طريق الوحدة ، والقوى الشعبية الأوسع (الفلاحون والعمال الزراعيون وعمال المدن) تحاول التصدي لإجراءات النظام القمعية ولإستغلال الطبقات الحاكمة (الاقطاعيون والملاك العقاريون والكومبرادور) وتخوض نضالات مطلبية وطبقية ، وتتسع دائرة المعارضة في الجنوب بانضمام الطلبة والمزيد من الشرائح البرجوازية ويتداخل النضال المطلبي بالسياسي في تصاعد مستمر .

ـ جمهورية الشمال تقوم في البداية بحشد قواها من أجل إزالة أثار الحرب السابقة واستكمال بناء الحزب ومنظمات الجبهة ومؤسسات الدولة وتنظيم وتطوير القوات المسلحة ثم تنتقل في المرحلة التالية لانجاز الخطة الزراعية الصناعية الثلاثية على طريق التحول الاشتراكي بمساعدة البلدان الإشتراكية ، وتقوم بتعزيز قدراتها الدفاعية استعداداً للاحتمالات المقبلة ، فرغم الإعتقاد الخاطىء لدى الكثيرين بأن ديان بيان فو كانت خاتمة الآلام، وإن الشعب الفيتنامي تحول إلى مرحلة النضال السياسي لإتمام الثورة الوطنية الديمقراطية في كل البلاد، ولإيصال الشمال إلى الاشتراكية[٣] إلا أن ذلك لم يكن يعني إهمال الإستعداد العسكري بل تحويل الجيش الشعبي الى جيش نظامي حديث ليكون درعاً صلباً للقاعدة الثورية الشمالية التي سيكون لها دور عظيم في الحرب الوطنية الثانية الأصعب والأطول .

في مطلع الستينات كان المسرح الفيتنامي جاهزاً لاستقبال « العرض الثاني » لاستراتيجية حرب التحرير الشعبية :

- فالوطنيون الجنوبيون انتقلوا من النضال السياسي السلمي إلى الكفاح المسلح .
- والنظام الجنوبي جند امكانيات البلاد البشرية والمادية لتصفية الحركة الوطنية .
- والأمريكيون يدفعون إلى الساحة بامكانياتهم العسكرية والتقنية والمالية .
- والفيتناميون الشماليون يجهزون القاعدة الخلفية للثورة الجنوبية . .

المواجهة العسكرية الرهيبة والدامية استمرت لأكثر من خمس عشر سنة ولم تقتصر على الطرفين المباشرين في الصراع ، القوى الثورية والقوى الرجعية الجنوبية ، بل دخلتها

الـولايات المتحـدة بجـبروتهـا العسكـري والتقني وجمهورية فيتنام الديمقراطية بامكانياتها الشعبية والثـورية ، ومـرة أخـرى تنتصر اسـتراتيجية حرب التحـرير الشعبية في مواجهة الاسـتراتيجية العـدوانية ، ويتحقق الاستقلال الوطني والوحدة القومية الكاملة . في هذا الباب لن نتعرض إلى حرب التحرير الشعبية كنظرية ثورية ولا إلى مراحلها وتكتيكاتها إلاّ بالقدر الذي يشكل اضافة أو تعديلاً لما قدمناه في الباب السابق ، وستتحدث مباشرة عن التطورات والتحصيرات التي انجزت على الجانبين التي أفردنا لها فصلاً خاصاً ، ثم نتناول الاسـتراتيجيين الامـركيين (الحـرب الخاصة والحرب المحدودة) والاستراتيجيات الثورية المضادة . . أما استراتيجية « الفتنمة » التي امتدات من عام ١٩٦٩ وحتى آخر الحرب فقد أفردنا لها باباً خاصاً بها .

وخلال دراستنا العسكرية لهذه المرحلة حرصنا إلاّ نخوض في النضالات السياسية والـدبلومـاسية الفيتنـامية إلاّ بما يخدم أو يتعلق مباشرة بتطورات الموقف العسكري ولهذا خصصنا ملحقاً لاتفاقية باريس في نهاية الكتاب .

أن أكثر المراحل الثلاثة صعوبة في الحرب الوطنية الثانية كانت مرحلة الحرب المحدودة التي دفعت فيهـا واشنـطن بثقلها العسكري التقليدي كاملاً في مواجهة الفيتناميين . . . فكيف استطاعت هذه الدولة الآسيوية الصغيرة بامكانياتها المحدودة ووسائلها غير المتقدمة وشعبها الفقير أن تصمد وتقاوم وتهزم الحرب الجوية والبحرية الجبارة . . . انه أحد الأسئلة التي نحاول الإجابة عليها !

الفصل الأول :

مرحلة النضال السياسي والبناء السلمي

أولاً : جذور التدخل الأمريكي في المنطقة :

ـ يعود تاريخ التدخل الأمريكي في جنوب شرق آسيا إلى انطلاقة الشركات الإحتكارية خارج نطاق قارتها الأمريكية ، في انتقالها من المرحلة الرأسمالية إلى المرحلة الإمبريالية من تطورها الأمر الذي استدعى بناء المؤسسة العسكرية الأمريكية كأداة لتلك الإحتكارات لحماية مصالحها في البلدان والمناطق المجاورة في بداية الأمر (مبدأ مونرو ١٨٢٣) .

ـ مساعدة امريكا لبريطانيا في حرب الأفيون ضد الصين ١٨٤٠ كانت أول التطبيقات العملية لتلك السياسية في الشرق الأقصى ، تبعتها المعاهدات والإتفاقيات التي فتحت الباب أمام البعثات التبشيرية والتعليمية والاقتصادية الأمريكية والتي تتوجت بسياسة الباب المفتوح تجاه الصين التي أعلنت عام ١٩.٩٩ .

ـ الإحتلال العسكري الأمريكي للفلبين عام ١٨٩٨ كان بداية التدخل العسكري الأمريكي المباشر في المنطقة ، حيث ورث الأمريكيون الاستعمار الإسباني ، وتحولت الفلبين تدريجياً إلى واحدة من أهم وأخطر القواعد الأمريكية حتى تمكن اليابانيون من السيطرة عليها بعد معارك ضارية في أواخر ١٩٤١ .

ـ خلال الحرب العالمية الثانية تضاعف الإهتمام الأمريكي بمنطقة الهند الصينية وفي نطاق جهود العسكريين الأمريكيين المضادة لليابانيين أجريت الإتصالات بين المراكز العسكرية والإستخبارية الأمريكية في جنوب الصين والقيادة الفيتنامية ، وتلك كانت أولى

الإهتمامات الأمريكية المباشرة بالساحة الفيتنامية .

ـ هزيمة اليابانيين تطلبت ترتيبات بين القوى الحليفة في المناطق المحتلة أقرها مؤتمر بوتسدام ، بناء على ذلك وصلت إلى هانوي أول بعثة أمريكية في أغسطس ١٩٤٥ (تضم خمسة ضباط) للإعداد لإستقبال بعثة الحلفاء الخاصة باستسلام القوات اليابانية ، بعدها توالى وصول البعثات العسكرية والاستخبارية الأخرى .

ـ في تلك الأيام كان « هوشي منه » قد أقام سلطته الثورية ، وأخذ يعمل على كسب تأييد الحلفاء لحكومته على اعتبار أنها الحكومة الشرعية ، وفي هذا الإتجاه اقيمت جمعية الصداقة الأمريكية الفيتنامية على أمل أن تفي الحكومة الأمريكية بوعودها خلال الحرب بمساعدة الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها .

ـ لكن العام التالي حمل اتجاهاً أمريكياً لإضعاف الشيوعيين الفيتناميين أولاً عبر مساعدة الحزب القومي الموالي للصين . وثانياً عبر استخدام ورقة الامبراطور المخلوع « باوداي » بعدها ركز الأمريكيون جهودهم على دعم الكومنتانج الصيني في صراعه مع الحزب الشيوعي الصيني الذي تمكن من الإنتصار وإقامة سلطته الثورية على كامل الصين ١٩٤٩ باستثناء جزيرة فورموزا التي انتقلت إليها حكومة كاي شيك .

ـ تلك النتيجة جعلت الأمريكيين يتبعون سياسة أكثر عدائية للثورة الفيتنامية ، فاعترفوا عام ١٩٥٠ بحكومة الامبراطور رسمياً وعقدوا مؤتمراً غربياً (مع فرنسا وبريطانيا) حول الهند الصينية وأرسلوا أول مساعدة عسكرية جوية للفرنسيين في الهند الصينية وأقاموا أول بعثاتهم العسكرية الدائمة « المجموعة الإستشارية للمساعدة العسكرية » وأخيراً وقعوا اتفاقية الدفاع المشترك مع فرنسا والحكومات الملكية في الهند الصينية .

ـ في السنين التاليتين (١٩٥١ ـ ١٩٥٢) تدفقت المساعدات العسكرية الأمريكية (أسلحة وعتاد وأموال) وفي عام ١٩٥٣ توالت البعثات الإدارية والاقتصادية اضافة إلى العسكرية ، وبدأت المشاركة الأمريكية للفرنسيين في الخطط العسكرية الميدانية والتي بلغت قمتها خلال معركة ديان بيان فو، ثم حاولت واشنطن تعطيل التسوية السياسية قبل وخلال وبعد مؤتمر جنيف ١٩٥٤ ومنذ ذلك الحين اعتمدت نظرية « احجار الدومينو » ونفذت الخطوات التالية في العامين التاليين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ؛ اقامة نظام جديد في جنوب فيتنام برئاسة « صديقهم » نجو دييم[4] وإزاحة الامبراطور عن السلطة ، وخلق قاعدة سياسية ـ عسكرية تابعة لها بعد تصفية النفوذ الفرنسي عسكرياً وثقافياً واقتصادياً ، شن حملة تخريب ضد حكومة هانوي وتهجير المسيحيين في الشمال ، وعرقلة تطبيق مقررات جنيف حول العلاقة بين الشمال والجنوب .

ـ الفترة التالية شهدت اعادة بناء الجيش الجنوبي بكافة مؤسساته وفروعه الجوية والبحرية . وفي عام ١٩٥٩ أكملت واشنطن استعداداتها العسكرية في جنوب فيتنام، كما ذكرنا في المقدمة .

ثانياً : الأوضاع السياسية والعسكرية والإقتصادية في الجنوب

بعد تسلم ديم السلطة انتعش المعسكر الموالي لأمريكا على حساب الموالين لفرنسا والقوى الوطنية ووقف رجعيو الطبقة الإقطاعية والملاك العقاريين والبرجوازية التجارية المرتبطة برأس المال الأجنبي في تكتل منسجم تحت شعارات « الوطنية ـ الجمهورية ـ الحرية » .

ـ أول أحزاب النظام كان « الحركة الوطنية الثورية » تبعه حزب « الحركة من أجل الحرية » وحزب « العمل والشخصانية » بالاضافة إلى عدد من الأحزاب والتنظيمات الأقل شأناً ، ومع ذلك فإن النظام واجه سلسلة من العقبات ؛ منها الآثار الإقتصادية والاجتماعية للحرب ، مراكز القوى في الجيش والشرطة ، مليشيا الطوائف الدينية ، الجهاز الإداري السابق .

ـ تدريجياً وبمساعدة الأمريكيين تمكن ديم من تصفية مراكز القوى ، والتغلب عن متاعبه الإقتصادية ، مما سمح له بإجراء انتخابات عامة لجمعية وطنية ، انتخبته رئيساً للدولة والحكومة والجيش ! واقرت دستوراً جديداً للبلاد يعطيه صلاحيات واسعة لتصفية القوى المعارضة دون رحمة .

ـ اعتمد ديم في إدارة البلاد أولاً على أسرته ثم على طائفته « الكاثوليكية » وحكم البلاد تحت شعارات الروحانية ، الشخصانية ، التطور الإجتماعي ، وربط كافة المنظمات السياسية والامنية والإعلامية به شخصياً .

ـ الاقتصاد الجنوبي كان يعتمد بالأساس على المساعدات الأمريكية التي خلقت ازدهاراً مؤقتاً واصطناعياً في البداية ، لأن تلك المساعدات لم تشمل نقداً كافياً لإدارة عجلة الإقتصاد والتنمية ولا وسائل انتاج للصناعة الوطنية ، بل كانت في غالبها بضائع استهلاكية والأسلحة مع قليل من الدولارات ، وعندما امتلأ السوق الوطني بالبضائع الفائضة (الأمريكية) أدى ذلك الى فائض في الإنتاج المحلي غير المباع .

ـ كذلك كانت فروع الإقتصاد الهامة تحت سيطرة فئة محدودة (من أسرة الرئيس والمقربين له) وخاصة المناجم والبنوك والمالية والتجارة ومضارب الأرز والبناء ، الأمر الذي

سمح ببروز ونمو البرجوازية الكومبرادورية الموالية للسلطة في المدن بشكل رئيسي .

- الأرياف تعرضت لتطبيق عدة مشروعات زراعية تحت شعار توزيع أراضي الإقطاعيين والفرنسيين على الفلاحين ، ورفع مستواهم المعيشي ، وكان منها إنشاء المستوطنات الزراعية (الريفية والجبلية) والتي هدفت إلى حشر الفلاحين في سلسلة قواعد معادية للشيوعيين تحت شعار التطور الجماعي ، ومن أجل توفير الأيدي العاملة لبناء الطرق والجسور والإنشاءات العسكرية .

- لم يقتصر اضطهاد النظام للفلاحين الفيتناميين بل شمل الأقليات القومية في الجبال (خاصة مرتفعات تاي نجوين) وكذلك الجاليات الصينية والكمبودية الموجودة في الجنوب والتي كانت موضع شك في ولائها للنظام الديكتاتوري .

- بعد تصفية القيادات الموالية لفرنسا وللملكية في الجيش والشرطة والأمن ، قام دييم باعادة تنظيم ، توسيع وتطوير القوات المسلحة بمختلف فروعها وانشاء المدارس والكليات الحربية ، ووضع في قياداتها الضباط الموالين له شخصياً ، كذلك أنشأ المنظمات الشبيبية والنسائية العسكرية لتكون في خدمة السلطة .

ثالثاً : النضال السياسي لشعب الجنوب :

- بعد نجاح دييم في تصفية مراكز القوى ، قام بشن حملة « تنظيف » للمناطق المحررة سابقاً استهدفت القوى الوطنية والتقدمية ورجال المقاومة السابقين . وساعدة الخبراء الأمريكيون في تنفيذ برنامج الإرهاب الحكومي بشقيه ؛ القمعي المباشر والحرب النفسية .

- حملة شجب الشيوعية التي شنتها السلطة لم تقتصر على الشيوعيين بل طالت كافة القوى التي كانت تطالب بتطبيق اتفاقيات جنيف أو كانت تعارض السياسة الطائفية للنظام ، وقد ترأس دييم المجلس الوطني المركزي لتلك الحملة .

- خلال العامين ١٩٥٧ - ١٩٥٨ تصاعد تطبيق برنامج العنف بحيث بلغ عدد السجناء السياسيين عشرات الآلاف ، تعرضوا لعمليات القتل والتصفية خلال التعذيب ، كما زج بمئات الآلاف من المواطنين في المدارس والمعابد والكنائس التي تحولت الى سجون اضافية ، وقد أدت حملة التنظيف وبرنامج العنف الى التوسع في انشاء وحدات البوليس وأجهزة الأمن والاستخبارات على كافة المستويات الأقليمية والفرعية ، كذلك نظمت وحدات عديدة من المليشيا اليمينية ، ومحاكم عسكرية بصلاحيات غير مقيدة .

- في المقابل استمرت المقاطعة الشعبية للنظام وتطورت الى نضال سلمي عنيد لاحباط مخططات الحكومة وبرامجها ، وقد تنوعت الأشكال النضالية والسلمية والسلبية والسياسية

والمطلبية بما يتلاءم مع ظروف المواجهة ، أما حالات العنف الثوري فكانت محدودة حتى عام ١٩٥٩ ، ولم تتجاوز بعض حوادث الإغتيال والخطف ، وقد تطور نضال الشعب الجنوبي على الشكل التالي :

أ ـ يشكل الفلاحون ٨٥ بالمائة من سكان الجنوب ، وقد أولتهم حكومة الثورة اهتماماً خاصة باعتبارهم أضخم قوة ثورية في البلاد كما رأينا ، لذلك كانوا أكثر طبقة متضررة من سياسة النظام الجديد ، وبرامجه ، وتركز نضالهم في البداية على محاربة عودة الإقطاعيين والمستغلين من جديد الى القرى التي طردوا منها .

ـ في نضالهم في المرحلة الاولى اقتصروا على الوسائل السياسية الشرعية كإرسال الوفود والعرائض إلى الحكومة وطلب تدخل لجنة الهدنة المشتركة ولجنة المراقبة الدولية ، وتنظيم مظاهرات جماهيرية سلمية ، وتنوعت الاحتجاجات من فردية الى جماعية ، كما شارك الفلاحون في الحملة الوطنية من أجل الوحدة عام ١٩٥٦ .

ـ تضرر الفلاحون (في منطقة الدلتا والشريط الساحلي) من مشروع الإصلاح الزراعي الحكومي الذي كان يستهدف فقط الاقطاعيين الموالين لفرنسا . بينما أدى في المقابل الى سلب أراضي الفلاحين (بأكثر من حجة) وتوزيعها على رجال الشرطة والجيش والإدارة وانشئت مجالس الإدارة القروية الرجعية للاشراف على الإستقرار بين الفلاحين ! .

ـ كذلك ناضل الفلاحون ضد خطط الاستيلاء على أراضيهم لبناء القواعد والمطارات والطرق العسكرية في مختلف المناطق . كذلك تطورت نضالات الفلاحين في مواجهة « مراكز الازدهار » التي أعلن عن قيامها في أواسط ١٩٥٩ وكانت بمثابة معسكرات اعتقال ومخازن بشرية ولم تعد تقتصر تلك النضالات على السياسة السلبية والشرعية .

ـ أشكال النضال انتقلت الى تنظيم المسيرات الفلاحية من الأرياف نحو المدن وعواصم الاقاليم ومحاصرة المباني الحكومية والقواعد العسكرية وشاركت المرأة في عمليات المسيرات والتحريض ضد السلطة في عواصم الاقاليم والمدن .

ب ـ سكان المدن كانوا يبلغون آنذاك ثلاثة ملايين نسمة موزعين على ست مدن كبيرة وعواصم المحافظات والاقاليم، بينما تحظى سايجون ـ شولون بنصيب الأسد (حوالى مليونان) في جبهة العاصمة والمدن ابتدأ النضال في مجالات المطالب الخاصة ثم تطور نحو المطالب العامة .

ـ العمال كانوا أبرز الطبقات المدينية وتركز نضالهم ضد البطالة (التي انتشرت بفضل المساعدات الامريكية) ومن أجل رفع أجورهم ورواتبهم ، وتحديد ساعات العمل وتحسين ظروف العمل والاقامة ومحاربة الأمراض .

ـ تنوعت نضالات العمال من الاضرابات الى المظاهرات ، ومن مراكز المدينة الى

مزارع المطاط ، وتطورت نحو المطالبة بتطبيق اتفاقيات جنيف ثم المطالبة بالحقوق الديمقراطية، إلى تشكيل النقابات، إلى التصدي لحملات الضغط والمراقبة والارهاب السلطوي .

ج ـ الطلبة كانوا احدى الفئات التي ركز النظام لاستمالتها فأنشأ حركة الشباب الجمهوري ورفع الشعارات البراقة حول الوطنية الفيتنامية والثقافة القومية ، لكنها لم تلبث أن تحولت الحركة الى منظمة شبه عسكرية معادية للشيوعية والتقدمية . وانتشرت الثقافة الامريكية وتدهورت أوضاع التعليم الحكومي .

ـ النضالات الطلابية بدأت حول برامج التعليم الثانوي واستخدام اللغة القومية في التعليم العالي وبناء المدارس الجديدة ثم تطورت نحو محاربة تجنيد الطلبة والدعوة لاحترام الحريات الديمقراطية ولتطبيق اتفاقيات جنيف، وشارك فيها المدرسون، وايدتها بحماسة الصحافة ، وتحولت المدارس إلى بؤر ومراكز للتحريض الوطني ضد السلطة وممارساتها .

د ـ البرجوازية الصغيرة بمعظم شرائحها كانت متأججة المشاعر الوطنية حيث مصالحها الطبقية كانت متضررة نتيجة القهر والاضطهاد والاقطاعي ، والكومبرادوري ، باستثناء بعض الفئات التي نجحت الاحزاب والتنظيمات الرجعية في استقطابها ، أما البرجوازية الوطنية فقد كانت ضعيفة القواعد الاقتصادية ومحاصرة ، لذا لم تتردد في مشاركة البرجوازية الصغيرة النضالات السياسية في المدن .

ـ الأقليات القومية (الجاليات الاجنبية) في المدن بدأت نضالها للمحافظة على ثقافتها وديانتها وتقاليدها في وجه اجراءات السلطة ومخططاتها الفاشية ؛ الاقلية الصينية ارتبطت حركتها بتطور النضال في العاصمة حيث تتواجد ، بينما الاقلية الكمبودية ارتبطت بحركة الفلاحين في الارياف غربي الدلتا . وقد حاربت الاقليات الأخرى (القوميات الجبلية) مشاريع الاستيطان الزراعية ودافعت عن قراها واراضيها ضد عمليات التهدئة ، ولم تتجاوب كثيراً مع حملة شجب الشيوعية رغم إغراءات السلطة ، ثم مالبثت أن طورت مقاطعتها للسلطة الى تمرد وعصيان مسلح .

ـ بعد ذلك قاد النضال مكتب الجبهة الوطنية للجنوب ، الذي نظم الاضرابات المتتالية تحت شعار التضامن والوحدة بين الشماليين والجنوبين ، ومن أجل تطبيق اتفاقية جنيف حول العلاقة بين الشطرين الى أن قامت جبهة التحرير الوطنية .

رابعاً : التطورات في الجمهورية الديمقراطية . . .
(بناء القاعدة الآمنة الرئيسية)

بعد انسحاب الفرنسيين من الشمال طبقت حكومة الثورة سياساتها الداخلية والخارجية التي أقرتها قيادة الحزب ، ويمكن هنا الإشارة إلى مرحلتين :

ـ المرحلة الأولى (١٩٥٥ ـ ١٩٥٧) تضمنت إزالة أثار الحرب الطويلة وإعادة اصلاح الاقتصاد واستقراره واعادة تجميع وتنظيم القوات المسلحة ، وبناء المؤسسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية ومحاربة الأمية وقد تطلب ذلك خلق الوحدة الفكرية الحزبية وتعزيز قيادة الحزب ، واعادة بناء الجبهة الوطنية (جبهة الوطن الفيتنامي) .

ـ ومن أبرز انجازات تلك المرحلة اقتصادياً ، انجاز مشروع الإصلاح الزراعي بشكل جدي وشامل بحيث الغي النظام الاقطاعي تماماً وحررت قوى الإنتاج المتمثلة بملايين الفلاحين ، وتوفرت للثورة قوى بشرية ومادية ضخمة لم يسبق لها مثيل ، وسياسياً ركزت حكومة الثورة على الدعوة لتطبيق اتفاقيات جنيف حول العلاقة بين الشطرين ، وقامت بدعم ومساندة النضال السلمي للجنوبيين من أجل عقد المؤتمر الاستشاري لتنظيم انتخابات عامة ، وحاولت هانوي اقامة علاقات طبيعية مع الجنوب لكن دون جدوى .

من الناحية الدبلوماسية زادت اعترافات الدول الأجنبية بالحكومة وتوسعت علاقات هانوي الخارجية خاصة مع البلدان الاشتراكية ، وتطور التعاون مع الصين والسوفييت وتوالت مساعدات البلدين لاعادة بناء فيتنام (اقتصادياً وعسكرياً) ، أما الدول الغربية فقد شنت حملة ضد الثورة الزراعية وضد علاقات فيتنام مع المعسكر الاشتراكي ونظمت عملية تهجير المسيحيين وشاركت في اقامة حلف سياتو العسكري .

ـ المرحلة الثانية (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) شملت انجاز الخطة الاقتصادية الثلاثية وتحويل الاقتصاد الوطني نحو البناء الاشتراكي زراعياً وصناعياً وعلاقات انتاج ، في الجانب العسكري تم بناء الاشكال الثلاثة للقوات المسلحة ، وأعيد تحديث الجيش واقيمت الشبكة الدفاعية عن الشمال ، وثقافياً انجزت حملة تصفية الأمية من البلاد ، وتوسيع التعليم الثانوي والمهني والعالي .

ـ بالنسبة للسياسة الجنوبية ، استمرت كما في المرحلة السابقة ، مع اضافة الاستنكار للسياسة الامريكية والنفوذ الامريكي المتزايد في الجنوب ـ وتعبئة الرأي العام الفيتنامي للمرحلة القادمة من النضال الوطني ، وفي الجبهة الدبلوماسية توسعت العلاقة مع الدول التقدمية وتعززت العلاقات الحزبية والحكومية مع البلدان الاشتراكية .

ـ ومع نهاية الخمسينات بدأ واضحاً أن الشمال قد قطع شوطاً هاماً على طريق التحول

الى قاعدة منيعة للنضال الوطني من أجل الوحدة بعد أن فشلت كافة الجهود الدبلوماسية من ناحية وبعد أن احبطت النضالات الشرعية السياسية والسلمية في الجنوب من ناحية ثانية ، فاللجنة المركزية للحزب كانت قد قررت بوضوح « أن تعزيز الدفاع الوطني وتقوية القوات الثورية المسلحة وتحويل الجيش الى نظامي وحديث تعتبر واحدة من الواجبات الرئيسية للحزب كله وللشعب بأسره »(*) .

من الناحية السياسية وضعت للقوات المسلحة مهمتان مرحليتان ، الأولى حماية البناء الوطني وانجازات الثورة في الشمال ، والثانية مسانده نضال الشعب الجنوبي لتحقيق الوحدة ، بينما ظلت المهمة الاستراتيجية تتمثل بحماية الثورة الاشتراكية في فيتنام .

من الناحية العسكرية كان المطلوب بناء الجيش الشعبي بالمواصفات الجديدة ، أي أن يبقى جيشاً شعبياً لكنه يصبح عصرياً (قوياً ، ومنظماً وحديثاً) بمعنى أن يظل جيشاً للكادحين من عمال وفلاحين وأن يظل تحت قيادة الحزب المباشرة باعتباره اداة السلطة الثورية ، وأن يخضع افراده الى تربية وطنية وعقائدية شاملة بواسطة البناء والعمل السياسي اليومي . وفي ذات الوقت يتطور من جيش شبه متخلف في السلاح والتجهيزات والنظم إلى جيش حديث عبر استيعاب النظم والتقسيمات الادارية والتعبوية المتطورة ، والاسلحة والتجهيزات والوسائط الحديثة ، والحفاظ على العلاقات الثورية بين جنود الجيش (قاعدته العريضة) وبين الضباط والفنين والمتخصصين الذين ينتمون إلى شرائح اجتماعية مختلفة .

ذكر الجنرال جياب في أكثر من مناسبة أن عملية تحويل الجيش الثوري السابق الى جيش ثوري عصري لم تكن مهمة سهلة ، وأنها واجهت بعض الصعوبات خلال الفترة من ١٩٥٥ - ١٩٥٩ الا أن القيادة لجأت الى دورات التكوين العقائدي المكثفة خلال عامي ١٩٥٨ - ١٩٥٩ لمعالجة تلك الصعوبات ، ورفع الوعي الطبقي والوطني وتكريس المركزية الديمقراطية بين أبناء القوات المسلحة .

خامساً : الجبهة الوطنية تقود النضال الجنوبي :

النهوض الجماهيري الذي شهده الجنوب وتصاعد النضال السياسي في مواجهة سياسة النظام الفاشي التي بلغت أعلى درجاتها بربرية وقسوة ، جعلت الظروف مناسبة أكثر من أي وقت مضى لنقل النضال الوطني الى مرحلة جديدة ، تلك كانت المسألة الأكثر الحاحاً امام القيادات الثورية الجنوبية التي التقت عام ١٩٥٩ لمناقشة أوضاع النضال ومهمات المرحلة القادمة ، وفي هذا الاجتماع الذي حضره متنكراً الأمين العام السابق للحزب لي ذوان ، تقرر البدء في الكفاح المسلح ، فاستخدام العنف الثوري أصبح الحل الانسب لمواجهة عنف

الثورة المضادة ، الى جانب الاستمرار في النضال السياسي لدفع الجماهير الشعبية للانخراط في حركة وطنية موحدة وقوية .

قبل ذلك الاجتماع استخدم الوطنيون الجنوبيون العنف لكن بشكل محدود ، ومتقطع وافرادي احياناً ، كما قامت مجموعات مسلحة في المناطق الجبلية (خاصة قبائل كور وهري وياهنار) بتمرد مسلح ضد السلطة لكن نتائجها كانت محدودة وأثارها كانت منعزلة ولم تتكبد السلطة خلالها الا خسائر ضئيلة[٦] .

المقاومة الشعبية المسلحة كانت بدايتها الحقيقية في ١٧ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٠ في احدى نواحي محافظة بن تري Ben Tri في مناطق شرقي دلتا الميكونغ ، عندما قادت السيدة نجوين دنه Ng. Dinh انتفاضة شعبية محدودة ، توسعت خلال الأسبوع الأول على حساب المناطق المجاورة ، بضعة مقاتلين بأسلحة متخلفة دمروا عدة مراكز للحرس المدني واستولوا على حوالي مائة بندقية الأمر الذي سمح لهم بالإنتشار أكثر والسيطرة على عدة قرى وإقامة ادارات شعبية ذاتية فيها على انقاض الادارات الرجعية وخلال أسابيع نظمت مجموعات الدفاع عن القرى وبنيت التحصينات ، وتمكنت من التصدي لكل المحاولات المعادية للسيطرة على الموقف .

أن أهمية انتفاضة بن تري انها استطاعت بقوى شعبية محدودة العدد والتسليح أن تنتصر على قوى النظام وإداراته لاول مرة منذ انشائه ، وخاصة أن المحافظة المعنية لاتبعد أكثر من مائة كيلو من مراكز النظام وقواته الرئيسية في العاصمة ، وأن تلك الانتفاضة لم تكن تحتمي بالغابات أو الجبال بل بقوى شعبية مؤيدة في منطقة جغرافية مستوية ، وخلال بضعة شهور كانت انتفاضات مماثلة قد انطلقت في الهضاب والمناطق الوسطى الريفية ، وانتشرت الادارات الثورية في عشرات القرى .

في آواخر فبراير نفذت في الجنوب انتفاضة نوعية أخرى ، فقد قام حوالى ٢٦٠ مقاتل تساندهم عناصر مؤيدة من داخل معسكر للجيش المحلي في تواهاي بمحافظة تاي نينه Tay Ninh قرب الحدود الكمبودية تكبد العدو اربعمائة اصابة واستولى الثوار على ثمانمائة بندقية عادية ومائتي بندقية آلية وعدة هاونات ومدافع عديمة الارتداد ، اضافة الى غنائم (تموين وتجهيز) تم اخراجها من المخازن بمساعدة المواطنين في الجوار .

عملية توا هاي (تاي نينه) شكلت أول انتصار ذي طابع عسكري للثورة وأسفر مباشرة عن تشكيل أول كتيبة في القوات الشعبية المسلحة وسلحت جيداً وذاتياً . الأمر الذي ساهم في تعزيز الثوار المنتشرين في مواقع متفرقة من المحافظة ، فكانت تلك هي النويات. الصلبة والسرايا والكتائب التي نظمت حتى نهاية العام . إنتشار وحدات المقاومة الشعبية والمسلحة خلال العام ١٩٦٠ وسيطرتها على مناطق ريفية واسعة بعد تدمير اجهزة القمع

والارهاب والادارات الرجعية في مئات القرى . كان هو الشرط الممهد لقيام جبهة التحرير الوطنية في ديسمبر ١٩٦٠ اضافة الى تطورين هامين في كل من الشمال والجنوب

ـ في الشمال تعززت السلطة الثورية باعتماد الدستور الاشتراكي الاول للجمهورية في ديسمبر ١٩٥٩ من ناحية وبعقد المؤتمر العام الثالث للحزب (العمال) في سبتمبر ١٩٦٠ وإقرار خطة التنمية الخمسية الاولى .

ـ في الجنوب اهتزت السلطة الرجعية باقامة جبهة الحرية والتقدم[٧] من اركان المعارضة الداخلية في ابريل ١٩٦٠ ، وبالمحاولة الانقلابية الفاشلة التي جرت في نوفمبر ١٩٦٠ .

في ظل هذه التطورات الثورية شعبياً وسياسياً وعسكرياً عقدت القوى الثورية والوطنية مؤتمراً تأسيسياً في ديسمبر ١٩٦٠ في المنطقة الشرقية الجنوبية ، أسفر عن قيام الجبهة كإطار سياسي يحشد مختلف التنظيمات والقوى والشخصيات التقدمية والوطنية المعارضة للنظام خلف برنامج سياسي موحد وخطة عمل واحدة بعد أن كانت نضالات تلك القوى تتسم بالمبادرة والتحرك غير المنسق خلال العامين السابقين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ؛ برنامج النقاط العشر الذي اعلنته الجبهة حدد اهدافها بإنشاء حكومة ائتلافية وطنية وتحقيق الديمقراطية وتنمية الاقتصاد الوطني وتحقيق الاصلاح الزراعي واقامة ثقافة وطنية وديمقراطية وتطوير القوات المسلحة الوطنية وحماية حقوق الاقليات والجاليات الاجنبية واعتماد سياسة عدم الانحياز والعمل على اعادة توحيد فيتنام تدريجياً وسلمياً والدفاع عن السلم العالمي .

واعتباراً من مطلع العام الجديد ١٩٦١ تبوأت جبهة التحرير الوطنية رسمياً قيادة النضال الوطني لشعب جنوب فيتنام في المرحلة الجديدة . واستطاعت خلال العام الاول أن تحرز مكاسب تنظيمية وعسكرية وسياسية في الساحة الجنوبية الى الدرجة التي أثارت قلق الادارة الامريكية فسارعت الى تطبيق استراتيجيتها المضادة لحرب العصابات والتي عرفت بالحرب الخاصة .

الفصل الثاني :

استراتيجية الحرب الخاصة

الأهداف والإستعدادات :

في الثامن من نوفمبر ١٩٦٠ انتخب جون كيندي رئيساً للولايات المتحدة بينما كان النضال الوطني في جنوب فيتنام يحقق انجازات متتالية في الأرياف بشكل خاص ، وعندما تسلم كيندي ادارة البيت الأبيض في يناير ١٩٦١ كانت الجبهة الوطنية قد انطلقت فتية في مواجهة نظام جنوبي مهتز ومرتبك يعتمد على تنظيمات وتشكيلات لانفوذ شعبي لها لدرجة دفعت رئيس الأركان الأمريكي بروكر للتحذير من أن قواته لديها خطط بعمليات عسكرية في فيتنام .

مجموعة من التقارير المتناقضة كانت أمام الرئيس الجديد بعضها يؤكد متانة الوضع العسكري والأمني في سايجون ، والآخر يحذر من سقوط النظام على يد اعدائه ، مما اضطر الرئيس للاستعانة بمستشاريه وخبرائه لتحديد السياسة الأمريكية الفيتنامية والتي أسفرت في النهاية عن اعتماد استراتيجية «الحرب الخاصة»[٨] في مواجهة حرب العصابات الثورية والقوى التقدمية والوطنية فماهي الحرب الخاصة The Speial War ؟

في خطوطها العامة هي حرب مضادة تشنها الولايات المتحدة مستخدمة القوة المادية والتقنية الأمريكية (من أموال وأسلحة وتجهيزات) من ناحية والقوة البشرية المحلية (من جيش وأيدي عاملة وادارة) من ناحية ثانية .

وفي خطوطها الخاصة بالساحة الفيتنامية فإن للحرب الخاصة مجموعات أهداف عسكرية وسياسية واقتصادية تسعى الى تحقيقها :

- من الناحية العسكرية ؛ تحويل القرى في الريف الى مواقع منيعة لمواجهة القوات الثورية وإجبارها على تغيير أسلوبها في القتال بخوض معارك التحام ومواجهة مباشرة ، وعزل الثوار وابعادهم عن التجمعات البشرية ، واجبارهم على القتال في ظروف وأوقات غير ملائمة لهم ، ومواتية للعدو ، استخدام القرى الإستراتيجية لتشكل مع المواقع العسكرية أحزمة أمن لتقليص المناطق المحررة وتصفية قواعدها العسكرية .

من الناحية السياسية : اضعاف نفوذ وتأثير القوات الثورية ، اضعاف النضال الجماهيري ، تدمير القواعد الثورية السياسية بين السكان ، تعزيز الإدارة العميلة في القرى ، توسيع شبكة التجسس والمنظمات الرجعية واعادة احكام السيطرة على السكان المحليين .

- من الناحية الاقتصادية : السيطرة على الأيدي العاملة واستغلالها ، الإستيلاء على المصادر الطبيعية في الريف ووضعها في خدمة المجهود الحربي ، انضاب مصادر الإمداد والتموين للثوار ، واستخدام المواد التموينية المحتكرة والمخزونة في ابتزاز السكان واخضاعهم .

- من الناحية الإجتماعية : إدخال بعض الإصلاحات الخادعة والمؤقتة الى المجتمع واعادة تثبيت العلاقات الرجعية والإقطاعية فيه ، وتقوية مواقع العملاء في إدارة القرى والعملاء السريين وتعزيز نفوذ الحرس المدني والميليشيا الرجعية .

● مرحلة اعداد الخطط اللازمة :

ادارة كيندي لم تضيع كثيراً من الوقت فشرعت على الفور في التحرك نحو الساحة الفيتنامية ؛ وعندما شكلت اللجنة الخاصة بفيتنام برئاسة الجنرال تايلور Taylor في مارس لوضع تصورها حول برنامج الأعمال السرية الأمريكية في فيتنام ، كان العقيد لانسدال الذي أصبح مساعداً لوزير الدفاع للشؤون الخاصة يعد تقريره الخاص حول الحرب التخريبية والنفسية في طورها الجديد .

هذا التحضير السريع مكن كيندي من إرسال نائبه ليندرن جونسون إلى سايجون ليطلع نجوديم على معالم الدعم الأمريكي الجديد « لجموريته » في وجه « الشيوعيين » وفي ١٣ مايو صدر بيان مشترك بين الرجلين تضمن النقاط الثمانية التي اتفق عليها الجانبان لتطبيق « الحرب الخاصة » مؤكداً أن الحكومتين سوف تتخذان الإجراءات الفعالة لمحاربة العصابات الشيوعية كلما تطلبت الظروف والتطورات .

وهكذا حصل الأمريكيون على موافقة مباشرة من أعلى سلطة دستورية في فيتنام الجنوبية على تحويل أراضيها الى حقل تجارب لتكتيكات الجيش الأمريكي في الحرب المضادة

للعصابات في المناطق المدارية أو حقل تجارب ميدانية على حد تعبير الجنرال هاركينز المشرف على المساعدة العسكرية الأمريكية لفيتنام .

وفي يونيه قامت بعثة من الخبراء السياسيين والعسكريين برئاسة ستالي بوضع الخطط التفصيلية المقترحة لتنفيذ الحرب الخاصة والتي وافق عليها الرئيس وشرع في تنفيذ المرحلة الأولى منها ؛ المرحلة الأولى عرفت باسم خطة ستالي وكان من المفترض أن تستغرق ثمانية عشر شهراً أي حتى نهاية العام ١٩٦٢ ، وتضمنت زيادة سريعة[٩] في الجيش السايجوني بحيث يرتفع عدده من ١٥٠ إلى ١٧٠ الف جندي والحرس المدني من ٨٦ ـ ١٠٠ ألف وضمه إلى الجيش ، وقوات البوليس من ٤٥ إلى ٩٠ ألف وتطوير مليشيا القرى حسب المتطلبات بمساعدة مجمو عات من المستشارين والخبراء والمدربين الأمريكيين الذين توافدوا بالفعل على البلاد .

الأوضاع الجنوبية تدهورت مما دفع دييم إلى اعلان حالة الطوارىء في اكتوبر ـ الأمر الذي أربك الخطة الأمريكية فاضطرت الإدارة إلى إرسال تايلور على رأس بعثة جديدة لإعادة دراسة الموقف ميدانياً ، وبذلك أدخلت تعديلات على الخطة الأصلية اعتمدها مجلس الأمن القومي في ١٥ نوفمبر . فأصبحت الخطة الجديدة تعرف بخطة ستالي ـ تايلور Staliey - Toayor التي تطلبت :

ـ إرسال المزيد من الخبراء والمستشارين الأمريكيين ، اصلاح البنية القيادية في الجمهورية الجنوبية بطريقة توفر للامريكيين حرية التصرف ، زيادة قوة وحركية الجيش الجنوبي وتحديث أسلحته ، تنفيذ اجراءات مكثفة لاعادة الفلاحين الى القرى الإستراتيجية ، تطعيم الجبهة العسكرية بقوات امريكية وحليفة ، وفي نفس الوقت وافق مجلس الأمن القومي على امكانية تدخل السلاح الجوي والبحري الأمريكي لانجاح تنفيذ الخطة .

وقام السفير الأمريكي نولتنيغ بالحصول على الموافقة الشكلية للرئيس الجنوبي دييم الذي اصدر أوامره بتجريد حملة وطنية واسعة لتدريب وتجنيد النساء الجنوبيات لزيادة القوة القتالية لنظامه !

● الإجراءات الميدانية التحضيرية :

ـ الشهور الأخيرة من العام ١٩٦١ والأولى من ١٩٦٢ قامت القيادة الأمريكية بمضاعفة «المساعدات» العسكرية لحكومة سايجون ، في نوفمبر وصل سرب من طائرات ب ٢٦ إلى قاعدة بين هوا مع مئات الضباط والجنود ، وفي ديسمبر أنزلت حاملة الطائرات « كور » عشرات الطائرات في ميناء سايجون . . وتبعتها حاملة الطائرات بريتون ثم عادت

الحاملة كور مرة أخرى . . حتى وصل عدد الطائرات الأمريكية المرسلة الى جنوب فيتنام حتى أواسط فبراير الى ثلاثمائة طائرة قاذفة ومقاتلة وناقلة إضافة الى الأسلحة البرية المختلفة .

ـ الخطوة التالية كانت اعادة تشكيل المنظمة القيادية الأمريكية بما يتلائم والمتطلبات الجديدة فاعلن عن تشكيل قيادة المساعدة العسكرية الأمريكية MAC[10] في العاصمة سايجون في ١٧ فبراير وكلف الجنرال هاركينز Harkins نائب قائد القوات الأمريكية البرية في المنطقة برئاستها ، كما عين الجنرال Weede ويد قائد القوات البحرية في المنطقة رئيساً لأركان القيادة الجديدة ، وانيطت بها مهمة قيادة العمليات للقوات الأمريكية ـ الفيتنامية ، والقيادة المتقدمة لقطاعات جنوب شرق آسيا وجنوب غرب آسيا في القيادة الأمريكية للمنطقة .

ـ الخطوة الميدانية الثالثة كانت استقبال وتنظيم القوات والمساعدات القادمة من الدول الصديقة والحليفة تلبية لنداء تايلور ، وبالفعل وصلت أول بعثة من بريطانيا في يناير وأطلق عليها بعثة البوليس والإدارة المدنية وترأسها الجنرال تومسون Thompson خبير الحرب المضادة للعصابات في مستعمرات بريطانية السابقة تلاها البعثة العسكرية الاسترالية في مارس برئاسة العميد سيرونغ Serong ، ثم الكتيبة العسكرية التايوانية بقيادة المطران نجوين هوا Ng. Hoa . ثم قوات خاصة من الفلبين ، وفي مايو أشرف الأمريكيون على مؤتمر خاص عقد في كانبره[11] لبحث مسألة إرسال قوات استرالية ونيوزلندية ومن بلدان حلف سياتو ، كما حث الأمريكيون حكومة اليابان على المساهمة في المجهود الحربي .

ـ الخطوة الرابعة كانت استقدام القوات والأسلحة « الخاصة » المطلوبة بعد انتهاء المرحلة التحضيرية الأولى وقد شملت :

برياً : قوات خاصة أعدت في معسكر تدريب مقاومة الانتفاضات في فورت براغ بولاية كارولينا الشمالية وكانت أولى موجاتها تضم خمسمائة ضابط أرسلوا إلى مواقع مختلفة .

جوياً : طيارين تدربــوا في قسم خاص بفيتنـام بقـاعـدة إيجلن بولاية فلوريدا ، وتشكلت لهم في دانانغ قيادة متقدمة باسم قيادة قوة التدخل ١٣ الجوية ، وأقيمت شبكة رادار خاصة بها في كل من دانانغ وسايجون .

بحرياً : أفرغت أربعة آلاف طن تجهيزات بحرية ، ورابطت البارجة « غابيت » إلى ميناء سايجون ، وأنزلت قوة بحرية تابعة للاسطول السابع في فونغ تاو لانشاء قاعدة بحرية والتحضير لانزالات مستقبلية .

الخطوة الأخيرة كانت اعداد القوات والقيادة المحلية :

بالنسبة للقوات المسلحة الجنوبية بلغت مع نهاية العام ١٩٦٢ أكثر من نصف مليون بينهم ٢٠٥ الف في الجيش النظامي ، ١٠٠ ألف في الحرس المدني ، ٨٥ ألف في المليشيا القروية ، ١٠٠ ألف شاب وفتاة في منظمة الشباب الجمهوري ، اضافة الى قوات

البوليس ، وأقام الأمريكيون ثلاثة معسكرات تدريب خاصة في بون تاو ، بون بريون ، بون كتيام ، بمناطق الأقليات القومية لتخريج سرايا خاصة مستقلة من الجيش ومعبأة ضد القومية الفيتنامية والشيوعيين بشكل خاص ، ويشرف على كل معسكر طاقم أمريكي، من ١٢ ضابط .

بالنسبة للقيادة العسكرية الجنوبية فقد أعيد تشكيلها وتنظيمها بحيث تكون هناك قيادة أركان مشتركة تتبع لها قيادات القوات الأرضية والجويه والبحرية والخاصة المستقلة على الطريقة الأمريكية ، وزودت القوات المحلية بأسلحة حديثة خاصة بالحرب الخاصة ، وتشمل رشاشات سريعة الاطلاق والغام اتوماتيكية ، طائرات مزودة بتوجيه راداري خلال القصف ، آليات برمائية ، أجهزة تحت الأشعة الحمراء ، طائرات هليوكبتر سريعة من طراز Ha - IA .

وفي العام ١٩٦٢ كان عدد العسكريين الأمريكيين العاملين في فيتنام الجنوبية قد ارتفع من أربعة آلاف في أوله الى ٨,٥ ألف أواسطه إلى ١٢ ألف في نهايته حسب البيانات الأمريكية ، وبذلك توفرت للحرب الخاصة شروطها المطلوبة :

قوات محلية منظمة جيداً ومدربة جيداً وهائلة العدد ، قيادة أمريكية مع هيئات المستشارين والخبراء اللازمة مع وحدات خاصة ، قدرة على الحركة جواً وبراً وقوة نيران وأسلحة خاصة ، سيطرة كاملة على ادارات الجنوب مع جهاز استخبارات واسع بأحداث الوسائل التقنية .

الخطة الثورية المضادة :

في الوقت الذي كانت القيادة العسكرية الأمريكية مشغولة مع عملائها في سايجون في الاعداد والتحضير لشن الحرب الخاصة كانت حرب العصابات الثورية تنتشر إلى مناطق جديدة فاتحة الطريق أمام بناء المزيد من القواعد الثورية ، معلنة مناطق محررة اضافية .

لكن التطور الاهم على جبهة الثورة خلال العام الأول كان سلسلة من اللقاءات والمداولات بين الكوادر الحزبية والتقدمية أسفرت عن اقامة الحزب الشيوعي لجنوب فيتنام تحت اسم « حزب الشعب الثوري » في ديسمبر[١٢] باعتباره حزب الطبقة العاملة والشغيلة أولاً وحزب كل الوطنيين ثانياً ! يسعى الى قيادتهم من أجل تحرير الجنوب وتوحيد البلاد ثم قيادة البلاد نحو الاشتراكية .

ورغم أن البرنامج السياسي ذي النقاط العشر الذي اعلنه الحزب لايختلف كثيراً عن برنامج جبهة التحرير ، إلا أن قيام هذا الحزب شكل محطة هامة في مسيرة الثورة ، لأنه وفر الأداة التنظيمية الثورية الطليعية لقيادة الجبهة الوطنية بعد عام كامل من النضال الميداني ،

وربط الحركة الثورية الجنوبية بقيادة الثورة في الشمال عبر القيادة الحزبية الواحدة وأن كان بشكل غير رسمي .

الخطوة الثورية الثالثة التي اضيفت الى قيام الجبهة وتأسيس الحزب الطليعي كانت توحيد الأداة العسكرية ، حيث أدمجت كافة الوحدات المقاتلة الثورية ، والمجموعات المسلحة التابعة للطوائف المختلفة في إطار واحد وتحت قيادة موحدة ، وأمكن اعلان قيام « جيش التحرير » رسمياً[13] في ١٥ فبراير ١٩٦١ ، الذي ضم الأشكال الثلاثة للقوات المسلحة الثورية وأدخلت على البنية العسكرية للثورة تطورات كبيرة في مجالات التدريب والتسليح والتنظيم والتقنية والعمل السياسي .

الخطوة الرابعة على الجانب الثوري كانت إقامة المناطق المحررة وتنظيم السلطة الثورية فيها ، بحيث تمكنت الجبهة الوطنية من إجراء انتخابات واسعة للجان الادارية في نهاية ١٩٦١ شملت ٣٨ محافظة من أجل ٤١ محافظة وقسمت البلاد إلى سبعة مناطق واسعة وهكذا أصبح للثورة في المناطق المحررة[14] جهازها الحكومي الفعلي الذي ضم هيئات اقتصادية وصحية وثقافية وتعليمية ، وجهازاً اعلامياً يضم إذاعة صوت التحرير ووكالة انباء التحرير وعدة صحف ونشرات مركزية وفرعية

وفي الربع الأول من عام ١٩٦٢ بلغت الثورة الجنوبية أوج نفوذها يعقد المؤتمر الوطني العام للجبهة الذي حضره ممثلون عن مختلف الأحزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية والطوائف الدينية والعرقية ، وقد قدرت المصادر الامريكية عدد الأعضاء العاملين في أطر الجبهة الوطنية آنذاك بثلاثمائة ألف عضو ، أي أربعة اضعاف العدد المقدر بعد المؤتمر التأسيسي للجبهة قبل عام .

وهكذا تكون الإستعدادات على الجبهة الثورية قد استكملت لمواجهة واحباط استراتيجية الحرب الخاصة ؛ الأداة الثورية الطليعية (حزب الشعب) الوحدة الوطنية الأوسع (جبهة التحرير الوطنية) الأداة الثورية المسلحة الضاربة (جيش التحرير) القاعدة الثورية الصلبة (الإدارة الثورية في الأرياف) واعتمدت الإستراتيجية الثورية المضادة التي اشتملت على ثلاثة خطوط رئيسية ؛ النضال المسلح ، النضال السياسي ، العمل الدعائي في قوات العدو (الحرب النفسية) .

أولاً : عمليات ـ التنظيف والإكتساح (Moppig Up Oper.)

أشرف وزير الدفاع الأمريكي مكنمارا على الاستراتيجية العسكرية للحرب الخاصة بنفسه ، وقد تضمنت تلك الإستراتيجية القيام بسلسلة من عمليات التنظيف والتمشيط في

المناطق التي ينشط فيها الثوار بهدف استعادة المبادرة في الميادين العسكرية واسترداد الأرض من جديد تمهيداً لتهدئتها . من الناحية الميدانية بذات عمليات التنظيف منذ النصف الثاني للعام ١٩٦١ أثناء مرحلة الاستعدادات لكنها دخلت مرحلة هامة ومؤثرة اعتباراً من مطلع العام ١٩٦٢ .

وخلال العام ١٩٦٢ شنت القيادة الأمريكية ـ السايجونية نوعين من العمليات من حيث المدى ، عمليات طويلة الأمد (تستغرق عدة شهور) وعمليات قصيرة (عدة أيام أو أسابيع) ، أما من حيث حجم القوات المشاركة فيمكن الحديث عن ثلاثة أنواع :

ـ العمليات الكبرى : استخدمت في كل منها قوات نظامية تزيد على الكتيبتين وتصل أحياناً إلى فرقتين ، ويكون هدفها تدمير القواعد الثورية في المنطقة المحددة بالتعاون مع قوات الحرس المدني ومليشيا القرى ، وبعد ذلك تجميع الفلاحين والقرويين في القرى الاستراتيجية بعد ارهابهم وترويعهم وحرق بيوتهم .

ـ العمليات المتوسطة : استخدمت فيها قوات نظامية تتراوح من كتيبة الى اثنتين ويكون هدفها اقليم صغير أو بضعة قرى صغيرة أو ناحية .

وبلغ عدد هكذا عمليات حوالى الألف .

ـ العمليات الصغيرة : استخدمت فيها قوات عسكرية تتراوح من المجموعة إلى سرية واحدة أو أكثر ، وهي تستهدف أكثر من غرض ، وفي أكثر من مكان ، وقد بلغ عدد هذا النوع من العمليات حوالى ٢٧ ألف عملية .

عمليات التنظيف المذكورة استندت الى نقطتي تفوق رئيستين في المواجهة العسكرية ، هما سلاح الهليوكبتر ، والآليات الحديثة ، مع كثافة في استخدام بقية الأسلحة والمتفجرات حتى تلك التي لم تكن معروفة في الساحة سابقاً ، كالغازات والكلياويات السامة .

أولى العمليات الكبرى كانت خطة الدلتا ، التي استهدفت تنظيف عشرة محافظات حول العاصمة سايجون، والتي شملت عدة حملات عسكرية أبرزها حملة شروق الشمس التي انطلقت في أواخر مارس واستهدفت ستة محافظات في شرق الدلتا، استخدمت فيها اثنتين من الفرق النظامية ووحدات اقليمية ، تساندها قوة جوية ومدفعية .

العملية المذكورة استغرقت حتى نهاية العام وكان يشرف عليها بين حين وآخر وزير الدفاع الامريكي نفسه وقائد قيادة المساعدة العسكرية ، وقد دفعت قوات الحملة خلالها ثمناً باهظاً لانتشارها في تلك المناطق .

ومن الحملات الكبيرة التي استخدمت فيها عدة آلاف من الجنود في ابريل عملية هوا ماي ضد محافظة كانو ثو Can Tho وعملية كولوا ضد محافظة جيا دنه Gia Dinh وفي مايو عملية

هاي ين ضد محافظة فو ين Phu Yen ، وفي اغسطس عملية نبه تاي ضد منطقة غرب الدلتا ، وفي اكتوبر عملية ساو ماي ضد محافظتي لونغ أن Long An ، وتاي نينه Tay - Ninh وفي نوفمبر عملية بلود إج ضد محافظة ثوداوموت Thu Dau Mot .

العمليات الكثيفة والمتلاحقة التي تعرضت لها المناطق المحررة وشبه المحررة في الجنوب ودلتا الميكونغ أدت إلى خسائر فادحة بشرية واقتصادية ومادية بين السكان وكانت أقرب إلى حملات التصفية والعقاب الجماعي ، بحيث خلفت وراءها حوالي ٨٠ ألف قتيل و٢٣ ألف جريح ، ٢٧٥ ألف معتقل وموقوف موزعين على ٨٧٤ معتقل ومركز احتجاز كما أدخل مئات الآلاف من سكان المحافظات المشمولة بالحملات الى القرى الاستراتيجية ، إلاّ أن القيادة الأمريكية لم تعترف سوى بمقتل ثلاثين ألف فيتنامي حتى نهاية العام ١٩٦٢ .

الانتشار والتوسع في التواجد العسكري على مناطق واسعة وعدد الضحايا الكبير ، وحجم الخسائر الهائل التي الحقت بالارياف الجنوبية اثر العمليات العسكرية اعتبر نجاحاً كبيراً للاستراتيجية الامريكية ، الأمر الذي دفع القيادة الامريكية للإفراط في التفاؤل فاعلن هاركنيز عن نيته استئناف العمل بنفس التكتيكات السابقة وتحقيق المزيد من الانتصارات في أسرع وقت ممكن ، كما بشر رئيس أركانه بقرب نهاية الفيتكونغ في جنوب فيتنام .

ويمكن رد اسباب انحسار النفوذ الثوري في تلك المواجهات إلى التحول الكبير في ميزان القوى من حيث عدد القوات والأسلحة لصالح معسكر الثورة المضادة ، وإلى الآثار التي أحدثتها التقنية الأمريكية في ميدان القتال مادياً ونفسياً ، اضافة إلى عامل رئيسي آخر هو النجاح النسبي (المؤقت) في تفريغ عدد من المناطق الريفية من سكانها وحشرهم في تجمعات استراتيجية افقدت الأسماك الثورية محيطها الشعبي .

ثانياً : القرى الاستراتيجية Strategic Hamlets

تعتبر القرى الاستراتيجية من أبرز ملامح الحرب الخاصة (إضافة إلى عمليات التنظيف والتهدئة) التي عولت عليها القيادة الامريكية كثيراً للحد من نفوذ الثورة في الأرياف ولاعادة سلطة الحكومة المركزية وتثبيتها في القرى . . . لكن ماهي القرية الاستراتيجية ؟

انها مكان تجمع لعدد كبير من الأسر الفلاحية التي اخليت قراها الأصلية ، تحيط به أسوار من البامبو على ارتفاع يتجاوز المترين ، تليها حزام من الاسلاك الشائكة وبين البامبو والاسلاك يوجد شريط من الأرض مزروعة بالألغام والخوازيق . . بعد الأسلاك يوجد خندق عرضه ثلاثة أمتار وعمقه متر ونصف ، وأخيراً تحصينات اسمنتية مزروعة على الفواصل والممرات ، ومع أبراج مراقبة في كل الاتجاهات .

في داخل القرية توجد المكاتب الإدارية ، ومراكز الشباب الجمهوري السايجوني على شكل مواقع عسكرية ترتبط بممرات تحت الأرض ، وخنادق تصلها مع التحصينات وأبراج المراقبة ، وحولها توجد تجمعات الأسر الفلاحية ، ويعطي أفرادها بطاقات إثبات شخصية بالصور والبصمات ، وتحدد ساعات الدخول والخروج عبر بوابات شديدة المراقبة . . ويحتفظ بالمواد الغذائية في مخازن مشتركة بحيث توزع يومياً بطريقة الحصص لمنعهم من تخزينها في مهاجعهم .

بدء في اقامة القرى الاستراتيجية في يوليه ١٩٦١ في محافظتي فينه لونغ وكوانغ نجاي كمرحلة أولى وفي بداية العام ١٩٦٢ بدأت المرحلة الثانية والأوسع حيث شملت معظم الريف الفيتنامي وفق الخطة المعدة والتي تقضي بإقامة أكثر من ١٦ الف قرية على أن تنتشر أولاً في المناطق المهدئة وبعدها إلى المناطق المتنازع عليها وأخيراً إلى المناطق المحررة . .

حاولت السلطات الجنوبية أن تبني القرى الاستراتيجية مكان أو قرب القرى الاصلية المدمرة على أساس أنها طريقة أرخص وأربح وفق التجربة البريطانية في الملايو ، الا أن المواصفات الأمريكية المطروحة جعلت الأمر صعباً ، فهي يجب أن تكونو قريبة من طرق المواصلات أو حول المدن أو قرب المواقع المحصنة ، أو ذات قيمة عسكرية ، سهلة الدفاع عنها أو نجدتها ، وأن تضم عدداً من السكان وعدد كاف من الأدوات الرجعية . . لذلك كان لابد من تغيير أماكن الكثير من القرى ونقل السكان إليها بعد اجبار الفلاحين على ترك بيوتهم ومحصولاتهم وأراضيهم .

عملية نقل الفلاحين إلى القرى تتم عبر عدة خطوات ؛ تبدأ بالإغارة وحملة الإرهاب ضد سكان القرية الأصلية ، واخضاعهم إلى حملة اعلامية نفسية ، يتبعها نقل المواد البناء إلى الموقع الجديد مع الفلاحين ، ثم تجري عملية تطويق القرية الجديدة ، وبناء النظام الدفاعي عنها ، وفي المرحلة الثالثة يتم تعزيز الإدارة وبناء المنظمات الرجعية وشبكات التجسس بين الفلاحين ، يليها بناء الوحدات المسلحة وشبه المسلحة ثم اجهزة الإنذار ، والقيام بمناورات وتدريبات ضد العمل الفدائي مع انجاز المكاتب الادارية وقاعات المحاضرات ومخازن التموين والخدمات .

الخطوة الاخيرة تشمل العمل في الجبهة الداخلية للقرية لمطاردة الشيوعيين وانصارهم والعناصر الوطنية والمشتبه بها والتحقيق معهم وتعذيبهم وتصفيتهم . . أما القوات المسلحة وشبه المسلحة فإنها تشمل الوحدة المقاتلة للدفاع الذاتي ، وهي مسلحة برشاشات وقنابل يدوية واعضاءها من الشباب الجمهوري ، ثم الوحدة الخلفية للشباب المدافع وتضم مجموعات لزرع الخوازيق والألغام وجمع المعلومات والاتصال ، ثم وحدة الإسعاف الأولى ووحدة الامداد ووحدة التمريض ، بقية الرجال القادرين ينظمون في جماعات الدفاع الذاتي

الشعبية للمسـاعدة في أعمال الحراسة وخدمة الوحدات الاخرى خلال الاشتبكات وهذه الـوحـدات تقودها اللجنة الادارية للقرية التي تتبع اداراً اللجنة الخاصة لبناء القرى على مستوى الأقليم وعسكرياً تتبع جهاز تفتيش القرى الاستراتيجية على مستوى القطاع العسكري .

مركزياً تعتبر اللجنة المركزية للقرى الاستراتيجية التي يرأسها نهو ديم شقيق الرئيس هي الهيئة القيادية من الجانب الفيتنامي وتضم وزراء الدفاع والداخلية والمدينية والريفية والتعليم والأمن والشرطة ، لكنها من الجانب الأمريكي تخضع لإشراف وتوجيه مباشر من لجنة شؤون الريف في بعثة العمليات الأمريكية ، واللجنة الموجهة للقرى الاستراتيجية .

في المناطق الجبلية لم يطبق نظام القرى الاستراتيجية واستعيض عنه بمعسكرات تجمع اجبرت الأقليات القومية على إنشائها والإقامة فيها حيث تعرضت لحملات قمع وارهاب متواصلة بحثاً عن الشيوعيين ، وأطلق على هذه المعسكرات سابقاً مراكز الازدهار في المرتفعات .

وضعت قيادة الثورة خططاً تفصيلية للنضال ضد القرى الاستراتيجية منذ لحظة تدمير القرية الأصلية على يد العدو وحتى اتمام بناء آخر وحدة في القرية الاستراتيجية ، بحيث تتمكن القوى الثورية في نهاية الأمر من افقاد القرية المهمة التي من أجلها أنشئت ، بل وعلى العكس تحويلها من قرية معادية للثورة الى قرية مقاتلة يقودها تنظيم ثوري متمرس .

خلال تلك العملية الطويلة من النضال الشاق والدؤوب لجأت القيادة من حين إلى آخر إلى نوع من العمليات العسكرية الخاصة لخدمة هدف محدد ؛ على سبيل المثال ؛

عندما تشتد حملة الإرهاب المعادية داخل القرية يجري تنفيذ عملية استثنائية لرفع معنويات الفلاحين وكسر ترددهم وخوفهم . كما أن هناك عمليات كان هدفها الاقتصاص من بعض عتاة الرجعيين أو تأديبهم أو بث الرعب في صفوف المسلحين والفاشيين . . مع استمـرار العمل في تقويض اللجان والتنظيمات المعادية وبناء لجان وتنظيمات وطنية بديلة داخل القرى وبشكل عام ارتبط مستقبل القرى الاستراتيجية بالتطور الثوري على المستوى الـوطني ، ومـع كل تقـدم في مواجهـة حرب التهدئة كان المزيد من القرى الاستراتيجية يتسـاقط ، وشهـد العـام ١٩٦٤ ، أوسـع الضربـات الخارجية والداخلية لمشروع القرى الاستراتيجية لدرجة أن ثمانين بالمائة من تلك القرى أمكن تدميره مع نهاية العام .

الفصل الثالث :

المواجهة الثورية للحرب الخاصة ١٩٦٣ - ١٩٦٤

عندما جرد الأمريكيون حملاتهم العسكرية الجبارة لم يكن عود القوات المسلحة الثورية قد اشتد إلى الدرجة التي تمكنه من التصدي لهكذا هجمات عسكرية ، وعجزت قوات الثورة عن إحباط تلك الهجمات ، بل أنها أصيبت في عدد من المناطق بانتكاسات عسكرية وفقدت كثيراً من قواعدها الثورية ، وتساقط عدد غير قليل من المقاتلين ، أدى حجم الضحايا والخراب الذي حل بالمواطنين إلى جعلهم أقل حماسة وأكثر تردداً للإنخراط في صفوف الثورة .

هذه التطورات دفعت قيادة الثورة إلى التحرك السريع في اتجاهين :

الأول تكثيف العمل السياسي والدعاوي وبناء القواعد السياسية بين السكان من جديد .

الثاني إعادة تجميع وتنظيم وتسليح القوات الثورية بما يتلائم مع التطورات العسكرية الجديدة ، وهذا استدعى دعماً خاصاً من « الأشقاء » في الشمال .

في مطلع العام الجديد بدأت القوات الثورية تخرج من مرحلة التراجع (الضعف العسكري إلى مرحلة التعامل النشط مع قوات العدو وإلحاق خسائر متصاعدة بأفراده وأسلحته ومعركة آب باك Ap Bac تعتبر نقطة التحول بين المرحلتين ، للأسباب التالية :

- أن المعركة جرت في قرية أب باك بمحافظة ماي ثو التي تبعد حوالى ٦٠ كيلومتر جنوب غرب العاصمة وخلالها تصدى مائتين من الثوار لهجوم عسكري شنته قوات يصل عددها إلى ألفين بقيادة اللواء روبرت بورك .

- الموجة الأولى من الهجوم على القرية بدأت في ٢ يناير بقصف مدفعي وجوي شديد

ومع ذلك فقد تمكن الثوار من قتل وجرح حوالى أربعين جندي بينهم ضابط برتبة رائد ، واغراق سفينة نهرية ، واسقاط ٥ طائرات هليوكبتر .

ـ الموجة الثانية استخدمت فيها ناقلات برمائية من طراز م١١٣ ، ونيران مدفعية كثيفة خلال تقدم القوات ، لكنها أسفرت عن احراق ٣ آليات برمائية واصابة عدد آخر من الجنود بين قتيل وجريح .

ـ الموجه الثالثة من الهجوم في اليوم التالي استغرقت من الظهر حتى الثامنة مساءاً تكبد المهاجمون فيها خسائر بشرية ومادية كبيرة ، ودون أن تتمكن من تصفية القوة التورية أمرت القوات بالإنسحاب من المنطقة .

التنائج المباشرة للمعركة كانت مقتل وإصابة حوالى ٤٥٠ جندي وضابط بينهم ١٣ أمريكي ، إسقاط ٦ طائرات هليوكبتر وإعطاب ١٥ أخرى ، وتدمير ٣ ناقلات برمائية وسفينة نهرية .

لكن النتائج غير المباشرة كانت انتصار قوات فدائية متواضعة التسليح على عاملي التفوق الأمريكي في الحرب الخاصة ، وفتح الطريق أمام التعامل مع هذه الأسلحة المتفوقة بالإعداد الجيد للقرية المقاتلة وللمقاتل التوري . . لكل ذلك سارعت قيادة الثورة الى تعميم نتائج المعركة على مختلف الوحدات وأطلقت حركة تنافسية بينها باسم آب باك لتدمير قوات وآليات العدو .

وخلال الستة شهور التالية حيث واصلت القوات السايجونية ـ الأمريكية حملات التنظيف ضد المناطق غير المسيطر عليها ، وشنت أكثر من عشرة آلاف عملية عسكرية بينها ثمانمائة عملية متوسطة الحجم ، فإن الوحدات الثورية تمكنت من إخراج أكثر من ٣٣ ألف جندي خارج المعركة وأسر ١٧٤١ جندي ، وتدمير ٣٤٢ سيارة بينها ٦٢ آلية برمائية ، اسقاط واعطاء ١٩٢ طائرة ، الاستيلاء على ٥ آلاف قطعة سلاح ، وتدمير أو تخريب حوالى ٢٥٠٠ قرية استراتيجية .

من العمليات البارزة للعدو في تلك الفترة (عام ١٩٦٣) .

ـ عملية « موجة الحب » التي استهدفت تنظيف منطقة كامو ، استغرقت شهرين (يناير وفبراير) واسفرت عن مقتل واصابة حوالى ستمائة جندي وضابط ، بينهم أمريكي برتبة رائد مع اسقاط طائرة واصابة اخرى واغراق سفينة ، وقد شارك فيها لوائي مشاة وثلاث كتائب بحرية .

ـ عملية « دوك تانغ ـ ١ » ضد قرى سهل الجرار ، في شهر مارس ، استخدم فيها تسعة آلاف جندي مع القاذفات والناقلات البرمائية والسفن وأسفرت عن مقتل واصابة ثلاثمائة جندي واعطاء برمائتيين ، استغرقت ثلاثة أيام .

ـ عملية « ميتور ـ ١ » في يناير « ميتور ـ ٢ » في مارس ضد محافظة تاي نيغه بهدف تصفية القواعد الثورية فيها وشطب وحدات جيش التحرير هناك .

ـ عملية التنظيف ضد شمال وجنوب بن كات Ben Cat في يونيه استغرقت أربعة أيام شارك فيها ألفي جندي مع البرمائيات (١٠٠ آلية) والسفن الحربية ، والطائرات وأسفرت عن اخراج ٥٧٤ من المعركة واصابة ١٤ طائرة .

عملية دان تانغ وعملية لام سون في غرب وجنوب كوانغ نجاي Quang Ngai والتي استخدم العدو خلالها قصفاً كثيفاً ضد قواعد الثوار في ابريل .

في يوليه شن العدو هجوماً واسعاً ضد كوانغ لونغ في ماثيو ، استخدمت فيه تسع كتائب وأربعين آلية برمائية ومدفعية عيار ١٠٥ ، ١٥٥ مم ، ٢٧ طائرة و٢٧ سفينة ، بإشراف عشرين خبير أمريكي لكنها أسفرت عن اصابة ومقتل ٤٥٥ جندي وناقلتين وسبع طائرات .

ـ عملية « دوك تانغ » الثانية كانت أبرز عمليات شهري أغسطس وسبتمبر وقد استهدفت منطقة كامو لكن النتيجة لم تكن ايجابية حيث تمكن الثوار من احباطها وإلحاق خسائر جديدة بقوات وآليات العدو ، وفي شهر اكتوبر نفذ العدو أكثر من ستمائة هجوماً ، كان ابرزها معركة لوك نينه Loc Ninh التي عرفت باسم « آب باك » الثانية لاهميتها والنتائج التي أسفرت عنها :

ـ آخر عمليات التنظيف الكبيرة لهذا العام كانت عملية اخرى ضد منطقة كان ثو Can Tho في ٢٨ ديسمبر استخدمت فيها وحدات جوية ونهرية لمساعدة المشاة لكن النتيجة كانت اخراج ستمائة من المعركة واصابة اربع ناقلات وخمس وحدات نهرية .

ويمكن القول أن العسكريين الفيتناميين لجأوا في هذه المرحلة الدفاعية الى تكتيكات مختلفة منها :

أ ـ الإكثار من الكمائن المتعددة الاحجام على السواحل ومفارق الطرق والممرات الإجبارية .

ب ـ الاعتماد بشكل كبير على الافخاخ والمصائد والخوازيق البامبو ، والألغام عندما تتوفر .

ج ـ الاحتفاظ بضبط النفس حتى يصل جنود العدو الى بعد عشرة أو خمسة عشرة متراً قبل الاشتباك معهم .

د ـ تصاعدت الامكانية الدفاعية للثوار من التصدي لمجموعات صغيرة ومنعزلة . . حتى مواجهة كتائب كاملة مباشرة .

هـ ـ اختبر الثوار امكانياتهم القتالية مع مختلف الوحدات العسكرية المعادية بما فيها.

وحدات « النمور السود » وعلى الرغم من أن نسبة القوى في هذه المرحلة كانت تتراوح بين ٢٠ ـ ١٠ مهاجماً الى مدافع واحد ، إلا أن كثيراً من المعارك استدعت قيام الجنرال الامريكي هاركنير والجنرال الفيتنامي دنه الحضور وللإشراف الشخصي عليها ، كما أن وزير الدفاع الأمريكي نفسه تفقد ميادين القتال أكثر من مرة .

لوك نينه محطة ثانية :

ـ المعركة بدأت عندما هاجم الثوار موقعين للعدو في المنطقة ودمروهما في ١٨/١٧ اكتوبر فارسل العدو تعزيزات من سوك ترانغ براً ونهرياً تقدر بألفي جندي فجر يوم ١٩ اكتوبر .

ـ الثوار نصبوا كمائن على طريق تقدم مجموعتين من الجنود باتجاه بلدة لوك نينه كانت مهمتها فتح نيران كثيفة تمهيداً لإنزال جوي ، وأجبروا المجوعتين على التراجع .

ـ دمر الثوار ثلاث طائرات هليوكبتر من أصل ١٧ طائرة كانت تنزل قوات معادية بحماية عدد من الطائرات المقاتلة .

ـ تمكن العدو من انزال عدد من القوات شمال القرية ، ومرة ثالثة ورابعة دفع العدو بقواته من الجو فتعامل الثوار معها بمدفعية الهاون ثم بالإشباك المباشر .

ـ الإنـزال الأخير شمل ٣٠٠ جندي باستخدام ٢١ طائرة مساء في مؤخرة الثوار ، عندها دارت معارك التحام ضارية استمرت حتى انسحاب القوات المهاجمة ليلاً .

ـ النتيجة كانت اخراج ٦٠٠ من المعركة بينهم مقتل ٢٢ ضابط أمريكي ، تدمير أربع طائرات هليوكبتر ، إصابة وإعطاب ثلاثين اخرى واجلاء ثلاث مواقع للعدو من المنطقة .

بالإضافة إلى الخسائر البشرية والمادية التي الحقت بالعدو يعتبر العسكريون الفيتناميون ان معركة لوك نينه شكلت نقطة تحول في القدرة والأسلوب القتالي للثوار حيث قاتلوا العدو في مناطق مكشوفة وبعيدة عن قواعدهم ، وحققوا انجازاً مهماً رغم احتفاظ العدو بكامل التفوق المادي والتقني والبشري .

ويمكن القول إن النصف الثاني للعام ١٩٦٣ حمل تطورات جديدة في ساحة المواجهة وهو انتقال القوات الثورية في حالة الضعف وتلقي الضربات المتتالية الى حالة المبادرة في شن هجمات محدودة والإغارة على مواقع قوات العدو بعد أن تم كسر الموجات الهجومية الرئيسية في خطته للعام نفسه ، وفي هذا الاطار نفذت الوحدات الثورية هجمات في شهر يوليه ضد قرى استراتيجية وتعزيزات للقوات والآليات والهليوكبتر ومحطات السكك الحديدية في كان ثو ، وفي سبتمبر شنوا أربعة هجمات في منطقة جوكونغ Go Gong اسفرت عن تشتيت وتدمير ثلاث كتائب وتدمير سبع آليات وثلاث طائرات ، وفي منطقة كامو هاجموا قطاعين عسكريين ، وقصفوا مطار سوك ترانغ . . . وكانت الحصيلة ، اخراج حوالى سبعمائة

عسكـري من المعـركة بينهم عدد من الضباط والطيارين الأمريكيين وتدمير واعطاب ٥٢ طائرة ، تدمير ٥ تحصينات . . . وهذا التصعيد في حركة الثوار دفع الأمريكيين للقول أن عمليات الفيتكونغ في الأسابيع الأخيرة فاقت مجموع عملياتهم طوال الشهور السابقة من العام .

وهنا يمكن الإشارة إلى عاملين كان لهما دور إيجابي في الحركة الثورية في الربع الأخير من العام :

أولهما : المؤتمر العسكري العام الذي عقدته الثورة في سبتمبر في المناطق المحررة والذي أسفر عن اجراءات وترتيبات عسكرية جديدة في ضوء الخبرات والمتغيرات العسكرية الميدانية .

ثانيهما : الانقـلاب العسكـري الـذي انشغلت القيادات العسكـرية السـايجونية والمسؤولين في سايجون في الإعداد له منذ آواخر اغسطس (بعد انتفاضة البوذيين) وماتبع سقوط نظام دييم في نوفمبر من نزاعات على السلطة .

وحسب بيانات الثورة فإن الوحدات الثورية شنت خلال شهري نوفمبر وديسمبر حوالى ثلاثة آلاف عملية عسكرية مختلفة أسفرت عن مقتل ٤٨٤٦ جندي بينهم ٣١ أمريكي ، وإصابة ٢٣٧٦ بينهم ١٥ أمريكي ، ٩١٤ أسير ، وتدمير سبعمائة قرية استراتيجية وخمسمائة موقع عسكري .

من أبرز الهجمات الثورية في تلك الفترة :

- مهاجمة واقتحام معسكر التدريب في هيب هوا بمساعدة جنود سايجونيين مما أسفر عن مقتل مائة جندي بينهم ٩ أمريكيين وأسر مائة آخرين بينهم أربع أمريكيين . ليلة ٢٣ نوفمبر .

- اقتحام مواقع العدو المحصنة في شالا وتنظيفها الذي أدى الى شطب ثلاثمائة جندي معادي في تلك المواقع ، فجر ٢٤ نوفمبر .

- تصدى الثوار لحملة عسكرية انتقامية في المنطقة استخدمت فيها ٦٥ طائرة وألف جندي ، وتمكنوا من اسقاط ١٥ طائرة وقتل واصابة ٢٤٠ جندي وأسر ٦٠ آخرين . . في نفس اليوم .

- مهاجمة مراكز العدو في بان كو بمحافظة تاي نينه في أول ديسمبر اسفرت عن احتلال ثلاثة منها وشطب ثلاثمائة جندي واسقاط طائرتين وتدمير سفينة انزال .

وبنتائج معارك ديسمبر تكون القوات الثورية قد الحقت بالقوات المعادية خلال العام ١٩٦٣ خسائر فادحة تشمل ؛ اخراج أكثر من ١١٨ الف جندي من المعارك بينهم أكثر من ٧٨ ألف قتيل والباقي جرحوا أو أسروا . . . وفق البيانات الفيتنامية[١٥] .

حاول الانقلابيون معالجة الإنتعاش في حركة القوات الثورية باللجوء إلى تركيز القوات المسلحة وسحب الوحدات المعزولة وإخلاء المواقع المتطرفة ، واستخدام قوات متحركة لشن هجمات واسعة ، إلّا أن ذلك أدى إلى ترك مناطق حغرافية واسعة فارعة عسكرياً سارع الثوار إلى الإستفادة منها .

أبرز الهجمات المعادية تلك كانت حملة ثانه فو ضد قواعد الثورة بمحافظة بن تري التي بدأت في ١٧ يناير استخدمت فيها ستة آلاف جندي ، خمسين طائرة، ٢٦ ناقلة برمائية ، ١٤ سفينة بحرية ، ١٢ مدفعية تقيلة ، نفذت الحملة على ثلاث مراحل ؛ قصف شديد ، محاصرة كاملة ، اكتساح واسع . استمرت الحملة حتى ٥ فبراير ، اسفرت عن اخراج ١٢٤٠ جندي من المعركة وتدمير واعطاب عدد كبير من الطائرات والآليات والإستيلاء على كمية من الأسلحة .

خطة جونسون ـ مكنمارا :

التدهور في أوضاع الجبهات العسكرية ، وعرقلة خطط الحرب الخاصة حول التنظيف والإكتساح ، والصراعات بين جنرالات سايجون ، دفع الأمريكيين إلى اعادة تقييم الموقف من خلال زيارة قام بها وزير الدفاع مكنمارا الى ميادين القتال ، وبعد موافقة الرئيس الأمريكي أعلن عن خطة جديدة باسم جونسون ـ مكنمارا لانقاذ الموقف .

الخطة التي أعلنت في ١٧ مارس ١٩٦٤ تضمنت التغييرات والاجراءات التالية :

ـ إقامة لجنة امريكية على مستوى وزاري لادارة الحرب وتكون القيادة الأمريكية في سايجون تابعة للبنتاغون مباشرة وليس لقيادة المحيط الهادىء .

ـ تشكيل لجنة امريكية ـ فيتنامية مشتركة مركزية ، ويتواجد المستشارون الأمريكيون في كل وحدة عسكرية فيتنامية .

ـ تحويل وحدات المليشيا القروية إلى قوات نظامية بحيث يرتفع عدد الجيش من مائتي الى ثلاثمائة ألف جندي ، ودمج قوات الحرس المدني والشباب المقاتل ليصبح عددهم ٢٥٠ ألف .

ـ دعم القوات المسلحة المحلية بالتجهيزات العسكرية والقوى الجوية والنهرية والمتحركة ، وزيادة مرتبات الجيش بنسة ٢٠ بالمائة .

ـ زيادة عدد القرى الاستراتيجية وتحويلها إلى قرى « الحياة الجديدة » ورصد مبالغ مالية لكسب العناصر المترددة في المناطق المهدئة .

ـ رفع معنويات الحكومة والجيش الجنوبي عبر شن عمليات الإستفزاز والتخريب ضد شمال فيتنام .

مع معارك ربيع العام الجديد ١٩٦٤ ، دخلت القوات الثورية مرحلة جديدة ، سمتها العامة هجومية وقادت إلى إفشال الحرب الخاصة ، إن إنتقال الوحدات الثورية إلى الحركة الهجومية ساعدت في إحباط أو تعطيل أهم الحملات العسكرية المعادية في مراحلها الأولى .

على سبيل المثال :

بدأ العدو في مارس الإعداد لعملية كبرى باسم دين هونغ ، فقام الثوار بشن هجوم استباقي شمل أربعة أقاليم بمحافظة بن تري ، فاضطرت قيادة العدو إلى إرسال أحد ألويته المجهزة لمساندة قواته في المنطقة . مما أثر على سير العملية الهجومية الأصلية فتداخلت المهمات الدفاعية بالهجومية وقامت الجماهير المحلية بدور بارز في عرقلة تقدم الوحدات السايجونية .

وأدت النتائج النهائية الى اخراج حوالى ٢٥٠٠ جندي من المعركة وتدمير ٥١ موقع وبرج مراقبة ، تحرير ١٧ قرية عادية ، ٣٢٠ قرية استراتيجية دُمرت ، تدمير وتعطيل ٢٠ طائرة ، اعتاق حوالى ٨٠ ألف مواطن من السيطرة الحكومية .

حاولت القيادة الأمريكية - السايجونية الرد على الثوار بعملية كبرى ضد كوانغ نام أطلق عليها حملة « كويت تانغ ٢٠٢ » استغرقت شهراً (٢٧ ابريل - ٢٧ مايو) استخدمت فيها ٥ آلاف جندي ومائة طائرة حربية وهليوكبتر ، إلّا أن نتائجها لم تكن تتناسب مع قوتها ، وخسرت ٤٨٠ عسكري ، ٣٩ طائرة بين تدمير وإعطاب .

نتائج العمليات العسكرية الهجومية للنصف الثاني من العام لم تكن أفضل من السابقة ، فرغم ضخامة عدد القوات المستخدمة في عمليات التنظيف في فيتنام الوسطى ، إلّا أن وحدات الثوار الضعيفة نسبياً تمكنت من التصدي لها وإفشال العديد منها ، لذا نجد القيادة الأمريكية تتراجع عن خطتها الأصلية بتهدئة كامل الجنوب إلى تهدئة المناطق الأكثر أهمية وتشمل محافظات بنه دونغ ، ثاي نينه ، بن تري ، ماي ثو ، لونغ آن ، جيا دنه ، هوا نجيا ، على أمل أن تتمكن من إتمام المهمة في ديسمبر .

لكن القوات الثورية كانت قد انتقلت الى وضع هجومي قوي مكنها ليس فقط من عرقلة واحباط الهجمات الأرضية المعدة ، بل القيام بهجمات جزئية ضد المطارات والمدن ، الأمر الذي دفع القيادة الأمريكية الى التركيز على تنظيف وتهدئة المناطق المحيطة بالعاصمة سايجون قبل كل شيء .

من أبرز العمليات الكبيرة التي شنها العدو في منطقة العاصمة ، عملية بن سوك في مثلث الصلب شمال غرب سايجون حيث قام بإنزال ١٤ كتيبة مستخدماً مائة طائرة هليوكبتر ، ومسحت المنطقة شبراً شبراً وعلى امتداد أسبوع كامل ، ١٣ - ١٨ أغسطس لكنها لم تجد فدائياً واحداً . . لكن بعد انسحابها خرج الفدائيون من القرى الأرضية وواصلوا عملياتهم الثورية

في المنطقة .

في نوفمبر كررت القيادة الأمريكية ـ السايجونية نفس العملية يومي ١٨ ـ ١٩ واستخدمت هذه المرة الآليات السريعة ورشت الغابات بالقنابل الفوسفورية ، لكنها لم تعثر على أحد ، وبينما تستعد للإنسحاب ، خرج لها الثوار من القرية الأرضية ، ودارت معارك إلتحام يومي (٢٠ ، ٢١) فتكبدت القوات المهاجمة خسائر كثيرة .

حاولت القيادة الأمريكية طوال العام الحصول على دعم عسكري جديد (بشري) من الدول الحليفة لتوسيع دائرة الحرب وعقدت لهذا الغرض مؤتمراً لوزراء خارجية حلف سياتو في إبريل ، كذلك ناشد وزير الخارجية راسك دول حلف ناتو في مايو دعم المجهود الحربي في فيتنام لكن ذلك لم يؤد إلى تحسين الوضع العسكري ، كذلك لم تثمر التغييرات في المراكز العسكرية التي كان أبرزها تعيين الجنرال ويستمورلاند على رأس القيادة الأمريكية في سايجون ولم يتوقف الصراع على السلطة في سايجون عند حد ، وتوالت الإنقلابات الأمر الذي لم يترك أثره على الجهد الحربي السايجوني فحسب ، بل وأدى إلى نمو وتطور النضال السياسي داخل المدن وخاصة الحملة المعادية للتدخل الأمريكي .

الوضع العسكري في ميادين القتال خلال عام ١٩٦٤ لم يعد قتالاً بين القط والفأر كما ذكرت احدى الصحف الأمريكية بل أصبح بين الأسد والنمر ، فأصبحت يد الثورة تطول المدن والمطارات والموانىء وأصبح الأمريكيون هدفاً ممكناً لضربات الثوار .

ومن أبرز الهجمات الثورية في النصف الأول للعام ؛

ـ الهجوم على معسكر تدريب خاص ، في المرتفعات الوسطى من فبراير أسفر عن إصابة مائة أمريكي من أصل مائتين كانوا موجودين عند الهجوم .

ـ مهاجمة قطاع فينه Vinh العسكري في راخ جيا في ابريل وخوض معركة ضارية أسفرت عن اخراج ١٥٠٠ من المعركة وتدمير طائرتي هليوكبتر والاستيلاء على ألف قطعة سلاح .

ـ في مايو مهاجمة أهداف بحرية ؛ اغراق سفينة « كارد » الأمريكية واصابة ثمانية أمريكيين في ميناء سايجون وشطب مجموعة من القوات السايجونية .

وفي النصف الثاني من العام كان أبرز الهجمات :

ـ عمليات مضادة في منطقة خون توم استمرت من ١٠ ـ ١٢ يوليه اسفرت عن اصابة ثلاثمائة جندي ، ناقلتين ، طائرة ، ثلاث مراكب ، خمس لنشات بحرية .

ـ مهاجمة مطار بين هوا ـ أحد أهم ثلاث مطارات في الجنوب ـ رغم القرى الاستراتيجية والتحصينات المحيطة ، وتدمير ٥٩ طائرة ، ومخزني ذخيرة ، مخزن نفط ، اصابة ٢٩٣ أمريكي في ديسمبر .

ـ معركة آن لاو : حيث هاجم الثوار مواقع العدو الحصينة في وادي آن لاو An Lao بمحافظة بنه دنه اسفرت عن تدميرها وازالة ١٥ قرية استراتيجية ، فأرسل العدو تعزيزات قوامها ألف جندي مع ناقلات برمائية وطائرات ، فدارت اشتباكات ضارية أسفرت عن اخراج ٦٨٠ جندي من المعركة ، والاستيلاء على ٣١٠ قطعة سلاح ، وتحرير الوادي واسر عدد من الجنود . . في ديسمبر أيضاً .

القيادة الفيتنـامية ثمنت عالياً معركة ان لاو باعتبارها أول معركة من نوعها تتم في المنطقة الوسطى ، يخوض الثوار فيها قتالاً على امتداد ستة أيام ويحققون النصر بعيداً عن قواعدهم .

ـ معـركـة بنـه جيا : حيث هاجم الثـوار ليلة ٥ ديسمـبر قرية بنـه جيا Binh Gia الاستراتيجية الواقعة على الطريق رقم ٢ بين باريا وسوان لوك على بعد ٦٠ كم من سايجون ، وبعد تدميرها تقدموا لمهاجمة قطاع دك ثانه ـ أحد القطاعات العسكرية الثلاث في المنطقة ـ واثناء محاصرته قام العدو بإنزال كتيبة معززة برتل مدرعات على الطريق ٢ فدارت معركة ضارية لعدة أيام استعان العدو خلالها بوحدات خاصة لانقاذ الموقف الذي تطور الى معارك مواجهة واسعة شملت قطاعي دك ثانه ودات داو . والطريق ٢ ، الطريق ١٥ ، وبعد عشرة أيام دفـع العـدو بتعـزيزات جديدة من القوات البحرية والطائرات والهليوكبتر ، فامتدت المواجهة حتى بداية العام الجديد ، وقام بشن غارات جوية كثيفة استخدامت فيها مائة طائرة كما أنزل قوات مظلية رافعاً عدد الوحدات الموجودة في ساحة المعركة إلى سبعة كتائب . . . . تكبدت حتى نهاية العام نحو ألفي إصابة ، ٣٧ طائرة اسقطت أو أعطبت كذلك عدد من الناقلات .

القيادة الفيتنـامية اعتـبرت بنـه جيا أطول معركة تخوضها قوات الثورة ضد الحرب الخاصة ، كما أنها نفذت في جبهة عسكرية معقدة (شبكة طرق وقواعد بحرية وجوية) وفي منطقة مغلقة للعدو ، أمام قوات قوية ، تصلها تعزيزات متواصلة . وقد طبق الثوار خلال القتال تكتيكات عسكرية متنوعة : مناوشات وإزعاجات ، هجمات خلفية إغارات وهجمات مفاجئة ، معارك إلتحام .

نتائج المعارك التي دارت في المناطق المحيطة بسايجون أسفرت عن إحكام السيطرة الثـورية على حوالى ٨٠ بالمـائة من سكان الضواحي مع بقاء سيطرة العدو على عاصمتي محافظتي لونغ ان ودنه تونغ و١٤ عاصمة إقليم . . . بينما البيانات الإجمالية لمعارك الجنوب كاملة لعام ١٩٦٤ تشير إلى وقوع حوالي أربعين الف اشتباك ومعركة أسفرت عن اخراج ١٣٥ الف جندي من المعركة بينهم ٢١١٠ أمريكي ، إسقاط وإعطاب ٥٤٢ طائرة ٩٩٢ آلية ٢٩٢ مركب ، تدمير ١٣٩ موقع ومعسكر وقطاع ، الإستيلاء على ١٧٥٠٠ قطعة سلاح .

وبهذه النتائج تكون معركة بنه جيا آخر المعارك في مرحلة الحرب الخاصة التي لم تحقق للقيادة الأمريكية ماكانت ترمي إليه بل على العكس عززت وضع الثورة أفضل مما كان سابقاً[١٦]. إن مجموعة من العوامل الرئيسية تظافرت في مواجهة الاستراتيجية الأمريكية الخاصة واحباطها أهمها :

- تعزيز الوضع العسكري للجبهة باعادة تنظيم وتسليح وتجهيز وتطعيم الوحدات الجنوبية .

- التنسيق بين الكفاح المسلح وحرب العصابات الريفية والعمل السياسي بين الجماهير .

- دور الجماهير الهام في عمل الإمداد والتموين واخلاء الجرحى في المناطق البعيدة عن قواعد الثوار .

- إعطاء أهمية خاصة لبرامج الدعاية والتحريض بين الجنود السايجونيين وعائلاتهم

- الانقسامات والصدامات داخل حكومة وادارة سايجون وعدم نجاح واشنطن في ترتيب اوضاعها .

- تعزيز الوضع الداخلي للجبهة بعد عقد المؤتمر الثاني وتوسيع إطر الوحدة الوطنية .

- نجاح الثوار في الوصول الى قلب العاصمة عبر العمليات الخاصة وأثارها النفسية[١٧] .

عندما دخلت الثورة عامها الجديد ١٩٦٥ . كانت المناطق المحررة قد بلغت أوج إتساعها ، وجماهير المناطق المحررة بلغت العشرة ملايين مواطن ، وقوات الثورة ضمّت المزيد من الوحدات النظامية الضاربة إلى جانب الوحدات الإقليمية وشبكات وحدات العصابات ، كما أن إدارة ثورية سياسية واقتصادية واجتماعية تطورت باعتبارها حكومة فعلية في تلك المناطق .

الفصل الرابع

استراتيجية الحرب المحدودة « المحلية »

الحرب المحدودة تعني استخدام القوات الأمريكية مباشرة في العمليات العسكرية في جنوب فيتنام من أجل تحقيق التفوق المطلق في ساحة القتال في مجال قوة النيران والقدرة على الحركة بهدف مطاردة الوحدات النظامية للثورة وتدميرها . . ثم استعادة الأراضي التي كانت تحت سيطرتها . . في هذه المرحلة تكون مهمة القوات السايجونية العسكرية والأمنية ـ بمساعدة أمريكية ـ مطاردة وتصفية ماتبقى من القوات الثورية الفيتنامية غير النظامية . أثناء هذه العمليات تقوم القوات الجوية ، والبحرية الأمريكية بسحق القدرات العسكرية والمادية والاقتصادية لجمهورية فيتنام الشمالية بحيث تصبح عاجزة عن تقديم أية مساندة أو نجدة للقوات الثورية الجنوبية . ولانجاز ماتقدم تخول القيادة العسكرية الأمريكية باستخدام كافة الأسلحة التقليدية المتطورة ـ دون الذرية ، وتستخدم بالتالي قوات عسكرية ضخمة وأسلحة جديدة تشمل طائرات عسكرية قاذفة ومقاتلة . هليوكبتر، ناقلة ، آليات ومدرعات ، تجهيزات الكترونية وأجهزة متقدمة . . . مع القدرات الإنزالية البحرية والنهرية الفعالة . .

مرحلة الإعداد :

الإعداد والتحضير للحرب المحدودة بدأ مبكراً ، قبل أكثر من عام من انطلاقة المرحلة الفعلية الأولى لهذه الحرب ، أي منذ الشروع في تنفيذ خطة توسيع الحرب الى خارج حدود فيتنام الجنوبية ، والتي بدأت في فبراير ١٩٦٤ بتصعيد العمليات الخاصة ضد فيتنام الديمقراطية .

في مارس أوصى وزير الدفاع مكنمارا بعد زيارته سايجون بممارسة ضغوط جديدة ضد

فيتنام الديمقراطية تكون أكثر فعالية ، فوافق الرئيس جونسون على ذلك ، وبناء عليه أعدت هيئة الأركان المشتركة في ابريل قائمة بالأهداف المحتملة للتدمير في الأراضي الشمالية وتضم ٩٤ هدفاً .

أن الفكرة التي تكمن وراء هذه الحرب المقترحة تحدث عنها روستوف في مذكرته إلى وزير الخارجية ومؤداهـا ان فيتنام الشمالية ستفضل الدفاع عن مكتسباتها الإشتراكية على المغامرة الناجمة عن استمرار دعمها لثوار الجنوب ، « ان لدى هوشي منه شبكة صناعية يريد أن يحميها ، لأنه لم يعد رجل العصابات الذي لايملك شيئاً يفقده ، لذلك يمكن تهديده بالقصف الجوي لتدميرها فيخاف ويوقف نشاط الفيتكونغ »[١٨] .

أما مكنمارا فإنه كان يرى الضغط على فيتنام الديمقراطية على مرحلتين أو في اتجاهين ، أولهما يتضمن السيطرة على المناطق الحدودية وشن الأعمال الانتقامية عبرها ، وثانيهما بالضغط العسكري المكشوف والتدريجي ضد الأهداف العسكرية والاقتصادية الشمالية .

في مايو قام نجـوين خانه بتقديم طلبٍ مستعجلٍ إلى الأمريكيين لمهاجمة «وضرب فيتنام الديمقراطية لانها تواصل «اعتداءها» ضد جمهوريته الجنوبية . « وحذرهم » من أنه سيعلن الحرب عليها قريباً » . . إلاّ أن جونسون كان يرى التريث في ضرب الشمال حتى يزداد الخلاف الصيني ـ السوفييتي حدة ، فتصبح الظروف حينئذٍ أكثر ملائمة .

وكان بعض الأمريكيين قد توقعوا منذ سنوات تطور الخلافات الصينية السوفييتية الى حد احتمال قطع العلاقات بين البلدين ، وحثوا القيادة الامريكية على الاستفادة من الأمر ، جونسون كان يعطي اهتماماً خاصاً للعامل الصيني في الحرب الفيتنامية لدرجة إنه اتهم بكين في ابـريل ١٩٦٥ بأنها تدفـع زعماء هانوي للحرب عبر الاعتداءات المتكررة ضد جنوب فيتنام . ونقلت له اجهزة الاستخبارات أنباء حول الحشود السوفيتية والصينية على الحدود بين البلدين تقول ان القوات في كل جانب قد تجاوزت ١٢ فرقة . . لذا كان آملاً في نشوب القتال وانشغال الطرفين بعيداً على الساحة الفيتنامية .

قيادة الأركان الامريكية كانت قد طلبت . . عبر رئيسها تايلور ـ من مكنمارا في أوائل ١٩٦٤ العمل على أن تتحلل القيادة الأمريكية من القيود التي تفرضها على التحرك الأمريكي في فيتنـام وان تتخـذ خطوات عملية فاعلة لدعم القيادة العسكرية الأمريكية في سايجون بالصـلاحيات الجـديدة وتحمـل الأمـريكـين ادارة الحرب العملية مباشرة وتكليف القيادة الأمريكية في سايجون بالإشراف المباشر على برنامج العمل ضد الشمال ، واستخدام اجواء لاوس وكمبـوديا في المجهـود الحـربي ودعم حكـومـة سايجون لشن غارات جوية وبحرية وعمليات فدائية واسعة ضد فيتنام الديمقراطية وشن عمليات أرضية في لاوس، وأبعد من ذلك بشن غارات جوية امريكية على أهداف رئيسية في الشمال تحت غطاء جنوبي ومشاركة

قوات امريكية مقاتلة عند الضرورة في الجنوب.

مكنمارا بدوره اقترح على جونسون اتخاذ التدابير اللازمة للتأكيد على الالتزام الامريكي بمساعدة ودعم جنوب فيتنام الى المدى الذي يمكنها من السيطرة على « التمردالشيوعي »[19] وتأييد حكومة خانه ومعارضة أية انقلابات جديدة! مباركة برنامج التعبئة العامة في الجنوب ومساعدة حكومة سايجون لزيادة قواتها ٥٠ ألف جندي اضافي، ولانشاء فرق الأدارة المدنية وقوات فدائية هجومية وتزويد القوات الجنوبية بطائرات ومدرعات وسفن نهرية وتجهيزات حديثة تعويضاً عن القديمة.

عملية تونكين . . الاختبار الأول

في يونيه أرسل الأمريكيون رسالة تهديدية إلى فيتنام الديمقراطية بواسطة المندوب الكندي في لجنة الرقابة الدولية الجديد ، سيبورن الذي التقى فام فان دونغ في ١٨ يونيه ١٩٦٤ . . لكن دون جدوى . . وفي آواخر يوليه بدأ الأمريكيون فصلاً جديداً من تنفيذ تهديداتهم على طريق الحرب المحدودة حيث هاجمت قوات بحرية خاصة لفيتنام الجنوبية ليلة ٣٠ يوليه بإشراف ويستمورلاند جزيرتي هون مي ، وهون نيو ، في خليج تونكين في ظل حماية المدمرة الأمريكية « مادوكس » التي لم تنسحب بعد الغارة فاشتبكت معها زوارق البحرية الفيتنامية في ٢ اغسطس وعلى الفور تدخلت حاملة الطائرات نيكوندروجا وهاجمت طائراتها الزوارق الفيتنامية . . . وفق الرواية الأمريكية .

في ٣ اغسطس أمر جونسون المدمرة تيرنر جوي وحاملة الطائرات كونستلليشن بالانضمام إلى زميلتيها في المنطقة كطعم للزوارق الفيتنامية! . . وفي نطاق الخطة قامت القوات البحرية الخاصة الجنوبية بالإغارة على نفس المواقع السابقة في الخليج في ٤ اغسطس « مما دفع الزوارق الفيتنامية لمطاردتها وبالتالي الاشتباك مع السفن الحربية الموجودة في مياه الخليج . . »[20].

هذه تفاصيل « حادثة تونكين » المشهورة في الحرب الأمريكية ضد فيتنام . . . والتي اتخذها جونسون ذريعة لشن هجمات جوية علنية ضد فيتنام الديمقراطية . . . ووسيلة للضغط على الكونحرس لاعطائه تفويض باستخدام القوات المسلحة الأمريكية مباشرة في القتال .

بعد الاشتباك البحري مباشرة عقد مكنمارا اجتماعاً لقيادته العسكرية في البنتاغون حضره شارب الذي حل مكان فيليت في قيادة قوات الهادي ، ثم تبع ذلك اجتماعاً لمجلس الأمن القومي حضره الرئيس واقر « الرد الفوري على الإعتداء الفيتنامي » ! حيث أمر جونسون الطائرات الأمريكية في الأسطول السابع بقصف الأهداف الفيتنامية في هون جيا ،

لو تشاو ، نوك لوي ، كوانغ هي ، مستودع للنفط قرب فينه . . ونفذت التعليمات في ٥ أغسطس .

في نفس اليوم طلب جونسون من أعضاء الكونجرس مباركة خطواته وتحدث إلى الأمة مؤكداً أن الضربات الأمريكية « رد فعل محدد ومناسب » ووعد بالا يوسع الحرب ، أما وزير دفاعه فقد عقد مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن نتائج الغارات التي استهدفت قواعد بحرية وخزانات نفط في الشمال واعترف ان القيادة الامريكية بدأت في تحريك قوات وقاذفات ومقاتلات الى غرب المحيط ، وجنوب فيتنام ، وتايلند ، وبحر الصين .

في ٧ اغسطس حصل الرئيس الأمريكي على موافقة الكونجرس والنواب والمباركة لاجراءاته « الخاصة بعد أي هجوم مسلح ضد قوات الولايات المتحدة ومنع استمرار العدوان وبأن امريكا على استعداد لاتخاذ كل الخطوات اللازمة . . بما في ذلك استخدام القوات المسلحة لمساعدة أي عضو أو دولة وقعت على معاهدة الدفاع الجماعي لجنوب شرق أسيا وتطلب المساعدة دفاعاً عن حريتها . . »[٢١] .

بعد ذلك أصبح جونسون حراً في اتخاذ الخطوات العسكرية التي يرتأيها لخدمة سياسته العدوانية الجديدة . . وعلى الفور أراد اختبار رد الفعل في هانوي ، عبر رسالة جديدة حملها الكندي سيبورن إلى رئيس وزراء فيتنام في ١٠ أغسطس تحذر من أن « صبر الرأي العام والحكومة الأمريكية حيال عدوان شمال فيتنام يقترب من النفاذ . . . ولذا فإن جمهورية فيتنام الديمقراطية تعرف مايجب عليها أن تفعله اذا ماأرادت المحافظة على السلام !! »[٢٢] إلاّ أن فام مان دونغ لم يبد أي خوف على الإطلاق ، وفق الشاهد الكندي ، وأعلن بكل هدوء اصرار بلاده على متابعة السياسة التي تسير عليها والثقة الكاملة في نجاح هذه السياسة في النهاية .

الخطوة الثانية كانت تصعيد حرب التخريب ضد الشمال ، والذي بحث سابقاً في الإجتماع الذي عقدته القيادات الأمريكية المختصة في هونولولو في يونيه . . هيئة الأركان المشتركة أعدت في نهاية أغسطس برنامجاً محدداً للتخريب شمل عمليات تجسس وجمع معلومات عن الأهداف المسجلة سابقاً ، عن طريق الجو والبحر ، إرسال منشورات وهدايا وافخاخ ، ورسائل عن طريق الجو والبريد ، وتوجيه برنامج اذاعي يومي باسم منشقين وهميين لمدة نصف ساعة ثم انشاء اذاعة صوت الحرية تعمل لمدة ثمان ساعات ونصف موجهة إلى الشمال ، القيام بعمليات تفجير ضد الكباري ومراكز المراقبة والرادارات ، الثكنات ، الجزر ، السكك الحديدية ، الافراد . .

وقد وافقت الحكومة الأمريكية ثم مجلس الأمن القومي في أوائل سبتمبر على خطة جونسون ـ ضد الشمال ـ وخلال الشهور الثلاثة الأخيرة من العام ١٩٦٤ أطلقت يد

التخريب في المناطق الشمالية من جديد ، مع استمرار طلعات الطيران ، ودوريات البحرية التي تحمل اسم « ديسوتو » في اختراق الأجواء والمياه الاقليمية لفيتنام الديمقراطية .

الخطوة الثالثة بدأت في أول ديسمبر عندما عقد جونسون اجتماعاً خاصاً مع قياداته (جنرال جونسون مكنمارا ، تايلور ، راسك ، ماركون ، ويلر) لمناقشة واعتماد الاستراتيجية العسكرية الجديدة في فيتنام . وفي ١٢ ديسمبر وافق مجلس الأمن القومي على التفاصيل النهائية لتدخل القوات الجوية عبر عملية « قصف المدافع » ضد المناطق الفيتنامية ـ اللاوسية ، والتي اعترف الأمريكيون خلالها بسقوط طائرتين لهم خلال غارات أول يناير .

في المقابل كانت قيادة الثورة الفيتنامية في هانوي حريصة منذ البداية ، وخاصة بعد تصاعد التحرشات والإستفزازات على التأكيد على أن ثوار الجنوب انما يعتمدون على أنفسهم في قيادة نضالهم الوطني وتدبير شؤون المقاومة ، وفي نفس الوقت التزام شعب الشمال بمواصلة دعمه لنضال أشقائه في الجنوب ، ويبين هوشي منه أن الثورة الوطنية في جنوب البلاد انطلقت من الواقع الذي يعيشه شعب الجنوب ولم يصدرها الشعب في الشمال ، واستشهد بالتقارير الأمريكية التي اعترفت بحصول رجال المقاومة على ثمانية آلاف قطعة سلاح من جيش سايجون . . . [٢٣] .

من الهجمات الجوية ـ إلى الحشد البري:

العام الأول في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة حمل تطورين خطيرين في اطار السياسة العدوانية :

أولاً : القصف الجوي قبل الآن كان من الناحية الشكلية على الأقل رداً على أعمال قامت بها البحرية الشمالية أو على التصعيد العسكري الذي قامت به القوات الثورية الجنوبية . . . لكن مع بداية العام الجديد أخذ القصف الجوي يأخذ موقعه كأحد فصول الحرب المحدودة . . وقد رأت القيادة الأمريكية للقصف ثلاثة أهداف:المساعدة في قيام حكومة مستقرة في الجنوب ، تحسين شروط القتال ضد ثوار الجنوب ، اجبار هانوي على وقف مساعداتها لثوار الجنوب بل والضغط عليهم . . . أما وزير الدفاع ومساعده فقد أكدا في فبراير أن هدف القصف يتجاوز مساعدة صديق الى احتواء تحرك الصين . .

في ٧ فبراير وبينما كانت هانوي تستقبل ضيفها العزيز الكسي كوسيجن ، قامت حوالي مائة طائرة بالإغارة الشديدة على منطقتي دونغ هوي ، فينه لينه ، في عملية اطلق عليها السهم المشتعل رقم ١ ، وشارك فيها كاوكي[٢٤] قائد سلاح الجو الجنوبي شخصياً . . ويعد

ثلاثة أيام نفذت عملية السهم المشتعل رقم ٢ . . لكن النتائج كانت مخيبة للآمال ، وحسب التقارير الأمريكية فإن ٢٧ هدفاً قد دمر ، ٢٢ هدفاً آخر أصيب من أصل ٤٩١ مبنى ومركز مستهدفة ، الأمر الذي دفع مكنمارا الى إرسال مذكرة توبيخ الى رئيس الأركان في المنطقة ويلر الذي وعد باتخاذ اللازم لاصابة الأهداف بدقة في المرات القادمة !

رسالة تهديد أخرى بعث بها الأمريكيون إلى فام دونغ في فبراير ١٩٦٥ ، وكذلك إلى حكومة بكين ، إلّا أن رئيس الحكومة الفيتنامي رفض استقبال حاملها الكندي ، الأمر الذي دعا السفير تايلور إلى اعتبار ذلك دليل قوة فيتنام الشمالية وثقة قادتها بأنفسهم . . وبالتالي لابد من تصعيد القصف وتوسيعه الى شمال خط عرض ١٩ حسب اقتراحاته الى قيادته في واشنطن . . . في مارس بلغ عدد الطائرات المشاركة في القصف ١٢٨ طائرة أغلبها من نوع ف ١٠٠ ، ف ١٠٥ وقد وصلت إلى منطقة على بعد مائة ميل جنوب هانوي ، واستخدمت قنابل النابالم بعد موافقة الرئيس شخصياً على ذلك في ٩ مارس . . .

الرد الفيتنامي على الغارات الجوية جاء في اتجاهين ، الأول التصدي السريع من قبل الأسلحة الدفاعية لفيتنام الديمقراطية للطائرات الأمريكية والحاق أكبر اصابات ممكنة بينها ، بحيث بلغت حصيلة المقاومة خلال الشهور الأولى اسقاط أكثر من ٥٠ طائرة مغيرة . . والثاني تصعيد الهجمات الأرضية للقوات الثورية في الجنوب ضد الأهداف الاستراتيجية والقوات الأمريكية والحاق خسائر بشرية مباشرة بالامريكيين بلغت أوجها بمهاجمة السفارة الأمريكية في سايجون ، وقد اصدرت قيادة الجبهة بياناً في فبراير اعتبرت فيه الغارات على الشمال استفزازات لكل الشعب الفيتنامي ودعت القوات الثورية والشعب الجنوبي الى التحرك كرجل واحد ومضاعفة يقظتهم والقيام بالتصعيد الفوري للنضال العسكري والسياسي وإفشال مخطط توسيع الحرب ، واعتبرت أن نجاح عملية بليكو (بعد الغارات مباشرة) جزءً من رد الشعب الجنوبي .

الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٩٦٥ شهدت تصعيداً ناجحاً في عمليات الثوار حيث بلغت نشاطاتهم العسكرية حوالي أربعة آلاف وثلاثمائة اشتباك وهجوم أسفرت عن مقتل واصابة ٤٥٢٦٠ جندي بينهم ١١٢٧ امريكي ، واجلاء ١١١ موقع للعدو وكما جاء في بيان القيادة العسكرية للجبهة فإن ١١١ طائرة دمرت أو أسقطت ٢٦ سفينة ، ٢٧٥ آلية ، ٤٠٠ قرية استراتيجية جرى تدميرها ، كما حررت مائة قرية وثمانية عواصم اقليمية يسكنها أكثر من نصف مليون مواطن اصبحوا جزءً من الشعب المحرر .

من أبرز انتصارات تلك الفترة عملية بليكو . . . فما هي معالمها حسب البيانات الفيتنامية ؟ في تلك المدينة تقع قيادة الجيش الثاني ، والمنطقة التعبوية الثانية ومعسكر خاص للمستشارين الأمريكيين يدعي هالوي يضم الف خبير ومطار ونظام دفاعي حصين ومعقد

حول المنطقة . . . شن الثوار عليها الهجوم الأولي بالمدافع والقنابل قبل فجر ٧ فبراير ، أدى الى اشتعـال ٥٢ بناية ومركز في المعكسر والمطار بينها ١٧ طائرة هليكوبتر و٣ طائرات نقل عسكري . . . وفي نفس الوقت كانت مجموعات الاقتحام قد وصلت الى الداخل وبدأت عملياتهـا المبـاشرة التي اسفـرت عن ٣٥٧ عسكري بينهم عدد من الأمريكيين ، وتدمير واعطاب ٤٢ طائرة أخرى وتحصينات ومخازن أسلحة وذخائر . .

وفي نفس الليلة كانت مجموعات اخرى تهاجم تحصينات فيت ان شمال نهر خوان في محافـظة كوانـغ نام التي تحمي قاعـدة للمـدفعية واذاعـة ومـركـز قيادة للقوات المحلية ، والمستشارين الأمريكين . . وبعد اختراق تلك التحصينات شن الثوار هجوماً مباشراً داخل المنطقة أسفر عن مقتل واصابة عدد من العسكريين المحليين والأمريكيين ، وجروا معهم خمسة مدافع من عيارات ١٥٥ ملم ، ٨١ ملم ، ٥٧ ملم ، بعد رفع علم الجبهة فوق المواقع . . حاول العدو دفع تعزيزات قدرت بكتيبتين مؤلله إلا أن كمائن الثوار كانت جاهزة على الطريق لإعاقة تقدمهم وتشتيتهم حتى يتمكن رفاقهم من الإنسحاب . . .

هذا التصعيد دفـع القيادة الأمريكية الى تفقد المنطقة ، حيث وصل ويستمورلاند والمستشار بندي ونجوين خانه في صباح ٧ فبراير الى مدينة بليكو ، ثم أمر جونسون بشن الغارات الإنتقامية المذكورة سابقاً ، لكن الغارات لم تمنع من تصعيد جديد في عمليات الثوار خلال الربع الثاني من العام ، حيث تمكنوا في ابريل من إفشال وعرقلة عدة عمليات اكتساح كبيرة شنها العدو في لونغ ان ، راخ جيا ، كونتوم ، بنه دنه ، فيت ان . . وفي مايو حققوا عدة مكاسب عسكرية ضد العدو في هاي ين ، كامو ، بن هوا ، ثوت هين ، نوي ثانه ، سونغ بي ، باجيا . . . والحقوا به خسائر بشرية ومادية فادحة بحيث بلغت حصيلة النصف الأول من العام وفق بلاغات الثورة تشتيت واخراج ٩٠ الف جندي من المعركة بينهم ٢٠ الف قوات نظامية ، ٣ آلاف امريكي ، ٣٠٠ حليف ، اسقاط أو تدمير أو إعطاب ٢٦٠ طائرة متنوعة ، ٣٥ سفينة ، ١٠ قطارات ، ٣٩٦ آلية بينها ٨٩ من طراز م ١١٣ . واستولى الثوار على حوالى ٢٠ الف قطعة سلاح . .

القيادة العسكـرية الفيتنامية أكدت على خصوصية معركة سونغ بي وباجيا كنموذج لحرب تدمير القوات المعادية اظهرت قدرة الثوار على شطب قوات تدخل كاملة ، وانهيار القدرة الدفاعية وليس فقط الروح الهجومية للعدو ، وتجلت فيها مشاعر التفوق والسيادة ، في الميدان عند القوات الثورية . . .

ثانياً : بالنسبة لإرسال القوات البرية فقد وصلت في يناير ١٩٦٥ دفعة جديدة من القوات الحليفة تضم ألفي جندي كوري . . . وفي أول مارس ترأس الجنرال جونسون بعثة عسكرية امريكية لدراسة اجراءات توسيع الحرب الأمريكية ضد الشمال على الأرض ، تبعها

انزال قوات من الفرقة البحرية الأولى ، والفرقة البحرية الثالثة الى دانانغ . .

في ١٠ مارس بارك مجلس الأمن القومي اقتراح جونسون بإرسال القوات المقاتلة إلى فيتنام بعد أن كانت طلائعها قد وصلت بالفعل ، وبعد ثلاثة أيام أمرت الإدارة الأمريكية بإرسال ٢٠ الف جندي من المشاة ، وخلال الأسبوع نفسه وصلت دفعة جديدة من قوات كوريا واستراليا ونيوزيلنده . وفي أول ابريل عقد جونسون اجتماعاً هاماً ، لقياداته ومستشاريه تقرر فيه تغيير الإتجاه الاستراتيجي للوحدات الأمريكية من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم ، وبعد أربعة أيام أقر مجلس الأمن القومي تعديل الرئيس لمهمة القوات الأمريكية واستخداماتها ، وفي ٢٠ إبريل اجتمع العسكريون المعنيون في هونولولو لبحث تطبيق الإستراتيجية الجديدة وتوسيع عمليات الحصار ضد فيتنام ، وشاركت في الاجتماع وزارتي الدفاع والخارجية . . . وثائق البنتاغون كشفت أن القيادة العسكرية الأمريكية كانت تستبعد حدوث « ليونه » في موقف هانوي قبل ستة شهور من الغارات الانتقامية المتواصلة ، وتتوقع تصعيداً في العمليات العسكرية للثوار الجنوبيين لذلك أوصيت بإرسال القوات الأمريكية والأسلحة الكفيلة « بسحق ارادة هانوي والفيتكونغ » لاجبارها على التسوية السياسية ! .

التسوية السياسية كما يراها جونسون عبر مقترحاته السلمية التي اذاعها في خطابه في بليتيمور في ٧ ابريل كانت تعني قبول فيتنام الديمقراطية ببدء المفاوضات غير المشروطة مع استمرار القصف . . . وشنت الدبلوماسية الأمريكية حملة واسعة للترويج لمقترحات جونسون في أوروبا وأسيا ، ساهمت فيها الحكومة البريطانية ، وحاولت واشنطن عبر سفيرها المتجول كابوت لدوج وخلال مؤتمر حلف سياتو في أول مايو زج الدول الأعضاء في المعركة العسكرية من أجل السلام ! لكن الفرنسيين والباكستانيين اتخذوا موقفاً معارضاً . . .

في هانوي رد هوشي منه على خطة امريكا بتوسيع الحرب بان الشعب الفيتنامي لن يخضع أبداً واعتبر تصريحات جونسون بأنها « سراب أحمق . . . لأن مئات الطائرات والسفن الحربية قد كشفت حقيقية الامبرياليين الأمريكيين كقراصنة يعتدون على أراضي فيتنام في محاولة لاستعباد شعبها بالقوة »[٢٥] .

وحول مقترحات السلام أكد أن شعب فيتنام يحب السلام لكنه لايخاف الحرب وان الطريق الى السلام يمر عبر وثيقة النقاط الاربع التي أصدرتها الحكومة الفيتنامية ، والبيانات التي اصدرتها الجبهة الوطنية في الجنوب وجبهة الوطن في الشمال بهذا الخصوص . . . وأشار هوشي منه الى أن شعب فيتنام يمر بأعظم مراحل تاريخه حيث يدافع عن الموقع المتقدم للمعسكر الاشتراكي وشعوب العالم المناضلة ، وأن مايقدمه من تضحيات وجهود تتجاوز حدود حريته واستقلاله الى خدمة الحرية والاستقلال والسلام في العالم .

كما قامت الحكومة الفيتنامية بإعداد قرار اتهام متكامل ضد الولايات المتحدة أعلنه باسمها فام فان دونغ .

الثوار يعرقلون التهدئة :

الخطة العامة لتهدئة الجنوب التي وضع معالمها الرئيسية جونسون ومكنمارا في مارس ١٩٦٤ كان مقرراً لها أن تنتهي في نهاية العام ١٩٦٥ ، لكن ضربات القوات الثورية المتتالية خلال الشهور الأولى جعلت المسألة غير قابلة للتحقيق كما رأينا ، فاضطر الأمريكيون لادخال قوات عسكرية مباشرة الى أرض المعركة .

بعد خطاب جونسون في ابريل وصلت قوات بحرية اضافية الى دانانغ ، وشكلت أول قيادة « إدارية » امريكية في سايجون واعدت الإدارة الأمريكية مرسوماً حول منطقة النفوذ العسكري الأمريكي في السواحل والمياه الإقليمية الفيتنامية .

في آواخر ابريل اعتمدت هيئة الأركان الأمريكية توصية مؤتمر هونولولو الخاصة بإرسال ٤٨ الف جندي امريكي وأكثر من خمسة الاف جندي حليف الى سايجون وفي أوائل مايو وصلت أول وحدات مشاة أمريكية الى الجنوب من الفرقة ١٧٣ وخلال نفس الأسبوع وصلت ستة آلاف من القوات البحرية ليصبح عدد القوات الأمريكية المرسلة عشرين ألف رابطت في مناطق دانانغ ، سايجون ، بليكو ، وطلب جونسون من الكونجرس اعتماد مبلغ ٧٠٠ مليون دولار اضافي للنفقات العسكرية في فيتنام . . . لكن القوات الثورية بادرت إلى شن سلسلة عمليات واسعة قبل أن تستكمل القوات الأمريكية استعداداتها ، وحققت مكاسب واسعة في الجنوب مما دفع ويستمورلاند لتحذير رئيسه شارب من القدرات المتزايدة للثوار في مطاردة وسحق القوات السايجونية ومن اختلال التوازن بين الطرفين لصالح الثوار .

ويستمورلاند اقترح التحرك الأمريكي السريع لانقاذ الموقف وطالب إرسال ٤٤ كتيبة امريكية اضافية لتحسين وتعديل الميزان العسكري حتى نهاية العام فقط ، وبعدها يجب إرسال قوات اخرى ، إلاّ أن طلبه لم يؤخذ على محمل الجد ، واكتفى مكنمارا في ١٥ يونيه بالاعلان عن إرسال ٢٠ الف جندي واصدر الأوامر الى قواته بالاشتراك رسمياً في العمليات . الهجومية بعد تعزيز القاعدة البحرية في كمران ووصول عدد الطائرات الحربية إلى ألف طائرة في الجنوب .

في ٢٧ يونيه بدأت القيادة الأمريكية أول هجوم بري كبير مستخدمة أربعة آلاف جندي أمريكي واسترالي وسايجوني على قواعد الثوار شمال شرق سايجون واستمرت المعركة لمدة ثلاثة أيام دون جدوى وعلى أثرها قام مكنمارا بجولته التفتيشية السادسة في أواسط يوليه اعلن في اعقابها أن قوات الحكومة الجنوبية لاتستطيع مواجهة الثوار، واعترف بجدية طلب

ويستمورلاند للقوات الاضافية ، وعينه رئيساً لقيادة القوات الارضية الأمريكية في فيتنام بعد أن وصلت قوات الفرقة الأولى للمشاة ، وبذلك أصبح ويستمورلاند طليقاً في تنفيذ خطته العسكرية في البحث والتدمير[٣٦] ضد القوات الثورية في الجنوب ووعد مكنمارا بتزويده بـ ٣٤ كتيبة اضافة الى ١٠ كتائب وصلت فعلاً الى الجنوب .

أمام هذا التطور دعا هوشي منه الشعب الفيتنامي في الشمال والجنوب للتصدي للغزاة بقلب واحد ، وناشد كل فئاته تصعيد جهودهم في النضال والانتاج في نفس الوقت . . وندد في نداء أصدره في ذكرى توقيع اتفاقيات جنيف بالامبرياليين المتوحشين الذين يتحدثون عن السلام وفي نفس الوقت يبنون قواعد عسكرية جديدة ويرسلون قوات جديدة ويشنون غارات جديدة ، وأكد أن المفاوضات السلمية لن تتم الا عبر الموافقة على بيان النقاط الأربعة لحكومة هانوي وحذر الشعب الأمريكي والجنود الأمريكيين من القيادة الأمريكية التي تستخدمهم كطعم للمدافع . . . مؤكداً أن الفيتناميين سيواصلون القتال حتى لو استمرت الحرب فترة طويلة . .

لكن الاستجابة الأمريكية لنداء هوشي منه كانت عكسية فبعد سلسلة الاتهامات الأمريكية لحكومة هانوي والتي تضمنها الكتاب الأبيض لوزارة الخارجية بعنوان « عدوان من الشمال » وتصريحات مكنمارا وجونسون في نفس الاتجاه ، بدأت القيادة الأمريكية عدة خطوات تصعيدية :

أ ـ وافق جونسون على خطة « البحث والتدمير » التي أعدها ويستمورلاند والتي تعني نقل الحرب الى مواقع الطرف الآخر وحرمانه من حرية الحركة وتسديد ضربات عنيفة ، في كل مناطق تواجده . . وتشمل ثلاث مراحل ، الأولى يتم فيها توفير القوات اللازمة لايقاف الهزائم والخسائر الناتجة عن هجمات الثوار . . وتستمر حتى نهاية ١٩٦٥ ، والثانية تتضمن شن هجمات حاسمة في المناطق الأكثر أهمية للعدو وتستغرق النصف الأول من عام ١٩٦٦ ، والثالثة تقضي بشن حملات إبادة لبقية قوات الثوار وشطب قواعدهم نهائياً حتى نهاية عام ١٩٦٧ . . على أن يجري بعدها سحب تدريجي للقوات الأمريكية والإعتماد على القوات المحلية للدفاع عن المناطق الجنوبية .

ب ـ وافق جونسون على طلب ويستمورلاند الخاص بإرسال ٤٤ كتيبة للبدء في تنفيذ أول مراحل خطته ، كذلك الحت هيئة الأركان على مكنمارا بالتوصية لإرسال مائة الف جندي اضافي طلبها ويستمورلاند ، وأكدت في مذكرتها بهذا الخصوص بأنه لايوجد مايدعو للاعتقاد بأن الأمريكيين لن يحققوا النصر ، اذا ماتوفرت القوات اللازمة .

ج ـ عقد جونسون مؤتمراً صحفياً في ٢٨ يوليه اعلن فيه أنه أمر بإرسال ٥٠ الف جندي الى فيتنام على وجه السرعة ، لان « التاريخ أملى علي شخصياً وعلى امريكا استخدام القوات

لمقاومة العدوان في جنوب فيتنام » وبدأت على الفور حملة عسكرية واسعة للتمشيط في المناطق الجنوبية اشتركت فيها قوات برية ومدرعة وجوية ، وشكلت البداية الدامية للتورط الأمريكي البري المباشر في الحرب .

حتى آواخر يوليه وصل معدل الغارات الجوية ٩٠٠ غارة اسبوعياً لكن عدداً من المسؤولين الأمريكيين أدركوا محدودية نتائج هذه الغارات ، وبدأ الحديث عن « وقف تدفق الرجال والعتاد من الشمال إلى الجنوب » كهدف لعمليه هزيم الرعد بدلاً من هدف « سحق فيتنام الشمالية » وتحدث ماكنوتون مساعد وزير الدفاع عن فهمه للانتصار الأمريكي بمعنى « أن يدرك الفيتكونغ انه ليس بمقدورهم أن ينتصروا في الحرب . . » .

مكنمارا حاول التدخل لدى جونسون لاعلان فترة توقف عن القصف للشمال تتجاوز الشهر والنصف كجزء من المبادرات الدبلوماسية الامريكية للضغط على هانوي واقناعها بالحضور إلى المفاوضات لكنه لم يتمكن من النجاح ، فقد كان خصومه يصرون على تحقيق أربعة شروط قبل وقف القصف ؛ أن توقف هانوي التسلل الى الجنوب ، وان تبدأ في سحب المتسللين ، وان توقف « الفتيكونغ » هجماتها وأخيراً أن لاتعيق الفيتكونغ سلطة الحكومة الجنوبية ، وهو مالخصه ماكنوتون باستسلام القوات الشيوعية تماماً .

في أغسطس واصل الأمريكيون شن الهجمات العسكرية ، حيث بدأت في ١٨ أغسطس جملة عسكرية قوامها ٨ آلاف جندي ضد منطقة فان تونغ بمحافظة كوانغ نجاي تكبد الأمريكيون فيها ٩٠٠ جندي ، ٢٢ آلية ، ١٣ طائرة وفي ١٨ سبتمبر اشترك الفي جندي في عملية جبرالتر ضد منطقة ثوان نينه ، التي أدت الى إصابة ٢٠٠ جندي واسقاط عشر طائرات . في ١٠ اكتوبر شاركت القوات الجوية في الهجوم عى منطقة لاتنه بمحافظة بنه دنه فخسرت ٣٦٣ جندي ، ٢٤ طائرة هليوكبتر .

بعد وصول دفعة جديدة من الطائرات الأمريكية (٤٥٠ هليوكبتر) في سبتمبر شن الثوار هجمات منسقة على مطارات تشولا ودانانغ في اكتوبر ، اسفرت عن تدمير ١٢٧ طائرة واصابة ٥٨٣ امريكي ، وهاجموا سرية امريكية في منطقة لاتشاو وتمكنوا من شطبها .

شهري اكتوبر ونوفمبر شهدا معارك عسكرية واسعة في الوسط والجنوب ، حيث فقد الأمريكيون ١٧٠٠ جندي ٣١ طائرة في منطقة بليم في المرتفعات الوسطى ، كما فقدوا كتيبة في معركة دات كوك ، أكثر من الفين في معركة بو بانغ ، ٥٠٠ في شمال شرق سايجون بالاضافة الى تدمير ٤٠ دبابة وآلية في مناطق الجنوب .

في ديسمبر خسر الأمريكيون حوالى كتيبة في كوانغ نام بالوسط وكتيبة أخرى في منطقة هودا في الجنوب ، كما هاجم الثوار قاعدة آن في فالحقوا بالقوة الجوية ٣٥٢ اصابة ، وهاجموا قواعد امريكية ومراكز داخل سايجون مما أدى الى مقتل واصابة أكثر من أربعمائة . . . الخسائر

الأمريكية في تلك الفترة كانت مرتفعة الى الدرجة التي دفعت رئيس أركان القوات الجوية الأمريكية جنرال يتماكسي بالتهديد بضرب فيتنام الديمقراطية بالقنابل الذرية الى حد اعادتها الى العصر الحجري!! . اذا لم توقف سياستها العدوانية . .

في مطلع العام ١٩٦٦ كانت القوات الأمريكية في الجنوب قد بلغت ١٩٠ ألف جندي بالاضافة الى ٢٠ ألف جندي من الدول الحليفة ، والقوات المحلية بلغت ٥٠٠ الف تدعمها ٢٣٠٠ طائرة تشمل عدداً من قاذفات. ب ٥٢ ، ١٥٠٠ دبابة ، ومدرعة تقيلة . . وبدأ ويستمورلاند ينفذ الحملات الاولى في خطته العسكرية التي تكفلت بحماية سايجون وعواصم المحافظات ، اعادة فتح الطرق والسكك الحديدية ، تأمين حماية القواعد الأمريكية ، زيادة حركة الوحدات الأمريكية ، مواصلة الضغط على الشمال قصفاً . . . وفي نفس الوقت تدمير قوات الجبهة الرئيسية واستعادة المناطق المحررة مستفيداً من التفوق الامريكي المطلق في قوة النيران وحركية القوات .

ـ الحملة العسكرية الكبرى الاولى، حملت اسم « السهام الخمسة » وبدأت التحضيرات لها منذ نوفمبر ١٩٦٥[٣٧] .

ـ القوات المستخدمة تشمل ٥ فرق ولوائين من القوات الأمريكية ، فرقة ولواء كوري ، ١٠٠ كتيبة محلية ، ألف طائرة متنوعة مدفعية وآليات باعداد كبيرة . . . القوات الأمريكية والكورية مهمتها هجومية . . القوات المحلية مهمتها حماية طرق ووسائل المواصلات ، وتهدئة المناطق التي تحتلها القوات الاجنبية .

ـ الخطة تشمل خمسة عمليات رئيسية في خمسة اتجاهات (في المنطقة الخامسة ووسط وشرق وجنوب فيتنام) وهي شمال كوانغ نجاي ، شمال نبه دنه ، جنوب فو يين ، شمال غرب سايجون ، جنوب غرب سايجون بالاضافة الى مائة عملية متوسطة تهدف الى شل قوات الثوار ومنعها من مساندة بعضها البعض وتنسيق حركاتها وتكتيكاتها العسكرية .

المعركة الجدية بدأت في أول يناير بقصف شديد للمناطق المستهدفة ، استخدمت فيه الأسلحة الكيماوية وغازات الاعصاب والنابالم ، وشاركت فيه قاذفات ب ٥٢ . . . ثم بدأت الوحدات العسكرية في تقدمها المرسوم الذي طبقت فيه شعار « اقتل . . . احرق . . دمر كل شيء » واستمرت الحملة حتى أواسط ابريل كان نتيجتها فشلاً ذريعاً على كافة الجبهات . . كيف ذلك ؟

ـ بالنسبة لهدف تدمير القوات الرئيسية للثورة ، خاب ظن القيادة الأمريكية فلم ترسل قيادة الجبهة قواتها الرئيسية ، في مواجهة ميدانية واسعة مع القوات الأمريكية التي اصبحت في حالة دفاعية نتيجة الأسلوب القتالي الذي فرضته قيادة الثورة ، وتم تدمير وتشتيت ١٥ كتيبة منها ٩ كتائب امريكية ، أما الفرقة الجوية المتحركة فقدت ثلث قوتها ، ٧٥٪ من

الطائرات الهليوكبتر .

ـ بالنسبة لهدف احتلال المناطق المحررة ، فقد نجحوا في احتلال بعض المناطق ، لكنها تحولت الى شبكة من الألغام والأفخاخ ، والخوازيق ، والقنابل ، كما كلفت الوحدات الفدائية والمقاومة الشعبية بمطاردة القوات المعادية .

ـ قيادة الجبهة العسكرية اعتبرت النتيجة أول انتصار كبير ضد عدة هجمات كبيرة في عدة اتجاهات مختلفة في نفس الوقت بعد أن كانت القوات الثورية تتصدى لهجمات منعزلة ـ مستقلة ، وقد تمكنت القيادة من التنسيق بين عمل القوات النظامية والاقليمية ، والفدائية . . مما أدى الى استمرارية واتساع نسبي في المواجهة الحق خسائر كبيرة بقوات العدو .

وفي الوقت الذي اتبعت فيه القوات النظامية تكتيكات (المواجهة الكثيفة لتقدم ماالعدو . . ارسال قوات كبيرة لمحاصرة قوات متقدمة . . مفاجئة العدو في موقع بقوات كبيرة) فإن وحدات ثورية أخرى كلفت للعمل في مؤخرة العدو وخاصة ضد القواعد والمطارات العسكرية . . كما أن نجاح القيادة العسكرية في تأمين تنسيق بين الجبهات المختلفة دفع القيادة الأمريكية الى توزيع جديد لقواتها مما أعطى فرصة اضافية للقوات الثورية لإلحاق خسائر عديدة بها .

وهكذا شهدت المنطقة من خط عرض ١٧ حتى نهر الميكونغ أكبر مواجهة حشدت فيها قوات عسكرية ضخمة مع مئات الطائرات والدبابات والمدافع ، استمرت أكثر من ثلاثة شهور ونصف خسر العدو فيها ١١٤ الف قتيل وجريح واسير وفار بينهم ٤٣ ألف امريكي وحليف حسب بيان الجبهة العسكرية ، مع سحق ٣٠ كتيبة منها ١٤ امريكية وحليفة ، ١٤٨ سرية بينها ٢٢ امريكية وحليفة ٢٥٢ فصيلة ، تدمير واعطاء ٣٣٠ دبابة ومدرعة ، ٩٨٠ سيارة عسكرية ، ١٤٤٠ طائرة ، ٨٠ مدفع ثقيل ، ٢٧ سفينة ، ١٠٢ جسر ، ٦٧ قاطرة وعربة سكك حديدية ١١٤ موقع وتحصين عسكري .

في يناير وخلال المعارك المحتدمة بين القوات ، رفع ويستمورلاند طلباً جديداً بقوات اضافية بحيث يصل مجموع القوات الامريكية في فيتنام الى أكثر من ٤٥٠ ألف جندي عام ١٩٦٦ ، وكان هذا يمثل الاتجاه السائد في القيادة العسكرية ـ الامريكية في منطقة المحيط الهادىء وفي هيئة الأركان المشتركة . . لكن وزارة الدفاع بدأت تأخذ اتجاهاً أقل حماساً نحو التورط المتزايدة للقوات الأمريكية ، في هذا النطاق أعرب مكنمارا عن شكه في نجاح الغارات الجوية وحذر من امكانية قيام حكومة محايدة في سايجون اما نائبه ماكنوتون فقد استبعد امكانية تحقيق انتصار عسكري امريكي ، وقال في مذكرته حول تصوراته في يناير « لقد انجرفنا في تيار تصعيد الموقف لدرجة لايمكن وقفها»[٢٨] وطالب القيادة بالبحث عن

تخرج في أحد الامكانيات التالية :

قيام حكومة ائتلافية يشترك فيها الشيوعيون أو يختار شعب الجنوب بحرية نوع النظام الذي يريد ولو كان شيوعياً ، أو تقوم حكومة محايدة في الجنوب ولو غير صديقة للامريكيين . مسؤولـو وزراء الـدفـاع كانوا يرون أن النظام الجنوبي « اضعف وأوهن » من كيان جبهة التحرير من الناحية السياسية كما انه من الناحية الاقتصادية يعاني من الازمات والمشاكل العديدة ، كما كانوا يرون جيش الجنوب مصاباً « بالاعياء والسلبية وعدم القدرة » في مقابل القوات الثورية التي تقاتل بطريقة فعالة .

في مارس أكد شارب وجهة نظر الاتجاه الأول حول فائدة تصعيد القصف الجوي ضد الشمال في ارغام هانوي على التفاوض وفي انهاء الثورة في الجنوب تدريجياً . . . ورغم أن مكنمارا كان ضد توسيع القصف وتصعيده واقترابه من حدود الصين الا أنه ارغم تحت ضغط الاركان المشتركة على رفع التوصية لقصف الاهداف البترولية الى جونسون .

أحدث فشل الحملة الكبرى الأولى قلقاً كبيراً داخل بعض الأوساط الامريكية الى درجة أن جورج بول وكيل وزارة الدفاع طالب بالعمل على خفض الخسائر الامريكية في فيتنام ماأمكن. وكان جونسون قد استدعى كلاً من ثيو وكاوكي الى هونولولو للبحث معهم في وسائل مواجهة الوضع المتدهور في الجنوب وامكانية لعب الجيش الجنوبي دوراً أكبر في القتال ! بينما قيادة الاركان المشتركة استمرت في موقفها المتشدد رغم نتائج الحملة الاولى وضغطت باتجاه ارسال المزيد من الرجال والعتاد، والقصف ضد الشمال حتى ان هويلر أكد بكل غرور انه « اذا واصلنا الضغط على الفيتناميين فسينهار هؤلاء الاقزام » ومنذ مايو عندما وافق جونسـون مبـدأياً على قصف الاهداف البترولية في فيتنام الديمقراطية وحتى اكتوبر عندما انطلقت الحملة العسكرية الكبرى الثانية قامت القيادة العسكرية الامريكية بتعويض الساحة الفيتنامية بالجنود والأسلحة والمعدات التي فقدت في الحملة الاولى وجرت عملية اعادة تنظيم الجيش الجنوبي. كما شن الامريكيون سلسلة من عمليات التنظيف المحدودة، ذات الـطابع الدفاعي، بلغت ١٢٧ عملية، منها ٣٠ عملية شاركت فيها قوات بحجم الكتيبة ومن أهمها عمليات هاستنغ، براري، ١ ، براري - ٢ ، التي نفذتها القوات البحرية في منطقة كوانغ تري - ثواثين الجبلية ، كما شنت عمليات تهدئة قامت بها فرق التهدئة بحماية القوات العسكرية الجنوبية وأحياناً الأمريكية في المناطق التي تواجدت فيها بعد الحملة الاولى واقامت عليها عدة قرى استراتيجية حشر بها آلاف المواطنين . . وقد بلغ معدل استهلاك الذخائر الأمريكية الشهري في ذلك العام ٥٠ ألف طن قنابل ومتفجرات،١٧ مليون قذيفة مدفعية .

بالنسبة إلى عمليات القصف للأهداف البترولية فرغم موافقة الرئيس عليها الا أنه

أجـل تنفيذهـا حتى آواخـر يونيه بنـاء على الحـاج وزير الخـارجية راسك انتظاراً للجهود الدبلوماسية، التي بدأت في عدة عواصم عالمية من أجل عقد مفاوضات فيتنامية امريكية ـ ولعودة المبعوث الكندي السري من مهمة جديدة في هانوي وفي ٢٩ يونيه انطلقت القاذفات الأمريكية لضرب خزانات النفط الشمالية في منطقتي هانوي وهايفونغ ، وفي الشهر التالي أفادت الاستخبارات العسكرية أن ٧٠٪ من تلك الخزانات قد دمرت واتضح لاحقاً ان هذه المعلومات غير صحيحة(٢٩) .

الرد الفيتنامي على التصعيد الأمريكي جاء قوياً ، في الشمال والجنوب على حد سواء . في هانوي وجه الرئيس هوشي منه كلمة إلى الشعب عبر الاذاعة ندد فيه بعنف بالتصعيد العسكري الذي يهدف إلى اجبار الشمال على التفاوض وفق الشروط الامريكية واخضاع الجنـوب لسيطرتهم وجـدد موقف حكـومته الحازم بمواصلة« سحق الحرب التدميرية ضد الشمال ، والدعم الكامل للثوار في الجنوب » ووصف وصول الغارات إلى ضواحي العاصمة والميناء الرئيسية بأنه عمل يائس .

قال هوشي منه أن على جونسون وعصابته ان يفهموا انهم لو احضروا نصف مليون أو مليون أو أكثر من جنودهم ولو احضروا الاف الطائرات . . فإنهم لن ينجحوا في كسر الإرادة الحديدية للشعب الفيتنامي في قتالـه من أجل الخلاص الوطني وانهم قد يدمرون هانوي وهايفونغ والمدن الاخرى ، لكن شعب الشمال لن يخاف ! فلا شيء أغلى من الاستقلال والحرية . . وبعد النصر سيبني شعب فيتنام بلاده من جديد ويجعلها أكثر ازدهاراً وجمالاً من السـابق . . وطـالب الفيتنـاميين بالـوقوف رجلاً واحداً لانجاز الواجب التاريخي العظيم « هزيمة المعتدين الأمريكيين »(٢٩) في كلمته فضح هوشي منه كذبة المفاوضات السلمية التي تحدث عن جونسون وقال أن موقف فيتنام واضح وموجود في النقاط الأربع لحكومة هانوي والنقاط الخمس للجبهة الوطنية .

كذلك استمرت الاستعدادات في العاصمة الشمالية والمدن الاخرى على المستويات العسكرية الدفاعية ، والدفاع الذاتي ، والمليشيا ، والدفاع المدني ، ولجان الأحياء والمصانع والمؤسسـات للتصدي للغارات الأمريكية وإحباط اهدافها وإزالة أثار القنابل والمتفجرات وسط البهجة باسقاط الطائرة رقم ١٢٠٠ فوق شمال فيتنام كما جاء في بيان القيادة العسكرية .

وفي الجنـوب اعلنت القيادة العسكرية للجبهة أن الثوار نفذوا هجماتهم ضد مراكز العدو ومواقعه التي اسفرت عن تكبيده خسائر كبيرة مما اضطره الى ارسال التعزيزات الى ثلاثة الاف موقع ، وتخصيص قوات اضافية لحماية طرق المواصلات وضمان أمن المدن والقواعد الخلفية . . كما أعلنت القيادة عن قيام القوات النظامية والاقليمية للجبهة بتنفيذ عمليات

قتالية كبيرة ضد أهداف معادية .

خط مكنمارا الدفاعي :

حتى نهاية العام ١٩٦٦ كان الاختلاف في وجهات النظر قد بدا بارزاً بين الاتجاهين داخل الادارة الامريكية ، وقد تعززت الشكوك لدى مكنمارا ومجموعته حول جدوى الحرب الجوية بعد وصول تقارير استخبارية في أغسطس تفيد بأن بأن « التسلل في الرجال والعتاد من الشمال الى الجنوب لم يتوقف بل لم ينخفض » وان « الشماليين قد نجحوا في التكيف مع الوضع الجديد وانهم وزعوا قدراتهم وامكانياتهم على مناطق متفرقة عديدة يصعب متابعتها وتدميرها جواً . . وهنا برزت فكرة خط مكنمارا الدفاعي بديلاً عن قصف الشمال بشكل حاد بعد أن كانت مجرد اقتراح لاستاذ بجامعة هارفارد في يناير . . . وكلف مكنمارا مساعده ماكنوتون بالاشراف على ندوة سرية يحضرها ٤٧ من العلماء والباحثين . الذين أوصوا في نهايتها بإنشاء حاجز الكتروني على طول الحدود الشمالية للجنوب يتكون من جزأين احدهما مضاد للأفراد والآخر مضاد للآليات متصل بغرفة العمليات الجوية لتنفيذ عمليات اقتناص محددة عند محاولة العبور من الشمال . . على أن يشمل الحاجز على أجهزة استكشاف واستطلاع ورؤية ليلية متقدمة ويزود باسلحة بعيدة القصف والقنص . . وقد قدرت اللجنة تكاليف الحاجز السنوي بـ ٨٠٠ مليون دولار . . في اكتوبر سافر مكنمارا الى سايجون في جولة تفتيشية واصطحب معه المهندس العسكري ستاربيرد ، لدراسة مسألة الحاجز الدفاعي على الطبيعة في المناطق الحدودية . .

على الطرف الآخر كانت هيئة الأركان المشتركة والقيادة العسكرية في الهادي وسايجون مشغولة بلاعداد للحملة العسكرية الكبرى الثانية في الجنوب ، وارتفع عدد القوات المسلحة الموجودة في الجنوب من ٨٠٠ ألف منهم ٢٠٠ الف امريكي عند نهاية الحملة الأولى في ابريل الى حوالي مليون منهم ٣٨٠ الف امريكي[٣٠] ، ٥٠ ألف حليف عند بداية الحملة الثانية في اكتوبر وبلغ عدد الطائرات الحربية ٤٥٠٠ والمدفعية ٣ آلاف والدبابات والمدرعات ٣٥٠٠ . . وابعد من ذلك فقد ايدت هيئة الأركان طلباً جديداً من ويسمورلاند بزيادة عدد القوات الأمريكية بحيث تصبح ٥٤٢ الف عام ١٩٦٧ ، ورفعته إلى وزير الدفاع لكن مكنمارا بعد عودته من سايجون اقترح على جونسون عدم الموافقة على الطلب المذكور . .

الخلافات بين الطرفين بلغت ذروتها عندما أبلغ مكنمارا جونسون في اكتوبر بفشل محاولات التهدئة في اضعاف ثوار الجنوب وفشل الحرب الجوية في التأثير على عمليات التسلل وعلى الروح المعنوية للشماليين . . واقترح عليه الحد من زيادة القوات الأمريكية والتفكير في

وقف العمليات الجوية أو على الأقل الابتعاد عن منطقتي هانوي وهايفونغ . . الا أن هيئة الأركان ابلغت الرئيس بوجهات نظر مغايرة تماماً مؤكدة أن الموقف العسكري من تطور لصالح الأمريكية خلال عام ١٩٦٦ ، وطالبت بتصعيد الغارات الجوية ا جونسون انحاز الى موقف الأركان فاضطر مكنمارا الى الموافقة على زيادة القوات المطلوبة مع تسجيل تحفظاته بأن « الموقف لن يتغير وان مجرى الحرب لن يتأثر بهذه الزيادة » .

وهكذا مضت القيادة الامريكية في سايجون في حملتها الكبرى الجديدة التي كانت أهدافها أكثر تواضعاً من الحملة الاولى كما كانت دائرة تحركها اصغر ، بحيث ركزت اتجاهها الرئيسي على المناطق الشمالية الغربية لسايجون وخاصة باتجاه محافظة تاي نينه على أمل تحقيق انتصارات حاسمة وسريعة لخلق واقع جديد في تلك المنطقة يكون منطلقاً لتقدم وانجازات متلاحقة .

القوات المستخدمة في الحملة بلغت ٧٥٪ من القوات البرية ، ٦٠٪ من الجوية ، ٤٠٪ من البحرية بالاضافة الى مساهمة القواعد الموجودة في تايلند والأسطول السابع« الذي يضم ١٧٠ قطعة بحرية بينها ١٣ حاملة طائرات من أصل ١٧ حاملة تملكها امريكا . . » وقد اتبعت القوات المشتركة عدة تكتيكات عسكرية كما حاولت تطبيق سياسة الكماشة ضد القوات النظامية للجبهة على أمل تدميرها أو تحويلها الى قواعد عصابات على الأقل ، كمقدمة لمطاردتها واعادة احتلال مناطقها .

أبرز الهجمات التي تضمنتها الحملة الكبرى الثانية كانت ثلاثة هجمات باتجاه تاي نينه ، أولها كانت معركة اتليبورو التي جرت في الفترة من ٢٥ اكتوبر الى ٢٥ نوفمبر واستخدمت فيها ٣٠ ألف جندي ، ٤٠٠ دبابة ومدرعة ، ١٣٠ مدفع ومئات الطائرات ، واسفرت عن مقتل ٣٢٠٠ جندي وتشتيت اللواء ١٩٦ وتدمير ٥٢ طائرة وعدد مماثل من الدبابات . . ونتيجة لفشل الهجوم قامت القيادة الأمريكية بفصل الجنرال دي ساسور قائد الهجوم .

العملية الثانية كانت باسم شلالات الارز وجرت في الفترة من ٢ يناير ١٩٦٧ ، الى ٢٩ يناير ضد اقليم ين سوك في منطقة زاو موت ـ جيا دنه واستخدمت فيها قوات مماثلة للمعركة السابقة ، بينما وصلت الخسائر فيها الى ٣ آلاف جندي ٢٠٠ دبابة ومدرعة ٢٨ طائرة .

العملية الثالثة حملت اسم مدينة مفترق الطرق ـ بدأت في ٢ فبراير واستمرت حتى ١٣ ابريل ، استخدمت فيها ٤٥ ألف جندي ٤٠ ألف من الحرس المدني ٨٠٠ دبابة ومدرعة ، ٢٠٠ مدفعية ، مئات الطائرات الف شاحنة عسكرية ، وجرت على مرحلتين الاولى استهدفت شمال غرب تاي نينه[٣١] . والثانية شمال شرق المنطقة بمساحة قدرت ٤٠٠

كم[٢] إلا أن نتـائجهـا كانت فادحة ، سحق وتشتيت ١٤ ألف جندي ، تدمير ألف دبابة ومدرعة وسيارة ، ٩٠ مدفعية ، ١٦٧ طائرة . . . وعلى أثرها أقالت القيادة الأمريكية الجنرال سليمنز من قيادته .

بالإضـافـة إلى العمليات الـرئيسية الثلاثة السابقة تضمنت الحملة الكبرى الثانية عمليات أقل حجماً منها ؛ عملية فاير ـ ٢ ضد تام كي ، وعمليات دي سوتوبدك هاوس ـ ٢ ، كوابـريشن ضد كوانـغ نام ، عمليتي ريو جرانـد ، جرانـد دراجوون ، ضد كوانغ نجاي ، عمليتي بول ريفر ـ ٤ ، سام هوستن ضد ثاي نجوين ، عملية دك هاوس ـ ٥ ، ضد بن تري وعمليات ضد راخ جيا ، ماي ثو ، نبه دنه ، ترافنه ، لونغ ان ، دالات ، ين هوا ، جيا لاي . .

الحملة الثـانية شهـدت بعض العمليات الـواسعـة قياسـاً بالحملة الأولى ، حيث استخدمت ٨ ألوية في عملية كبيرة واحدة بينها لم تتجاوز أكبر عملية سابقة ٥ ألوية . . . كذلك استخدام الأمريكيون قواتهم هذه المرة بشكل مكثف ومركز أكثر كما كانوا حذرين أكثر من الحملة السابقة . . وحددوا لكل جبهة ولكل قطاع عسكري هدف رئيسي وأسلوب قتال رئيسي . . كما أنهم تحاشوا استخدام القوات المحلية في أية مواجهات أمامية وأبقوها لحماية المؤخرة . . لكنهم عانوا من نقاط ضعف عديدة استراتيجية وتكتيكية ، فالنظام المحلي كان يعيش أزمة اقتصادية وسياسية ، الجيش المحلي لم يكن متماسكاً ، الأدارات الجنوبية لم تكن مستقـرة لذا كانت الخلفية غير منـظمة وغير مستقرة ، وكانت الجبهة العسكرية واسعة ، الوحدات المتحركة كانت متفرقة ومشتته مما افقدها قدرتها الضاربة ، ومعنويات الجنود لم تكن قوية وفي كثير من الحالات كانت منهارة .

اتبع الأمريكيون في الحملة الثانية مجموعة من التكتيكات العسكرية مثل الهجمات المبـاغته ، بقعة الزيت ، الهجمات التطويقية ، الدفاع المتحرك ، الإختراقات العميقة ، المحاولات الإلتفافية . . إلّا أنها لم تحقق النجاح المطلوب . . كما الأساليب والتكتيكات التي اعتمدت الخداع والمصائد الطعم وا لإغراء ، قفزات الضفدع ، حذوة الحصان . . .

الحملة شملت أيضـاً عدة عمليات تطهير وتنظيف قامت بها وحدات على مستوى الفـرقـة أو اللواء استهلكت فيهـا آلاف القـذائف المـدفعية وآلاف الأطنـان من القنـابل والمتفجرات لكن نتائجها كانت محدودة والخسائر التي تكبدها العدو في الحملة الكبرى الثانية كانت أيضاً فادحة ، شملت ١٧٥ الف بين قتيل وجريح وأسير وفار بينهم ٧٠ الف أمريكا ، ١٥ ألف حليف ، وسحقت ٤٩ كتيبة بينها ٢٨ أمريكية ، واحدة حليفة ، ٢٣٠ سرية بينها ٧١ أمـريكية ، ٩ حليفـة ، ٣٥٢ فصيلة ، دمرت ١٧٨٥ دبابة ومدرعة ، ٢٢٠٠ سيارة عسكرية ، ١٨٠٠ طائرة ، ٣٤٠ مدينة ، ١٠٠ سفينة ، ٢٧٠ جسر ، ٩١ قاطرة وعربة

سكة حديد ، ٢٠٦ موقع وتحصين عسكري[٣٣] .

لقـد تعرضت قواعد العدو ومطاراته خلال هذه الفترة وكذلك طرق مواصلاته الى هجمات متواصلة ، بالنسبة لخطوط المواصلات والقواعد العسكرية شهدت الفترة من اكتوبر الى ديسمبر ٦٦ هجوماً في مناطق ، باريا ، ثوانين ، نبه دنه ، في يناير في بن تري ولونغ ان في فبراير ضد منطقة كوانغ نجاي ، كوانغ ثري ، بين هوا . . . أما المطارات والقواعد الجوية التي هوجمت في تلك الفترة فكانت في سايجون ، بليكو ، دانانغ ، ترا لوك ، تشو لاي ، آن خي .

في الشهرين الاخيرين من الحملة الثانية حاول الرئيس الأمريكي عبثاً انقاذ الموقف عن طريق تصعيد القصف الجوي ضد الشمال بحيث يشمل محطات الكهرباء وتلغيم الأنهار وأكثر عمقاً في منطقتي هانوي وهايغونغ ، لكن ذلك لم يمنع ويستمورلاند من طلب ٢٠٠ الف جندي إضافي في مارس وايدته في ذلك هيئة الأركان التي اقترحت في ابريل الدعوة الى تعبئة الإحتياطي والإستعداد لتوسيع الحرب البرية إلى المناطق الأخرى من الهند ـ الصينية ، تلك التطورات دفعت وليام بوندي مساعد وزير الخارجية إلى الإنضمام إلى المعارضة وإعلان معارضته العمليات البحرية ضد فيتنام الديمقراطية لكي لاتشكل استفزازاً للصين وحتى الاتحاد السوفييتي وقد أيدته في هذا الرأي المخابرات المركزية . . . وفي مايو رفع كل من وزير الـدفاع مكنمارا ، ووكيل وزارة الدفاع ماكنوتون ، ومساعد الرئيس للأمن القومي روستو مذكرات الى الرئيس طالبوه فيه بالحد من القصف والحد من إرسال القوات الأمريكية إلى فيتنام .

العودة إلى تكتيك التهدئة :

بعـد فشـل الحملة الكـبرى الثانية حاولت القيادة العسكرية في سايجون التحضير لاحتلال منطقة دلتا الميكونغ وتنظيفها من الوحدات الثورية ، لكن قيادة الثوار فاجأتهم بفتح معركة واسعة في أقصى الشمال ، على الطريق رقم ٩ ، فاضطر ويستمورلاند إلى دفع وحداته الجـوية والبحـرية الى المنـطقـة مما اضعف قدراته في المؤخرة ولم تتمكن القوات المحلية من المحافظة على الأوضاع في شمال غرب سايجون ، فاضطر مرة أخرى إلى العودة الى منطقة سايجون للدفاع عنها وحماية القواعد وخطوط المواصلات الإستراتيجية . ولكن دون جدوى .

اعتمد ويستمورلاند على أفضل وحداته البحرية للاحتفاظ برؤوس جسور في عدة مناطق هامة على أمل تطوير هجماتها وتوسيع المناطق المسيطر عليها إلاّ أن الوحدات الثورية اجـبرتهـا على خوض حرب مواقـع وجـرتهـا للقتال ايضاً في مناطق جبال وغابات . . أما الوحدات الأمريكية الموجودة في قواعد تاي نجوين فقد وضعت في حالة شلل كاملة ولم تكن

قادرة على المناورة والخروج من مراكزها ومواقعها . . .

على أثر فشل الحملتين الكبرين حاولت الإدارة الأمريكية اعادة ترتيب أوضاعها القيادية والعسكرية ، وموضعة القوات والأسلحة وفق خطة جديدة وفي هذا النطاق تم نقل السفير كابوت لودج وحل مكانه بانكر ، والعقيد لانسدال مسؤول الحرب الخاصة استبدل بكومر .

الأوضاع في النظام الجنوبي أيضاً ازدادت سوءاً ، واحتدم الصراع بين العسكريين والمدنيين ، أما العسكريون فقد اختلفوا أيضاً بينهم الأمر الذي أدى الى اخراج نجوين كو ودانغ كوانغ من القيادة مع ٣٠ ضابط من اتباعهم . . وكان الصراع والتناقضات داخل الإدارة الأمريكية (بين العسكريين والمدنيين) تعكس نفسها مباشرة على الإدارات في سايجون حيث كانت كل منها تابعة لأحد مراكز القوى في واشنطن .

خلال العام ١٩٦٧ تمكنت القيادة الأمريكية في سايجون من استقدام مائة ألف جندي جديد وأصبح لديها حوالى مليون جندي محلي وأجنبي ، لكنها لم تتمكن من شن هجمات عسكرية واسعة وكبيرة كالسابقين ، وتميز وضعها بالدفاعية أكثر منه بالهجومية بعد فشل محاولات احتلال دلتا الميكونغ ، ولجأت الى شن حملات تهدئة على أمل التقليل من الخسائر ـ شملت مناطق عديدة لحشر المواطنين في القرى الإستراتيجية وساعدها في ذلك معظم وحدات الجيش السايجوني وحوالى ٤٠ ألف موظف اداري ـ سياسي ، واستعانت في بعض الحالات برجال العصابات الخارجة على القانون ، ورصدت ميزانية مالية كبيرة . . . لكن لا الجيش السايجوني ـ الذي انهار وتحلل بسبب المعارك وبفعل النشاط السياسي الثوري داخله ، ولا الوحدات الأمريكية . . . ولا آلاف الموظفين المهرة وملايين الدورات استطاعت أن تصلح ما افسدته العمليات العسكرية الكبيرة . . . الأمر الذي دفع شارب للاعتراف في تقرير الى الأركان المشتركة في نهاية عام ١٩٦٧ للإعتراف بمحدودية النجاح العسكري في فيتنام ، وعزا ذلك إلى تدفق المساعدات الإشتراكية على فيتنام الديمقراطية لتعويض خسائرها . !!

حاولت القيادة الأمريكية مرة اخرى تصعيد حربها الجوية ضد المناطق السكانية في الشمال وضد العاصمة في اكتوبر ، لكن النتيجة كانت محدودة جداً كما اعترفت التقارير الأمريكية التي قالت انه تم الحد من فعالية ميناء هايفونغ وعزله جزئياً . . المصادر الأمريكية تحدثت عن خسائر كبيرة الحقت بفيتنام الشمالية نتيجة للقصف الجوي عام ١٩٦٧ تدمير أكثر من ٧ آلاف سيارة وعربة سكة حديدية ، ١١ ألف زورق ، بالإضافة إلى تدمير أكثر من ٥ آلاف هدف بحري في عملية « تنين البحر » التي شملت ١٣٨٤ غارة على المناطق الساحلية . . لكن المصادر الأمريكية نفسها تعود لتعترف بأن الشمال لم يتأثر بهذه الخسائر

وقام بتعويضها واستمر في إرسال الرجال والعتاد إلى الجنوب . . وفي مجال الأيدي العاملة ذكرت المصادر الأمريكية أن الغارات تسببت في إخراج أكثر من نصف مليون مواطن من العمل المدني والزراعي إلى المجهود الحربي مما أثر على الإنتاج الزراعي وخلق مصاعب لحكومة هانوي تمكنت من مواجهتها بمساعدة البلدان الاشتراكية . . . أما تقارير المخابرات المركزية فقد اجملت خسائر الشمال البشرية في غارات عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ بثلاثين ألف معظمهم من المدنيين ، وقدرت الخسائر المادية في غارات عام ١٩٦٧[٣٣] بمائة وثلاثين مليون دولار .

مع ذلك فقد تضاعف قلق وزير الدفاع من نتائج الحرب ،وأمر لجنة من الخبراء والباحثين يزيد عددها عن الثلاثين موظف بإجراء دراسة دقيقة وشاملة حول الطريقة والأسباب التي أدت إلى تورط امريكا في مثل هذه الحرب !! ، ووضعت تحت تصرفها أربعمائة وثيقة تضم ثلاثة آلاف صفحة[٣٤] .

الفصل الخامس

هجوم الربيع الاستراتيجي

حتى نهاية العام ١٩٦٧ كانت الحرب المحدودة قد وصلت الى ذروتها :

- الولايات المتحدة دفعت بأفضل وحداتها العسكرية وأعقد أسلحتها واحدث تجهيزاتها وخيرة استراتيجييها وضباطها وفنييها ، وبنت جيوشاً محلية جرارة (نظامية واقليمية ومحلية) واستقدمت وحدات من البلدان الحليفة .

- الثورة الجنوبية انتقلت الى مرحلة تصعيدية اخرى بعد المؤتمر الاستثنائي الذي عقدته قيادة الجبهة في اغسطس واقرت فيه برنامجاً سياسياً جديداً يعزز الوحدة الوطنية ويرفد الثورة بمزيد من القوى البشرية والمادية والتقنية ، وفي مقابل ذلك تعمقت أكثر أزمة النظام الجنوبي الداخلية والسياسية وأصبح غير قادر على الاستفادة من الامكانيات العسكرية والمتوفرة لديه .

- القيادة الثورية أصبحت قادرة على الحركة العسكرية في اتجاهين ، استخدام الوحدات النظامية لضرب المراكز المعادية، وتكثيف العمليات الفدائية في مناطق دلتا الميكونغ ، وأصبح تحت سيطرتها مناطق واسعة وانضم اليها عشرات الالاف من الشباب وبلغ عدد الاسلحة التي حصلت عليها من القوات المعادية حوالي ١٠٤ الف قطعة من مختلف الانواع .

- في الشمال تصاعدت الحملة الوطنية لمقاومة الغارات الامريكية وتعزيز البناء الداخلي والتي اشتملت على تعبئة الشعب والجيش الشمالي كلية ، وتقوية القدرات الدفاعية الجوية والارضية، وتطوير القوات المسلحة الاقليمية ، وتكثيف العمل السياسي داخل القوات واحباط عمليات التخريب والحصار والحفاظ على الامن الوطني والاشتراكي .

في ٣ يناير ١٩٦٨ قررت القيادة الامريكية ارسال دفعة جديدة من القوات بحيث يرتفع عددها من ٤٧٨ الى ٥٢٥ الف عسكري امريكي ، وبلغت الوحدات العسكرية التي بتصرف القيادة الامريكية على أراضي جنوب فيتنام مليون ومائتي الف بين امريكي وحليف وفيتنامي جنوبي ، لكنها كانت فاقدة المبادرة في معظم الجبهات الجنوبية ، وحربها الجوية ضد الشمال لم تكن فعالة ، حاول ويستمورلاند منذ الشهر الاول التركيز لحماية الطريق رقم ٩، فأرسل خمسين الف جندي ، في العشرين من الشهر صعد الثوار من هجماتهم في تلك المنطقة فأرسل تعزيزات جديدة ، فأوحت القيادة الفيتنامية - عبر تحرك قواتها - بأنها ستخوض معارك واسعة في تلك الجبهة ، وفي نفس الوقت كانت التحضيرات الاخيرة للهجوم الثوري المضاد الكبير قد أنجزت . . انه الهجوم الاستراتيجي العظيم الذ أطلق عليه اسم هجوم «التيت Tet أو الربيع نسبة إلى عيد رأس السنة القمرية الفيتنامية .

بدأ الهجوم ليلة ٢٩ - ٣٠ يناير بانطلاق حركة ثورية مفاجئة واسعة ، تشمل هجمات عسكرية وانتفاضات شعبية مسلحة منسقة وفي آن واحد ضد ستين مدينة وعاصمة اقليمية ومركز حربي[٣٥] .

لقد تم خلال الأسبوع الأول للهجوم التاريخي اقامة السلطة الشعبية في المدن الرئيسية الستة (سايجون ، هوي ، دانانغ ، نهاترانغ ، كوينهون ، دالات) وفي ٣٧ محافظة اقليمية ومدنية أصغر ، وفي حوالي ١١ ألف قرية من أصل ١٥ الف ، وأسفر عن ابادة واصابة وفرار واسر ٢٧٠ الف جندي سايجوني من أصل ٣٦٥ ألف اخرجوا من القتال ، بالاضافة الى عشرين الف جندي امريكي - وحليف من أصل ١٧٠ الف اخرجوا ان القتال ، تدمير واعطاب واصابة ١٨٠٠ طائرة متنوعة ، ٤ آلاف آلية بينها ١٣٠٠ دبابة ومدرعة ، تدمير أو الاستيلاء على كميات هائلة من التجهيزات والذخائر والوقود تراوحت بين ١٧ - ٢٥ بالمائة .[٣٦]

في الليلة الاولى شهدت سايجون والمنطقة المحيطة أكبر حركة تنسيق بين الوحدات المسلحة والقوى السياسية الشعبية ، شن الفدائيون هجمات صاعقة في الثالثة فجراً ضد القصر الجمهوري والسفارة الامريكية ومقر قيادة الجيش والاذاعة والقيادة البحرية والمظلية والشرطة والمطار ومخازن الذخيرة والوقود ؛ بينما قامت القوى الشعبية بالتحرك والانتفاضة في الأحياء بحيث تمكنت في اليوم الرابع من اقامة سلطتها الثورية على انقاض الادارة الرجعية عبر لجان الادارة الذاتية وانشأت وحدات الدفاع الذاتي في الاحياء ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ . . في السفارة الأمريكية تمكن الثوار من احتلال خمس طوابق من أصل سبعة بعد تحطيم التحصينات والحواجز المنيعة وخاضوا معارك مواجهة والتحام من غرفة الى غرفة مع وحدات الأمن والقوات الخاصة - وفي قيادة الجيش دمروا ثلاثين مدرعة وأصابوا

أربعمائة عسكري وفي المطار دمرت وأعطبت خمسين طائرة وقطعت حركة المرور الجوية والبرية والاتصالات عن العاصمة وتوقفت الاذاعة عن البث وعزلت سايجون عن الخارج تماماً .

في المنطقة الشرقية هاجم الثوار المطارات ، والقواعد الأكثر أهمية ، ومنها مطار بين هوا ، قاعدة لونغ بنه ، طريق بين هوا ـ سايجون . وهاجموا منطقة كوشي في جيا دنه حيث دمروا مقرات الحاكم والشرطة والحرس المدني ومخازن ومعسكرات الجيش ، أما محافظة بن تري فقد انتفضت الجماهير، والقوى الوطنية في جيش سايجون وتمكنت بمساعدة الوحدات الاقليمية من تحرير العاصمة وضواحيها وكان للوحدات المحلية والنسائية دور مميز في انتفاضة بن تري .

في المرتفعات الوسطى هاجم الثوار مدينة كونتوم وسيطروا على بعض الضواحي ، وهاجموا المطار وعدد من المراكز والمخازن العسكرية ، كما هاجموا مدينة بليكو وبعد السيطرة عليها اطلقوا سراح المعتقلين في معسكراتها وهاجموا المطار ومعسكر هولوي ومقر الجيش الثاني .

في جنوب فيتنام الوسطى هاجم الثوار مدن دالات (أكبر منتجع لضباط العدو) وفان رانغ وفان تيت والحقوا خسائر كبيرة بالهجمات المضادة التي شنتها القيادة الامريكية في المنطقة . . . اما في المناطق الوسطى فقد تمكن الثوار من السيطرة على دانانغ وكوانغ نجاي ، كوي نهون، كوى هوا، فنه هوا ، نها ترانغ ودمروا مخازن وادارات ومراكز العدو .

إن مهاجمة دانانغ مقر القيادة الامريكية الميدانية كان ضربة صاعقة لعدو، حيث هاجم الثوار القاعدة الجوية الكبيرة ومركز المدينة ، وقيادة الجيش الأول، وقيادات المدفعة الثقيلة والدبابات ، ومطار فوك مان ومركز هوي أن، كما قاموا بقصف مركز للعديد من خزانات النفط والقواعد والمطار في المنطقة ، واستولت القوى الثورية على عدة عواصم اقليمية واحياء في دانانغ بعد شل حركة القوات المعادية والادارات الرجعية وعزل المدينة عن الخارج .

في المناطق الشمالية قام الثوار بقصف كل القواعد الامريكية الموجودة في جبهة كوانغ تري ـ تواتين ـ هوي، وهوجمت عاصمة كوانغ ثري ـ وقاعدة لافانغ وقاعدة لانغ في على الطريق ٩ في منطقة خي سانه الدفاعية . . اما العاصمة الامبراطورية هوي فقد استمرت الموجة الاولى من الهجوم عليها حوالي ثلاث ساعات . وادت الى تدمير وتشتيت الفوج المدرع السابع والسيطرة على مواقعه والقلعة وقيادة الفرقة الاولى والاذاعة المحلية ومقر اقامة الامريكيين وعند الساعة التاسعة صباح ٣١ يناير كان علم الثورة يرفرف فوق قلعتها بعدها استمرت الهجمات على الاحياء الباقية ومواقع العدو في الضواحي والمطار والجسور والطريق رقم ١ ، وأقامت القوى الشعبية سلطتها الثورية بعد تدمير الادارة الرجعية اعتباراً من ٤ فبراير

حيث اعلن عن قيام تحالف القوة الوطنية والديمقراطية والسلمية في المدينة ، وأنشئت اللجنة الثورية الشعبية لادارة المدينة .

الآثار العسكرية للهجوم :

بعد هجوم التيت قام رئيس الاركان هويلر بترأس بعثة عسكرية طارئة الى سايجون ، لكنه عاد ليبلغ الرئيس إن الوضع سيء وبأن المبادرة في يد الفيتكونغ وان ويستمورلاند بحاجة الى أكثر من ٢٠٦ ألف جندي اضافي[٣٧] . . فكانت احدى نتائج هجوم التيت على الجبهة الامريكية نقل الجنرال ويستمورلاند من موقعه وتعيين الجنرال ابرامز مكانه في ابريل قبل ان يتحقق طلبه الأخير بارسال القوات الاضافية . القائد الامريكي الجديد لم يكمل العمل بسياسة سلفه في البحث والتدمير . . بل اتبع سياسة التنظيف والاحتفاظ بالمناطق المحيطة بالمدن الكبرى والقواعد الرئيسية ، وتقضي هذه السياسة بالتقليل من العمليات البرية الواسعة والاعتماد على العمليات الجوية والبحرية والمدفعية المكثفة، واستخدام الاسلحة الكيماوية بشكل واسع . . . وذلك بناء على توصية المختصين باتباع «سياسة غير متحركة» .

ومن أبرز العمليات التي شنها أبرامز في نطاق استراتيجيته الدفاعية الجديدة عملية النصر الكامل ، النصر المؤكد ، النصر الأعظم، كيتتاكي ، ويلاوير التي أسفرت عن تكبيد القوات المشتركة فيها خسائر بشرية بلغت أكثر من ٨٤ ألف بين قتيل ومصاب وأسير ومفقود .

نتائج هجوم الربيع صعدت الخلافات بين الاتجاهين في الادارة الامريكية، ففي الوقت الذي طالبت الأركان المشتركة بقصف مركز وشديد على قلب هانوي وهايفونغ ودعت إلى اعلان التعبئة العامة في البلاد ، رداً على الهجوم ، أيدها في ذلك براون وزير القوى الجوية . . . كانت وزارة الدفاع تنادي بالحد من القصف على الشمال والمدن وارسال القوات ولم يسمح مكنمارا بارسال أكثر من عشرة آلاف ونصف من الجنود الى الجنوب ، وأيده في ذلك وزير الخارجية الذي طالب بوقف القصف على كل الشمال . . وجهة نظر الفريق الثاني عززتها تقارير اللجنة المختصة التي طالبت بإعطاء الفرصة للفيتناميين الجنوبيين للدفاع عن أنفسهم، وتقارير المخابرات المركزية التي أشارت الى أنه رغم زيادة القوات وتصعيد القصف فإن «العدو» قادر على المواجهة . .

الآثار السياسية للهجوم :

الادارة الامريكية حاولت ان تقنع الرأي العام الامريكي بفشل الاهداف الحقيقية للهجوم الفيتنامي منذ الايام الاولى، وقد ادعى جونسون في المؤتمر الصحفي الذي عقده في

مكتبه في ٢ فبراير ان الهجوم كان متوقعاً وان الاجراءات الكفيلة بافشاله كانت قد اتخذت لذلك تم افشال اهدافه العسكرية تماماً وكذلك الهدف المعنوي . . . ونشطت الأجهزة والصحف التابعة للادارة في الترويج ، لمقولة ان الفيتناميين فشلوا في الانتفاضة الشاملة المسلحة لاستلام السلطة في كل الجنوب وتكبدوا خلالها خسائر فادحة . . . كيسنجر وزير الخارجية (لاحقا) تحدث بنفس النغمة عن «الهزيمة الساحقة للفيتناميين في هجوم التيت»، لكنه يعترف من جانب آخر ان «عظمة الهجوم والتضحية التي تتطلبه مثل هذا الهجوم جعلت منه نصرا سيكيولوجيا[٣٨]». لكن التقارير المتفائلة حول «فشل» الهجوم والخسائر الفيتنامية «الفادحة» لم تمنع الأزمة داخل الادارة الامريكية من التفاقم ، ولم تمنع الوزير مكنمارا من التخلي عن موقعه حيث عين الرئيس مكانه كليفورد كوزير للدفاع . . وفي داخل الحزب الديمقراطي انضم روبرت كينيدي للمعارضة وقرر خوض الانتخابات الرئاسية[٣٩] .

ويعترف الامريكيون في وثائقهم بالصدمة التي أحدثتها نتائج الهجوم والتي نقلتها تدريجياً الصحف ووسائل الاعلام الامركية غير الخاضعة للادارة، فتصاعدت حملة المعارضة الشعبية والنقد الحاد لسياسة جونسون الفيتنامية . . . وقد كشفت مزاعم الرئيس حول «الاستعدادات لمواجهة الهجوم» عندما نُشر ان الرئيس الفيتنامي ثيو كان خارج عاصمته يقضي مع أسرته عطلة العيد ، وان الحراسات في السفارة الامريكية والقصر الجمهوري كانت عادية . .

أمام هذا الوضع المتدهور للادارة دعا جونسون مجلس العقلاء الذي يضم كبار المسؤولين السابقين والحاليين الى الانعقاد يومي ٢٥ ـ ٢٦ مارس فكانت النتيجة «نصيحة للرئيس بعدم تصعيد الحرب» وعلى هذا عقد جونسون مؤتمراً صحفياً في ٣١ مارس اعلن فيه عن تحديد القصف لشمال فيتنام بالمناطق الواقعة جنوبي خط عرض ٢٠ فقط ودعا الفيتناميين الى مائدة المفاوضات . . وتلك كانت أول خطوة في مسيرة المفاوضات التي امتدت حتى يناير ١٩٧٣ .

عندما تسلم كليفورد وزارة الدفاع كان جونسون قد أمر بارسال ٣٠ الف جندي اضافي الى الجنوب وبدعوة مائة الف من قوات الاحتياط للالتحاق بمراكزهم . . . لكن التقارير الموجودة أمامه كانت تتحدث عن عزيمة «الفيتكونغ» التي لم تهتز نتيجة لهجوم الربيع في المدن، وعن تحركهم الحر داخل الأرياف . . . وتذكر بالسوء أحوال جيش سايجون وفعالية الحكومية الجنوبية على اثر تلك المعارك . . . لذلك لم يكن امامه خيار سوى التحرك المركز في الجبهتين الضعيفتين :

ـ تركيز القصف الجوي البربري ضد المحافظات (هاتينه، كوانغ فيه، فينه لينه، نجهي إن) في المنطقة المسموح بها، والاستمرار في تدمير خطوط المواصلات في تلك المناطق

على امتداد سبعة شهور كاملة .

ـ تكثيف الاجراءات الكفيلة بتحقيق سياسة التنظيف والاحتفاظ حول المدن الرئيسية والقواعد الرئيسية ـ .

لكن هذه الخطوات لم تمنع الثوار من تشديد حزامهم الصلب حول المواقع والمراكز الأمريكية الامر الذي دفع القيادة الامريكية الى اتخاذ قرارها باخلاء القاعدة الشهيرة «خي سانة» في كوانغ تري إلا أن الثوار سارعوا بشن هجوم ساحق ضد القاعدة أسفر عن احتلالها وشطب ١٧ ألف جندي بينهم ١٣ ألف أمريكي وتدمير ٤٨٠ طائرة خلال تلك المعركة ، كما شن الثوار هجمات متواصلة ضد قواعد العدو ومطاراته في دانانغ وهوي، بليكو، نبه دنه، تاي نينه، لونغ ان، ماي ثو. . كذلك في محيط سايجون قامت الوحدات الثورية بقصف صاروخي لاهداف العدو ومخازنه ومعسكراته لعدة ايام اعتبرها الامريكيون «أدمى أيام تواجدهم في فيتنام»[40]

من ناحية أخرى تصاعد النضال السياسي داخل المدن ومحيطها الى درجة لم يسبق لها مثيلاً وازدد النفوذ السياسي والعسكري للجبهة في جبهة المدن، وظهرت وحدات ثورية مسلحة في مناطق سايجون، وبلغ الوجود الثوري اوجه في محافظة تاي نينه حيث خاضت الوحدات الثورية بالتعاون مع جماعات كاو داي معركة في سبتمبر للاستيلاء على المحافظة استمرت شهراً كاملاً مع قوات وتعزيزات للعدو بلغت عشرات الآلاف وأسفرت عن ١٤ ألف إصابة بينها ١٠ آلاف أمريكي ، وتدمير ٨٥ طائرة ، ١٤٥٥ دبابة ومدرعة[41] .

وفي سبتمبر واكتوبر خاض الثوار معارك واسعة مشابهة في مناطق بن تري وتاي نينه، والطريق رقم ٩ أسفرت عن إصابة عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين وآلاف الطائرات والآليات والسفن ، وحتى نهاية العام كانت القوات المحلية والأجنبية قد تكبدت وفق بيانات الجبهة العسكرية ٦٣٠ ألف قتيل وجريح وأسير وفار بينهم ٢٣٠ ألف أمريكي وحليف .

وعندما أعلن جونسون في أول نوفمبر عن الوقف الشامل للقصف الجوي ضد شمال فيتنام كانت البلاغات العسكرية في هانوي قد أجملت حصيلة الحرب الجوية ، ضد الشمال بتدمير ٣٢٤٣ طائرة متنوعة بينها ٦ قاذفات من طراز ب ٥٢ ، وطائرتين من طراز ف ١١١ ، وحوالي ألف قتيل وجريح وأسير بين الطيارين والملاحين الجويين الأمريكيين .

القيادة العسكرية الأمريكية روجت كثيراً لفكرة الفشل العسكري للهجوم الفيتنامي مستندة الى معلومات قالت إنها حصلت عليها، تتعلق بثلاث مراحل تشملها الخطة الفيتنامية ؛ تبدأ بهجوم صاعق تشنه قوات جبهة التحرير الجنوبية ، تتبعها سلسلة من الانتفاضات الشعبية والعسكرية تؤدي الى انهيار الحكومة والجيش الجنوبي وفي المرحلة الثالثة تتدخل وحدات نظامية من هانوي لاجبار القوات الامريكية على الانسحاب .

وعلى هذا فإن المرحلة الأولى فقط هي التي نفذت تماماً بينما تعرقلت المرحلتين الثانية والثالثة . . مما جعل القوات التورية الجنوبية تتحمل وحدها فداحة الخسائر . الأمر الذي جعلهـا تعتمـد اكثر من السابق على المساندة الشمالية . وقد حاول المحللون الامريكيون الإستعانة بفقرات مبتورة أو معزولة من مقالات وتعليقات القيادات الفيتنامية حول تقييم الهجوم الاستراتيجي ونتائجه ، لتأكيد صحة تحليلاتهم

أمـا لماذا لم يخش الفيتنـاميون ردة الفعـل الامريكية على هكذا هجوم واسع ، فإن المصـادر الامـريكية تعزوها لمعرفة حكومة هانوي لحدود الامكانية العسكرية المتاحة أمام الادارة الامريكية والتي كانت قد اختبرتها في العام السابق عبر عملية خي سانة .

القيادة العسكرية الفيتنامية اعتبرت هجوم التيت نقطة تحول حاسمة في حرب المقاومة الوطنية ضد العدوان الامريكي في جنوب فيتنام ، وانه شكل بداية مرحلة هجومية متواصلة متطورة باتجاه النصر النهائي . ومن الناحية المعنوية شكل الهجوم ضربة عميقة للقوى المعادية لأنه جاء قوياً وشاملاً في الوقت الذي امتلكت القيادة الأمريكية أكبر قوة لها فوق الأراضي الفيتنامية وبعد تصريحات أمريكية متفائلة عن ضعف الجبهة الوطنية وتشتيت قواتها .

من الناحية العسكرية تمكنت القوات الثورية لاول مرة من الضرب في المدن الرئيسية ومراكز قوة العدو المنتشرة عبر المناطق المختلفة في نفس الوقت ، وخاضت معارك واسعة ضد جبهات العدو ابدت فيها مستواً تقنياً متفوقاً وقدرة قتالية عالية ، وشاركت فيها ببراعة وتنسيق الـوحـدات النـظامية والاقليمية والفـدائية في المناطق المدينية والجبلية والساحلية على حد سواء . . . وألحقت بالعدو خسائر عسكرية بشرية ومادية كبيرة بينما انضم للثورة عشرات الآلاف من المـواطنين ومن قوات الجيش السايجوني وحصلت القوات الثورية على أسلحة وذخائر وتجهيزات بكميات كبيرة لكن القيادة الفيتنامية اعترفت[٤٢] بنقطة الضعف الرئيسية في الهجـوم من الناحية العسكرية وهي تخلف القوات المهاجمة من حيث العدد والتجهيز عن قوات العدو وهي التي فرضت عليها التراجع السريع عن المدن .

من الناحية السياسية بلغ النضال الشعبي في المدن أوجه بايجاد شبكة ادارية شعبية ثورية ، منسقة مع العمل العسكري ، ساهمت بفعالية في تمزيق الادارات الرجعية ، وتشتيت القوات المحلية ، واقامة تجربة الادارة الذاتية ، والدفاع الذاتي . . . وقد بلغ المد الوطني ذروته السياسية باعـلان التحـالف للقـوى الـوطنية والـديمقـراطية والسلمية بهدف الإطـاحـة بالإمـبرياليين الأمـريكيين ونـظام تيو ـ كاوكي وإقـامة السلطة الشعبية في جنوب مستقل ديمقراطي مزدهر. يعمل لتوحيد الوطن .

لقـد دق هجـوم التيت المسـمار الاخـير في نعش الحـرب المحدودة، واشهر انتصار

الفيتناميين على خطة توسيع الحرب البرية جنوباً والجوية شمالاً ، وتفوق «هؤلاء الاقزام» على أسلحة قوات وتكنولوجيا «السيد هويلر» وعبقرية جنرالاته في هيئة الأركان وفي قيادة منطقة الهادىء . . .

إن انتصار القوات الثورية في جنوب فيتنام يعود الى عدة اسباب رئيسية كما جاءت في تحليل ترونغ سون المعلق العسكري الرسمي للجبهة الوطنية[٤٣] :

أولا : تحديد الهدف الاستراتيجي للعدو واكتشاف القوانين التي تحكم تحركاته وقدراته وذلك لوضع هدفنا الاستراتيجي وطرائق قتالنا .

ثانياً : الحفاظ على وتطوير الموقف الهجومي لدى الثورة وامتلاك وتطوير المبادرة على أرض المعركة واجبار العدو على القتال وفق خطتنا .

ثالثاً : استيعاب العلاقة بين هزيمة قوات العدو . . والحفاظ على حق الشعب في السيادة، وتقوية العمل العسكري ودمجه بالنضال السياسي والعمل في قوات العدو .

رابعاً : الزيادة المستمرة للقدرة القتالية والفعالية العملياتية والاستراتيجية وللوسائل القتالية في الحرب الشعبية .

خامساً : الاهتمام الخاص ببناء وتطوير القوتين العسكرية والسياسية ، واشكال القوات المسلحة الثلاثة نظامياً واقليمياً ومحلياً ، ومعالجة العلاقة بين العدد والنوعية خلال عملية التطوير .

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب الرابع

(١) في كتاب «المخابرات المركزية بلا قناع» يذكر المؤلف ان الشرطة السرية في جنوب فيتنام وصل عددها الى ٦٠٠ الف عام ١٩٦٠ ، المصدر ص ١٦٩ .

(٢) بلغ عدد هذه المطارات والقواعد البحرية ٥٧ المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٣) الجنرال جياب قصة المقاومة الشعبية ـ ميلاد جيش .

(٤) نجو ديم الكاثوليكي الذي تعاون مع اليابانيين خلال احتلالهم الفيتنام ثم اتجه نحو امريكا حيث اقام هناك وجرى اعتياده رجلاً لهم باعتباره معادياً لكل من الفرنسيين والشيوعيين معاً ويعتبر أن القضاء على الفرنسيين يسهل عملية القضاء على الشيوعيين في فيتنام .

(٥) الجنرال جياب في ذكرى تأسيس الجيش ص ١٣٨ .

(٦) قدرت المخابرات المركزية عدد الثوار الباقين في الجنوب منذ ١٩٥٥ مابين ٥ ـ ١٠ الاف موزعين على مختلف انحاء الجنوب .

(٧) شكلها ١٨ وزيراً وشخصية كبيرة في اجتماع عقدوه بفندق كرافيل وحملت هذه المجموعة اسم الفندق Caravelle group .

(٨) ذكرت مصادر امريكية انه كان هناك اتجاه آخر داخل الادارة الامريكية العسكرية يحبذ شن حرب تقليدية بدلاً من الحرب الخاصة ، وأن جونسون اعتمد ـ بعد توليه الرئاسة ـ خطاً وسطياً بين الاستراتيجيين .

(٩) خلال فترة ستة شهور فقط .

(١٠) وفق خطة ماكسويل تايلور، قسمت فيتنام الجنوبية إلى أربع مناطق عسكرية (الأولى ، الثانية ، الثالثة ، والمنطقة الخاصة بالعاصمة) ووحدت القيادات العسكرية والإدارية والتنفيذية في كل منطقة في هيئة قيادية واحدة . . . تقودها عملياً « ماك MAC » المقصود بها Military and Aid Command .

(١١) مؤتمر بلدان حلف انزوس «ANZUS» Australia - Newzealand U.S.A .

(١٢) حزب الشعب الثوري الفيتنامي برئاسة فو شي كونغ وكان عضواً في قيادة جبهة التحرير .

(١٣) جيش التحرير الفيتنامي برئاسة ترانغ ترونغ وكان عضواً في قيادة جبهة التحرير .

(١٤) سنتحدث تفصيلاً عن القوات الثورية المسلحة والمناطق المحررة في فصل لاحق من الكتاب .

(١٥) راجع كتاب .The failure of "Specal War" P. 84 V.S No 20 .

(١٦) سفينة نقل بحمولة ١٥ ألف طن تدعى «Card» .

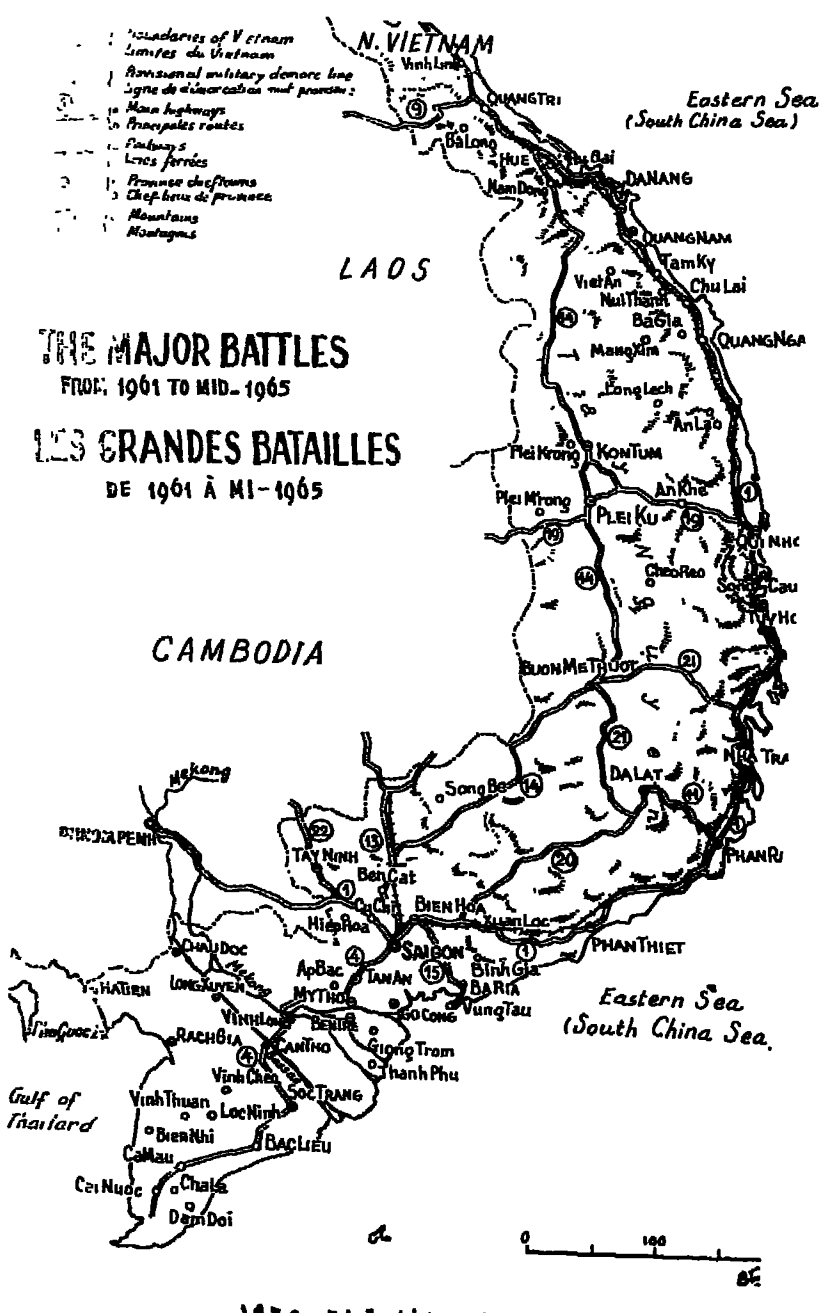
(١٧) اعتبر الهجوم ضد السفارة الأمريكية اشجع عملية مباشرة ضد الامريكيين حتى ذلك التاريخ كما جاء في وثائق البنتاغون ـ الجزء الثاني ص ٢٠ بينما ذكر دولاغلاس بايك في كتابه أن العملية أدت غرضها التي ارادته الجبهة . .

(١٨) راجع : من وثائق البنتاغون (بالعربية ص ٢٣٩) التاريخ السري لحرب فيتنام .

(١٩) راجع وثائق البنتاغون بالانجليزية .The Pentagon's Secrets and half Secrets - Hanoi 1971

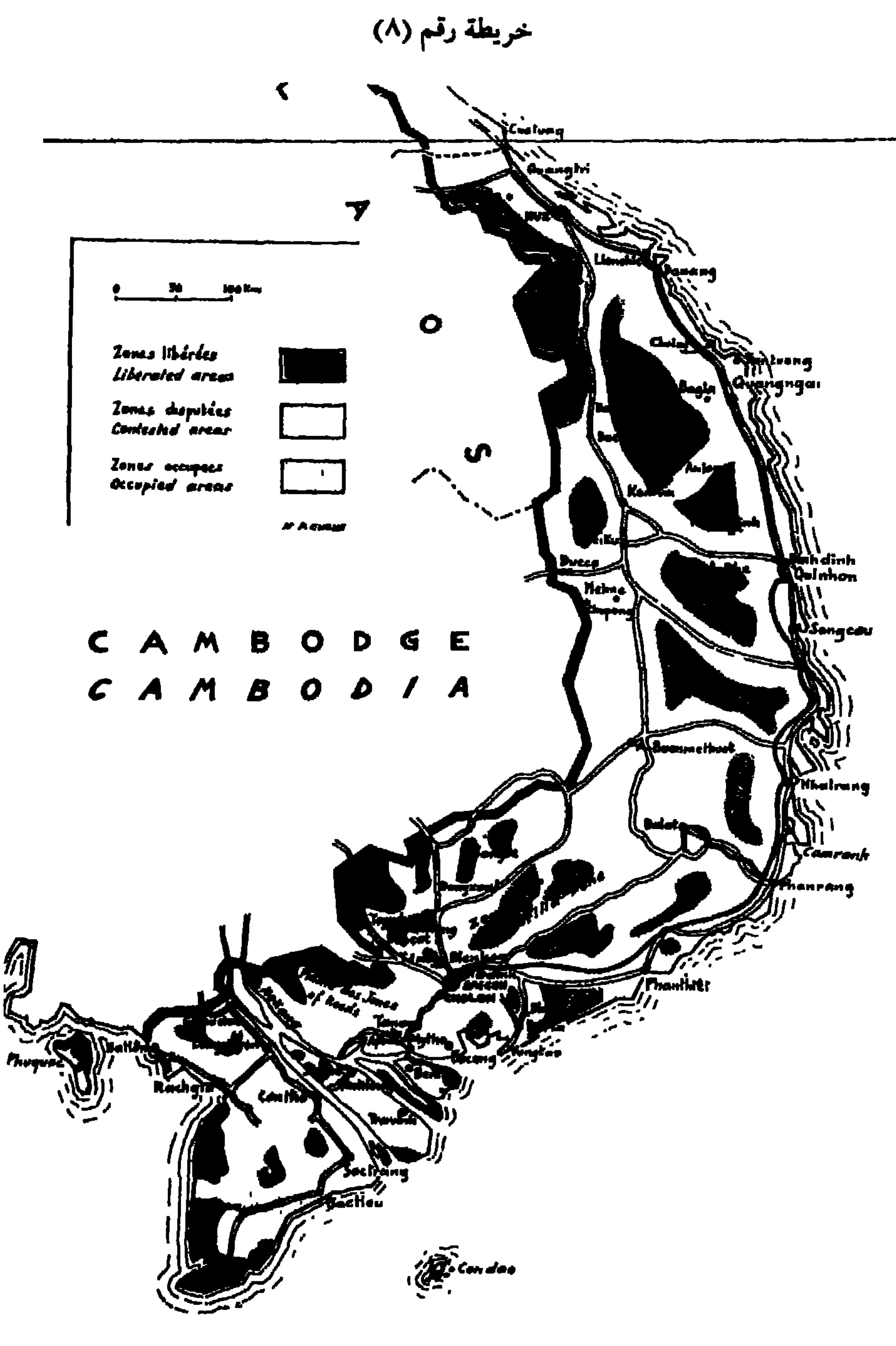
(٢٠) (٢١) وثائق البنتاغون بالعربية ص ٢٥٩ التاريخ السري لحرب فيتنام
(٢٢) وثائق البنتاغون بالانجليزية P 89 (٢٣) هوشي منه . المختارات 297
(٢٤) كاوكي Ng Cao Ky هو أحد ضباط الجو الجنوبيين من أصل شمالي وأصبح رئيساً للدولة لاحقاً
(٢٥) هوشي منه المختارات بالانجليزية P. 267 .
(٢٦) خطة البحث والتدمير هذا التكتيك لجأ اليه الفرنسيون والامريكيون أكثر من مرة لكن دون جدوى كبيرة .
(٢٧) للمزيد من المعلومات حول العمليات العسكرية الكبرى في الحرب المحدودة (١٩٦٥ - ١٩٦٦) راجع كتاب American Failure V S No 20 P9 - 61
(٢٨) تصريحات ماكنوتون نائب وزير الدفاع الأمريكي المصدر من وثائق البنتاغون بالعربية .
(٢٩) ارجعت الأركان الامريكية عدم نجاح القصف ضد الانتاج الصناعي الشمالي وخاصة البترولي بالشكل المطلوب الى القيود المفروضة على عملية القصف وطالبت بإطلاق يدها في هذا الشأن
(٣٠) في ديسمبر ١٩٦٦ رابطت على أرض فيتنام كل من : الفرقة الجوية الاولى ، الفرق البحرية الاولى والثالثة والتاسعة وفرق المشاة الاولى والرابعة والخامسة والعشرين ، والالوية المستقلة المظلية ١٧٣ ، ١٠١ ، والمشاة ١٩٦ ، ١٩٩ والفوج المدرع ١١ .
(٣١) مقر قيادة جبهة التحرير الوطنية (لجنوب فيتنام) حسب التقارير الامريكية
(٣٢) بعض المصادر ذكرت الخسائر البشرية كالتالي ١٥٠ الف جندي وضابط ، ١٣٠٠ دبابة وآلية ٥٦٠ طائرة ، ٢٣٣ مدفعية ثقيلة .
(٣٣) تراوح معدل الغارات الاسبوعي في تلك الفترة بـ ١٥٠٠ طلعة .
(٣٤) عرفت اللجنة باسم لجنة مكنمارا
(٣٥) تقول مصادر امريكية ان القوات الشيوعية المستخدمة في الهجوم بلغت ٨٤ ألف مقاتل .
(٣٦) استناداً الى بيانات الجبهة الواردة في Vietnamese Studies No 20 - p 96 لكن القيادة الامريكية لم تعترف الا بمقتل عشرة الاف جندي (جنوبي وأجنبي) زاعمة أن القوات المهاجمة فقدت مابين ٤٨ - ٦٠ الف بين قتيل وجريح وأسير خلال العملية
(٣٧) الجنرال ويستمورلاند طلب القوات المذكورة ليتمكن من استغلال انتشار وتوزيع القوات الثورية لكي يقوم بشن هجوم استراتيجي معاكس يشمل الاراضي الكمبودية واللاوسية حتى فيتنام الشمالية كما نقل عنه في مذكراته .
(٣٨) كما جاء في مذكرات هنري كيسنجر ص ٨٥
(٣٩) يوجين مكارثي المعارض للحرب آنذاك فاز في انتخابات ولايته في مارس بنسبة ٤٢ بالمائة من الأصوات
(٤٠) يتحدث الامريكيون عن الهجمات التي شنها الثوار في سايجون في شهر مايو باعتبارها هجوم «تيت» مصغر نجح في تحقيق خرق للعاصمة لكنه لم يلبث أن تلاشى ، راجع مجلة استراتيجيا - العدد ٧٨ اغسطس ٨٨ نقلاً عن مجلة Parameters p June 2 1988 .
(٤١) يعتبر الأمريكيون هذه العملية أيضاً «تيت» مصغر يشكل الحلقة الثالثة والأخيرة من الهجوم العام ويؤكدون فشلها وتكبيد الجانب الفيتنامي خسائر اضافية ! راجع المصدر السابق .
(٤٢) الجنرال فان تين زونغ يعترف بذلك في مذكراته « الحرب الثالثة » .
(٤٣) راجع دراسات فيتنامية بعنوان American Failure No 20 - P. 9 - 61.

خريطة رقم (٧)



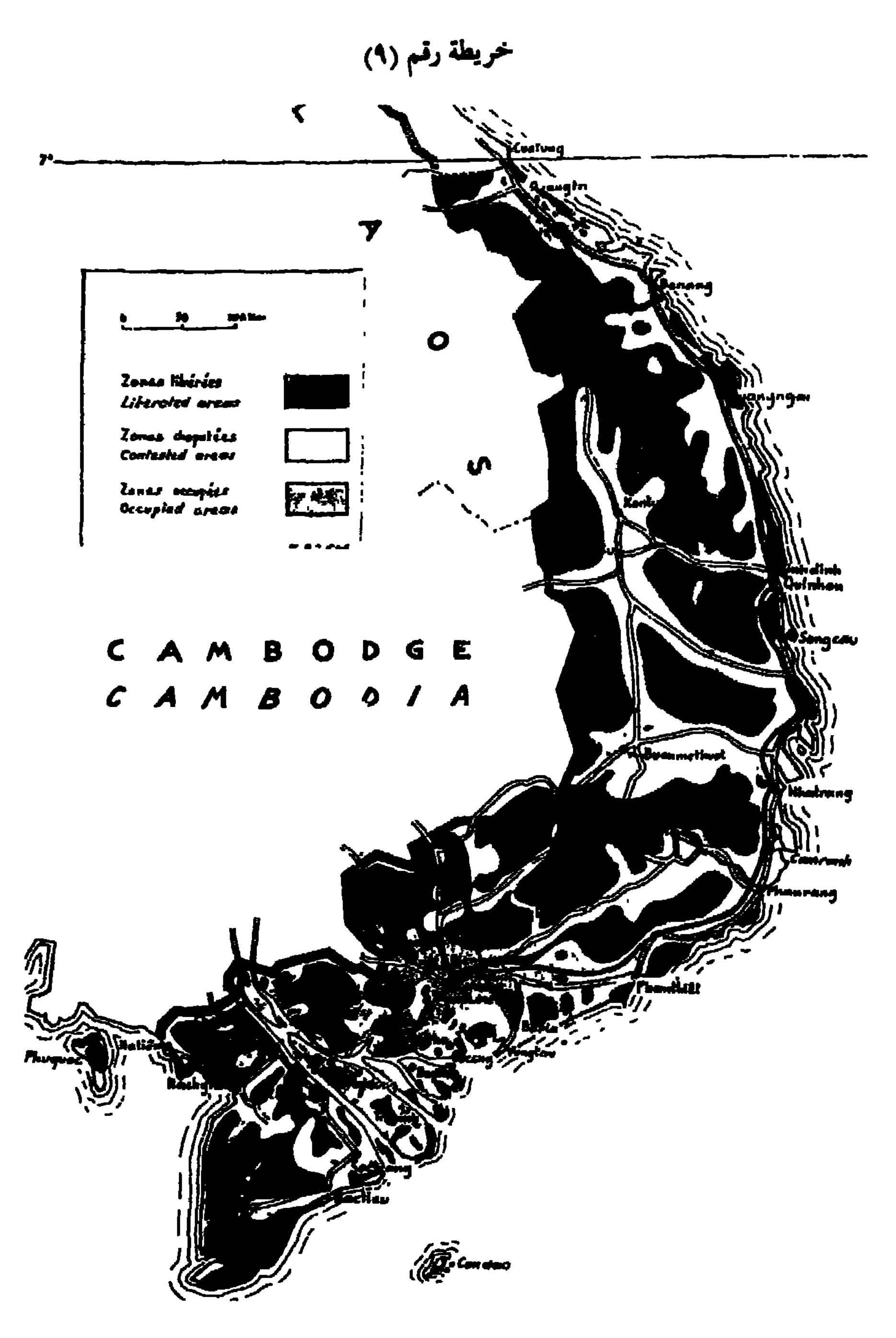
الحرب الخاصة ٦١ - ١٩٦٥

خريطة رقم (٨)



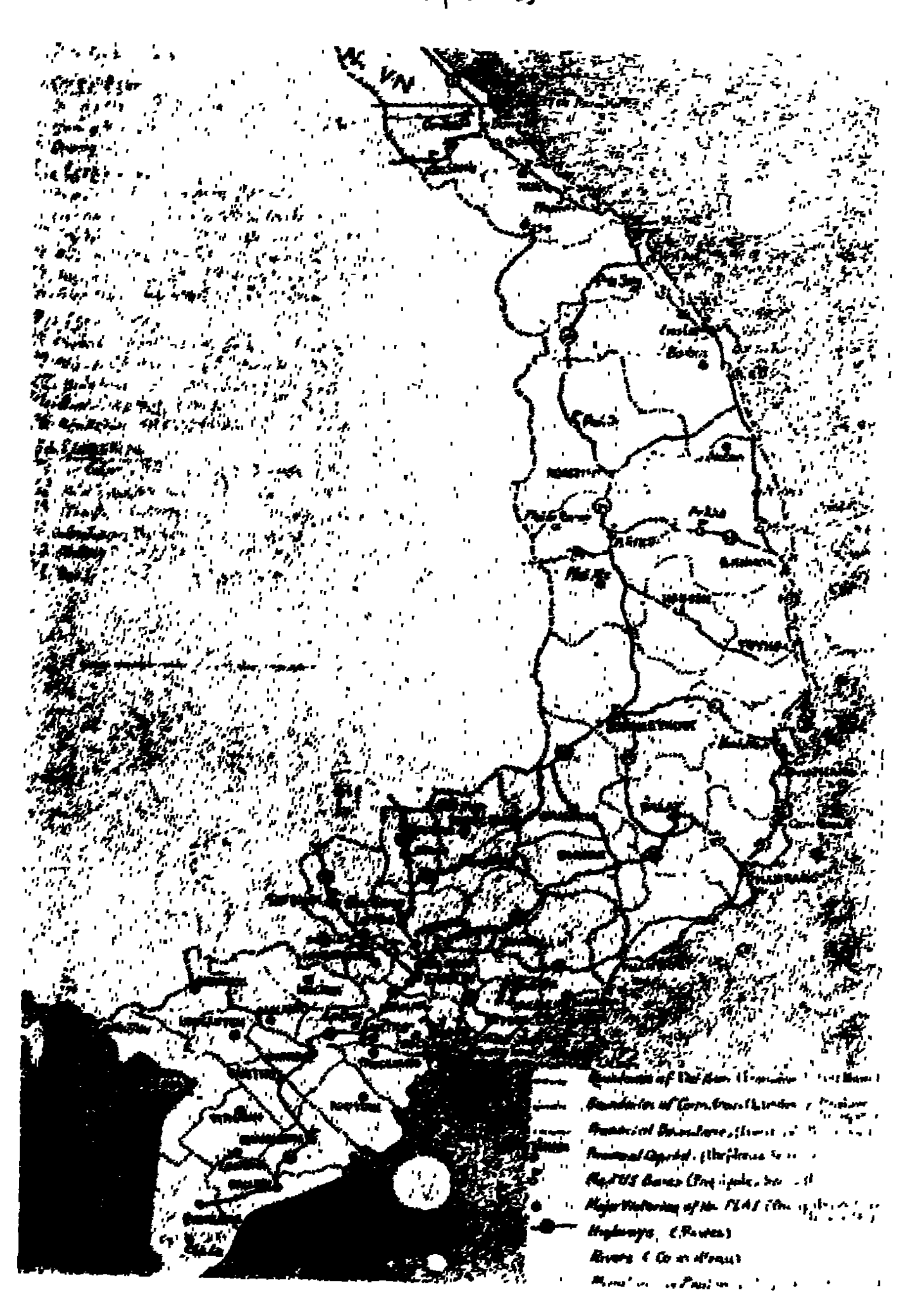
في بداية الحرب الخاصة

خريطة رقم (٩)



في نهاية الحرب الخاصة

خريطة رقم (١٠)



الباب الخامس

استراتيجية الفتنة



استراتيجية الفتنمة

فتنمة الحرب . . ماذا تعني؟

الفتنمة كمصطلح عسكري يعني الاستمرار في ادارة الحرب بواسطة القوى البشرية الفيتنامية بديلا عن القوات الامريكية، واستخدام الامكانيات والمصادر الفيتنامية لتغذية الحرب وتوفير الامكانيات الامريكية ، وذلك عن طريق تقوية الجيش الجنوبي بشريا وماديا وتحويله الى قوة رئيسية في ساحة القتال وسحب القوات الأمريكية تدريجياً ، مع تكثيف عمليات التهدئة ، لمدننة سكان الأرياف وتقوية سلطة الحكومة الجنوبية على الارياف وبالتالي تأمين السيطرة على الموارد البشرية والطبيعية للبلاد. الفتنمة كشعار،رفعه نكسون كبديل للأمركة التي طبقها جونسون خلال سنوات حكمه وأدت الى تورط أمريكي غير محدود في الحرب الفيتنامية، حمّل شعبها خسائر مادية وبشرية كبيرة ، وأحط من السمعة السياسية لامريكا على الساحة العالمية وعمق الانقسامات داخل الادارة نفسها . . لذلك جاءت الفتنمة كتطبيق فيتنامي للحملة التي رسمها نكسون لاصلاح الأوضاع الأمريكية الداخلية وإنقاذ سمعتها العالمية. . . وبالتالي كان هناك تطبيق أعم لمنطقة الهند الصينية. . وتطبيق خاص للعلاقة مع الصين سنتحدث عنه لاحقاً .

خلال الحملة الانتخابية في اواخر ١٩٦٨ وعد نكسون بانهاء الحرب خلال ستة شهور في حال فوزه وعندما تولى الرئاسة بدأ يطبق ترجمته الخاصة لمسألة «انهاء الحرب» وهي انهاء التورط الامريكي البشري المباشر والاعتماد على فيتنام الجنوبية لمواصلة الحرب وتمكينها من ذلك ، «لان أمركة الحرب هي التي أضعفت معنويات الجنوبيين، واستمرارها أضعف المعنويات الامريكية»[1] وحسب نظرية نكسون فإن السلطة «الديمقراطية» لاتستطيع مواصلة

القتال عندما يتوقف تأييد الرأي العام لها . . وحيث ان الحرب لابد من استمرارها فإن الحل يكمن في ارضاء الرأي العام «الغربي» بسحب الاولاد الامريكيين من ميدان القتال، وزج الاولاد الفيتناميين في مواقدها لتحقيق مصالح الامبريالية النهمة .

الدور الامريكي الجديد على المسرح الدولي كما تراه القيادة الامريكية الجديدة يعني حين تنطلق حرب العصابات والتمردات في مكان ما، فإن على واشنطن أن تقوم بتوفير الامدادات العسكرية والخبرات اللازمة ، وعلى الحكومات المحلية تحمل مسؤولياتها وتوفير القوى البشرية . . لكن عندما يجري اجتياز لحدود تلك المنطقة فان الحكومة الامريكية وفي ضوء التطورات تتخذ الاجراءات الأبعد من مجرد الدعم بالامدادات الحربية والخبرة . وخلال ذلك تقوم بتشجيع ودعم الترتيبات المحلية والاقليمية الخاصة بالتطوير الاقتصادي والامن العسكري (الاحلاف والتكتلات) . . . اي باختصار تمنح امريكا نفسها دور الشرطي العالمي .

في مذكراته يشرح نكسون ذلك بلغة دبلوماسية تقول بان على البلدان المهددة بخطر الاعتداء الشيوعي ان تتحمل المسؤولية الاولى في الدفاع عن نفسها بتقديم القوى البشرية اللازمة ثم يأتي دور امريكا في المساعدة على تطوير الادارة والاقتصاد والجيش والشرطة لتلك البلدان . . . وهكذا يعيد الثقة «بقوة امريكا وعظمتها» بشكل شوفيني صارخ «لأن امريكا شعب قوي ، لم يهزم أبداً خلال ١٩٠ سنة من تاريخه وسوف لن يهزم في فيتنام ، فأمريكا تستطيع هزيمة واذلال فيتنام الشمالية وليس العكس كما جاء في خطاب نكسون في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ .»(٢)

عندما بدأ الامريكيون تطبيق السياسة الجديدة كانت الحرب الفيتنامية قد التهمت الاف الضباط والخبراء وعشرات الالاف من الجنود الامريكيين وبلايين الدولارات وخيرة الوحدات الخاصة والمجهزة الامريكية . وكانت القوات البرية الامريكية قد زجت بحوالي ٤٠٪ من قوامها ، والقوات الجوية الخفيفة ٥٠٪، والقوات البحرية ٣٠٪ في الساحة الفيتنامية ، وبلغت القوات العسكرية اكثر من نصف مليون جندي وتكاليفها الشهرية حوالي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ر٥ بليون دولار . . . بينما السياسية الجديدة تستدعي استبدال هؤلاء الجنود بجنود من الساحة المحلية ، تكاليفهم أقل وحياتهم أرحص في القاموس الامبريالي ، ووفق تقديرات وزارة الدفاع الامريكية فإن تكلفة الجندي الامريكي الواحد تكفي لتجنيد ٣٠ جندي محلي . . ووفق هذه الحسابات فإن التكاليف الامريكية في فيتنام بعد انسحاب معظم قواتها وابقاء بعضها للدفاع عن القواعد العسكرية ستنخفض من ٣٠ بليون إلى ٥ بليون سنوياً .

الرئيس الأمريكي رتب أولويات تكتيكاته على أساس انجاز تهدئة سريعة للوضع في الجنوب حتى تصبح فيتنام الجنوبية قادرة على توسيع سيطرتها على المناطق الريفية وذلك عن طريق منع الامدادات والمساعدات عبر الحدود اللاوسية والكمبودية ، بالتوسع العسكري الى تلك المناطق . . . ثم القيام بانسحابات أمريكية بطريقة لاتسبب في تدهور أوضاع السلطة الجنوبية ، واجراء مفاوضات من مركز القوة[٣] لاجبار الفيتناميين على توقيع معاهدة سلام بالشروط الامريكية وتأديبهم عند انتهاكهم لتلك المعاهدة . .

وفي نفس الاتجاه تحدث منستشاره للأمن القومي فانتقد الاستراتيجية العسكرية الامريكية السابقة التي «لاتوصل الى النصر»[٤] وطالب بتوجيه العمليات العسكرية نحو أهداف تؤدي إلى مفاوضات جادة ، وبمشاركة الفيتناميين الجنوبيين أكثر في ادارة الحرب ـ وركز على أهمية انجاز عسكري على الارض لان نجاح حرب العصابات يعتمد على منع انتصار القوات النظامية المعادية وليس بالضرورة هزيمتها . . . أي أن انتصار أفراد العصابات يكمن في عدم هزيمتهم وفق وجهة نظره .

في مقابل اطالة الحرب في جنوب فيتنام ـ وفق سياسة الفتنمة ـ فإن الاستراتيجية الامريكية في الهند الصينية كانت تقتضي تكثيف الحرب العدوانية والتوسع فيها وتعزيز المواقع الرجعية التابعة لها ، وبذلك تساعد هذه السياسة على انجاح الفتنمة في الجنوب ، وفي نفس الوقت تعزز الفتنمة الحلف الرجعي في مواجهة فيتنام الديمقراطية ، وفي ذات الوقت يجري ابعاد الصين عن فيتنام عبر تسعير الخلاف الصيني السوفييتي لصالح العلاقات الامريكية ـ الصينية .

الاستراتيجية الفيتنامية المضادة ·

في مواجهـة الاستراتيجية الامريكية الجديدة واتجاه نكسون الى تعزيز وضع أمريكا التفاوض من مركز القوة قررت القيادة الفيتنامية التحرك في المنطقة الوسيطة بين المرحلتين أي في المرحلة الانتقـالية ، بين المرحلة الأولى التي كان فيهـا الجيش الأمريكي يمثل الثقل الأساسي في المعركة بينما جيش سايجون عاملاً مساعداً . . والمرحلة التالية التي سيصبح فيها جيش سايجـون هو البـديل ليتحمـل الثقـل الرئيسي في المعركة بينما ينسحب دور الجيش الأمريكي الى مهمة المساندة . . . إي مرحلة الانتقال من الحرب المحدودة الى حرب الفتنمة عبر سياسـة التهدئة، التحرك الفيتنامي تطلب الضرب بقوة وسرعة قبل استتباب الامور وتكـريس المرحلة الجـديدة التي أرادهـا الأمـريكيون إجبـاراً للفيتناميين على الاستسلام العسكـري والسياسي ، ولهذا قررت قيادة الثورة الفيتنامية الانتقال الى اعتماد استراتيجية هجومية شاملة عسكرية ، سياسية، دبلوماسية تتضمن :

١ ـ في مقابل تكتيك اطالة الحرب في الجنوب الفيتنامي عبر «الفتنمة» اعتمدت القيادة الفيتنامية تكتيك الهجمات العسكرية الواسعة لاحباط التهدئة ومنع امكانيات الفتنمة . . وفي مقابل تكتيك توسيع الحرب الى لاوس وكمبوديا عبر اللوسنة والكمبدة قررت القيادة الفيتنـامية تعـزيز القـوات العسكرية للقوى الثورية في البلدين . . . وفي مقابل التحضير لتسوية سياسة على الطريقة الامريكية . . . فتحت القيادة الفيتنامية الطريق امام الجانب الأمريكي كممرٍ إجباري الى التسوية العادلة .

٢ ـ السياسة الجنوبية للثورة الفيتنامية اعتمدت على اربع مبادرات متكاملة؛ ضرب القـوات الامريكية للتعجيل بانسحابها، وضرب جيش وادارة الجنوب لمنعهما من التمركز والتطور، وتعزيز السلطة الثورية في المناطق المحررة وتثوير حدودها مع لاوس وكمبوديا بدلاً من احكام الطوق عليها، القيام بمبادرات دبلوماسية نشطة ومتلاحقة وتوسيع الجبهة العالمية المساندة لفيتنام .

٣ ـ السياسـة الهند الصينية للثورة الفيتنامية اعتمدت السلاح الامريكي نفسه . .

توسيع الجبهة . . في مقابل استخدام ساحتي لاوس وكمبوديا لحصار القوات الثورية الجنوبية وعزل المناطق المحررة عبر احكام حدود طولها ٦٤٠ كم مع البلدين والشريط الارضي بين الشمال والجنوب قررت القيادة الفيتنامية تعزيز الجبهة الثورية في الهند الصينية دعمها بامكانيات عسكرية جديدة ، ومساعدة قوات الجبهة الوطنية اللاوسية وقوات حكومة الاتحاد الوطني الكمبودي في الصمود والتصدي للهجمات وشن هجمات ناجحة وتوسيع المناطق المحررة وخلق اقاليم محررة متصلة في البلدان الثلاثة .

٤ ـ السياسة الصينية للثورة الفيتنامية استمرت في التركيز على اهمية العلاقات الرفاقية بين الحزبين الشيوعيين والحكومتين الثوريتين والاشادة بالدعم الصيني الثمين للثورة الفيتنامية ولنضال شعوب الهند الصينية ، وبذلت القيادة الفيتنامية جهدها لإقامة علاقات متوازنة مع كل من الاتحاد السوفييتي والصين ، والتركيز على الامبريالية الأمريكية كعدو مشترك والتحذير من المحاولات الامريكية للإستفادة من الخلافات السوفييتية الصينية .

الفتنمة : المرحلة الدفاعية ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

التطورات العسكرية على الجبهة الجنوبية :

المرحلة الأولى من الفتنمة كانت ذات طابع دفاعي ارتكزت على اعداد الجيش المحلي من جديد من ناحية، وشن حملات تهدئة من ناحية اخرى واستغرقت عامي ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠.

● أولاً : بالنسبة لاعداد الجيش والقوات المسلحة جرى الاهتمام بزيادة اعدادها وبتطوير الفروع الخاصة، وقد تم رفع عدد القوات المسلحة من جيش ومليشيا وأمن إلى مليون شخص منهم ٩٠ ألف قوات شرطة وذلك بفرض تجنيد اجباري مكثف شمل المواطنين من ١٣ ـ ٥٥ سنة.

القوات الجوية ضمت ٣٠ ألف وزودت بـ ١٥٠٠ طائرة هليوكبتر، وأصبحت رابع قوة جوية في المعسكر الرأسمالي بعد الانسحاب الامريكي من الجنوب.

القوات البحرية ضمت ٥٥٠ قطعة بحرية ونهرية ونظمت في فرق تضم أكثر من ٣٠ ألف جندي.

القوات المدرعة زودت ١٢٠٠ آلية مدرعة جديدة بينها ٢٠٠ دبابة، وأصبح لديها ٢٤ ألف سيارة نقل.

قوات المشاة زودت بوحدات مدفعية وطبية ونقل، ونظمت في فرق، بينما نظمت الوحدات الخاصة في قوات تضم الواحدة منها من ٣ ـ ٤ كتائب. . . وخلال حرب الفتنمة أصبح الجنوب يملك ثالث أكبر قوة برية في العالم الغربي.

تسليح القوات العسكرية شمل ٦٠٠ قطعة مدفعية ثقيلة، ١٠ آلاف مدفع هاون، ٣٠ ألف قاذفة فنابل يدوية، ١٠ آلاف رشاش، ٧٠٠ ألف بندقية م ١٦. (٥)

تدريب القوات شهد برامج سريعة ومكثفة، افتتح ٢٣ مركزاً للتدريب، ٢٥ مدرسة عسكرية مختلفة لتخريج الضباط، كما أرسلت أعداد كبيرة من الضباط وصف الضباط إلى أمريكا وتايوان والفلبين.. تجاوز عددهم ستة آلاف عام ١٩٦٩ حيث اولى اهتمام خاص بتدريب الطيارين.

جرى الاهتمام بالتوجيه السياسي للضباط، واستقبلت مدرسة دالات من ٣٠٠ ـ ٤٠٠ ضابط في كل دورة نظمت لهذا الشأن، كما جرى زيادة في المرتبات والعلاوات وامتيازات السكن وغيرها.

جرى توزيع جديد للقوات المسلحة بحيث يؤمن حركة أفضل للوحدات النظامية، وحدات القوات المحلية كلفت بعمليات التنظيف الواسعة، أما وحدات الحرس المدني فكلفت بمهمات على مستوى القرى، القوات النظامية جرى تسليمها محاور عديدة هامة في عدة مناطق عسكرية.

● ثانياً : بالنسبة لسياسة التهدئة فقد هدفت كما المرات السابقة إلى تدمير الوحدات المسلحة الثورية وقواعدها الثورية ثم تصفية المنظمات والروابط الثورية في الأرياف واعادة بناء وتنظيم الادارة والمنظمات السلطوية الرجعية مكانها . وفي نفس الوقت استرداد وتثبيت الأمن حول القواعد والمراكز وطرق المواصلات الرئيسية والمدن الكبيرة وعواصم الأقاليم. في هذا المجال واصلت ادارة نكسون ما بدأه ابرامز في اواخر ادارة جونسون من أجل التضييق والمحاصرة للمناطق المحررة والتوسع والتمدد للمناطق المحتلة مع نشر السيطرة على المصادر والامكانيات المادية والبشرية في الجنوب، وقد استخدمت نفس القوات العسكرية وفرق التهدئة في حملات واسعة شملت آلاف عمليات التنظيف والقصف والتدمير، وزاد عدد العمليات العسكرية في هذا النطاق من ٤٥ في يناير إلى ٧٥ في نوفمبر ١٩٦٩ وبزيادة ٣٠٪ عن عمليات السنة الماضية.. وزاد معدل استخدام الذخيرة اليومي على ٧٥٠٠ طن.

عندما بدأ نكسون سياسته الفيتنامية الجديدة كانت الإدارة الجنوبية مازالت غير مستقرة ، وتواصلت الإنقسامات وفشلت المحاولة الأمريكية التي اعتمدت التعايش السياسي ـ العسكري داخل النظام ، وجرى التخلص من هونغ رئيساً للوزارة وحل محله أحد العسكريين « تران خيم » ، وأصبحت السلطة في يد ثلاثة عسكريين ، ثيو رئيساً للدولة ، كاوكي نائب للرئيس وخيم رئيس للحكومة ، إلا أن نكسون خص ثيو بمباركته . ، واستدعاه إلى جزيرة ميدواي لمناقشته في التطورات المستجدة ومسألة سحب قوات امريكية من بلاده ! . . كذلك قام نكسون بزيارة ثيو في سايجون لمواصلة البحث في ذات الموضوع

وحثه على تشكيل حزب سياسي يكون له نفوذ داخل البلاد . . لكن المشاكل لم تلبث حتى اندلعت بين الحكم العسكري والهيئتين « التشريعيتين » في سايجون مما دفع ثيو لشن حملة انتقاد حادة ومهاجمة البرلمانيين ، والسماح باحتلال الجنود للبرلمان مؤقتاً في ٢٠ ديسمبر كإشارة تهديد . وخـلال حملته ضد المعارضة بين المسؤولين السياسيين السابقين أشهر ثيو تهمة « التعامل مع العدو » في وجههم وخلال تطبيق خطة العنفاء Phoenix ضمن القوى الوطنية لعـام ١٩٦٨ التي أشرفت المخـابـرات الأمريكية CIA قتل أكثر من خمسين ألف مواطناً ، واعتقل وعذب أكثر من ٤٦ ألف وقتل المئات منهم ، أوصيبوا بعاهات ، وفي العام التالي ارتفع عدد المعتقلين الى حوالى نصف مليون بينهم مائتي ألف سجين سياسي ، وضعوا في ٥ معتقـلات مركـزية ٤٤ معتقـل اقليمي وحـوالى ألف معتقـل محلي وقد بلغت المساعدات الأمريكية في مجال بناء السجون وصيانتها في فترة الفتنمة ٣٣٧٨ مليون دولار . .

أزمة النظام الداخلي تفاقمت بانضمام عدد كبير من الطلبة والشبان الى حركة المعارضة نتيجـة موجات التجنيد الإجباري ونتيجة انتشار الفساد المرافق لنمط الحياة على الطريقة الأمريكية . . وهذا كله أثر على تطبيق خطط التهدئة الى جانب العمل العسكري للوحدات الثورية التي أعادت تنظيم قواها في ضوء نتائج الهجوم الاستراتيجي « التيت » .

على الـرغم من أن السياسة الأمريكية الجديدة كانت ترمي من ضمن أهدافها إلى تقليل الخسائر الأمريكية في ساحة القتال إلاّ أن بلاغات الربع الأول من العام أشارت الى مقتـل واصـابـة حوالى ٨٠ ألف أمـريكي وحليف من أصل ١٨٠ ألف خلال العمليات والاشتبـاكـات العسكـرية . . بالاضـافة إلى اسقاط وتدمير ٢٦٦٥ طائرة ، و٥٠٩٠ آلية عسكرية بينها ٢١٤٦ دبابة ومدرعة ، ٦١٠ مدفعية وهاون ، ٣٠٣ مخازن . . دمرت ٤٦٢ سفينة اغرقت واحرقت .

وفي الشهور الثلاثة التالية تعرضت أكثر من ١٣٠ مدينة ومركز إلى هجمات الثوار . . بينـما شهـد الربع الثالث من العام هجمات على مئات المواقع والقواعد والمراكز العسكرية ومقرات القيادة والمطارات والموانئ والطرق في أكثر من ٤٠ مدينة رئيسية واقليمية رغم تسارع عمليات التهدئة في النصف الثاني للعام .

في الشهور الأخيرة لعام ١٩٦٩ تركزت الهجمات في دلتا الميكونغ بشكل خاص ، كما تعرضت مائة قاعدة ومركز عسكري لهجمات وقصف القوات الثورية . . وتشير البلاغات والاحصائيات العسكرية حول نتائج العام الى مقتل واصابة وأسر وفرار حوالى ٥٦٠ ألف جندي بينهم ٢٣٥ ألف أمريكي وحليف ، تدمير واعطاب ٦٤٠٠ طائرة ، ١٩ ألف آلية عسكرية بنيها ١٠ الاف دبابة ومدرعة ، ١٧٠٠ سفينة ، ٢٥٠٠ مدفعية وهاون ، ٩٠٠ مخزن ذخيرة ووقود[٦] .

نتائج العمليات العسكرية دفعت وزير الدفاع الأمريكي للمطالبة بزيادة النفقات العسكرية والقيادة العسكرية في سايجون إلى تصعيد عملياتها واللجوء إلى الدفاع المتحرك واستخدام قاذفات بـ ٥٢ والأسلحة الكيماوية بكثافة في العمليات . . . إلا أن العمليات تركت أثراً كبيراً على الجيش المحلي الذي عانى من انهيارات كبيرة ـ نتيجة خسائره في المعارك والفرار منه والانشقاقات داخله ـ بلغت حوالى ٤٠ ألف شهرياً بعد أن كانت ١٥ ألف شهرياً في العام ١٩٦٨ ، وقد حاولت قيادة الجيش تعويض تلك الخسائر عن طريق تكثيف التجنيد ، وتحويل جزء من القوات المحلية إلى قوات نظامية ، إلّا أن حالته لم تتحسن كثيراً نتيجة تدني الروح القتالية والنقص بين الضباط المتخصصين في صفوفه .

وفي المقابل فإن القوات المسلحة للجبهة زادت عدداً وعدة ، ومارست الأشكال القتالية العديدة في مختلف الجبهات ، وانضم إليها عدد كبير من القوات العسكرية لحكومة سايجون قدر بأكثر من مائة ألف .

وعلى العكس مابشر نكسون في حملة الانتخابية من تقليص نفقات الحرب وتخفيض الضرائب عن كاهل المواطن الأمريكي فإن تكاليف الحرب في العام الأول من ادارته تجاوزت ٢٨,٥ بليون دولار بينما كانت في العام السابق ٢٥,٥ بليون ، وكذلك واصل الإنتاج الصناعي الأمريكي انخفاضه وارتفعت تكاليف المعيشة وسجل ميزان المدفوعات عجزاً جديداً ، وفي نفس الوقت لم تتمكن الإدارة الجنوبية من تحقيق الإكتفاء الذاتي المطلوب وتأمين مستلزمات الفتنمة من الموارد والمصادر الطبيعية وبالتالي تخفيف العبىء المالي عن كاهلها ، لأن العجز المالي في الميزانية السايجونية ارتفع من ٤٣,٥ عام ١٩٦٩ إلى ٩٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ وأدى التضخم إلى انخفاض القيمة الشرائية للقرش المحلي فارتفع سعر الدولار في السوق السوداء من ١٨٥ قرش جنوبي عام ١٩٦٩ إلى ٤٧٢ قرش عام ١٩٧٠ ، وبينما خفضت واشنطن مساعداتها المالية من ستمائة مليون عام ١٩٦٨ إلى خمسمائة مليون عام ٦٩ إلى اربعمائة مليون عام ١٩٧ فإن نفقات الجيش الجنوبي ارتفعت من ١١١ مليون الى ٢٠٠ مليون عام ١٩٧١ .

العام ١٩٧٠ شهر توسعاً في عمليات القصف ورش الكيماويات وتعزيز الدفاعات بواسطة القوات المعادية للثورة مع عدد من العمليات الهجومية ضد المناطق المحررة والحملات البوليسية داخل المدن والمراكز السكنية ومع ذلك صعدت القوات الثورية من عملياتها في الربع الأول من العام في معظم مناطق الجنوب ، وشملت المراكز والمواقع العسكرية على الطرق ٤ ، ٩ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢١ وجنوب دانانغ ، والمطارات في بين هوا ، فوك لونغ ، بنه دنه ، بليكو واستخدمت فيها المدفعية والصواريخ ، كما شهدت سايجون عدة هجمات .

الشهـور الثـلاثـة التالية شهدت زيادة في عدد العمليات ، تركزت في وسط فيتنام الوسطى وخاصة قطاع هيب هوا ، وقد امتازت هذه العمليات بمشاركة القوى الشعبية في الهجمات وفي ضرب الإدارات الرجعية ، ومحاصرة المواقع ، ومعاقبة العملاء والجواسيس كذلك شهدت القرى الاستراتيجية تحركات ونشاطات معارضة لحوالى ٣ ملايين مواطن في أكثر من ألفي قرية استراتيجية ومعسكر احتجاز خلال النصف الاول من العام . . وكانت نتيجـة العمليات العسكـرية ٢٣٠ الف قتيل وجريح وأسير وفار بينهم ٧٠ ألف أمريكي وحليف ، تدمير واصابة ٤٢٠٠ طائرة ، ١٠ الاف آلية بينها ٦ الاف دبابة ومدرعة ، ٢٥٠ سفينة ، ١٥٠٠ مدفعية وهاون ومئات المخازن والمستودعات[٧] .

على الصعيد السياسي تصـاعدت نضالات سكان المدن بشكل مكثف بعد هجوم التيت وقيام تحالف القـوى الـوطنية والـديمقراطية والسلمية ، وساهمت قطاعات المثقفين وفئات الطبقة الوسطى في المدن المحتلة في النضال الوطني العام ، أما في المناطق المحررة فقد تعززت الإدارات الشعبية الثورية بقيادة الجبهة .

على الصعيد الدبلوماسي انضمت الجبهة الوطنية الى مفاوضات باريس من بداية العام ١٩٦٩ ، بعـد أن أصبحت ربـاعية الأطـراف ، وشـارك ممثـل الجبهة في جلسات المؤتمر ومداولاته بنشاط . وقدم مشروعاً للحل السياسي من ١٠ نقاط يدعو الى احترام الحقوق الوطنية الأساسية للشعب الفيتنامي ، انسحاب القوات الأمريكية واقامة حكومة ائتلاف وطنية تمهيداً لاجـراء انتخابات حرة وديمقراطية ، اتباع سياسة خارجية مسالمة ومحايدة ، وتحقيق الوحدة التدريجية السلمية مع الشمال ، وحذر مندوب الجبهة في المفاوضات تران كيم من محاولة واشنطن تكثيف حربها العدوانية بهدف التفاوض من مركز قوة مؤكداً عزم الشعب الجنوبي على قهر كل الصعاب ومواصلة القتال حتى النصر النهائي .

من أبرز التطورات السياسية التي شهدتها الساحة الفيتنامية في زمن الفتنمة اعلان الثورة الفيتنامية عن قيام الجمهورية الجنوبية . وتأليف الحكومة الثورية المؤقتة في الأراضي المحررة . وقد جاءت هذه الخطوة تتويجاً للانتصار العسكري على الجبهة الواسعة من ناحية وتلبية لمتطلبات المرحلة النضالية التالية .

الحكومة المؤقتة برئاسة هونيه تان فات ، والمجلس الاستشاري برئاسة نجوين هو تو اعلن عن تشكيلها خلال مؤتمر شعبي عام عقدته الثورة الجنوبية في يونيه ١٩٦٩ ، واسفر عن قيام جمهورية جديدة (على الأراضي المحررة) ذات علم ونشيد وشعار وطني خاص بها وهكذا أصبح على أرض الجنوب جمهوريتين وحكومتين وسيادتين .

تطورات على جبهة الهند الصينية :

في لاوس ساهمت المساعدات الأمريكية في زيادة عدد القوات الملكية من ١٣٠ كتيبة لعام ١٩٦٨ إلى ١٥٠ كتيبة عام ١٩٦٩ ، القوات الخاصة التابعة لغانغ باو من ٦٤ كتيبة إلى ٨٤ وزودت القوات بالأسلحة والمعدات الضرورية لشن حرب خاصة ضد المناطق المحررة . . كانت المشاركة الأمريكية فيها تشمل ١٢ ألف خبير ومستشار ، وقيام الطائرات الأمريكية بقصف مركز ومتواصل بحيث بلغ معدل الغارات الشهرية أكثر من ١٢ ألف غارة ، استخدمت فيها قاذفات ب ٥٢ ، واسفرت عن الحاق خسائر فادحة بالسكان والممتلكات من أبرز العمليات العسكرية التي تضمنتها الحرب الخاصة في لاوس عام ١٩٦٩ كانت عملية «ساماكه»[٨] التي استهدفت احتلال قواعد الثوار في سهل الجرار وشاركت فيها ٢٠ كتيبة ملكية وخاصة ، وقد نفذت في شهر مايو .

العملية الكبرى الثانية أطلق عليها « كوتيت » أي « الانتقام » التي استمرت من اغسطس ٦٩ حتى فبراير ١٩٧٠ واستخدمت فيها ٥٠ كتيبة ملكية وخاصة ٥ آلاف جندي تايلندي ، طبق فيها المهاجمون تكتيك الأرض المحروقة واسفرت عن قتل وإصابة آلاف المواطنين وتهجيز عشرات الآلاف إلى مناطق تجميع جديدة .

وأعلن ثوار لاوس أنهم ألحقوا بالقوات المهاجمة خسائر كبيرة بلغت ٢٠ ألف قتيل وجريح وأسير ، واسقاط وتدمير ٢٠٠ طائرة .

في جبهة لاوس شن الثوار سلسلة من الهجمات المضادة استمرت من بداية العام حتى يوليه تمكنوا خلالها من تحرير منطقة سينغ هوانغ بسهل الجرار ، اتوبيو ، سارافان ، والحقوا بقوات العدو آلاف الخسائر البشرية بين الجنود المحليين ومئات الخسائر بين الأمريكية والتايلنديين والسايجونيين ، ودمروا مئات الآليات العسكرية والطائرات واستولوا على كميات من الأسلحة والذخائر ، وأسفرت هذه الهجمات عن تحرير عشرات الآلاف من المواطنين .

ومن الناحية السياسية خاض الشعب اللاوسي نضالاً متصاعداً بقيادة الجبهة الوطنية وتحالف القوى المحايدة والوطنية التي أنشئت حديثاً ، وجرى تنظيم وتطوير للمناطق المحررة سياسياً واداريأ واقتصادياً ، وتعزيز للقوات الثورية النظامية والمليشيا الشعبية . .

ومن الناحية الدبلوماسية اقامت الجبهة علاقات نضالية مع العديد من القوى التقدمية والتحررية العالمية ، ونشطت للحصول على دعم عالمي لبرنامج النقاط الخمس الذي اعلنته اللجنة المركزية للجبهة في ٦ مارس[٩] والذي تضمن :

١ ـ احترام استقلال وسيادة ووحدة لاوس .

٢ ـ عدم الإلتحاق بالاحلاف العسكرية واقامة قواعد عسكرية على أراضيها .

٣ ـ احترام العرش واقامة حكومة اتحاد وطني ديمقراطية عبر انتخابات حرة .
٤ ـ اقامة حكومة مؤقتة انتقالية عبر مؤتمر استشاري وطني .
٥ ـ الامتناع عن استخدام القوة بين الأطراف اللاوسية .

في كمبوديا واصل الأمريكيون واتباعهم في سايجون اعمال الاستفزاز والتعديات على الأراضي الكمبودية براً وبحراً وجواً بحيث بلغت حتى عام ١٩٦٩ أكثر من سبعة الاف حادثة ، وشملت عمليات تخريب واسعة للمزروعات والمحاصيل ومزارع المطاط والفواكه بواسطة رش المواد السامة . وقد دشنت إدارة نكسون أول عملياتها الجوية المباشرة ضد الأراضي الكمبودية في شهر مارس ثم واصلتها في ابريل ومايو ، وكانت عبارة عن غارات سرية حملت أسماء رمزية من وجبات الطعام (. . فطور . . غذاء . . . عشاء . . الخ) لكن الإدارة الأمريكية اضطرت للاعتراف بها بعد أن فضحتها الصحافة وزعمت أنها لم تكن تستهدف كمبوديا بل مراكز القيادة العسكرية « الشيوعية » داخل أراضيها . . وانتقد كيسنجر صحافة بلاده التي « لاتعترف بفضل الغارات في حفظ حياة الأمريكيين والفيتناميين الجنوبيين ، وإنما تهتم بحجم الخسائر الأمريكية في هذه الغارات . . » .

القيادة الأمريكية تعرضت لحملة داخلية بسبب تلك الغارات فحاولت التخفيف منها بالإدعاء أن سيهانوك لم يكن معترضاً عليها لأنها ليست موجهة ضد الكمبوديين وانما ضد الفيتناميين بل أن نكسون ذهب إلى أبعد من ذلك بالقول « إن سيهانوك كان يشجع واشنطن لارغام الفيتكونغ على مغادرة الأراضي الكمبودية لأن أعدادهم تزايدت ولا يستطيع اخراجهم . . »[10] أما كيسنجر فإنه يعتبر صمت الحكومة الفيتنامية على تلك الغارات مرده عدم وقوعها على أراضيها واستعدادها للمفاوضات الثنائية في جبهة كمبوديا ، تصاعدت التدخلات الأمريكية الى حد القيام بإنقلاب ضد سيهانوك الذي كان في زيارة لموسكو ، قبل الإنقلاب كانت القوى الرجعية داخل النظام قد عززت مراكزها في الوزارة والبرلمان والجيش ، وحرضت على التظاهر ومهاجمة سفارتي فيتنام الديمقراطية والحكومة المؤقتة ، وأثارت نعرة اقليمية ضد الجالية الفيتنامية ، وتوجت ذلك في ١١ مارس باستيلاء لون نول وسريك ماتاك على السلطة في إنقلاب اعتبره نكسون « ينطوي على الشجاعة » ! .

الإنقلاب الأمريكي ضد سيهانوك دفعه إلى اتخاذ مواقف أكثر جذرية وتخلى عن موقفه المتوازن بين اليمين واليسار في البلاد ، وشكل مع القوى اليسارية تحالف وطنياً . . بعد وصوله الى بكين قادماً من موسكو اذاع بياناً الى الأمة طالبها بعدم الإعتراف بالنظام الجديد والاتحاد في النضال ضده حتى النصر مما أدى الى انطلاقة مظاهرات شعبية في العاصمة والمدن الرئيسية قمعتها قوات السلطة بالعنف . كذلك عقد لقاءات مع زعماء الصين وفيتنام وكوريا الديمقراطية الذين اكدوا له دعمهم الكامل واعترافهم بشرعيته . . . الخطوة التالية كانت

اشتراك سيهانوك في مؤتمر قمة شعوب الهند الصينية في كانتون في ٢٤ مارس الذي قرر تمتين النضال ضد الامبريالية الأمريكية وعملائها في المنطقة .

في الأسبوع الأول من ابريل أعلن عن تشكيل الحكومة الملكية للاتحاد الوطني برئاسه سيهانوك وكذلك الجبهة الوطنية المتحدة وجرى تعزيز قوات المقاومة الشعبية المسلحة[11] . التي بدأت تشن هجمات واسعة اعتباراً من ٢٩ مارس واسفرت خلال أسابيع قليلة من اكتساح مناطق واسعة وتحريرها ، واعترف الامريكيون بسقوط معظم المناطق الشرقية الكمبودية في يد الثوار لكنهم عزوا ذلك إلى « المساعدة العسكرية الفيتنامية المباشرة والتي عرضت حكومة بنوم بنه للسقوط . . » .

في ٣٠ إبريل دشن نكسون المرحلة الجديدة في سياسته الكمبودية بتجريد حملة عسكرية واسعة ضد المناطق المحررة ، استخدمت فيها ٤٠ ألف جندي سايجوني ، ٣٠ ألف جندي أمريكي ، ورغم ادعاء نكسون بان اداراته لم تقدم للون نول أكثر من ثلاثة آلاف بندقية ، وادعاء كيسنجر بأن المشاركة الأمريكية لم تتجاوز ٧٠ مستشار عسكري الا أن عدداً من الشخصيات الأمريكية سارع إلى كشف « كذب » الإدارة وتورطها الكامل في المغامرة العسكرية ضد كمبوديا ، الحملة العسكرية اطلق عليها بالفيتنامية « توانغ تانغ » وبالإنجليزية « روك كروشر »[12] وشملت جبهة طولها ٤٠٠ كم واستهدفت بشكل رئيسي منطقتي الصنارة ومنقار الببغاء ، واعتبرها الأمريكيون هجوماً مضاداً كبيراً يهدف الى تصفية قواعد الثوار ، ومنع الفيتناميين من عرقلة الفتنمة وتخفيض الضغط العسكري عن حكومة كمبوديا ومنعها من السقوط . . وأظهر نكسون اهتماماً خاصاً بها لدرجة متابعتها عبر البنتاغون واصدار التعليمات الخاصة بتكثيف القصف الجوي ضد عدد من المناطق .

الحملة المذكورة شملت ثمانية موجات هجومية بدأت من آواخر ابريل حتى أواسط مايو حين اضطرت الإدارة الى سحب قواتها البرية من المعركة نتيجة ردود الفعل الحادة التي شهدتها الولايات المتحدة لكنها في المقابل كثفت دعمها العسكري والمالي لحكومة بنوم بنه[13] .

القيادة الأمريكية تحدثت عن نجاح الحملة في تدمير مراكز القيادة العسكرية للثوار الفيتناميين والكمبوديين ، ومخازن ومستودعات الاسلحة والتجهيزات وذكرت أن أكثر من ١١ ألف موقع عسكري جرى تدميره ، وأكثر من ٢٥ ألف قطعة سلاح ١٥ مليون قذيفة وطلقة وقنبلة ولغم ، ومئات السيارات وكميات هائلة من الأرز قد جرى الإستيلاء عليها . بل أن تفائل الأمريكيين بلغ حد التأكيد على أن الثوار في تلك المناطق لن تقوم لهم قائمة بعد المعركة ، واستنجدوا بخبير العصابات تومبسون الذي بشر نكسون بأن بإمكانه تعزيز جيش سايجون وسحب القوات الأمريكية بهدوء ودون ازعاج الثوار طوال السنتين القادمتين .

القيادة العسكرية للثوار أكدت أن القوات المعادية تكبدت في الفترة من ابريل الى يونيه مقتل واصابة ٢٥ ألف وتشتيت ٢٥ ألف آخرين من القوات الرجعية الكمبودية ، اصابة ٢٠ ألف من القوات الغازية نصفهم من الأمريكيين بالاضافة الى اسقاط وتدمير ٣٠٠ طائرة ، ١٤٠٠ اليه عسكرية نصفها دبابات ومدرعات ، ١٥ سفينة ، ١٥ مدفع وكميات كبيرة من التجهيزات والتمـوين . . كذلك تم خلال الفترة مهاجمة ٥ مقرات من أصل ٦ لقيادات المناطق العسكرية وتدمير اثنين منها ، ١٢ عاصمة اقليمية من أصل ١٩ وتحرير ٤ منها ، بالاضافة إلى مئات النواحي والقرى[١٤] .

البيانات الصادرة عن العمليات العسكرية اشارت الى أن خسائر العدو تجاوزت ١٠٠ ألف جندي ثلثهم من الأمريكيين والسايجونين بين قتيل وجريح وفار خلال عام ١٩٧٠ .

النضـال السياسي للشعب الكمبودي تصاعد في مختلف المناطق واستطاعت الجبهة والحكومة الملكية أن تحشد العديد من الفئات الوطنية على اختلاف اتجاهاتها السياسية في حركة مقاومة واسعة ضد النظام الذي أصبح معزولاً ومحاصراً في المدن الرئيسية وبدلاً من أن يؤدي الانقلاب إلى هيمنة واشنطن الكاملة على كمبوديا أدى الى التفاف ووحدة شعبية كبيرة حول القوى التقدمية ، وتضامن أعمق من كل من فيتنام ولاوس .

على المستوى الدبلوماسي حصلت الحكومة الملكية على تأييد واعتراف عالمي هام ، كما قوبل بالتعاطف والدعم البرنامج السياسي للجبهة الوطنية المتحدة التي تضمن :

- الالتزام بالنضال ضد العدوان الامبريالي الامريكي والاطاحة بالنظام الديكتاتوري .
- حماية استقلال البلاد ضمن حدودها واقامة نظام حر وديمقراطي فيها .
- تنسيق النضال مع شعبي فيتنام ولاوس ، واتباع سياسة خارجية مسالمة ومحايدة .

اعادة بناء القاعدة الشمالية :

● عسكـريـاً : نفـذت القيادة الفيتنامية برنامجاً واسعاً لاعادة بناء شبكات الدفاع الجوي والوحدات الدفاعية في القوات الجوية والبحرية والاقليمية ، وشنت حملات تنافسية واسعة لوحدات الدفاع الأرضية اثناء وبعد فترة الغارات الأمريكية ، وخلال هذه الحملات كرست القيادة العسكرية اهمية قيادة الحزب كأساس لكل الإنتصارات العسكرية والأهمية الاستراتيجية لافشال الحرب التدميرية . . وقد تكثف البرنامج في اتجاهين ؛ الأول : التعبئة والتنظيم والتطوير للقوات الاقليمية ومؤائمة الاقتصاد الاقليمي للمتطلبات الحربية ، وتعزيز المنظمات المحلية الحزبية ، وعقدت لهذا الفرض سلسلة من الندوات والمؤتمرات المحلية

توجت بمؤتمر وطني لكل الشمال حول العمل العسكري المحلي عقد في يوليه ١٩٧٠ تحدث فيه نجوين جياب عن أهمية حرب الشعب المحلية والقوات المسلحة المحلية كقواعد هامة في حرب المقاومة والدفاع الوطني . . الثاني : تعزيز خبرات الشعب في المدن والمناطق الصناعية والتوفيق بين المهمة الاقتصادية لهذه المراكز والقدرة الدفاعية لها ، وعقدت في هذا النطاق عدة لقاءات ونشاطات لمراجعة حصيلة السنوات الاربع الاولى من حرب المقاومة ضد الحرب التدميرية ، وكلف جياب بتمثيل القيادة العليا في المؤتمرات المركزية التي عقدت عامي ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ وقد ركز خلال احاديثه على الأهمية الاستراتيجية لساحة المدن في حرب الشعب . . كما نظمت القيادة العسكرية عدة احتفالات للقوات الجوية والبحرية الفتية جرى التذكير خلالها على ونشر البطولات ، والأمثلة البارزة للوحدات والأفراد المبرزين في التصدي للطيران والبحرية والأمريكية .

فترة الهدوء النسبي في الغارات الجوية الأمريكية بين عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٢ تخللها عدة هجمات جوية ضد أهداف متفرقة في المناطق الشمالية مع استمرار في رحلات الاستكشاف والتجسس الجوي ، ووفق بيان الناطق العسكري الفيتنامي فإن ٥٦ طائرة قد أسقطت عام ١٩٧١ وأسر عدد من الطيارين ، كذلك اغرقت ٣ سفن للعدو .

● دبلوماسياً : في العام الأول لتطبيق الفتنمة دعا هوشي منه الأمريكيين إلى وقف الحرب لتجنب سقوط الآلاف من الشباب الأمريكي وعذابات الاف الأسر الأمريكية بلا فائدة لان فتنمة الحرب سيكون مصيرها مشابه للحرب المحدودة وحرب التدمير ضد الشمال ـ وحذر من خدعة نكسون بسحب ٢٥ ألف جندي وطالبه بالانسحاب الكامل للقوات لان « هزيمة امريكا ماثلة للعيان . . . والفيتناميون مصممون على مواصلة النضال حتى النصر النهائي »[١٥] .

تبنت حكومة فيتنام الديمقراطية داخل قاعة باريس وفي النشاطات الدبلوماسية والاعلامية الاخرى مشاريع ومقترحات السلام الذي تقدمت بها الجبهة الوطنية ثم الحكومة المؤقتة ودعت الطرف الأمريكي للتعامل معها بايجابية وفي نفس الوقت انتقدت في اكتوبر خطة كيسنجر للسلام لانها تفتقد الى تحديد لموعد الإنسحابات الأمريكية وتكرس بقاء النظام السايجوني .

كذلك انتقدت الحكومة الفيتنامية زيارة نكسون للصين ونددت بنوايا العدو الأمبريالي وحذرت من « أن نكسون يتحرك في الاتجاه الخاطىء ، لان الدول الكبرى ماعادت تقرر مصير الدول الصغيرة فذلك الوقت كان من الماضي وقد ولىّ . . »[١٦] .

● سياسياً : وقفت الحكومة الفيتنامية بحزم ضد الانقلاب الكمبودي والاطاحة بسيهانوك وفور اصداره لنداء المقاومة أعلنت هانوي تأييدها للامير الكمبودي وللجبهة والحكومة الوطنية التي جرى تشكيلها ، كذلك قام رئيس الوزراء فام دونغ بالسفر الى بكين للالتقاء بالزعيم الكمبودي وتشجيعه على اتخاذ مواقف ثورية حازمة في مواجهة الانقلاب والامريكيين وذكرت مصادر فيتنامية ان مهمة دونغ كان تشمل اقناع القيادة الصينية بدعم سيهانوك بعد أن تسربت معلومات عن امكانية تخلي بكين عنه وبعد منع السلطات الصينية لمظاهرة طلابية فيتنامية ضد انقلاب لون نول[١٧] .

● داخلياً : عمدت القيادة الفيتنامية في ظل وقف القصف الجوي الى العمل على اعادة بناء وترميم الاوضاع الاقتصادية ومعالجة السلبيات والأخطاء التي ظهرت في المرحلة السابقة ، وأطلقت لهذا الغرض سلسلة من الحملات التنافسية بين الجماهير كان أبرزها الحملة من أجل العمل والإنتاج ، والحملة من أجل السيادة الجماعية للفلاحين والحملة لرفع كفاءة الحزبيين ، وأطلق عليها الحركات الكبرى الثلاث . . وفي المجال الحزبي كان هوشي منه قد عاد مرة أخرى لشن حملة حادة على مرض الفردية ، وانتقد الكوادر غير الكفؤة والأعضاء الذين يؤثرون مصالحهم الشخصية على كل شيء وطالب قيادة الحزب في ذكرى تأسيسه في فبراير ١٩٦٩ بتجريد حملة واسعة لتعليم وتهذيب تلك الفئات عبر ممارسة جادة للنقد والنقد الذاتي والمصارحة وتنمية الروح الجماعية .

قيادة الحزب اشارت خلال هذه الفترة الى أهمية تطوير الصناعة الثقيلة استناداً الى تطوير الزراعة والصناعة الخفيفة كاحدى المهمات الرئيسية للبناء الاقتصادي للشمال ، وفي نفس الوقت تنسيق متطلبات التطور الإقتصادي مع حاجات الدفاع الوطني ، ودعت الى الالتفات لتحسين الأوضاع المعيشية للشعب .

الفصل الثاني

الفتنمة : المرحلة الهجومية ١٩٧١ - ١٩٧٢

المرحلة الثانية من الفتنمة كانت ذات طبع هجومي وارتكزت على تعزيز قوة الجيش المحلي وتكليفه بعمليات عسكرية واسعة في المنطقة، ليس في جبهة الجنوب فحسب بل في المناطق الكمبودية واللاوسية المتداخلة، مع وضع الامكانيات التقنية الأمريكية في خدمتها .

أولاً : بالنسبة لتقوية الجيش والقوات المسلحة فإنها شملت زيادة عدد أفراده من حوالي مليون إلى حوالي مليون ومائتي الف ، منهم حوالي ٥٠٠ ألف جيشاً نظامياً ، ٢٧٥ الف قوات محلية ، ٢٣٠ ألف مليشيا وحرس مدني ، ٢٠٠ ألف بوليس وأمن ، القوات النظامية نظمت في ١٠ فرق عاملة ، ٣ فرق مظلية وبحرية ومحمولة كاحتياطي استراتيجي . القوات الجوية زودت بـ ٧٧٦ طائرة جديدة، والبحرية ٩٤٠ قطعة والمدفعية ٢١٠٠ والسيارات والآليات وصل عددها الاجمالي ٤٥ ألف والرشاشات والبنادق ٩١٠ ألف بالاضافة الى ٤٥ ألف جهاز اتصال وافتخر الامريكيون باقامة أكبر جيش في جنوب شرق آسيا في دولة جنوب فيتنام التي اصبحت احدى الدول الثمانية الأولى في العالم الغربي من حيث القوات المسلحة وفق احد المصادر الفيتنامية .

ثانياً : بالنسبة الى المهمات العسكرية للقوات المحلية فإنها تضمنت هجمات عسكرية واسعة بهدف تثبيت وتطوير الخطوط الدفاعية وتدمير خطوط امداد القوات الثورية . . وحرب الكترونية وكثافة نيران امركية تساعد الهجمات العسكرية السابقة في تحقيق أهدافها . . وفي هذه المرحلة لعب الامريكيون دوراً في المؤخرة أكثر منه في المواجهة البشرية مع التدخل في مسائل القصف والنقل وتحريك القوات والاستطلاع الجوي لذا كانت خسائرهم أقل من السابق في معدلاتها. الأمريكيون كان لهم دور مؤثر في مجال قصف طرق الامداد وقواعد

الثوار الخلفية وفي استخدام وسائل الحرب الالكترونية خاصة على الطرق والممرات التي يستخدمها الثوار وفي هذا المضمار اسقط الأمريكيون آلاف الأجهزة والقطع الالكترونية فوق تلك المناطق لمراقبة أو استكشاف أو تسجيل حركة القوات الثورية ، ومن هذه الأجهزة أدسيد Adsid التي ترصد وترسل الحركة على طرق السيارات والأفراد . وهي على شكل غصون جافة تلتصق بالأرض . . . واجهزة مغناطسية وسمعية ترسل إشارات حول طبيعة الأشخاص المارين ، مسلحين أم عزلاً . . وتستقبلها اجهزة الكترونية على متن طائرات استطلاع تطير بشكل مستمر فوق تلك المناطق تقوم بدورها بنقلها الى أجهزة الكومبيوتر الموجودة في القواعد الأمريكية في جنوب فيتنام أو تايلند التي تقوم بتحليلها والتنسيق بين الأهداف المرصودة ، وأخيراً يأتي دور القاذفات في نفس القواعد للإغارة على تلك الأهداف .

بالاضافة الى الأجهزة الراصدة تلك ، أسقط الأمريكيون عشرات الانواع الاخرى ذات،المهمات المختلفة وكانت تتراوح بين الألغام والمتفجرات الصغيرة المضادة للأفراد . . وبين القنابل العملاقة زنة ٧ طن . . وبين القنابل الموجهة بالرادار . . إلى الموجهة باشعة لايزر . . .

العمليات العسكرية الإستراتيجية :

من أبرز العمليات الواسعة التي كلفت بها القوات السايجونية عمليات لام سون ٧١٩ ، توان تانغ ١ ـ ٧١ ، تشن لا ـ ٢ سهل الجرار بولوفن . . . والتي لم تقتصر على ساحة فيتنام الجنوبية بل امتدت إلى المسرح القتالي في الهند الصينية كلها . . .[١٩]

ـ عملية لام سون ٧١٩ :

في أواخر يناير ١٩٧١ شن العدوعملية ديوي كانون ٢ ـ التي أسفرت على اقامة قاعدة انطلاقة في شمال كوانغ تري تستطيع تهديد المناطق المحررة في لاوس بعد أن شطرها الى منطقتين في بداية العام . . وعلى خط موازي هدفت عملية لام سون إلى إكمال الطوق وعزل القوات الثورية في جنوب الهند الصينيةعن شمالها . . واعدت قوة تضم ٥٠ ألف جندي في ثلاث خطوط متوازية مع الطريق رقم ٩ . . الخط الشمالي يضم قوات محمولة ومظلية مهمتها التصدي لاية هجمات ثورية . . . الخط الجنوبي يضم ثلاث أفواج من المشاة ولواء بحرية والخط الأوسط يضم لواء مظلي ولواء مدرع . . للانطلاق باتجاه تشي بون على اعتباراً أنها مركز الإدارة والتموين والامداد للثوار . .

القيادة الأمـريكية ـ السـايجـونية حاولت أن تجري استعداداتها بسرية تامة لتحقيق المفاجأة الكاملة وأوعزت للقوات الرجعية اللاوسية بالقيام بعمليات ضد فالان وسارافان في غرب شي بون لتحـويل الأنـظار عن الجهـة الحقيقية . في ٨ فبراير بدأت القوات تحركها بمساندة الطيران الأمريكي الذي وفر ألفي طائرة لعمليات النقل والقصف ضمت ٥٠ طائرة بـ ٥٢ ، ونفذت ١٤٥ ألف طلعه استغرقت ٥٨ ألف ساعة طيران . . كذلك الأسطول السابع الذي شارك في عمليات الإنزال البحري والقصف المدفعي وتهديد السواحل الجنوبية لفيتنام الديمقراطية لمنعها من التدخل في القتال الدائر .

في الأيام الأولى للحملة كانت المضـادات الثـورية مفـاجـأة القتال حيث اسقطت طائرات الهليوكبتر باعداد كبيرة واخرجت القوات المظلية من المعركة ، كما تمكنت القوات الثورية اللاوسية من مقارعة القوات الرجعية في فالان والحاق الخسائر الفادحة بها ، قوات الخط الشمالي خاضت معارك ضارية من أبرزها معركة التلة ٤٥٦ ، لكنها بدأت تنهار منذ آواخر فبراير حتى تشتت وسحقت في أوائل مارس، قوات الخط الجنوبي حاولت بناء مجموعة تحصينـات في الـطريق بين الحـدود وتشي بون لكن القـوات الثورية تمكنت من مهاجمتها واسقاطها الموقع تلو الآخر . وافقادها قيمتها العسكرية . . قوات الخط الأوسط الحقت بها خسائر فادحة بعد ٤٣ يوم قتالي تشتت فيها اللواء المدرع والقوات الخاصة .

القوات الثورية الجنوبية قامت خلال أيام الحملة بمهاجمة قواعد قوات الحملة في شمال كوانـغ تري وضرب خطوطهـا وقواعدها الخلفية الادارية والامدادية . . . وهكذا فشلت أهداف العملية وأسفرت الاشتباكات التي جرت خلال ديوي كابون ٢ ، لام سون ٧١٩ عن إصابة ٢٣ ألف جندي ، إسقاط أو تدمير ٧٣٠ طائرة ، ١٤ ألف آلية بينها ٥٥٠ دبابة ومدرعة ، ٢٠٠ مدفعية ، ٤٠ سفينة ، ٤٠ مخزن ومستودع وفق البيانات الفيتنامية واللاوسية .

ـ عملية توان تانغ ١ ـ ٧١ :

استهدفت المنطقة في مربع كريك ـ سونغ ـ شهلونغ ـ سنول في شمال شرق كمبوديا ، استخدمت فيها قوات تعدادها ٢٠ ألف تضم ٥ ألوية مشاة ، ٣ أفواج مدرعة ، ٧ كتائب مدفعية يساندها اللواء الجوي الأمريكي الأول . .

هدف العملية كان تدمير قواعد الثوار الكمبوديين في تلك المناطق ومساعدة قوات الانقلابيين بقيادة لون نول ، والسيطرة على الطريق رقم ٧ حتى كومبونغ شام .

الحملة بدأت في ٤ فبراير وبعد ثلاثة أسابيع من القتال تكبدت حوالى ١٠ آلاف اصابة واسير بين جنودها وتدمير أو الاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والتجهيزات . . لكن المعارك المتفرقة استمرت بين جنود الحملة ، والوحدات الثورية حتى آواخر مايو حيث الحقت بها خسائر بشرية ومادية جديدة شملت ١٨٠٠ جندي ٢٠٠ آلية عسكرية .

تحدث الأمريكيون عن خسائر كبيرة في الجانب الآخر وزعم كيسنجر ان خسائر الفيتناميين بلغت ٤٠ بالمائة من احتياطيهم في كمبوديا بحيث أصبح الشمال الفيتنامي عاجزاً عن شن أي هجوم شامل ضد المناطق الجنوبية ، بينما ذهب رئيسه نكسون الى أبعد من ذلك حيث قال أن الأسلحة والذخائر التي فقدها الثوار تكفي لتسليح ٧٤ كتيبة[٢٠] .

عملية تشن لا ـ ٣

على أثر انتصارات الثوار الكمبوديين ومحاصرة قوات حكومة لون نول في المدن الرئيسية تقرر شن هجوم مضاد للسيطرة على الطريق ٦ الذي يربط العاصمة بمحافظات شمال البحيرة الكبرى، والسيطرة على المنطقة بين تينكوك وكومبونغ ثوم لقطع خطوط امداد الثوار وتدمير مخازنهم ومستودعاتهم . .

القوات الرئيسية للعملية ضمت ٢٠ ألف جندي كمبودي، القوات السايجونية كان دورها تهديد مؤخرة الثوار على الطريق ٧ بين كريك وكومبونغ شام، القوات الأمريكية ساهمت بالطائرات وقاذفات ب ٥٢ .

المعركة استمرت مائة يوم . . واسفرت عن ١٢ ألف اصابة واسير وتدمير أو الاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر والتجهيزات مما أجبر القيادة الكمبودية إلى سحب قوات الحملة الباقية .

وقد أسفرت العمليات العسكرية التي جرت فوق الارض الكمبودية عن مقتل واصابة وأسر ٨٠ ألف جندي بينهم ٢٠ ألف سايجوني وامريكي، واسقاط ٦٠٠ طائرة وتدمير ٢٧٠٠ آلية، ٢٠٠ سفينة، ١٥٠ مستودع .

- عملية سهل الجرار:

بعد سلسلة من العمليات الناجحة للثوار اللاوسين خلال الفترة الممتدة من مارس حتى اكتوبر والتي أسفرت عن تحريرالعديد من المدن[21] والمناطق في اجزاء كبيرة من لاوس وخاصة مرتفعات بولوفن المشرفة على لاوس السفلى وشمال شرق كمبوديا، جندت قوات ضخمة مختلطة تصل الى ٤٩ كتيبة منها ٣ ألوية من قوات فانغ باو ١٠ كتائب تايلندية تستهدف سهل الجرار. .

ودارت اشتباكات ضارية بين القوات المذكورة والقوات الثورية اللاوسية والفيتنامية في وسط سهل الجرار استخدمت فيها الدبابات والمدفعية الثقيلة، واسفرت في أواخر ديسمبر عن إصابة وأسر ٣٣٠٠ جندي واسقاط ١٧ طائرة و٣٠ مدفعية، و٢٠ سيارة عسكرية. . القوات الثورية خاضت معارك مع القوات المتراجعة الى الجنوب الغربي من السهل حتى أبواب مدينة لونغ تشنغ حيث أكبر قاعدة أمريكية في لاوس وفي الجبهة الغربية تمكن الثوار من تحرير مونغ سوي ثم سالا فوخوم على ملتقى الطريقين ١٣، ٧ ثم كيوكاخام ومونغ كاسي وسيطروا على أكثر من ٦٠ كم في المنطقة بين فانتيان ولونغ بارابانغ . . . أما في جنوب غرب السهل فقد سيطر الثوار على المواقع الدفاعية في الممرات وحرروا سام تونغ في ١٠ يناير ١٩٧٢ وبعد يومين سيطروا على لونغ تشنغ بعد تكبيد العدو أكثر من ألف اصابة. وأصبح الخط الدفاعي عن العاصمة في وضع مهتز. .

ويبدو أن القيادة الامريكية - حسب المصادر الفيتنامية[22] قد فوجئت بحجم الهجمات والقوات المشاركة ولم تكن تتوقع قدرة القيادة الثورية في الهند الصينية على نقل وحدات قوية وعديدة، كما أنها لم تضع في حساباتها وجود دفاعات جوية بين أيدي الثوار.

- عملية بولوفن:

قامت القوات اللاوسية - التايلندية والتي تضم ٣٥ كتيبة بعمليات عسكرية لمحاصرة مرتفعات بولوفن في الاسبوع الاول من ديسمبر وفي الاسبوع الثاني شن الثوار هجمات مضادة اسفرت عن تحرير سارافان، تاتنع، باك سونغ مرة أخرى. . . وخلال شهر ونصف من القتال تم اخراج القوات المعادية من المرتفعات والطريق ٢٣ حتى بان نهيك في شرق باكسي، وتكبدت ١٩٠٠ اصابة اسير والعديد من الاسلحة والذخائر.

وقد اسفرت العمليات العسكرية في لاوس خلال العام ١٩٧١ عن اصابة ٣٢ ألف جندي من القوات اللاوسية الملكية، وقوات فانغ باو، والتايلندية والسايجونية، واسقاط ٧٠٠ طائرة، وتدمير ٨٠٠ آلية، بالاضافة الى تدمير أو الاستيلاء على ١١ ألف قطعة سلاح .

اتجاهات الحركة الثورية الجنوبية :

جنوب فيتنام شهد خلال عام ١٩٧١ تصعيداً في النشاطات والعمليات الثورية اتخذت أربعة اتجاهات :

الاول:استهدف خطوط العدو الدفاعية التى بناها في المناطق الاكثر تعرضاً لهجمات الثوار وزودها باجهزة مراقبة وانذار حديثة . . وقد هوجمت تلك المواقع الدفاعية في دونغ ثري ، باتوم ، دونغ شي ، والتلة ٥٤٤ خلال الفترة من يونيه حتى اغسطس والحقت بالامريكين والسايجونيين خسائر كثيرة حيث دمرت كتائب كاملة . . وفي مارس وابريل هوجمت المواقع على القطاع الساحلي بين دانانغ وكوانغ نجاي مما أدى الى تدمير كتيبة سايجونية وعدد من القوات الامريكية ، وفي مارس ويونيه هوجمت المواقع بالمنطقة الحدودية في كونتوم ـ داك تو في المرتفعات مما أدى الى قتل واصابة حوالي الف من الجنود السايجونية والخبراء الامريكيين.

الثاني: استهدف دفاعات وقلب العاصمة سايجون ، حيث شن الثوار هجمات على الحزام الأمني حول سايجون في قطاع تاي نينه في الفترة من مايو حتى سبتمبر، وفي داخل منطقة سايجون هاجم الثوار مقر الفوج ٤٤ في سونغ ماو في مارس . . ومقر الفوج ٤٩ في زاوتنع ، ومقر الفرقة ١٨ في ترونغ سون في يونيه وقاعدة ترانغ سون في سبتمبر، ومقر الفرقة الخامسة في لاي خي في ديسمبر حيث تكبد العدو في هذه المراكز أكثر من الفي اصابة بين جنود سايجون والخبراء والضباط الامريكيين بالإضافة الى الأسلحة والمعدات .

الثالث: استهدف القواعد الامريكية الرئيسية ، حيث هوجمت قواعد دانانغ على التوالي في فبراير ويونيه واغسطس وسبتمبر، وهوجمت قاعدة ديوسون قرب كوي نهون ست مرات خلال النصف الاول للعام تكبد العدو خلالها ٥٠ ألف طن ذخائر وكمية كبيرة من الوقود ، هاجم الثوار قاعدة التدريب في نهاترانغ في ابريل ومستودعات أوفونغ للوقود قرب كام رانه في مايو ، وثلاث مستودعات ذخيرة في كام رانه في اغسطس ، وفي المنطقة الساحلية بين دانانغ وكام ران هاجم الثوار في فبراير ٨ قواعد جوية وبرية وقيادة احدى الفرق الأمريكية ومقرات ٣ أفواج ، ٢٣ موقع عسكري . . الحقت بالعدو خلالها الاف الخسائر البشرية وكميات كبيرة من التجهيزات والأسلحة .

الرابع : استهدف افشال سياسة التهدئة . . . وهوجم في فبراير ١٦ مركزاً مدينياً على الساحل جنوب دانانغ ، وفي مارس وابريل اجبرت الانتفاضات الشعبية في دوك زوك قرب دانانغ على الغاء القرى الاستراتيجية في مساحة ٣٠ كم ، وفي مايو حطم الثوار الإدارات السياسية والمراكز العسكرية في اقليم داي لوك . . وشهدت منطقة الهضات العليا وخاصة حول فونيهون نضالاً ناجحاً ضد التهدئة في الفترة من مارس حتى يونيه ، كما شهدت مناطق غابات أو منه طوال العام صراعاً متواصلاً ضد التهدئة وفي اغسطس هاجم الثوار معسكرات اقليم تانغ نبه . . واسفرت هذه النضالات ضد النهدئة عن اصابة أكثر من ٢٠ ألف جندي سايجوني وعدة مئات من الامريكيين ودمرت عشرات الطائرات والسفن والمعسكرات والقرى الاستراتيجية وقطع المدفعية والآليات، وتحرر عشرات الآلاف من المواطنين في كل منطقة.
وقد أفادت احصائية للعمليات العسكرية الفيتنامية لعام ١٩٧١[٣٣] أن القوات المعادية تكبدت خسائر بشرية وصلت الى ٢٣٠ ألف جندي بين قتيل وجريح وأسير منهم ٢٠ ألف أمريكي وحليف أما الخسائر المادية فبلغت ٢١٠٠ طائرة ، ٧ آلاف آلية ، ٥٠٠ عربة نقل جديدة ، ٤٥٠ مدفعية ، ٥٦٠ مخزن ومستودع . . بالإضافة الى تحرير ملايين المواطنين من القرى الاستراتيجية ومعسكرات التجمع .

الهند الصينية : جبهة متشابكة

حمل العام ١٩٧٢ معه وضعاً عسكرياً متشابكاً ومتداخلاً في ساحة الهند الصينية ، إلا أن السمة العامة لهذا الوضع كانت ايجابية لصالح القوات الثورية ، وبشكل خاص في الجبهة اللاوسية التي رغم الحشود العسكرية للقوات الملكية النظامية والقوات الخاصة لفانغ باو والقوات التايلندية . إلاّ أن القوات الثورية تمكنت من توجيه ضربات مؤثرة ضدها وحافظت على مساحات واسعة واستراتيجية محررة بعد تحطيم دفاعات العدو في سهل الجرار الذي يحمي شمال شرق العاصمة ومرتفعات بولوفون التي تحمي شرق باكسي. وبالتالي كشف مؤخرة العدو . .
في النصف الاول من العام تمكنت القوات الثورية من احباط اهداف حملة فصل الجفاف التي استمرت ٦ شهور والحقت بالعدو خسائر كبيرة شملت اصابة واخراج ١٥ الف جندي لاوسي وتايلندي من المعركة ، تدمير والاستيلاء على ٤٢٠٠ قطعة سلاح ، ١١٢ سيارة ، ١١٧ طائرة ، تحرير الآف المواطنين وثلاثة عواصم اقليمية .
وفي النصف الثاني من العام شن العدو هجوماً على جبهة امتدت من جنوب لاوس حتى سهل الجرار في شهري اغسطس وسبتمبر لكنه لم يحقق النتائج المرجوة وتكبدت القوات المعادية خلاله ١٤٠٠ اصابة . . وأصبح من المتعذر على الامريكيين التغلب على الحقائق العسكرية التي تثبتت على الارض في الجبهة اللاوسية لذلك وافقوا على دخول حلفائهم في

فانتيان في مفاوضات مع قيادة الثورة اللاوسية .

- الجبهة الوطنية اللاوسية صعدت من تحركاتها السياسية والدبلوماسية، وتعزز التنسيق الدبلوماسي مع فيتنام الديمقراطية بموازاة التنسيق العسكري وقام وفد من الجبهة برئاسة نوهاك سافان بزيارة هانوي في اغسطس وفي سبتمبر اعلن الامير سوفانا فوما في فانتيان موافقة حكومته على اجراء المفاوضات الرسمية مع الجبهة الوطنية التي بدأت بالفعل في ١٧ اكتوبر واستمرت حتى توقيع اتفاق السلام .

- على الجبهة الكمبودية انهمك النظام في مضاعفة القوات الجمهورية النظامية بمساعدة الامريكيين لكنها لم تبل بلاءاً حسناً في ساحة القتال، وتمكن الثوار من تحطيم الدفاعات حول العاصمة في أكثر من منطقة، تول ليب وبات دنغ في شمال غرب فنوم بنه، سلاب لينه في شرقها ، مما اضطر لون نول الى اعلان حالة الطوارىء في مارس وركز في يده كل السلطات الهامة رئاسة الدولة - الحكومة - قيادة الجيش ، كما قام بحل الجمعية الوطنية وتعليق الدستور ، إلّا أن الثوار قاموا بتشديد الحصار على العاصمة ، والمناطق المحيطة وقصف المطار والاذاعة ومواقع عسكرية هامة . . وفي إبريل تمكن الثوار من تحرير مدينة كومبونغ تراك ، في أواخر مايو انتهت عملية تشن لا - ٢ بالفشل وخاضت القوات الثورية سلسلة من المواجهات العسكرية الناجحة التي اسفرت عن مقتل واصابة وفرار ٥٦ الف جندي واسقاط وتدمير ٧٢ طائرة ، وتدمير والاستيلاء على ٣٢٠ آلية خلال النصف الاول من العام .

في نوفمبر نفذ الثوار عدة هجمات ضد قواعد ومراكز الجيش على الطريق ٤ ، ٥ ، مما دفع القيادة الأمريكية الى إرسال قاذفاتها في عمليات قصف مكثفة لنجدة قوات النظام .

على المستوى السياسي جرى عزل النظام الرجعي تماماً شعبياً ، وفي المقابل تم بناء الاسس الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز السلطة الثورية في المناطق المحررة التي مارست صلاحيات الحكومة الشرعية ، اقتصادياً نفذت مشاريع لاستصلاح الاراضي وتحسين وسائل الزراعة وزيادة الانتاج واقيمت التعاونيات في المناطق الريفية والجبلية على حد سواء ، وشهدت المناطق المحررة حملة لرفع مستوى التعليم الابتدائي والثانوي ، ومحو الأمية « وافسح المجال أمام المرأة لكي تشارك في النضال وتؤدي مختلف المهام التي يقوم بها الرجل »[٢٤] .

على المستوى الدبلوماسي شاركت الحكومة الملكية كعضو في مؤتمر قمة عدم الانحياز الذي عقد في جورج تاون في اغسطس ، وقامت القيادة بعدة نشاطات لتوطيد علاقاتها مع القوى التقدمية ، ولتعزيز التنسيق مع الحكومة الفيتنامية وساند سيهانوك خلال زيارته لهانوي في أواخر اكتوبر موقف الفيتناميين في المفاوضات مع واشنطن .

في جبهة جنوب فيتنام ، رغم نجاح الأمريكيين وثيو في بناء قوات عسكرية ضخمة العدد والعدة إلّا أن الوضع العسكري العام في الجبهة كان يشير الى دفاعية موقف هذه القوات المنتشرة والموزعة في انحاء عديدة من البلاد ، كما أن تشكيلات الفرق والألوية لم تكن

متماسكة بسبب عمليات اعادة التشكيل التي خضعت لها نتيجة الخسائر التي لحقت بها في المعارك ونتيجة لعمليات الفرار الواسعة التي شهدتها . . وتشير القيادة العسكرية الفيتنامية الى أن القوات المعادية سواء في جنوب فيتنام أو لاوس أو كمبوديا كانت تعاني من انحطاط الحالة المعنوية والافتقار الى الروح أو الخبرات القتالية ، وفي المقابل كانت القوات الثورية في البلدان الثلاث قد أصبحت عام ١٩٧٢ أكثر قوة عدداً وتسليحاً وتجهيزاً ، أكثر تجربة قتالية ، وشكلت جبهة موحدة واسعة امتدت من حدود الصين شمالاً حتى أبواب سايجون وقنوم نبه جنوباً .

في فبراير نفذ الثوار الفيتناميون ٦٥ عملية هجومية ضد أهداف سايجونية وامريكية كان أبرزها قواعد يين هواءفولوي ، فان رانغ ، باسوين ، بن لاك . . وخلال الفترة من أواخر مارس حتى أواخر ابريل شن الثوار هجوماً شاملاً على جبهات كوانغ ثري ، والمرتفعات الوسطى ، وسايجون استخدمت فيها المدفعية والدبابات الى جانب قوات المشاة ، حيث أمكن في ٣ ابريل تحرير معظم محافظة كوانغ ثري ، وفي ٤ إبريل هوجمت لوك نينه وان لوك شمال غرب سايجون ، وفي ٢٤/ إبريل حررت داك تو ، تان كان في المرتفعات الوسطى ، وضربت دفاعات كونتوم وفي أول مايو تمكن الثوار من تحرير عاصمة كوانغ ثري (مدينة دونغ ها) البالغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف[٢٥] .

في النصف الأول من العام خسرت القوات العميلة عدداً من كبار ضباطها ، أما بسبب مقتلهم أو اعفائهم من مناصبهم نتيجة عدم كفاءتهم ، ومنهم اللواء فان سون نائب قائد المنطقة العسكرية الاولى ، والجنرال هوانغ لام قائد الجيش الاول ، نجودو قائد الجبهة في المرتفعات الوسطى ، فو جياي قائد الفرقة الثالثة ، كذلك قتل عدد من المستشارين العسكريين الأمريكيين أبرزهم المستشار العسكري للمنطقة الثانية في يونيه ومستشار المنطقة الثالثة في يوليه . النصف الثاني من العام ، بدأ بحملة عسكرية مضادة شنتها القوات السايجونية تحت اسم لام سون ـ ٧٢ في جبهة كوانغ ثري واستمرت من أواخر يونيه حتى أواخر يوليه ، شاركت فيها ٢٠ ألف جندي واسفرت عن نجاح القوات المعادية في احتلال العاصمة دونغ ها وعدد من المناطق المجاورة ، مع بقاء معظم ريف المحافظة تحت سيطرة الثوار ، وقد استخدام الطيران بكثافة في معركة كوانغ ثري (٢٠٠ ـ ٣٠٠ طائرة يومياً)[٢٦] ، وفي أغسطس خاض الثوار معركة ضارية استمرت ثلاثة أيام في محافظة كوانغ تام اسفرت عن تدمير القطاع العسكري في كوي سون وقاعدة كام دوي . . . وفي ديسمبر هاجم الثوار مطار وقاعدة تان سون هات في سايجون وافادوا بتدمير ٥٠ طائرة ومخزنين للوقود ، ومقتل ٢٣٠ جندي أمريكي وسايجوني .

وفي هذه الفترة قتل عدد آخر من كبار ضباط العدو منهم العقيدنجوين باو نائب قائد الفرقة المظلية في كوانغ ثري ، وترونغ فونغ نائب قائد المنطقة الثانية ، ومعهما عدد من المستشارين العسكريين الأمريكيين

القيادة العسكرية للقوات الثورية حددت المهمات العسكرية الرئيسية لعام ١٩٧٢ في ضرب النظام الدفاعي للقوات المعادية تدمير القوات المتحركة الرئيسية ، تحييد قوة النيران الجوية والبحرية الأمريكية الكثيفة وامداد القوات الثورية لمواصلة هجوم واسع ومتواصل . . وحسب البلاغات العسكرية الصادرة عن عمليات ١٩٧٢ فإن حوالى ٥٠٠ الف جندي قد غادروا الخدمة في الجيش السايجوني نتيجة مقتلهم أو اصابتهم أو فرارهم ، كما تم اسقاط واحراق واعطاب حوالى ٢٥٠٠ طائرة ، وحررت مناطق جديدة يقطنها حوالى ٥ مليون مواطن[٣٧] .

القيادة الامريكية بدورها كثفت امدادات السلاح والتجهيزات للجيش الجنوبي ، وبشكل خاص بالطائرات، مما دعى وزارة خارجية الحكومة المؤقتة الى استنكار هذه الخطوة التي جاءت رغم توصل الأطراف المعنية في مفاوضات باريس الى اتفاق سلام مبدأي ، في نوفمبر .

أوضاع حكومة سايجون ازدادت سوءاً مع تدهور الموقف العسكري لقواتها واضطر ثيو لاتخاذ اجراءات قمعية جديدة في مايو ، يوليه ، نوفمبر تناولت شؤون الصحافة والمظاهرات ، والمواد التموينية ، إلاّ أن عدداً من النواب أعلنوا عدم شرعية أو قانونية اجراءات الرئيس الذي اهتزت صورته أكثر بعد نشر معلومات امريكية حول تورطه في تجارة المخدرات وبعد إقالة وزير الدفاع بتهمة الإختلاس !

في المقابل أوضاع الحكومة الثورية المؤقتة ازدادت صلابة من الناحية السياسية في المناطق المحررة وفي المدن المحتلة على حد سواء . . . ومن الناحية الدبلوماسية في المؤتمرات واللقاءات الدولية حيث قبلت عضواً في مؤتمر جورج تاون للدول غير المنحازة ، وتمتعت بتأييد لقاء فرساي الدولي للتضامن مع شعوب الهند الصينية الذي يشارك فيه مندوبون من ٨٤ دولة ، واعترفت بها وأقيمت علاقات دبلوماسية مع بلدان جديدة : الصومال ، تشيلي غينيا .

القاعدة الآمنة : الأيام العصيبة :

الأوضاع في فيتنام الديمقراطية ظلت هادئة واستمر العمل في البناء والتطوير حتى اصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تصريحاً في مارس هددت فيه بالعودة الى استخدام الحرب التدميرية الجوية وفي ابريل اعلن عن استئناف القصف رسمياً ضد أهداف داخل أراضي فيتنام الديمقراطية بحجة الانتقام من الهجمات العسكرية الواسعة في الجبهة الجنوبية ، في مايو ثم تلغيم الموانيء الشمالية وحصارها وتكثيف القصف بأوامر شخصية من الرئيس نكسون ، واعلن البنتاغون بكل صراحة أن كل الأهداف الفيتنامية ستكون مباحة أمام قاذفات ب ٥٢ . موجات القصف الجوي والتلغيم استؤنفت في أواخر يونيه وفي اكتوبر لكن

أكثرها ضراوة وقعت في الفترة من ١٨ ـ ٢٩ ديسمبر حيث استخدمت فيها أكثر من ٥٠٠ طائرة عادية ، ١٣٠ طائرة ب ٥٢ بشكل يومي وتركز القصف على هانوي وهايفونغ حيث اصيبت عدة سفارات وسفن اجنبية[٢٨] في نطاق الإعداد للعمليات المذكورة قامت الإدارة الأمريكية باحداث بعض التغييرات في القيادات العسكرية في فيتنام ، حيث حل الجنرال وايند محل الجنرال ابرامز في قيادة القوات الأمريكية ، وأرسل ابرامز لرئاسة الأركان وعين الجنرال جون فوجيت قائداً للقوة الجوية الأمريكية السابعة ، مسؤولاً عن العمليات الجوية في جنوب شرق آسيا . . أما نكسون فقد وضع نصب عينيه تحقيق ضغط كبير على القيادة الفيتنامية في هانوي ، لوقف مساندتها للعمليات في الجنوب ، واستئناف مفاوضات باريس ، واستخدم في ذلك ثقلاً عسكري جوياً لم تشهده فيتنام سابقاً لتدمير صناعتها واقتصادها ومشاريع المياه والسدود ولإلحاق خسائر بشرية فادحة في السكان ، وفي نفس الوقت حاول محاصرة النفوذ الفيتنامي في كل من بكين وموسكو حيث زار الاولى من ٢١ ـ ٢٨ فبراير ، والثانية من ٢٢ ـ ٣٠ مايو ، واعلن في أواسط اكتوبر انه لن يوقف القصف الجوي مجاناً ، وبلا شروط كما فعل جونسون !

في هانوي حذرت قيادة الحزب منذ بداية استئناف القصف من المغامرة العسكرية الأمريكية الجديدة وطالبت الشعب والقوات المسلحة بالصمود والاستعداد لقبر هذه المغامرة واسقاط المزيد من الطائرات المعادية . .

المتحدث الرسمي في هانوي اعلن قيام الأمريكيين بتنفيذ ١٧٧ مهمة جوية ضد السدود والخزانات استخدمت فيها مئات القنابل الثقيلة ، وآلاف القذائف البحرية في خلال شهرين ، بالاضافة الى قصف ٤٩ مؤسسة صحية ، وذكرت مصادر الخارجية الفيتنامية أن القصف طال ١٨ محافظة من أصل ٢٣ ، ٦ مدن رئيسة ١٨ عاصمة اقليمية من أصل ٧١ وأن تدميراً كلياً لحق بمدن فينه وهونغ أي ، نينه أي ، هاتنه ، دونغ هوي ، وتعرضت هايفونغ ونام دنه لتدمير جزئي وأصيبت ٦٠ مدرسة حتى شهر أغسطس، بينما أصابت غارات ديسمبر ٣٥٣ هدف في منطقة هانوي وحدها . .

الناطق العسكري الفيتنامي أجمل الخسائر الأمريكية فوق الشمال منذ ابريل حتى وقف الغارات شمال خط العرض ٢٠ في أواخر ديسمبر ٧٣٢ طائرة بينها ٥٤ من طراز ب ٥٢ ، ١٠ من طراز ف ١١١ ، وإصابة ١١٧ هدف بحري ، مقتل وأسر مئات من الطيارين والملاحين .

القصف الأمريكي اثار موجة جديدة من الانتقادات الحادة داخل المجتمع والادارة الأمريكية وخاصة الحرب ضد الاهداف المائية التي حاول نكسون التنصل منها[٢٩] . . وقامت لجنة للتحقيق في جرائم الحرب بعد زيارتها لشمال فيتنام بتأكيد المعلومات حول قصف

المدارس والسدود والمستشفيات والمعابد والمراكز السكانية البعيدة عن الأهداف العسكرية ، وأكد ذلك وفد المسيحيين الأمريكيين بعد زيارته الكنائس وأماكن العبادة المدمرة .

الحكومة الفيتنامية شنت حملة دبلوماسية واسعة في العالم ، وشهدت هانوي حركة سياسية مكثفة وزارتها عشرات الوفود الاجنبية للتضامن والتأييد[30] ، أبرزها زيارة بودغورني في يونيه ، وفد الحزب الشيوعي الأمريكي وبعض الشخصيات الاجتماعية الأمريكية ، وطالب محافظو المدن الشمالية زملائهم في العالم بالتحرك لمنع نكسون من تدمير المدن وإبادة سكانها في شمال فيتنام .

وقامت وفود فيتنامية بزيارة الى الخارج للحصول على دعم عسكري واقتصادي ودبلوماسي ، كان أبرزها زيارة لى تانه نجهي نائب رئيس الحكومة لبكين وموسكو والتوصل الى اتفاقيات للمساعدات الاقتصادية والعسكرية ومشاركة ترونغ تشنه في الاحتفالات الخمسينية في موسكو .

في أوروبا عقدت الأحزاب الشيوعية والعمالية اجتماعاً تضامنياً مع الشعب الفيتنامي في باريس ، استنكرت فيه سياسة نكسون وقصف فيتنام الديمقراطية ، في أسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية عقدت ندوات واجتماعات تضامنية وسارت مظاهرات في مئات العواصم والمدن معادية للادارة الامريكية .

لكن الضربة الجوية الأمريكية القاسية لم تكن إلاّ المشهد الأخير لاستعراض « القوة » الأمريكية قبل البدء في الانسحاب الامريكي « المشرف » المنشود من الهند الصينية ، وأعلن نكسون أنه بذلك القصف أجبر الفيتناميين على توقيع اتفاقية باريس أما الفيتناميون فقد اعتبروا اخفاق الحرب العدوانية ضد الشمال وحرب الفتنمة في الجنوب والتحولات العسكرية في ساحة الهند الصينية كاملة هو الذي قاد الى اتفاقية باريس في ٢٧ يناير ١٩٧٣ وتشكيل اللجنة الدولية للرقابة والإشراف واللجنة الرباعية المشتركة .

اتفاقية باريس قادت استراتيجية الفتنمة الى عنق الزجاجة ، وبصرف النظر عن التنازلات الشكلية التي قدمتها حكومة هانوي فيها إلاّ أن نتيجتها الرئيسية الهامة كانت خروج القوات الأمريكية من المنطقة خلال ستين يوماً ، وهذه الحقيقة المرّة بالنسبة لحكومة سايجون لم يخفف من أثرها كل الضمانات التي اعطيت ولا كل الاسلحة والتجهيزات الحديثة التي تركتها القوات الأمريكية لها[31] . من جانب آخر ، دفعت واشنطن حكومة فانتيان الى توقيع اتفاقية سلام مع ثوار الباتيت لاو بمساعدة الفيتناميون في ٢١ فبراير اسفرت عن تأسيس حكومة اتحاد وطني مؤقتة ومجلس سياسي ائتلافي بمشاركة متساوية بين الطرفين . . وفي الجبهة الكمبودية حاولت واشنطن وكذلك حكومة فنوم بنه التوصل إلى اتفاق مماثل لما جرى في لاوس مع ثوار كمبوديا إلاّ أنهم رفضوا كل العروض الأمريكية كما تجاهلوا مبادرتي

وقف اطلاق النار الحكومية في ٢١ يناير ، ووقف الغارات الجوية الأمريكية على المناطق المحررة ، وواصلوا عملياتهم العسكرية مؤكدين أن برنامج النقاط الخمس هو الأساس الوحيد للتوصل الى تسوية سلمية للمشكلة .

في أواسط العام ١٩٧٣ كانت القوى الثورية والقوى الرجعية في فيتنام وجهاً لوجه وأخذ الصراع بينهما في غياب الثقل العسكري الأمريكي ملامحه الأصلية وأعد كل من الجانبين خطته لتحجيم الطرف الآخر تمهيداً للقضاء عليه ، وبذلك تكون الفتنمة قد دخلت مرحلة جديدة بقوى محلية متداخلة على ساحة واحدة .

الفتنمة : مرحل صراع البقاء

الفترة التي اعقبت وقف اطلاق النار شهدت نشاطاً محموماً من قبل حكومة سايجون والحكومة الثورية المؤقتة لتوسيع الأراضي التي تسيطران عليها ولتحسين موقفهما العسكري ، وحسب التقارير الأمريكية فإن عدة معارك جرت بين الجانبين لهذه الغرض .

في الشهر الأول اتهم الأمريكيون الثوار الفيتناميين بارتكاب مائتي مخالفة كبيرة لاتفاقية باريس تضمنت ادخال ١٧٥ شاحنة ، ٢٢٣ دبابة الى المناطق الجنوبية وخاصة عبر لاوس وكمبوديا ، وبان حكومة هانوي لاتحترم خطوط ونقاط الهدنة المتفق عليها لذلك امرت القيادة الأمريكية قاذفات ب ٥٢ بقصف ممر هوشي منه .

وفي الشهر الثاني اتهم الأمريكيون هانوي بإدخال ثلاثين الف جندي وثلاثين الف طن ذخيرة وتجهيزات حربية منها أربعمائة دبابة وثلاثمائة مدفعية ميدان ومضادات . . واستنجدت واشنطن بالإتحاد السوفييتي للضغط على هانوي لوقف « انتهاكاتها » للاتفاقية ، وعندما لم يفلحوا هددوا باستخدام القوة مباشرة ضد فيتنام الديمقراطية لردعها ! لكن ذلك التهديد لم يغير من حقيقة أن العلم الأمريكي جرى إنزاله في ٢٩ مارس وأن آخر وحدة عسكرية نظامية أمريكية بقيادة العقيد أوديل . قد غادرت سايجون في نفس اليوم .

في الشهور الثلاثة التالية كررت واشنطن تهديداتها للفيتناميين ، ؛ أحياناً بالمذكرات المتبادلة واحياناً اخرى على لسان كيسنجر مباشرة[٣١] الذي اعتبر الردود الفيتنامية على الاتهامات الأمريكية « اهانة لحكومة وشعب امريكا » !

التهديدات الأمريكية كانت مصدر رجاء وأمل بالنسبة لحكومة سايجون التي كانت تعتقد بجدية الالتزام الأمريكي ، أما بالنسبة للثوار الجنوبيين فقد كانوا على قناعة بعدم قدرة

الإدارة الأمريكية على تنفيذ تلك التهديدات لأن موقف الأغلبية في مجلس النواب والشيوخ يقضي بوقف الاعتمادات المالية لاية عمليات عسكرية في الهند الصينية ، والرئيس نفسه لايستطيع اتخاذ قراراته في هذا الشأن دون الرجوع الى الهيئة التشريعية ، حتى تلك الاعتمادات المالية المقررة لعمليات القصف الجوي في كمبوديا ، أوقفها مجلس النواب في مايو ، مما اضطر الرئيس لاصدار أوامره بوقف القصف اعتباراً من منتصف شهر اغسطس . .

بهذه الصورة تكون الساحة الجنوبية العسكرية قد اصبحت مقتصرة على الطرفين الفيتناميين الجنوبيين ؛

- الطرف السايجوني مدعوماً بأكثر من عشرة آلاف خبير ومستشار امريكي ووعود بالتدخل الأمريكي الرادع عند الحاجة .

- الطرف الثوري مدعوماً بالقوة البشرية والمادية لفيتنام الديمقراطية « المقيدة » نظرياً حسب اتفاقية باريس .

الخطة العسكرية الجنوبية :

منذ تسربت الأخبار الأولى عن مشروع اتفاقية باريس[٣٣] في الربع الأخير من عام ١٩٧٢ نشط العسكريون الجنوبيون في وضع الاستراتيجية العسكرية للمرحلة الجديدة من الصراع ، آخذين بعين الإعتبار بالطبع المساندة الأمريكية اللازمة عند التنفيذ ، الاستراتيجية الجنوبية استهدفت « تهدئة » المناطق الجنوبية خلال ثلاث سنوات واشتملت على ثلاث مراحل ؛ تبدأ الأولى في مارس وتنتهي في اغسطس ١٩٧٣ ويتم خلالها استعادة المناطق التي حررها الثوار منذ أواخر ١٩٧٢ ، وتبدأ الثانية في سبتمبر ويتم خلالها اكتساح المناطق المحررة الجنوبية والوسطى على أن تنتهي في ١٩٧٤ لتبدأ المرحلة الأخيرة بهدف تصفية الوحدات النظامية للثوار ، وبناء القوة الرادعة حتى نهاية ١٩٧٥ . لتنفيذ تلك الخطة العسكرية اتخذت حكومة سايجون سلسلة من الإجراءات العسكرية والتعبوية :

- أعلنت عن تشكيل الجبهة الشعبية للدفاع عن السلام وتحقيق تقرير المصير ، ورفضت المشاركة في تشكيل مجلس الوفاق والمصالحة وفكرة الحكومة الائتلافية ، التي نصت عليها اتفاقية باريس .

- رفعت قوات الجيش النظامية الى أكثر من سبعمائة الف جندي عبر التجنيد واستدعاء الاحتياط ، وزادت قوات الدفاع المدني (الحرس) من ١,٢ مليون الى ١,٥ مليون بينهم أربعمائة الف مسلح ، وحولت قوات الأمن الى وحدات متحركة داخل المناطق العسكرية التابعة لها .

ـ في مجال الأسلحـة جرى التركيز على المقاتلات التكتيكية والهليوكبتر ، واستبدلت الـدبابات القديمة بأخرى حديثة من طراز م ـ ٤٨ ، وجرى الاستفادة من المستشارين والضباط الامريكيين الذين استبقوا في الجنوب .

ـ قام رئيس النظام نجوين ثيو بزيارة لواشنطن في ابريل للتأكد من صلابة الموقف الأمريكي ولطلب المزيد من المساعدات وحصل على وعد من نكسون بزيادة قيمة المساعدات العسكرية المقررة للسنة المالية ١٩٧٤ / ١٩٧٥ .

ـ تم تحشيد القوات المسلحة الجنوبية في قطاع عسكري طويل يمتد من كوانغ تري شمالاً حتى الـدلتـا الجنوبية ، يتراوح عرضه بين ٣٠ الى ٥٠ كم ، بحيث يستطيع تلبية متطلبات عمليات الإجتياح والتمشيط .

على طريق تنفيذ المرحلة الأولى من خطة التهدئة شنت القيادة السايجونية سلسلة من العمليات العسكرية الكبيرة والمحدودة بلغت أكثر من ثلاثمائة الف عملية[٣٤] حسب المصادر العسكـرية الشـمالية ، استخدمت فيها حوالى ٦٠ بالمائة من قواتها العسكرية ، وشملت مناطق ترا هوين ، شمال كونتوم ، تين غي ، تيونغ هين ، نوي زاي ، تشيتون .

وخلال هذه الحملات تم اعتقال حوالى ٦٠ ألف مواطن بتهمة العمل على تطبيق اتفاقية باريس ، كما تم تجميع مليون وستمائة وخمسين ألف مواطن في ثلاثمائة وثلاثين قرية جديدة يديرها ويشرف عليها سبعة عشر ألف موظف ورجل أمن .

الخطة العسكرية للثوار :

على عكس الحكـومة السايجونية فإن الحكومة المؤقتة للثوار لم تتبرم من الاتفاقية بل اعلنت أكثر من مرة عن تأييدها والتمسك بها باعتبارها انتصاراً للقضية الوطنية ، وخلال الشهور الاولى شاركت بنشاط في كافة اللجان العسكرية والفنية التي نصت عليها الاتفاقية وسعت الى اقناع العالم برغبتها في عودة السلام الى جنوب فيتنام ، وحصلت على اعتراف المزيد من البلدان الأجنبية بها وفي سبتمبر ١٩٧٣ قبلت في مؤتمر قمة عدم الإنحياز في الجزائر عضواً كاملاً من قبل ثمانين دولة مشاركة ، واعتبرت ممثلاً شرعياً للشعب الجنوبي بينما لم تقبل عضوية حكومة سايجون .

في مرحلة ثالثة صعـدت الحكـومـة المؤقتة من لهجة بياناتها المطالبة بإنهاء التدخل الأمـريكي بكـافة اشكاله في شؤون فيتنام . وطالبت باسقاط حكومة ثيو لرفضها السلام وإستبدالها بحكومة راغبة في تنفيذ اتفاقية باريس . . وعلى خط موازٍ كان . . . . .

النشـاط العسكري للثوار ينتقل بدوره تدريجياً من حالة الدفاع الى الهجوم ، ففي النصف الأول من العـام ١٩٧٣ كانت مهمـة الـوحـدات المسلحـة تثبيت والحفـاظ على

الانجازات العسكرية التي تحققت في بداية العام . وفي النصف الثاني خاضت الوحدات الثورية عشرات الآلاف من المعارك والاشتباكات على مختلف الجبهات لاحباط الهجمات التي تعرضت لها المناطق المحررة من ناحية ، وللحفاظ على المناطق المحررة المتداخلة على الحدود المشتركة مع كل من كمبوديا ولاوس طوال العام ١٩٧٣ .

أما حكومة هانوي فإنها ظلت تصدر المذكرات حول انتهاكات الطرف الآخر المتعددة للاتفاقية وابرز تلك المذكرات « الكتاب الأبيض » الذي اصدرته الخارجية في هانوي في مايو حول الانتهاكات الأمريكية والسايجونية وعند حلول الذكرى الاولى لتوقيع الاتفاقية تحدثت هانوي عن أكثر من ٣١٢ الف انتهاك شملت ٢٢٦ ألف عملية عسكرية ، ٣٥ ألف عملية تحرش ، ٣٥ الف عملية اطلاق نار ، ١٥ ألف غارة فعلية واستطلاع جوي ، وأكدت بقاء ٢٠٠ الف اسير سياسي ، ١٥ الف أسير حرب في معتقلات سايجون .

بين النشاطات العسكرية الدفاعية للثوار الجنوبيين والنشاطات الدبلوماسية الكثيفة للشماليين شهد العام الاول انجاز المرحلة الأولى من أهم مشروعين استراتيجيين لوجستيين كان لهما دور هام في انجاح عملية تحرير الجنوب لاحقاً !

المشروع الأول : شق طريق طويل يربط بين الطرق ٩ والمنطقة الشرقية لجنوب فيتنام ، ويمر من شرق جبال ترونغ سون في وسط فيتنام ، وقد عمل في هذا الطريق ثلاثين الف جندي وعامل .

المشروع الثاني : مد خط امداد نفطي طوله ٥ آلاف كم عبر الانهار والجبال ، يبدأ من كوانغ تري ، ويمر في تاي نجوين بوسط فيتنام ويصل الى لوك نينه ، ترافقه خطوط الهاتف ، على أن ينتهي العمل في المشروعين عام ١٩٧٥ . . لماذا ؟

لان الخطة العسكرية الثورية كانت تشتمل هي الأخرى على ثلاث مراحل :

الدفاعية في العام الأول (١٩٧٣) وتنتقل تدريجياً إلى مرحلة الاستعداد والتحضير في العام الثاني (١٩٧٤) على أن تبدأ مرحلة الهجوم العام في العام الثالث (١٩٧٥) . . واذا سارت الأمور على مايرام فإن الهجوم النهائي ينفذ في العام الرابع ١٩٧٦ .

العامل الأمريكي والخطط العسكرية :

التطورات التي تلاحقت في العام الثاني أثرت على الخطط الإستراتيجية المعدة في كل من سايجون وهانوي ، واضطرت القيادتان الى ادخال التغييرات اللازمة على سير العمليات ، سلباً في الجنوب وايجاباً في الشمال :

- فضيحة ووتر غيت أدت الى عجز ادارة نكسون[٣٠] وبالتالي الى شلل ادارة فورد .
- الكونجرس لم يوافق على زيادة المساعدات العسكرية لسايجون وخفض رقم

المساعدات الاجمالي .

لذا فإن التهديدات الأمريكية بمعاقبة الثوار الجنوبيين وردع حكومة هانوي أصبحت لا تؤخذ على محمل الجد كثيراً مما جعلهما يمضيان قدماً في انجاز الخطة العسكرية ، فأصبحت هانوي حرة طليقة اليد » ولم يتوقف الروس عن صب كميات هائلة من الذخيرة والأسلحة والإمدادات في الشمال الفيتنامي الذي كان يصبها بدوره في الجنوب » بينما حرم نكسون وفورد من الرد عليها[٣٦] .

أما حكومة سايجون فإنها لم تثق كثيراً في تعهدات فورد باستمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية لها ، واضطرت الى ممارسة الاقتصاد في النفقات العسكرية الامر الذي اثر ليس فقط على الخطط العسكرية بل ايضاً على قدرات الجيش القتالية ، وحسب المصادر العسكرية الفيتنامية فإن نقص القنابل والقذائف خفض القدرة النارية للقوات الجنوبية الى ٦٠ بالمائة . ونقص الوقود وقطع الغيار للطائرات والآليات خفض القدرة على الحركة الى ٥٠ بالمائة ، وهذا العاملان أثرا بدورهما على شكل العمليات القتالية التي انتقلت من العمليات الكبيرة المسندة بالانزالات الجوية والدبابات الى العمليات الأصغر .

وهكذا توزعت المهمات العسكرية للوحدات السايجونية بين ثلاث حالات ؛ أما المطاردات المحدودة أو عمليات التمشيط أو الدفاع الثابت . وبالتالي فإنها لم تتمكن من الانتقال الى المرحلة الثانية في استراتيجية التهدئة المقررة للعام ١٩٧٤ . وفي المقابل كانت القوات الثورية قد انتقلت الى الهجمات المعاكسة المركزة في كافة الجهات الجنوبية ، وتمكنت مع نهاية العام ١٩٧٤ من اختراق القطاع العسكري الطويل للعدو في أكثر من منطقة ، وهنا لجأت القيادة السايجونية الى تركيز قواتها في ثلاث جبهات رئيسية :

- الجبهة الشمالية : تحسباً من هجوم فيتنامي شمالي استراتيجي . وتضم خمسة فرق نظامية مزودة ٤١٨ مدفع ٤٤٩ دبابة ومدرعة ٩٦ طائرة مقاتلة .

- الجبهة الجنوبية : تحسباً من هجوم ثوري استراتيجي في مناطق الدلتا .

وتضم ثلاثة فرق نظامية في منطقة سايجون مزودة ٣٧٥ مدفع ٦٥٥ دبابة ومدرعة ٢٥٠ طائرة مقاتلة وثلاثة فرق اخرى في كان ثو والدلتا الجنوبية مزودة ٣٨٥ مدفع ٤٩٣ دبابة ومدرعة ، ٧٢ طائرة ٥٨ قطعة بحرية .

- الجبهة الوسطى : وكانت أضعف الجبهات الثلاثة باعتبارها أقل الجهات لاحتمالات الهجوم لصعوبتها .

وتضم فرقتين نظاميتين في منطقة ثاي نجوين مزودة ٣٨٢ ، مدفع ٤٧٧ دبابة ومدرعة ١٣٨ طائرة مقاتلة ، وتساند الفرق النظامية المذكورة ١٨ وحدة خاصة مستقلة اضافة الى القوات الإقليمية البالغ عددها ٤٧٥ الف ووحدات الدفاع الذاتي المحلية المسلحة البالغة

٣٨١ ألف .

عقـدت القيادة الجنـوبية سلسلة من الاجتـماعـات في أواخر العام لدراسة الموقف العسكري على مختلف الجبهات ووضع الخطط الجديدة للعام الجديد آخذة بعين الاعتبار أن القـوات الشـورية ليست قوية الى الحـد الـذي يمكنها من مهاجمة واحتلال المدن الكبيرة الداخلية ، بل مجرد احتلال بعض المراكز الاقليمية مع احتمال التركيز على مدينة ثاي نينه بهدف اعـلانها عاصمـة للجمهـورية الثـورية ، وعلى هذا الاساس تقرر القيام بسلسلة ضربات عسكرية استباقية من جانب القوات الجنوبية لاحباط الهجمات الشيوعية المنتظرة ، واعتمدت القيادة السايجونية الخطط اللازمة لعمليات الربع الأول من العام ١٩٧٥ .

للإستفـادة من حالـة العجز الأمريكي عملت القيادة الثورية الفيتنامية الى تسريع وتكثيف اجراءاتها العسكرية المقررة لمرحلة الإستعداد والتحضير وكانت أبرزها :[٣٧]

ـ بناء المزيد من الفرق النظامية وايجاد فرق متحركة أكثر إضافة إلى فرق الجيشين الأول والثاني .

ـ ادخال اسلحة وتجهيزات متطورة الى القوات الثورية (صواريخ ، دبابات ، مدفعية) .

ـ الانتقال من المهمات التدميرية في القتال الى المهمات التحريرية .

ـ الانتقال من جبهات الجبال والمرتفعات الى جبهات السهول والمدن .

وفي اكتـوبـر توفرت أمام القيادة السياسية الفيتنامية مجموعة الاسباب التي تدعوها للانتقال الى مرحلة الهجوم العام والتي يمكن تلخيصها كالتالي :

عسكرياً : تواصل حالة الضعف لدى قوات الطرف الآخر ، والنقص في الإمدادات والمعنـويات والتـماسـك، الانتعـاش في حالـة القـوات الثـورية وتـوفـير كافة الاحتياجات والاحتياطات العسكرية المطلوبة .

سياسياً : عزلـة نظام سايجون الداخلية وانتقال قوى عديدة من معسكره وتصاعد النضـال السياسي في عاصـمته والمدن الرئيسية من أجل السلام والاستقلال والديمقراطية وتعزيز وضع الجبهة .

دولياً : تناقص المساعدات الأمريكية للنظام السايجوني ، المالية والعسكرية ، وفي المقابل تواصل الدعم الاشتراكي لحكومة هانوي والمساندة والتأييد العالمي للحكومة الثورية المؤقتة .

امكانية التدخل الأمريكي عند الشروع في الهجوم العام كانت من أكثر المسائل التي وقفت عنـدهـا القيادة السياسية الفيتنامية مطولاً ، وتطلبت « نقاش حاد وحامي » داخل المكتب السياسي[٣٨] وبالتحديد للاجابة على السؤال التالي:في حالة تهديد النظام السايجوني

بالسقوط مالذي يمكن أن يفعله الأمريكيون ؟

حتى ذلك التأريخ باتت القيادة الفيتنامية مقتنعة بأن واشنطن لصعوبة أوضاعها الداخلية والاقتصادية والعالمية ولمرارة التجربة لن تعيد الزج بقواتها العسكرية الى الساحة الفيتنامية من جديد ، لكن تبقى احتمال استخدام القوة الجوية والبحرية مفتوحاً . وعلى هذا الأساس كلفت اللجنة العسكرية في اللجنة المركزية للحزب بأخذ هذا الإحتمال في الحسبان عند وضع الخطط العسكرية الاستراتيجية .

وقد جرى التأكد من صحة التقدير العام بعد تحرير أول مقاطعة جنوبية بالكامل ، مقاطعة فوك لونغ[36] في ٦ يناير ، استغرقت المعركة ثلاثة أسابيع وتكبدت القوات السايجونية خلالها ثلاثة آلاف اصابة وأسير وبضعة الاف قطعة سلاح . فما الذي فعلته واشنطن لانقاذ حلفائها ؟

إن رد الفعل الأمريكي لم يتجاوز ارسال حاملة الطائرات « انتربرايز » من الفلبين الى شواطىء فيتنام ، واصدر الأوامر لفرقة المشاة البحرية الثالثة المرابطة في أوكيناوا بالاستعداد، التهديد بإستئناف القصف الجوي ، ولاشيء أكثر من ذلك .

تلك المعركة من وجهة نظر كيسنجر شكلت اغراء للفيتناميين الشماليين لتسريع عملياتهم الهجومية وتقديم موعد الهجوم الأخير من عام ١٩٧٦ ، الى عام ١٩٧٥ . . أما القيادة العسكرية الفيتنامية فقد اعتبرتها اختباراً للنوايا الأمريكية المستقبلية من ناحية ، ولقدرات الجيش السايجوني القتالية من ناحية أخرى ، وتركت لديها قناعة بان جيش الجنوب لم يعد قادراً على تنفيذ مهمات واسعة كبيرة للاستيلاء على مناطق وقواعد محررة .

اتجاه الهجوم الاستراتيجي :

عملية تحرير جنوب فيتنام التي استغرقت عامين كاملين انتقلت من التوجيه العام الى التحديد الخاص ، وخضعت لآلية تنفيذ دقيقة شاركت في صياغتها كامل الهيئات السياسية والعسكرية والفنية :

أ ـ فقرار اعتماد الحرب الثورية لتحطيم حرب الفتنمة (لمرحلة مابعد اتفاقية باريس) اتخذته اللجنة المركزية للحزب التي وضعت التوجيهات العامة بالمحافظة على الخط الهجومي الاستراتيجي وبالتنسيق الأرقى بين النضال والسياسي والدبلوماسي والعسكري بهدف تحرير سكان الجنوب .

ب ـ الاجراءات العسكرية والتعبوية الخاصة بالحرب الثورية وضعت خطوطها الرئيسية اللجنة العسكرية (باللجنة المركزية) التي شملت مسائل التنظيم والتسليح والتدريب والتعبئة الفكرية للوحدات العسكرية والجبهات القتالية .

ج - بعد مصادقة المكتب السياسي على قرارات اللجنة العسكرية الحزبية اصدر التعليمات للقيادة العليا للجيش الشعبي الفيتنامي باعداد الخطط العسكرية الاستراتيجية ، وقد تم ذلك بمشاركة قادة الجبهات العسكرية والجيوش والفيالق والمؤسسات العسكرية المركزية .

د - قامت هيئة الأركان العامة بإعداد الخطط الميدانية (الاستراتيجية والتكتيكية) على مستوى الجبهات والمناطق العسكرية ، بمشاركة الادارة السياسية العليا والإدارة العامة للمؤخرة .

هـ - في اكتوبر ١٩٧٤ ناقش المكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية في اجتماع مشترك الخطط الاستراتيجية المعدة من قبل الأركان العامة بحضور الجهات المعنية وجرى اعتمادها وأصبحت جاهزة للتنفيذ .

للوصول الى قلب النظام الجنوبي واسقاطه كان أمام الإستراتيجيين الفيتناميين ثلاث طرق عسكرية استراتيجية ، الأول طريق ساحلي يمر بالمنطقة المنزوعة ويصل مباشرة الى الجنوب ، الثاني طريق جبلي يمر عبر الأراضي اللاوسية ومن هناك يسير مع نهر الميكونج نحو سايجون ، والثالث يتطلب اختراق المرتفعات الفيتنامية الوسطى ثم الانطلاق نحو السهول الجنوبية .

فلماذا اختارت القيادة الفيتنامية مرتفعات تاي نجوين الوسطى كاتجاه رئيسي للعمليات العسكرية بناء على اقتراح هيئة الأركان العامة ؟

وزير الدفاع الفيتنامي (السابق) يسجل ميزتين هامتين يتفرد بها هذا الخيار :

أولهما : انه بعد السيطرة على تلك المرتفعات يتوفر للقيادة خيارين لتطوير الهجوم ، أما جنوباً على الطريق ١٤ ، أو شرقاً على الطرق ١٩ ، ٧ ، ٢١ .

ثانياً : من الناحية الطبوغرافية فان تعاريج الارض في تلك المنطقة انسابية وغير معقدة كما ان مرتفعاتها تسمح بشق الطرق ونقل الامدادات . وفي نفس الوقت تسمح بالقيام بالأعمال التمويهية بالإضافة الى عامل ثالث هو أن منطقة المرتفعات الوسطى تشكل درعاً يحمي السهول الوسطى ، وسقوطها يعني تعريض النظام العسكري السايجوني للقطع من اضعف حلقاته - الى جانب انتعاش الحركة الثورية في المنطقة سياسياً وعسكرياً وقدرتها على أحداث تقطيعات جزئية في النظام العسكري هناك .

بينما الطرق الاخرى لاتسمح إلا بخيار واحد محصور . فالجبال اللاوسية أكثر وعورة وتعقيداً ، والحركة على الطريق الساحلي وطريق الميكونغ مكشوفة تماماً أمام القوات المعادية .

في ديسمبر عقدت اجتماعات خاصة بالهجوم المقرر على ثاي نجوين حضرته قيادات الجبهات والمناطق العسكرية والمسؤولين الحزبين للمناطق الوسطى والجنوبية - لاعداد الخطة

النهائية لحملة ثاي نجوين التي وضعت أمام المكتب السياسي فوافق عليها واحالها الى المكتب الـدائم للجنة العسكرية الحزبية برئاسة الجنرال جياب التي شكلت بدورها قيادة الحملة وأعطتها الاسم الحركي « العملية ٢٧٥ » . بينما حمل الجنرال جياب الاسم الحركي « تين » .

الجنرال فان تين زونغ (رئيس الاركان في حينه) كلف بقيادة العملية وحمل الاسم الحركي « توان » بينما قيادة العملية اطلق عليها اسم « المجموعة أ ـ ٧٥ » وقد تقرر أن يحافظ على السرية الكاملة للعملية لكي تحقق عنصر المفاجأة الكاملة لقوات العدو .

قيادة العملية ضمت اللواء دين ثين رئيس هيئة الامداد العامة ، العميد لي هين نائب رئيس الاركان ، العميد فو لانغ قائد جبهة ثاي نجوين الى جانب الجنرال زونغ .

الإجراءات التمهيدية والاحتياطية الاولى التي نفذت كانت كالتالي :

ـ لمتابعة المتغيرات على الأرض أرسل قائد جبهة ثاي نجوين مع أركانه لاعداد التقارير اللازمة .

ـ لتغطية غياب رئيس الأركان عن هانوي قام بتوقيع البطاقات والمراسلات التقليدية والدبلوماسية للشهرين القادمين (بما فيها عيد الجيش السوفييتي والالماني والمنغولي) .

ـ بدأ الجنرال زونغ حركته في ٢٥ يناير ١٩٧٥ بزيارة قيادة الجيش الأول في تين بين الذي يرابط على المناطق الحدودية مع الجنوب ويقوده العميد فونغ تين .

ـ قام الجنرال بعدها بزيارة فرق الجيش الثاني التي ترابط في جبهة ثاي نجوين وتضم الفرق ٣٢٠ ، ١٠ ، ٩٦٨ ، ٣١٦ وهي تقع ضمن المنطقة العسكرية الرابعة التي يقودها العميد نام ترونغ . . .

منطقة ثاي نجوين عبارة عن أراضي مرتفعة مكسوة بالغابات وتضم خمس مقاطعات هي : كونتوم ، تالاي ، فو بون ، دا لارك ، كوانغ ديك .

حسب الخطط المقرة من القيادة السياسية والعسكرية هناك ثلاث مهمات رئيسية في حملة ثاي نجوين : احتلال مدينة بون مي توت وتو هوا، اكمال تحرير المنطقة الخامسة ، واخضاع المنطقة الساحلية للمراقبة التامة، وقام الجنرال زونغ بتشكيل القيادة الميدانية لجبهة ثاي نجـوين من اللواء هوانـغ ثاو قائداً ، العقيد نجوين هيب مفوضاً سياسياً ، العميد فولانغ ، والعقيدين فام هام ونجوين لانغ نوابا للقائد والعقيد في هام نائب للمفوض السياسي .

الخطوة الثالثة كانت التأكيد من تحشيد كامل القوات والمعدات والتجهيزات والاسلحة ، وتأمين كافة الامدادات والتموين ، بحيث أصبح بتصرف قيادة الجبهة تفوق في نسبة القوى مع قوات العدو على نفس الجبهة بنسبة ٥,٥ الى ١/ في المشاة، ٢/ الى ١ في

الدبابات والمدرعات ٢ الى ١ في المدفعية .

اختيار مدينة بون مي ثوت[٤٠] كهدف الهجوم الاول كان بسبب عدم توقع قيادة العدو امكانية احتلالها أو الاحتفاظ بها من قبل الشيوعيين من ناحية ، ولان الاستيلاء عليها يقود الى تحطيم النظام الدفاعي للقوات السايجونية بسهولة ، ومن ناحية ثالثة فإن احتلالها يسمح بإقامة جسر هام يساعد على تغيير الموقف في كامل الجبهة لذلك قامت قيادة الحملة بتنفيذ سلسلة من الاجراءات الشكلية لايهام قيادة العدو بأن الهجوم الرئيسي يستهدف القطاع الشمالي بينما نفذت الاجراءات الفعلية للهجوم على أربعة مراحل :

- في الأولى أرسلت وحدات كبيرة لقطع الطرق ١٩ ، ١٤ ، ٢١ .
- في الثانية عزلت تاي نجوين عن مناطق السهول الساحلية .
- في الثالثة عزلت مدينة بون مي ثوت عن مدينة بليكو ، وعزلت بليكو عن مدينة كونتوم .
- وفي الرابعة شنت الهجوم الصاعق والمفاجىء على المدينة اعتباراً من الساعة الثانية من صباح العاشر من مارس على الشكل التالي :

أ ـ قصف مدفعي ثقيل ومركز على المطار والمراكز الاستراتيجية ، وقصف صاروخي على مقرات قيادة القوات السايجونية . . استمر حتى السادسة والنصف .

ب ـ قامت القوات الخاصة باحتلال المطار المدني والعسكري والمستودعات الحربية بينما تحركت القوات البرية والمدرعة الى احياء المدينة ومركزها .

جـ ـ المعركة بين القوات المهاجمة والمدافعة استمرت حتى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي ١١ مارس .

د ـ وجهت ضربات عسكرية قوية الى نقاط الاسناد خارج المدينة لاحباط اية هجمات عسكرية مضادة ، ومع ذلك فقد قام العدو يومي ١٢ ، ١٣ مارس بشن هجمات مضادة استخدم فيها القوات المنزلة جواً إلّا أنها أحبطت جميعاً .

بعد هذا الانتصار السريع قررت قيادة الحملة الاستمرار بالهجوم بأقصى سرعة ممكنة لمنع العدو من اعادة تنظيم دفاعاته وبالتالي صدرت الاوامر بالاتجاه نحو الشرق والشمال لمحاصرة ومهاجمة بليكو وكونتوم ، ووقف التحرك جنوباً بشكل مؤقت ، وفي نفس الوقت قامت القوات الثورية في الجبهات الوسطى والجنوبية الأخرى بتكثيف العمليات العسكرية لشل حركة الوحدات العسكرية والمراكز المعادية .

نقطة التحول الاستراتيجي :

لم يكن يدور في خلد أي قائد فيتنامي ان قيادة العدو ستقدم على اخطر قرار عسكري

بعد أيام من سقوط بون مي توت ، وهو إخلاء قاعدة بليكو العسكرية والانسحاب التام من جبهة تاي نجوين كاملة ، متحاشية الاشتباك مع القوات الثورية .

في ١٥ مارس غادرت القوات السايجونية قواعدها العسكرية في المنطقة وتحركت على الطريق ٧ متجهة جنوباً نحو نهاترانغ Nha Trang وكان مخططها إعادة تجميع القوات العسكرية في منطقة السهول الوسطى ، امام هذا التطور الدراماتيكي المفاجىء اتخذت قيادة الحملة قرارها[1] بمنع القوات السايجونية من انجاز عملية الانسحاب والانتقال في خطها القتالي من الهجوم والتقطيع الاستراتيجي الى المحاصرة والتدمير وفي نفس الوقت الاستعداد لتحرير المدن الرئيسية في المنطقة .

ولهذا اتخذت الاجراءات العسكرية السريعة التالية :

ـ كلفت الفرقة ٣٢٠ بعد تزويدها بالوسائل والوسائط الضرورية بمطاردة القوات المتراجعة ومنعها من الانسحاب الى الجنوب .

ـ كلفت الوحدات الاقليمية والمحلية في المنطقة العسكرية الخامسة بالانتقال الى الطريق ٧ وقطعها على العدو .

ـ كلفت الفرقة ٩٦٨ بالاسراع في احتلال بليكو واللحاق بالقوات السايجونية المنسحبة وضربها من الخلف .

ـ وخلال أسبوعين تسارعت التطورات بسقوط بليكو وكونتوم في ١٦ مارس وكامل كوانغ ترى في ١٩ مارس، ونبه لونغ في ٢٠ مارس وتام كي وكوانغ دوك وكوانغ نجاي في ٢٤ مارس أما العاصمة الامبراطورية هوي فسقطت في ٢٥ مارس ، وكوانغ تام، لام دونغ في ٢٨ مارس وكوانغ دا في ٢٩ مارس، وأخيراً دانانغ أكبر قاعدة عسكرية في جنوب فيتنام تحررت في ٣٠ مارس بعد تحطيم الجيش الأول السايجوني وتجريد حوالي مائة ألف جندي من أسلحتهم ، كما ان سقوط دانانغ أدى الى تساقط مدن كوي نيهون، Qui Nhon توي هوا، Tuy Hoa نهاترانغ ، كام رانه Cam Ranh خلال الأسبوع الأول من إبريل .

إن سقوط تلك المدن في أيدي القوات الثورية تطلب مجموعتين من الاعمال والاجراءات الحربية والمدنية المكثفة خلال الاسبوعين المذكورين :

١ ـ مجموعة الاعمال الحربيه تضمنت درجة عالية من التنسيق بين المناطق القتالية المختلفة من حدودية الى سهلية الى مدينية، وعمليات محاصرة عديدة للقواعد العسكرية المنتشرة بين المدن وعمليات اقتحام متواصلة لسلسلة التحصينات والمواقع، وشل المستودعات والمنشآت الادارية وتقطيع خطوط المواصلات والاتصالات والاستفادة من الاسرى والغنائم العسكرية .

٢ ـ مجموعة الاعمال المدنية تضمنت تجنيب سكان المدن اخطار العمليات القتالية

والقصف خلال الاشتباكات واتباع سياسة مرنة مع مختلف فئات المواطنين الدينية والعرقية والمهنية ، والحفاظ على المنشآت والمراكز الاقتصادية الهامة ، وتأمين الخدمات الاساسية الملحة من موإذد غذائية وماء وكهرباء ، وإقامة الادارة المدنية القادرة على مساعدة الادارة العسكرية .

وفي هذين المجالين لعبت الوحدات الثورية المحلية والوحدات الاقليمية دوراً هاماً الى جانب التشكيلات الحزبية السرية ومنظمات الجبهة الوطنية والتحالف الوطني التي تم بناؤها عبر نضال السنوات الماضية والذي امر المكتب السياسية بتعبئتها اعتباراً من مطلع العام ١٩٧٥ .

القيادة العسكرية الفيتنامية[٢٢] اعتبرت معركةتاي نجوين نقطة التحول الاستراتيجي في الحرب لأن انسحاب السايجونيين من منطقة تاي تجوين قد تعدى إطار العملية العسكرية الواحدة وأخذ طابعاً استراتيجياً بعد ان ترك خلفه رأس جسر استراتيجي هام . . بينما اعتبرت معركتي هوي ودانانغ العامل الذي حسم ميزان القوى الاستراتيجي لصالح الثورة واجهض خطة الحشد الاستراتيجي لدى العدو واربك قواته . لكن هناك نتيجة اهم اشرت عليها معارك مارس وهي حقيقة الموقف الامريكي وطبيعة رد الفعل على العمليات الثورية الكاسحة ، والتي يمكن تلخيصها كما يلي :

ـ أرسلت القيادة الامريكية حاملة الطائرات هانكوك الى المياه الاقليمية الفيتنامية الجنوبية في استعراض قوة وتطمين لزعماء سايجون في ٢٥ مارس بعد سقوط العاصمة الامبراطورية .

ـ أقامت جسراً جوياً من بانكوك ومانيلا الى سايجون لارسال بعض الامدادات العسكرية العاجلة من قواعدها هناك الى جيش الجنوب في ٢٩ مارس خلال معركة دانانغ .

ـ أرسلت اربع سفن حربية الى دانانغ والمنطقة الساحلية للمساعدة الانسانية ! وإخلاء المناطق المنكوبة خلال القتال .

ـ أمر الرئيس فورد بإخلاء عائلات الضباط والمسؤولين الامريكيين في الجنوب اعتباراً من ٣١ مارس .

تحرير الجنوب : الاستعدادات

سقوط مرتفعات تاي نجوين في يد القوات الثورية ترك اثاره المباشرة على الاطراف الرئيسية في الصراع ، ومهد الطريق امام الهجوم الثوري النهائي :

● أولاً : على مستوى القيادة الثورية الفيتنامية جرى اعادة النظر بالمخطط الاستراتيجي

الاصلي بهدف تسريع وبيره الحركة الهجومية والاستفادة الى الحد الاقصى من الوقت ، وقد قرر المكتب السياسي للحزب في اجتماع مشترك[٤٣] مع اللجنة العسكرية الحزبية في اواخر من مارس اتخاذ الخطوات التالية :

أ ـ العمل على احباط خطط العدو القاضية بتعزيز دفاعاته حول سايجون ودلتا الميكونغ .

ب ـ تنفيذ الخطة العسكرية الاحتياطية[٤٤] القاضية بتحرير سايجون عام ١٩٧٥ بدلاً من العام التالي .

جـ ـ تشكيل مجلس أعلى للجبهة (القتالية) برئاسة فام فان دونغ رئيس الحكومة في هانوي .

د ـ إرسـال عضوي المكتب السياسي لي دوك ثو من هانوي وفام هونغ من الجنوب للمشاركة في قيادة الحملة .

هـ ـ تعبئـة كل الشعب في مسـيرة التحـرير تحت شعار «الهجوم الزاحف والعنيف ومفاجأة العدو والانتصار عليه » .

وتنفيذاً لهذه القرارات اشرف لي دوك ثو على تشكيل قيادة حملة « هوشي منه » التي تضم الجنرال فان زونغ قائداً عسكرياً، فان هونغ مفوضاً سياسياً، تران فان ترا ولي ديك آن، ترونغ تان، دين ثين نواباً للقائد العسكري، لي كوانغ هو نائباً للمفوض السياسي، لي هين رئيساً لأركان العملية، وضمت القيادة قائد المدفعية زوان توي، وقائد القوات الخاصة نجوين ديم، ونائب مدير الاستطلاع لي فو، ونائب مدير التدريب ترونغ ماو ونائب قائد القوات المدرعة لي كين .

وكلف لي ديك آن بقيادة قوات الاتجاه الجنوبي الغربي وترونغ تان لقيادة قوات الاتجاه الشرقي ، وقد تم تشكيل الجيش الثالث ويضم الفرقتين ٣٢٠ ، ٣١٦ بشكل رئيس وكلف العميد فولانـغ بقيادته والعقيد نجوين هيب مفوضاً سياسياً له، وكلف الجيش الثاني[٤٥] بمساعدة قوات تاي نجوين في المعركة التي خاضتها في ١٤ أبريل لاحتلال مدينة فان رانغ Phan Rang التي تشكل عقدة الدفاع الأمامي للحزام العسكري المحيط بالعاصمة ، وفي اليوم السادس عشر تمكنت القوات الثورية من تحرير المدينة والاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلحة والتجهيزات أهمها اربعين طائرة بحالة جيدة وفي العشرين من ابريل تمكنت القوات الثورية بعد تعزيزها بالوحدات والأسلحة الإضافية من احتلال مدينتي سوان لوك Xuan Luc ولونغ ثانه Long THanh اللتان تشكلان نقاط حماية للخط الدفاعي الممتد من بين هوا Bien Hoa باريا Ba Ria ـ فونغ تاو Vung Tau بعد معارك ضارية خاضتها ثلاث فرق ثورية مع القوات المدافعة منذ التاسع من ابريل .

● ثانياً: على مستوى القيادة الجنوبية فإنها رغم الضربة العسكرية القاتلة والتي اسفرت عن تعطيل وشلل حوالي ثلث قواتها المقاتلة، وخسارة حوالي أربعين بالمائة من التجهيزات القتالية الحديثة والقواعد والمستودعات العسكرية، وسقوط اثني عشر مقاطعة وثمانية ملايين مواطن فانها كانت على ثقة ان القوات الثورية لن تتمكن من التقدم لاحتلال المزيد لانها لاتمتلك القوات الكافية للقيام بالمهمة الدفاعية (عن الارض المحررة) والهجومية (ضد الاراضي الباقية)، وقد ساهمت المعلومات التي قدمها الامريكيون لحكومة سايغون في تكريس هذا الاعتقاد .

في ضوء هذا التقرير اعدت القيادة العامة في سايغون خطة للدفاع الاستراتيجي تشمل المناطق الواقعة جنوب مدينة فان رانغ، وكلف الجنرال كاو مين رئيس الاركان بالاشراف على تنفيذ الخطة وقام بتشكيل قيادة متقدمة في مدينة فان رانغ على رأسها الجنرال نجوين نفي، وطالب افراد القوات المسلحة بالدفاع عن تلك الخطوط الدفاعية حتى اخر قطرة دم .

اما الامريكيون فقد ارسلوا رئيس اركان القوات البرية الجنرال أوياند على جناح السرعة الى سايجون للمساعدة في اعداد الخطة الدفاعية المذكورة فأوصى بالمزيد من الاسلحة والعتاد الامريكي عبر الجسرين الجوي والبحري، كما اكد الرئيس فورد للرئيس الجنوبي ان الولايات المتحدة لن تتخلى عن جمهوريته وستقف بإصرار وقوة الى جانبها في الوقت الذي لم يتمكن من الحصول على موافقة الكونغرس على طلبات بمبالغ اضافية لحكومة سايغون في شهري مارس وابريل.

بعد سقوط فان رانغ ، سوان لون ، لونغ ثانه اتضح للرئيس الجنوبي ان تهديدات الامريكيين ضد هانوي ليست اكثر من حبر على ورق فأعلن في رسالة اذاعية الى الشعب مسؤولية اصدقائه الامريكيين عما يجري على الساحة العسكرية، وتنحى عن الرئاسة لصالح تران هونغ في ٢١ أبريل وغادر سايجون الى تايوان في ٢٦ أبريل .

حاول الرئيس الجديد الذي باركته واشنطن ـ اعادة الثقة الى القوات المتراجعة عبر اعلاته عن قنابل فتاكة خاصة من نوع CBU تستطيع الواحدة منها تدمير فرقة عسكرية كاملة، لكن ذلك لم يمنع سيل القادة والمسؤولين الجنوبيين الهاربين على خطى رئيسهم ثيو، وانتقل الخط الدفاعي حول العاصمة بعمق ٣٠ ـ ٥٠ كم ويشمل نظام دفاعي ضد اتجاهات مختارة يتداخل مع نظام دفاعي دائري .

الموقف الامريكي بقدر ما كان محيراً ومقلقاً للقيادة السايجونية كان مريحاً ومواتياً للقيادة الثورية ، فقد كان لدى زعماء هانوي اعتقاد بإمكانية التدخل الجوي والبحري خاصة عندما

يصبح الجيش الجنوبي فى دائرة الخطر، لذا كان هاجسهم الاول عدم اعطاء واشنطن فرصة للتدخل، وذلك عبر الملاحقة المستعمرة للقوات الجوية وعدم اعطائها فرصة لاطالة فترة المقاومة . . لكن الرئيس فورد سارع بعد سقوط الدفاعات الامامية (في اوائل أبريل) الى سحب كل العناصر الامريكية غير الفعالة في جنوب فيتنام، وبدأ معنياً بالدرجة الأولى بسلامة رعاياه أكثر من سلامة النظام الجنوبي، بل ان عدداً من اركان الادارة الامريكية[٤٦] اخدوا يتحدثون ان عدم امكانية تغيير الوضع الناشيء في جنوب فيتنام وصعوبة التدخل العسكري .

لم يكتف الرئيس فورد بتجنيد حملة بحرية وجوية ضخمة بقيادة دين براون تضم ٣٥ سفينة و٤ حاملات طائرات للقيام بإجلاء الرعايا الامركيين وكبار العملاء المحليين وعائلاتهم اعتباراً من ٣/١٢/ بل اعلن دون رحمة بأصدقائه ، ان الحرب انتهت بالنسبة لواشنطن ولاعودة اليها، الامر الذي ترك اثاراً بالغة على ما تبقى من ارادة صمود وروح قتال لدى قيادات وجنود الجيش الجنوبي . هذه التطورات على الجبهة الامريكية أكدت مرة أخرى صحة التقديرات الفيتنامية بشأن عدم قدرة واشنطن على اعادة قواتها المقاتلة الى فيتنام وبالتالي عدم امكانية إنقاذ النظام الجنوبي، فأصدر الأمين العام للحزب الشيوعي (لي ذوان) تعليماته التاريخية الى قيادة الحملة في ٤/٢٢ بأن اللحظة المواتية سياسياً وعسكرياً قد حلت لبدء الهجوم الشامل وانه يجب عدم إضاعة الوقت، في ذلك الأسبوع توفر عامل مؤات اخر على الجبهة العسكرية في الهند الصينية حيث تمكنت القوات الثورية الكمبودية من اقتحام آخر معاقل الحكومة العميلة في ٤/١٧ واسقطت لون نول دون ان تحرك واشنطن ساكناً الا لتأمين حياة سفيرها جون دين الذي غادر بصعوبة بالغة .

الأسبوع الحاسم :

بين التوقيع على خارطة العمليات من قبل قائد الحملة ومفوضها السياسي في ٢٢ أبريل حتى بدء العملية العسكرية في ٢٦ أبريل مرت أربعة ايام من الاستعدادات في ثلاثة اتجاهات :

الاولى : أحكام الطوق عسكرياً على منطقة سايجون من اربعة اتجاهات وفتح طرق المواصلات الى المدينة أمام القوات النظامية التي جهزت بكافة انواع الاسلحة والتجهزات والمعلومات والوسائط والمطلوبة مع تأمين التفوق البشري والمادي والحفاظ على سرية اتجاه وتواقيت الهجوم .

الثانية : التحضير التام للانتفاضة الشعبية داخل سايجون وضواحيها، عبر مفارز الميليشيا الشعبية وفصائل العمل الخاص والمجموعات المتحركة واللجان الحزبية والجبهوية

والشخصيات الوطنية، المزودة بملايين المنشورات والبيانات والاعلام ومكبرات الصوت . وكلف بقيادة الانتفاصة نجوين فان ليه .

الثالثة : الاستعداد الكامل لادارة المدينة وتسيير الحياة الطبيعية فيها بعد التحرير مباشرة، تشكلت لجنة قيادية للادارة ، يشرف عليها قائد حزبي ، أرسلت مجموعة من الاداريين والفنيين من الشمال برئاسة نجوين ترا لادارة العجلة الاقتصادية والخدماتية والاجتماعية في المدينة الكبيرة[٤٧] .

عندما بدأت العملية على الارض كان لدى العدو خمسة فرق نظامية ، الجيش الثالث على خط الدفاع الخارجي ، والجيش الرابع ومقره فان ثو في دلتا الميكونغ ، ووحدات خاصة ومقاتلة ومدرعة (قوات المنطقة الخاصة) في سايجون اما سلاح الجو فلم يتبق منه سوى ١٢٠ طائرة أ - ٣٧ ، ٧٠طائرة ف ٥ بعد ان تدمر او اصيب او اسقط او هرب القسم الاكبر منه .

أما القوات الثورية فقد كانت لديها خمسة جيوش (فيالق) بينها المحمولة (القوات ٢٣٢[٤٨] اضافة اى الوحدات الاقليمية والقوات الخاصة ، وفي نفس الوقت كان جيش المتطوعين الهائل القادم من الشمال يزحف من١ /٤ مستخدماً كافة الطرق البحرية والنهرية والبرية باتجاه الجنوب لتغطية احتياجات الساحات القتالية .

في ٢٥ أبريل قسمت قيادة الحملة الى مجموعتين، القيادة المتقدمة بقيادة الجنرال زونغ يساعده الجنرال تران فان ترا ، القيادة الرئيسية تضم لي دوك تو وفام هونغ (مهمات سياسية ودبلوماسية) واعتمدت خمسة اهداف استراتيجية داخل العاصمة تضم الاركان العامة ، مقر الرئاسة ، اركان منطقة سايجون ، المطار ، الادارة السياسية العامة ، ولضمان سقوط النظام وشل مقاومته وللحد الى ادنى قدر من الخسائر البشرية والاقتصادية والعمرانية داخل المدينة تقرر اعتماد السرعة الفائقة والضربات الجريئة للاهداف المذكورة بعد تدمير الخطوط الدفاعية حول المدينة وفي نفس الوقت محاصرة الجيش الرابع في دلتا الميكونغ وعزله عن جبهة سايغون .

الساعة الخامسة بعد الظهر في ٢٦ ابريل. بدأت العملية بقصف مدفعي كثيف ومركز على كافة الخطوط الدفاعية ثم الجيش قام الثاني بالهجوم الأول من الجبهة الشرقية لكي يستطيع شل القاعدة الجوية بين هوا . . ثم انطلقت القوات المكلفة بتحطيم الجبهات الثلاث الأخرى : الغرب والجنوب الغربي ، الجنوب الشرقي، الشمال والشمال الغربي . . وخلال ٤٨ ساعة كانت الطريق مفتوحة تماماً الى المدينة نفسها ، وقد شارك في تلك المعارك الحاسمة الطائرات الامريكية الصنع التي جرى الاستيلاء عليها مؤخراً وكذلك بعض الوحدات البحرية ، ومجموعة الأسلحة الشرقية والامريكية المتوفرة . . وهكذا اصبحت القوات الثورية

على بعد ثلاثين كيلو من مركز المدينة .

اما التكتيك القتالي الذي استخدم في تلك المعارك فكان العمل على تحاشي اكبر قدر ممكن من الخسائر ، وتوفير القوات القادرة في كل محور على تطويق وتمزيق القوى المعادية بسرعة ومنعها من الانسحاب المنظم الى داخل المدينة ، وبالتالي حرمان القيادة السايغونية من تشكيلات الفرق ووفرة التجهيزات المتواجدة على الخطوط الدفاعية الخارجية ، في العمليات القتالية داخل احياء المدينة .

في التاسع والعشرين صدرت الأوامر باقتحام المدينة والسيطرة على الاهداف الخمسة المحددة ، بينما صدرت الاوامر للوحدات الخاصة ، قوات المليشيا ووحدات الدفاع الذاتي السرية وقوى الانتفاضة داخل المدينة بالاستيلاء المسبق على الجسور والنقاط الاستراتيجية على المداخل ، والاستعداد لتصفية العناصر العميلة وتسلم السلطة والادارة الثورية فور دخول القوات المهاجمة. الساعات الأولى من الهجوم شهدت كمية نيران مكثفة من اتجاهين :

- نيران المدفعية والصواريخ الافقية المركزة نحو الاهداف الخمسة لعزلها .

- نيران المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ (ارض جو) الرأسية لتأمين شبكة حماية للقوات المتقدمة على الطرق البرية .

وخلال الليلة الاولى تمكنت القوات المهاجمة من الاقتراب الى مسافة تتراوح بين ١٠ - ٢٠ كيلو مرة مركز المدينة . . وفي الساعة الثامنة صباحاً بدأ الجيش الثالث هجومه على المطار الاستراتيجي تون سون يات ، وفي التاسعة والنصف هاجم الجيش الاول الاركان العامة للجيش ، واحتلت الوحدة الخاصة «٢٣٢» اركان منطقة سايجون، واستولى الجيش الرابع على وزارة الدفاع والاذاعة والميناء، اما الجيش الثاني فقد تمكنت وحداته من الوصول الى قصر الرئاسة في الساعة الحادية عشر والنصف واعتقال الرئيس الجديد ووزرائه الذين حضروا لتأدية اليمين الدستورية ، فأعلن استسلام الجمهورية دون قيد او شرط وطلب الى قواته القاء السلاح .

بعد استسلام الرئيس مباشرة انيطت بالقوات الثورية ثلاثة مهمات عاجلة :

الاول : احكام السيطرة على الاهداف الاستراتيجية الخمسة وتصفية بؤر المقاومة واعتقال الضباط والجنود في الجيش السايجوني داخل المدينة وضواحيها ، وكلف بها العميد كيونغ نائب رئيس الاركان .

الثانية : حماية المؤسسات والمنشآت الاقتصادية والخدماتية والحكومية وتأمين الكهرباء والماء والمواد الغذائية ومساعدة الهيئات الحزبية والادارية المكلفة بالمدينة .

الثالثة : دعم القوات الموجودة في مناطق دلتا الميكونغ للانتقال الى حالة الهجوم العام

بحيث تمكنت في نهار وليلة ٣٠ أبريل وصباح الأول من مايو من تدمير الفرق النظامية الثلاث للجيش الرابع وتشتيت القوات المدرعة والنهرية المعادية بمساعدة الوحدات الاقليمية وقوى الانتفاضة الشعبية في اقاليم ومدن الدلتا .

الحسم وعدم التردد والمضي في تنفيذ الخطة المقررة حتى النهاية كانت من العوامل الهامة التي قادت الى الهزيمه النهائية للنظام الجنوبي في آخر ابريل ، فقد وضعت قيادة الحملة نصب عينها قبل بدء الهجوم عدم التوقف في منتصف الطريق مهما كانت الصعوبات او الاغراءات بل المضي في :

شطب الجيش السايجوني بقياداته ومقراته .

تحطيم الجهاز القمعي للسلطة بشرطتها العلنية والسرية .

تصفية الادارة بمستوياتها المركزية والدنيا .

ولذلك لم تتمكن القيادة الامريكية والسايجونية من التأثير على وتيرة الهجوم رغم محاولاتها التي استمرت أربعة أيام الهجوم على الشكل التالي :

- في اليوم الثاني نصب الامريكيون دونغ منه رئيساً للبلاد خلفاً لهونغ الذي لم يكمل اسبوعه ، على افتراض ان الرئيس الجديد شخصية مقبولة للحوار مع الشيوعيين من اجل تسوية سياسية .

- دفع عدد من السياسيين والعسكريين المتقاعدين للتحرك المفاجىء لانقاذ البلاد من التدمير وطالبوا بوقف اطلاق النار يعقبه مفاوضات لتشكيل حكومة انتقالية .

- طلب حكومة سايجون في اليوم الثالث من العميد هوانغ ثوان رئيس الجانب الثوري في اللجنة العسكرية المشتركة[٩٩] التفاوض لوقف اطلاق النار . لكن الاخير اعتذر .

- حاول السفيرالامريكي في نفس اليوم مقابلة الوفد العسكري المذكور الاّ ان طلبه رفض .

- في اليوم الرابع طلبت حكومة سايجون السماح لها بإرسال وفد الى هانوي للتفاوض من اجل وقف اطلاق النار والتسوية السلمية الاّ أن طلبها رفض .

- قبل سقوط سايجون بساعات جرت مناورات أخرى مناورة لكسب الوقت واطالة فترة الصراع لفرض تسوية سياسية وعرقلة عملية التحرير الشاملة .

- وقبل سقوط سايجون بساعات جرت آخر مناورة دبلوماسية عندما سجل الرئيس بيانا للاذاعة يطلب فيه من المهاجمين وقف اطلاق النار من اجل العمل على نقل السلطة .

قائد الحملة العسكرية رفض كافة العروض باعتبارها مناورات تهدف الى كسب الوقت واطالة امد الصراع لفرض تسوية سياسية وعرقلة عملية التحرير الشامل ، مشيراً الى ان تلك العروض «ترافقت مع تهديدات امريكية بالتدخل ارسلت عبر وسطاء » الامر الذي

دفع قيادة الحملة الى عدم اضاعة اي دقيقة قبل تحقيق النصر الكامل .

وهكـذا غادر السفير الامريكي سايجون في اليوم الاخير بعد ان انتهت اخر عملية امريكية من التقاط ما أمكن من الامريكيين والجنوبين الذين تجمعوا على أسطح ثلاثة عشر بناية انتظاراً لطائرات الهليوكبتر الموعودة !

اما قائد الحملة فيقول حول مشاعره في ذلك اليوم انها لحظات غريبة ، دقائق تاريخية مقدسة تأتي مرة واحدة في حياة الانسان أو حتى في حياة الأجيال الكثيرة . ويضيف الجنرال زونغ :[50]

لقد عرفت الكثير من لحظات النصر الرائعة، لكن لم يشرق علينا صباح ذو روعة كروعـة هذا الصبـاح ، انه صباح جديد ومشرق وفتان، يفوح بالعطر لانه صباح النصر الكامل . ففي مثل هذه الساعات ينمو الاطفال بسرعة ويدب الشباب في عروق الشيوخ !

صدرت تعليقـات امـريكية كثيرة حول نتائج معركة الجنوب ، وقد تناول عدد من المسؤولـين الامـريكيين وكـذلـك المحللين العسكـريين الاسبـاب التي ادت الى الانتصار « الشيوعي » من اكثر من زاوية، تراوحت بين اتهام السوفييت وانتقاد الكونغرس وتفكك النظام الجنوبي واخيرا تغيير الثوار الفيتناميين لتكتيكاتهم القتالية .

الـرئيس الاسبق نيكسون يضع السوفيت في مقدمة الأسباب بسبب كمية السلاح والتجهيزات التي ارسلوها الى هانوي، ولترددهـم في الضغط على الفيتناميين لاحترام اتفاقية باريس ، ويؤكـد ان المسـاعـدة السـوفيتية وفرت للقوات الفيتنامية مزايا التفوق في مجالي الدبابات والمدفعية لدرجة ان الفيتناميين حشدوا في عهده (عام ١٩٧٤) اكثر من خمسمائة دبابة واربع وعشرين كتيبة مضادات تساند ١٨٥ ألف جندي أرسلوا الى الجنوب .

أما الكونغرس من وجهة نظر نكسون فقد منع الرئيس من الحركة ، وفي الوقت الذي لم يسمح بارسال اية مساعدات مالية طارئة فانه خفض المساعدات الامريكية المقررة الى النصف ثم الى الثلث عام ١٩٧٥ ، وعند اللحظة الحاسمة حرم الرئيس من سلطة تطبيق اتفاقية باريس بينما كانت موسكو طليعة اليد في دعـم حلفائها .

أمـا الـرئيس الجنـوبي وجنـرالاتـه فيتحملون مسؤولية عسكرية بحته لأنهم ارتكبوا الاخطاء الاستراتيجية والتكتيكية الخطيرة ، ومنها : , عدم الصمود في مرتفعات تاي نجوين ونقل الفرقة الجوية من الأقاليم الوسطى الى منطقة سايجون الامر الذي اثر على دفاعات هوي ودانانغ ، وبالتالي فتح الطريق الى منطقتي العاصمة والدلتا .

المسألة العسكرية التي يثيرها المحللون الامريكيون كثيراً[51] هي « تخلي » الفيتناميين عن تكتيكـات الحـرب الشعبية في حملة الجنوب ولجوئهم الى تكتيكات الحرب النظامية ، وبأنهم في تلك الحملة استفادوا من اخطائهـم السابقة ومن اخطاء قيادة سايجون ومن غياب

الغطاء الجوي الامريكي للقوات الجنوبية، هذه المسائل يعترف بها قادة الحملة العسكرية أنفسهم .

ـ فقد استفادوا من سلبيات واخطاء هجوم الربيع الاستراتيجي من ١٩٨٦ وخاصة تخلف القوات المهاجمة من حيث التسليح والتجهيز ، ومن حيث عدم توفير القوات اللازمة للحفاظ على المدن المحررة ، فتوفرت في حملة هوشي منه اعداد هائلة من القوات المقاتلة والمساندة ، واستخدمت اسلحة وتجهيزات ثقيلة وحديثة ومناسبة .

ـ كذلك استفادوا من سلبيات ونواقص الهجمات العسكرية الاستراتيجية لعام ١٩٧٢ وخاصة عدم تمكنهم من الاحتفاظ ببعض المناطق المحررة نتيجة التفوق الجوي والبحري للقوات المعادية خلال هجماتها المضادة، فوفروا لحملة هوشي منه الشبكة الكافية من الصواريخ والمضادات من ناحية ونجحوا في اخراج القوات الجوية المحلية من المعركة الى حد كبير . ،

ـ قائد الحملة يعترف بحدوث بعض السلبيات والنواقص[٥٢] خلال المراحل القتالية المختلفة ، مما اتاح لقادة الوحدات ان يستفيدوا في كل مرحلة من الملاحظات النقدية للمرحلة التي سبقتها وهكذا عندما حلت المرحلة الاخيرة من الهجوم على سايجون اختفت سلبيات المراحل السابقة ومنها التباطؤ في سير العمليات القتالية والاعتياد على الطرق القتالية القديمة، وعدم تساوي الاهلية بين الوحدات المهاجمة ، وقلة الخبرة في قتال الشوارع والمدن وضعف التنسيق بين مختلف الاسلحة خلال الاعمال القتالية الواسعة .

اما مسألة الاستفادة الثورية من أخطاء القيادات الجنوبية فهذه المسألة منطقية جداً ، وتضاف الى عوامل النصر الهامة في حملة الجنوب ، فقط ثمار أخطاء العدو لم يكن ممكناً الى هذا الحد من النجاح « لولا جهودنا ومهارة قادتنا وبسالة جنودنا . . » كما يقول الجنرال زونغ .

إضافة لما سبق فقد توفر للحملة قيادة عسكرية سياسية ممتازة، القيادة العسكرية تضم مجموعة من كبار الضباط الذين نشأوا وترعرعوا وواكبوا تطور القوات الثورية من البداية، وهم قادة مجربون خاضوا معارك قتالية على امتداد أكثر من ربع قرن، كما ان المجموعة القيادية كانت تضم ضباطاً منسجمين على المستوى الشخصي[٥٣] وكانوا رفاقاً حميمين عملوا معاً وشاركوا في المعارك والوحدات العسكرية ذاتها ، اما القيادة السياسية فقد ضمت اثنين من ابرز اعضاء المكتب السياسي ، اضافة الى الاتصال الدائم والمفتوح بين قيادة الحملة والقيادة الحزبية (الأمين العام) والقيادة العسكرية (وزير الدفاع جياب) والقيادة التنفيذية (رئيس الحكومة فام دونغ) المركزية في هانوي .

وإذا كانت المصادر العسكرية الامركية «تعيب» على القيادة الفيتنامية تخليها عن

تكتيكات الحرب الشعبية ولجوئها الى الحرب النظامية ، فيكفي الاشارة هنا الى ان تلك الحملة كانت تتويجاً لسلسلة من المراحل النضالية التي ابتدأت بحرب العصابات في الجنوب عام ١٩٦٠ هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الحملة الجنوبية (قوات واسلحة وتجهيزات) لم تكن سوى رأس السهم لجبهة بشرية ومادية عظيمة تبدأ من هانوي وتتفرع في اتجاهات رئيسية نحو الجنوب ، شارك فيها ملايين العمال والشباب والطلبة وملايين الدراجات وحيوانات النقل والاف السيارات والاليات .

ان المحللين غالباً ما يتناسون السبب الرئيسي وراء كسب «الشيوعيين» لمعركة تحرير الجنوب ويلقون باللائمة على قيادة الجيش السايجوني ، ان فشل العسكريين الامريكيين انفسهم في الحرب هو الذي جعلهم يلقون بكامل العبىء الحربي على كاهل الجيش الجنوبي وهذا الأمر قصّر في عمر الحرب لا أكثر .

الجنرال زونغ يعتبر انتصار هوشي منه اعظم واكرم نصر تحقق في تاريخ فيتنام ، وقاد الى تعزيز العلم العسكري الفيتنامي وتطور فن الحرب وساعد في بناء الجيش الثوري العصري ، لان المعركة من وجهة نظر العسكريين الفيتناميين تجلت فيها قدرة القيادة الفيتنامية على قيادة ومتابعة النظام العسكري الاستراتيجي في ذروة الحرب التحريرية .

في مايو عقد بفندق بالاس في منتجع دالات الجميل مؤتمر عسكري ، حضره بالاضافة الى قيادة الحملة ، قادة وتشكيلات والقطاعات والاسلحة المشاركة فيها ، وكان الهدف من المؤتمر مراجعة مراحل الحملة ونتائجها ، واستخلاص الدروس والخبرات اللازمة لبناء الجيش الفيتنامي الثوري والعصري القادر على حماية الاستقلال والوحدة والاشتراكية وتنفيذ مهماته الاممية . وبعد ثلاثة سنوات كان الجيش الفيتنامي مزوداً بتلك الدروس والخبرات ، يخوض قتالاً باسلاً جديداً في مواجهة القوات الصينية التي هاجمت شمال فيتنام .

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب الخامس

(١) مذكرات ـ رتيشارد نكسون بالعربية ص ١٤٦ .
(٢) المصدر : دراسات فيتنامية V S No 28 - P 20 .
(٣) مذكرات ـ رتيشارد نكسون بالعربية ص ١٤٧
(٤) مذكرات ـ هنري كيسنجر ص ٨٥ .
(٥) حسب المصادر الفيتنامية تكون القوات الجوية قد امتلكت عام ١٩٦٩ ، ٤٨٠٠ طائرة ، ٣٠٠٠ دبابة ومدرعة ، ٢٠٠٠ مدفع ثقيل .

الارقام والتقديرات مصدرها مقالة الجنرال هوانغ منه هاو التي نشرتها وكالة انباء فيتنام في الذكرى الخامسة لحملة هوشي منه VNA- 18 - 4 - 1980 عن V.N Couner 4- 1980 .

(٦) النتائج المذكورة مصدرها دراسات فيتنامية : V S No 28 - P 42 - 45 .
(٧) المصدر السابق .
(٨) ساماكه تعني في اللغة المحلية اللاوسية الوحدة والتضامن .
(٩) المصدر : دراسات فيتنامية V S No 28 P. 51 .
(١٠) مذكرات . ريتشارد نكسون بالعربية ص ١٥٠ .
(١١) برنامج جبهة التحرير موجود في دراسات فيتنامية V S No 28 - P.96
(١٢) الكلمة الفيتنامية تعني الانتصار والانجليزية تعني كاسحة الصخور .
(١٣) حاولت واشنطن الزج بالمزيد من بلدان جنوب شرق آسيا في المعركة إلّا أنها واجهت معارضة اندونيسيا خلال اجتماعات حلف سياتو في يوليه ١٩٧٠
(١٤) دراسات فيتنامية VS. NO. 28- P. 119 .
(١٥) هوتشي منه ـ المختارات بالانجليزية P 355
(١٦) بيان الحكومة الفيتنامية تعليق على زيارة نكسون للصين لمراجعة مذكرات نكسون .
(١٧) المصدر. الحقيقة حول العلاقات الفيتنامية الصينية . ص ٧٢
(١٨) لم يحضر هوشي منه الاجتماع المذكور لانه كان قد توفي في ٣ سبتمبر ١٩٦٩ .
(١٩) للمزيد من التفاصيل حول العمليات العسكرية والاجراءات الامريكية العدوانية لعام ١٩٧١ يمكن الرجوع الى : دراسات فيتنامية V S No 33 .
(٢٠) مذكرات ـ رتيشارد نكسون بالعربية ص١٥٣ .
(٢١) أهمها : بان نا ، ياك سونغ ، هوي ساي
(٢٢) المصدر : الجنرال فان تين زونغ « الحرب الثالثة » ص ٢٥٩
(٢٣) نشرت في دراسات فيتنامية V S NO 33 .
(٢٤) المصدر كتاب « كمبوديا الثورة المنتصرة » سلوى العمد ص ٨٤ .
(٢٥) قال العسكريون الامريكيون أن الهجوم المذكور فشل لأن القيادة الفيتنامية فتحت أربع جبهات رئيسية في أوقات مختلفة مما أعطى الطرف الآخر فرصة حشد قواته ، واشاروا أيضاً الى عجز القيادة الفيتنامية في ادارة حرب حديثة بالاسلحة المشتركة ، من ناحيته ذكر نكسون في مذاكرته ص ١٥٦ ، أن الهجمات الفتينامية لعام ١٩٧٢ لم تكن حرباً شعبية بل نظامية تقليدية استخدمت فيها هانوي ١٤ فرقة و٢٦ وحدة

عسكرية مستقلة .

من مفاجآت معارك آن لوك عام ١٩٧٢، أن القوات الثورية استخدمت الدبابات مما أذهل الأمريكيين الذين لم يتوقعوا نقل الدبابات إلى تلك المناطق البعيدة جدا عن الشمال، كما جاء في مذكرات الجنرال زونغ ـ ص ٢٥٩

(٢٦) اعترف الجنرال زونغ انه بسبب التفوق الجوي والبحري للطرف الآخر لم يتمكن الثوار من الاحتفاظ بمقاطعة كوانغ تري أكثر من شهرين بعد تحريرها

(٢٧) المصادر العسكرية الامريكية تحدثت عن ١٣٠ الف اصابة في صفوف القوات الثورية خلال عام ١٩٧٢ !

(٢٨) سفارات الجزائر ، الهند ، كمبوديا ، فرنسا . وسفن روسية وألمانية .

(٢٩) زعم ريتشارد نكسون في مذكراته ص ١٦٠ أن أحداً لم يغرق لانه لم يقصف اية سدود !

(٣٠) كان المؤلف في مهمة مماثلة في هانوي في تلك الفترة

(٣١) الأسلحة المتروكة تشمل سبعمائة طائرة ، خمسمائة مدفع ثقيل ، اربعمائة دبابة ومدرعة ، اضافة الى عدد من السفن الحربية وكمية كبيرة من التجهيزات قدرت بمليوني طن ـ مذكرات الجنرال زونغ ص ٩ .

(٣٢) زار هانوي في فبراير والتقى مسؤولين فيتناميين في باريس في مايو ويونيه .

(٣٣) اخفت واشنطن اخبار الاتفاق الابتدائي عن حلفائها في سايجون .

(٣٤) الارقام مصدرها نشرة لجنة التحقيق في الجرائم الامريكية ـ مدينة هوشي منه .

(٣٥) استقالته كانت في ٩ اغسطس ١٩٧٤ .

(٣٦) كما جاء على لسان ريتشارد نكسون في مذكراته بالعربية ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٣٧) بناء على قرارات اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب في مارس ١٩٧٤ .

(٣٨) مذكرات الجنرال فان تين زونغ «الحرب الثالثة» ص ٢٠ .

(٣٩) فوك لونغ Phuc long تقع على الطريق رقم ١٤ في المنطقة الشرقية لجنوب فيتنام .

(٤٠) بون مي توت Bon Me Thout عاصمة دارلاك ويسكنها ١٥٠ الف نسمة .

(٤١) بعد موافقة المكتب السياسي للحزب .

(٤٢) حسب قائد حملة تاي نجوين Tai Nguyen الجنرال هوانغ ثاو .

(٤٣) سلسلة اجتماعات عقدت في الفترة من ٢٠ ـ ٣١ مارس.

(٤٤) الخطة الاحتياطية اعتمدها المكتب السياسي في ٨ يناير ١٩٧٥ وتقول بالعمل على تحرير الجنوب الفيتنامي كاملاً اذا ماحصلت لحظة مناسبة خلال العام ذاته.

(٤٥) الجيش الرابع جرى انشاؤه في مناطق دلتا الميكونغ.

(٤٦) نائب الرئيس ، وزير الدفاع ، السفير في سايجون .

(٤٧) مساحتها ١٧٤٥كم وسكانها ٣,٥ مليون نسمة .

(٤٨) تأخذ مكان الجيش الخامس بين القوات المهاجمة .

(٤٩) المقيمة في مطار تانزيون يات ـ سايجون .

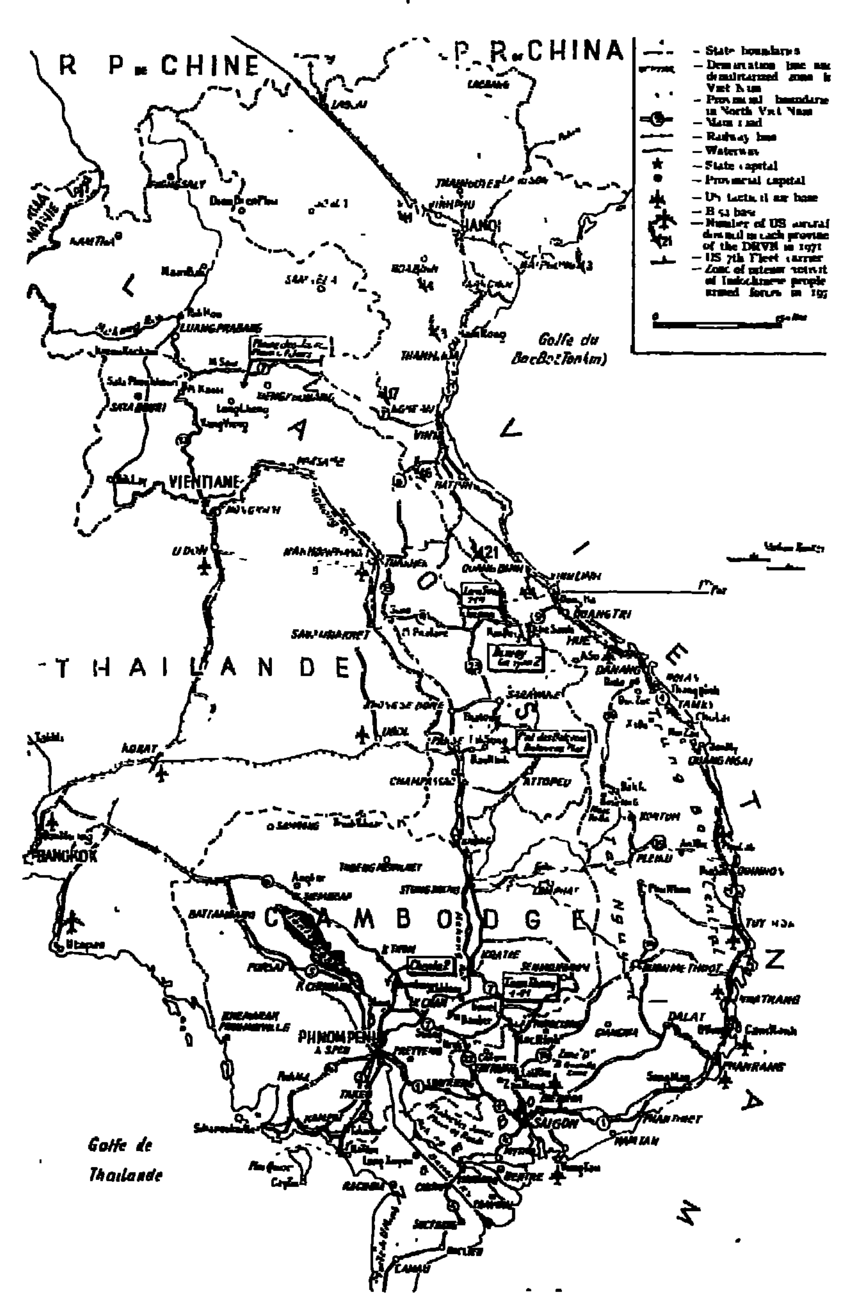
(٥٠) الجنرال فان تين زونغ «الحرب الثالثة» ص ٢٣٧ .

(٥١) يتجاهلون حقيقة أن القوات النظامية والحرب النظامية هي الشكل الارقى في المرحلة الثالثة من مراحل حرب التحرير الشعبية أي مرحلة التفوق ـ راجع مجلة استراتيجيا عدد ٧٨ اغسطس ١٩٨٨ .

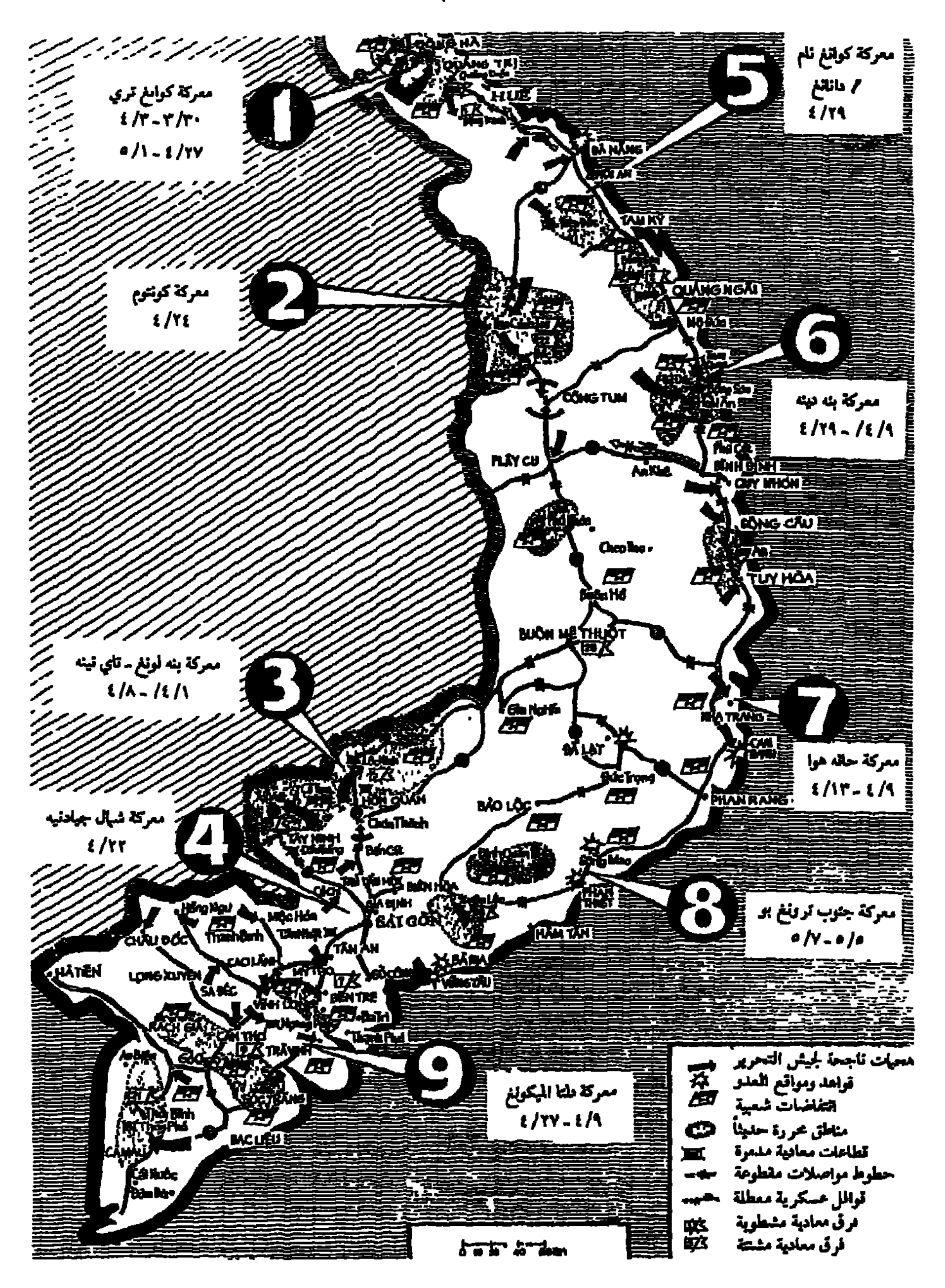
(٥٢) الجنرال زونغ «الحرب الثالثة» ص ٧٥ .

(٥٣) المصدر السابق .

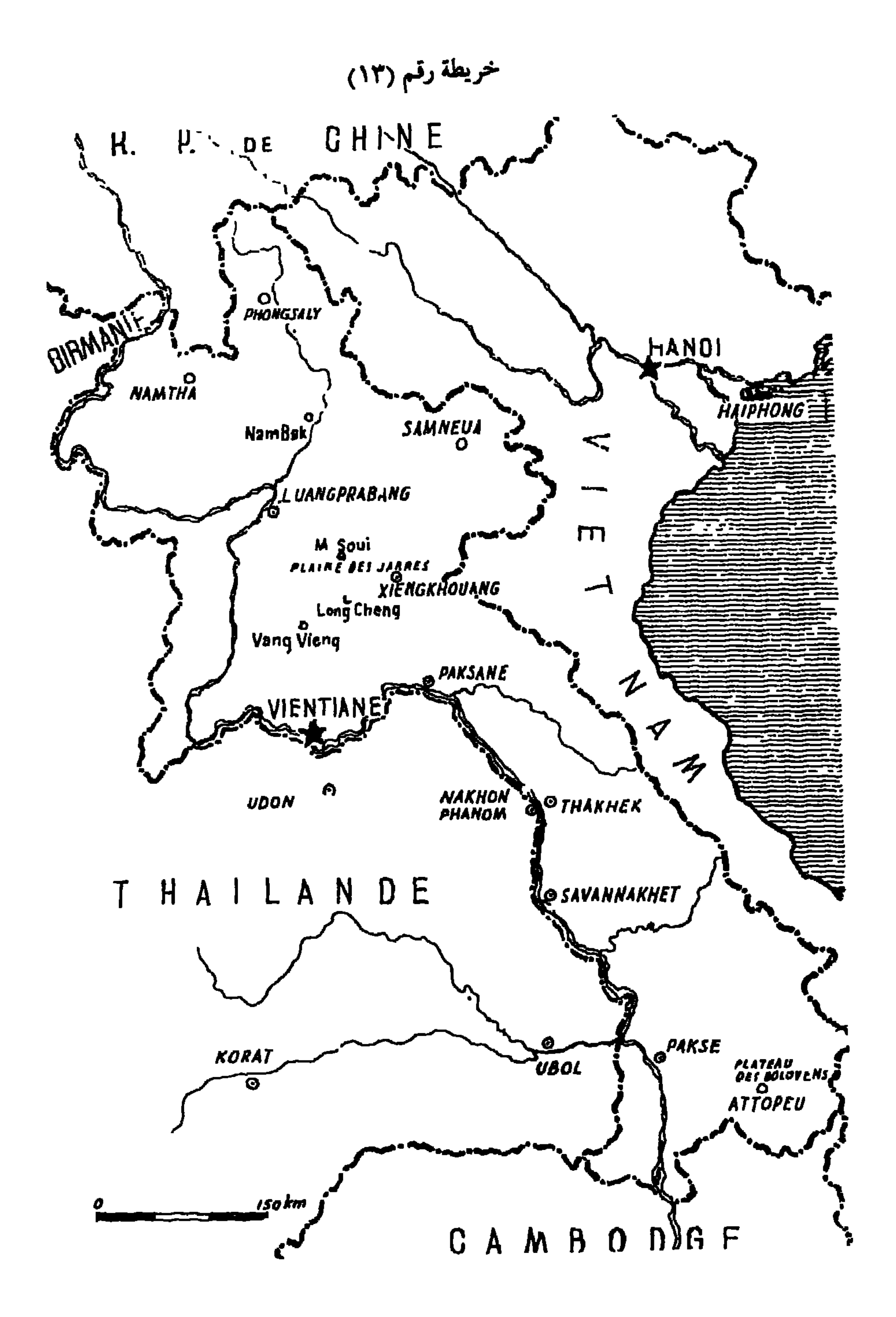
خريطة رقم (١١)


R P. CHINE
P. R. CHINA
HANOI
VIENTIANE
THAILANDE
CAMBODGE
BANGKOK
PHNOMPENH
SAIGON
Golfe du BacBo(Tonkin)
Golfe de Thailande
– State boundaries
– Railway line
– Waterway
– State capital
– Provincial capital
– B 52 base
– US 7th Fleet carrier

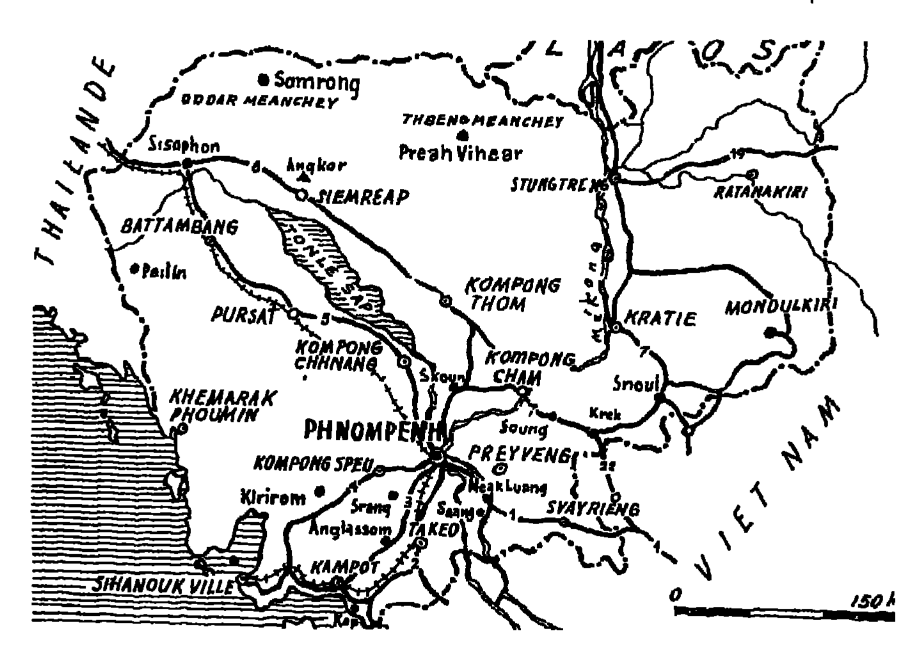
خريطة رقم (١٢)

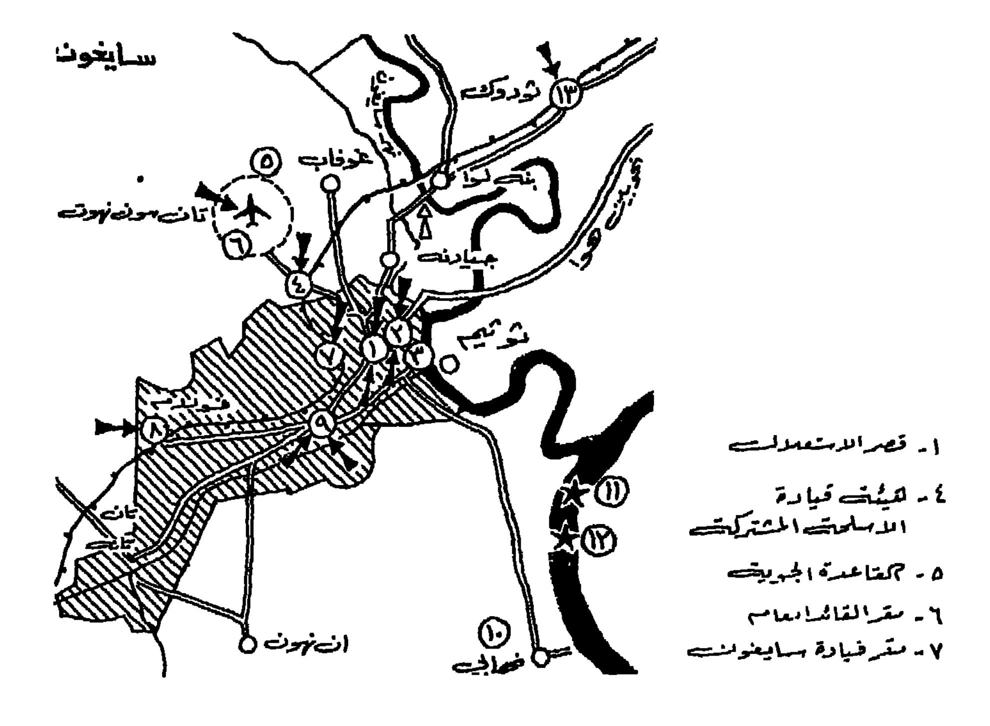

معركة كوانغ تري
٤/٣-٣/٣٠
٥/١-٤/٢٧
معركة كونتوم
٤/٢٤
معركة بنه لونغ - تاي نينه
٤/٨-/٤/١
معركة شمال جيادنيه
٤/٢٢
معركة كوانغ نام / دانانغ
٤/٢٩
معركة بنه دينه
٤/٢٩-/٤/٩
معركة خانه هوا
٤/١٣-٤/٩
معركة جنوب ترونغ بو
٥/٧-٥/٥
معركة دلتا الميكونغ
٤/٢٧-٤/٩
HUẾ
ĐÀ NẴNG
TAM KỲ
QUẢNG NGÃI
CÔNG TUM
PLÂY CU
BÌNH ĐỊNH
QUY NHƠN
SÔNG CẦU
TUY HÒA
BUÔN MÊ THUỘT
NHA TRANG
ĐÀ LẠT
PHAN RANG
BẢO LỘC
PHAN THIẾT
HÀM TÂN
BÀ RỊA
BIÊN HÒA
SÀI GÒN
TÂN AN
BẾN TRE
CHÂU ĐỐC
HÀ TIÊN
LONG XUYÊN
SA ĐÉC
CẦN THƠ
TRÀ VINH
SÓC TRĂNG
BẠC LIÊU
هجمات ناجحة لجيش التحرير
قواعد ومواقع العدو
انتفاضات شعبية
مناطق محررة حديثاً
قطاعات معادية مدمرة
خطوط مواصلات مقطوعة
قوافل عسكرية معطلة
فرق معادية مشطوبة
فرق معادية مشتتة

خريطة رقم (١٣)


DE CHINE
BIRMANIE
PHONGSALY
NAMTHA
NamBak
SAMNEUA
HANOI
HAIPHONG
LUANGPRABANG
M Soui
PLAINE DES JARRES
XIENGKHOUANG
Long Cheng
Vang Vieng
VIET NAM
PAKSANE
VIENTIANE
UDON
NAKHON PHANOM
THAKHEK
THAILANDE
SAVANNAKHET
KORAT
UBOL
PAKSE
PLATEAU DES BOLOVENS
ATTOPEU
0
150km

خريطة رقم (١٤) خريطة كمبوتشيا





الباب السادس

الدروس والخبرات العسكرية



الدروس والخبرات العسكرية

كما ذكرنا في مقدمة الكتاب فإن اهتمامنا في هذه الدراسة محصور بشكل أساسي في الجـانب العسكـري من التجـربة الفيتنامية فهي قد قدمت من الدروس والخبرات الهائلة والعظيمة في مختلف المجالات التنظيمية والسياسية ، التي يصعب حشرها في هذا الحيز المتاح .

لذلك فإننا سنقصر اهتمامنا في هذا الباب على خبرات العمل العسكري ومايتعلق بها في المجالات الاخرى دون تفصيل .

الدرس الأول كما يقول الجنرال جياب[1] « . . أن حرب التحرير الفيتنامية من وجهة النظر العسكرية اثبتت ان جيشاً شعبياً غير مسلح جيداً ولكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة يستطيع باستراتيجية وتكتيك مناسبين أن يخلق الظروف المطلوبة للانتصار على جيش حديث تابع للإمبريالية العدوانية . . » .

وبالفعل كان على الساحة الفيتنامية ذات لحظة حوالى مليون ونصف جندي أمريكي وفيتنامي جنوبي وحليف ، وفي خدمتهم أسلحة وتجهيزات اعتى قوة عسكرية في العالم ، يواجهون « عصابات الفيتكونغ »[2] الأقل عدداً ، والأضعف تسليحاً ، والأبسط تجهيزاً ، بمرات عديدة ، لكن القوات الثورية استطاعت أن تنتصر على تلك القوة البشرية والمادية الجبارة ، بتوفير الشروط الأساسية التالية :

ـ لقد تم بناء القوة العسكرية للثورة . بما يتلائم ومتطلبات الحرب الشعبية ، سواء على مستوى نوعية المقاتلين أو البنى العسكرية أو الإحتياطات المطلوبة .

ـ وتم ايضاً بناء القواعد الثورية المناسبة وبشكل خاص القاعدة الرئيسية الآمنة في مختلف المراحل بشكل حافظ على « حياة » الثورة ونقلها من حالة الضعف الى التوازن الى التفوق .

ـ كان الإعتماد على « الذات » أساسياً لتأمين الحد الكافي من الإمداد والتموين ، والاستفادة القصوى من العامل الموضوعي الذي لعب دوره الحاسم في مراحل متقدمة من المواجهة .

ـ ظهرت أيضاً الأهمية الفائقة للتنسيق العسكري بين الأشكال القتالية واستخدام التكتيكات العسكرية الأكثر ملائمة لكل مرحلة ولكل منطقة .

ـ كما أن المسلكية الثورية لعبت دوراً مهماً خلال المسيرة الثورية ، وكان أثرها فاعلاً على الجبهتين : العمل السياسي بين الجماهير في المناطق المختلفة ، والعمل في جبهة العدو العسكرية والشعبية .

أولاً : مرحلة الاستعدادات

● بناء القوات الثورية

أن خبرة بناء القوات الثورية المسلحة من أكبر خبرات الفيتناميين ، فقد أقر الحزب الشيوعي مسألة بناء الجيش الوطني كأحد أهدافه نظرياً منذ تأسيسه ، لكن المهمة تعثرت كثيراً في البداية حيث انشئت « وحدات الدفاع الذاتي الحمراء »[1] باعتبارها وحدات عمالية فلاحية للدفاع الذاتي وحماية انتفاضة نجهي ـ تينه ، ولم تعمر كثيراً واندثرت ولم يكرر الحزب التجربة لعدة سنوات . . المرحلة الثانية بدأت مع الانتفاضات المحدودة الفاشلة التي تشكلت في مطلع الأربعينات النوايا الأولى للقوات الثورية المسلحة التي حملت اسم وحدات الإنقاذ الوطني في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٤ ، بينما قام جياب بإنشاء وحدات ثورية سياسية ـ عسكرية في قواعد كاويانغ وباك كان ، ولانغ سون اضافة الى مجموعة عسكرية وطنية اخرى عملت في المناطق الشمالية . . وتوحدت جميع تلك التشكيلات العسكرية وشبه العسكرية في مؤتمر تونكين العسكري في ابريل ١٩٤٥ تحت راية جيش التحرر الفيتنامي .

المرحلة الثالثة بدأت باعلان المناطق المحررة في ست محافظات شمالية وهناك أمكن انشاء وحدات عسكرية نظامية على مستوى الكتيبة . اضافة الى وحدات الدفاع الذاتي المقاتلة ، ووحدات الدفاع الذاتي والمليشيا ، وقد تحدثنا سابقاً عن أهمية وحدات الدعاية المسلحة في اقامة القواعد السياسية بين الجماهير ، وشن النضالات والانتفاضات التمهيدية لحرب العصابات ، وفي هذه المرحلة كان هدف العنف الثوري المحدود والمختار هو مساعدة العمل السياسي فالأولوية كانت للسياسي على العسكري في عمل تلك الوحدات كما كان يؤكد كل من هوشي منه وجياب ، إلى أن صدرت الأوامر بالتحرك والاستيلاء على السلطة

في اغسطس ١٩٤٥ .

بقيام الجمهورية في ٢ سبتمبر ١٩٤٥ بدأت مرحلة جديدة في مسيرة القوات الثورية حيث انشئت وزارة الدفاع واقيمت القوات المسلحة الخاصة بالجمهورية من ثلاثة أنواع : الجيش النـظامي ، الدفاع الذاتي ، المليشيا ، وبعد معركة سايجون بدت الحاجة الى بناء وحدات العصابات التي نشطت في مواجهة القوات النظامية الفرنسية الزاحفة من الجنوب ، والتي أصبحت التشكل الآخر للقوات الثورية منذ إقامة القاعدة الآمنة إلى جانب الوحدات النظامية التورية .

التطور الرابع كان بإنشاء الوحدات الأقليمية عام ١٩٤٨ بعد توسع حرب العصابات واشتداد عود القوات النظامية ، وقد تكونت الوحدات الإقليمية اساساً من أفضل وحدات حرب العصابات المجربة ، ونظمت على شكل سرايا ثم تطورت إلى كتائب وأخيراً ألوية عام ١٩٥٣ وهي تقوم بإمداد الجيش النظامي بالوحدات الإضافية .

التـطور الأخـير يتعلق بالمستوى الفني والتقني للقوات ـ بعد اعادة تنظيمها وتعزيز المنظمة القيادية والسياسية داخل الوحدات ـ لكي تتمكن من خوض معارك واسعة النطاق وشن حملات كبيرة استدعتها تطورات المواجهة العسكرية .

وهكذا توفرت للحرب الثورية الفيتنامية ثلاثة أشكال من القوات (نظامية ـ اقليمية ـ عصابات) والفكرة الأساسية في هذا التقسيم هي المحافظة على استمرارية القتال والإنتاج في ذات الوقت ، وخدمة كل منها للآخر ومع ذلك فقد مرت التجربة ببعض الصعوبات الناتجة عن :

ـ عدم فهم بعض المقـاتلين لمعنى حرب العصابات واستيعاب تكتيكاتها ، واهتمام البعض الآخر بالجوانب الشكلية أو اهمال البعض للانتاج والتركيز فقط على القتال .

ـ ميل بعض القادة والضباط في الوحدات النظامية الى خوض معارك نظامية كبيرة في مناطق لم تنضج فيها القوات العصابية ، وتجاهل البعض لدور العصابات أو التقليل من أهميتهـا . معالجة ذلك كانت تتم عبر المؤتمرات العسكرية المركزية والاقليمية ، والدورات وحملات التثقيف، وتكريس مبدأ الإستفادة من شكلي الحرب النظامي والعصابي والتنسيق بين وحداتها المختلفة .

التجربة الفيتنامية أشرت على أهمية الحرب العصابية كما النظامية لكنها في المرحلتين الفرنسية والامريكية بدأت بحرب العصابات أولاً ، لانها تفتح الطريق لاستنزاف العدو من ناحية، وبناء القوات السياسية والعسكرية للثورة من ناحية أخرى ، فتقوم الحرب النظامية بدورها في توجيه الضربات الحاسمة لقوات العدو الرئيسية وحسم الموقف العسكري .

أما بالنسبة الى بناء القوات الثورية في الشمال (المحرر بعد ديان بيان فو) فقد دعت

الحاجة الى الإعتماد على شكلين رئيسيين للقوات بدلاً من ثلاثة :[1] .

ـ القوات النظاميه والتي انتقلت من جيش المشاة الى جيش الأسلحة المختلفة .

ـ القوات الشعبية (مليتيا واحتياط) بحيث تكون المليشيا قوة استراتيجية لمعاونة الجيش في العمليات العسكرية ، والاحتياط امداد الجيش بالرجال وحماية الأمن والانتاج وخدمة الجبهة في حالة القتال . بناء الجيش في الجمهورية الديمقراطية مر بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩

تضمنت تحويل الجيش من جيش شعبي متواضع الى جيش شعبي عصري في تنظيمه وتسليحه وتجهيزه ، وقد برزت عدة صعوبات في تلك المرحلة سببها الخلفية الفلاحية لمعظم الجنود وطغيان الوعي القومي على الطبقي وبروز الأفكار البرجوازية بين الضباط ، الاّ أن معالجتها تمت عبر الثورة الزراعية وتوزيع الأرض على الفلاحين من ناحية ، وشن حملة التثقيف والتوعية الايديولوجية وتعزيز البناء الحزبي داخل الجيش من ناحية ثانية ، وقد شكت القيادة الفتينامية العسكرية من صعوبة تحويل مقاتلي حرب العصابات (الفدائيين) الى مقاتلين نظاميين (جنود) عبر برامج التدريب واعادة التكوين ، فالشجاعة في هذه الحالة ليست وحدها المطلوبة بل ايضاً القدرة على استيعاب المستوى التقني والإداري والفني داخل الجيش .

المرحلة الثانية ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥

تضمنت ادخال التحدثيات والتوسع في بنية الجيش في ضوء التدخل الامريكي المتزايد واحتدام الصراع في الجبهة الجنوبية بين قوات جبهة التحرير والنظام السايجوني ، كما شارك الجيش في هذه المرحلة بفعالية في انجاز الخطة الخمسية الاشتراكية وخاصة في مواقع التعمير والمصانع واصلاح الاراضي واقامة مزارع الجيش ، وكان الجيش هنا امتداداً للطبقة العاملة .

المرحلة الثالثة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٥

شهدت تكثيف العمل في القاعدة المادية للقدرات القتالية أي في مجال تدفير السلاح والعتاد والتجهيزات لكي تتمكن القوات في مواجهة الحرب التدميرية الجوية والبحرية من ناحية ! والقيام بحملات عسكرية نظامية حديثة من ناحية أخرى وهذه المسؤوليات تطلبت اعادة تنظيم وتوزيع فرق الجيش واسلحته المختلفة وخاصة الجوية والدفاع الجوي (المركزي والاقليمي) كما تطلبت فسح المجال كاملاً أمام الروح الخلاقة والابداعية لحرب الشعب عبر الاف المبادرات مع الحفاظ على قيادة الحزب الحازمة للمعركة ، كما أعطيت أهمية خاصة في المرحلة الثالثة للحصول على الاسلحة والمعدات المتطورة من المعسكر الاشتراكي واستيعابها من جانب الجيش الفيتنامي .

● العمل العقائدي والسياسي :

حرص الحزب الشيوعي الفيتنامي على أن يكون هو القائد والموجه والمشرف للقوات المسلحة باعتبارها جيش الطبقة العاملة بالأساس وجيش كل الشعب ، ومنذ تأسيس وحدات الدعاية المسلحة حتى تحقيق النصر النهائي كان التركيز على العمل السياسي في القوات المسلحة باعتباره شريان الحياة بالنسبة للقوات أو على حد تعبير ضابط فيتنامي كبير(*) « شبيه بالجهاز العصبي أو الدورة الدموية عند الانسان » والعمل السياسي يقوده الحزب عبر المنظمات الحزبية والجماهيرية التابعة له في الوحدات ، وهنا لاحظنا ان القيادة الشيوعية قدمت تنازلات للاحزاب القومية في الاربعينات في عدد من الوزارات والمناصب إلاّ أنها لم تسمح لأحد بالتدخل أو النفوذ داخل المؤسسة العسكرية .

المنظمات الحربية في القوات المسلحة تبدأ من اصغر وحدة وحتى القيادة العامة للجيش ، ويعتبر المفوض السياسي إلى جانب القائد العسكري شريكاً في قيادة الوحدة ، وهذه القيادة المزدوجة تبدأ من مستوى السرية فالكتيبة ثم تنظم الى الأركان واللوازم في قيادة جماعية على مستوى اللواء أو الفرقة والفيلق . الكادر السياسي أو المفوض السياسي يصبح أتوماتيكياً ، سكرتير أو نائب سكرتير اللجنة الحزبية في الوحدة يشرف على الهيئات الحزبية فيها ويكون تحت إشراف المفوض السياسي للوحدة الأعلى ، ومن الناحية العسكرية يطيع أوامر القائد العسكري للوحدة الأعلى ، وفي حالة غياب أو مقتل قائد وحدته العسكري يتولى المفوض القيادة العسكرية مكانه .

المنظمات الجماهيرية المرتبطة بالحزب والمسموح بها داخل القوات هي اتحاد الشباب ومجلس الجنود وهي كما ذكرنا تحت قيادة المسؤول السياسي للوحدة العسكرية .

وبذلك يكون العمل السياسي في القوات عملاً أساسياً ليس ثانوياً ولا تقليدياً ، وتكون مهمة كاداراته ذات طبيعة قيادية وقتالية وجماهيرية في نفس الوقت ، ولذا فإنها تبنى من طراز خاص ، حزبية ، نشيطة ، متمكنة ، متواضعة ذات مواهب قيادية .

أما البناء الايديولوجي(1) في القوات فإنه يعتبر من أهم مهمات العمل السياسي ويقوم بها عن طريق التثقيف العقائدي ، وعمل النوادي والأمسيات والندوات والحركات التنافسية الهادفة الى تكريس الخط الفكري للحزب بين الأعضاء ، اضافة الى مهمة البناء الايديولوجي فإن للعمل السياسي مساهمته المستمرة في حماية الجيش من التخريب ومواجهة الثورة المضادة والعناصر الفاسدة ، وفي تعبئة القوى الشعبية في القوات المسلحة ، وفي العمل في صفوف القوات المعادية لاضعافها وتمزيقها داخلياً ، كما أن للعمل السياسي دور خاص في العمليات القتالية قبل وأثناء وبعد الاشتباكات .

من المهمات الداخلية للتفويض السياسي أيضاً العمل على اقامة علاقات طيبة ورفاقية بين الجنود والضباط ، وبين الجيش والشعب وبين الجيش والادارة في المناطق المتواجد فيها ، ورغم الإهتمام بتوفير وممارسة الديمقراطية السياسية والعسكرية والاقتصادية الى حد بعيد داخل الجيش بحيث لاتترك الفروق في الرتب والوظائف والمهمات أثرها على المساواة السياسية إلاّ أن الطاعة المطلقة للاوامر والتقيد الدقيق بالنظام كان يحرص عليها الى أبعد حدود . . . وقد لمس هذه المعادلة (العلاقات الاخوية والانضباط الشديد) الصحفي بورشيت[٧] الذي يقول إنه لم يلمسها عند أحد خلال عمله كمراسل حربي لأكثر من ربع قرن « أنهم يلبسون جميعاً بطريقة واحدة ، ويأكلون بنفس الطريقة ، وينامون بنفس الطريقة ، وفي القواعد يقتسمون خيم القصب المتشابهة » لكن هذه العلاقات الطيبة بين الجنود والضباط لم تؤد الى نقص في الاحترام أو الثقة بل بتلك الثقة والآلفة يقود الضباط أعضاء وحدتهم العسكرية .

● الذاتي والموضوعي[٨]

أولت القيادة الفيتنامية اهتماماً خاصاً لدور العامل الذاتي كأساس لنجاح الثورة ، وعلى هذا سعت منذ البداية الى تكريس مبدأ الاعتماد على النفس ، الاعتماد على النفس في وضع الخط السياسي والعسكري وفي ممارسة الاشكال النضالية حتى دون توفر المساعدات الخارجية ـ في المراحل الاولى على الأقل ـ لكن ذلك لم يدفع القيادة الى المغامرة دون توفر الشرط الموضوعي للنصر .

استفاد الفيتناميون من فشل الانتفاضات والحركات الوطنية السابقة التي بدأت بالتحرك الذاتي دون أن تضمن المعادل الموضوعي مما سرع في فشلها وتصفيتها على يد السلطات الفرنسية ، وفي تجربة اغسطس ١٩٤٥ أخذ على هوشي منه تردده وتأجيله قرار التحرك عدة مرات ، بينما هو كان في انتظار الوقت الانسب لتوفير الشروط الموضوعية المواتية للحركة الذاتية .

في حرب المقاومة الاولى كانت الثورة محاصرة (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠) فاضطرت إلى الاعتماد الكلي على الامكانيات الذاتية مادياً ومالياً وتسليحياً ، حتى توفر العامل الصيني الذي كان دوره حاسماً في المرحلتين الوسيطة والهجومية لدرجة أن الفرنسيين حمّلوا الصينين ـ كما رأينا ـ مسؤولية هزيمتهم في ديان بيان فو ، لكن ذلك العامل الصيني لم يكن ليترجم فعاليته لولا تجنيد العامل الذاتي باقصى صوره ـ وفي مواجهة التيارات المتفائلة والمستعجلة حرصت القيادة الفيتنامية على التركيز على العامل الذاتي في استغلال المساعدات الخارجية وتطويرها وعدم الركون المطلق إليها بل المعالجة الدقيقة والحذرة لموازين القوى في كل معركة وتجنب التهور والرعونة .

وسنلاحظ أن التسوية السياسية في جنيف كانت غير عادلة وتنتقص من سيادة فيتنام ورغم أن الوضع العسكري للفيتناميين يسمح لهم بمواصلة القتال إلاّ أن القيادة قررت قبول التسوية لانها « هددت » بفقدان مساعدة المعسكر الاشتراكي في وقت كانت واشنطن تستعد فيه للتدخل المباشر في المنطقة .

وفي حرب المقاومة الثانية كانت القيادة الفيتنامية قد طورت - بشكل أعظم - امكانياتها الذاتية ، وأصبح العامل الذاتي في جنوب فيتنام ناضجاً ، وتحول العامل الذاتي الشمالي الى موضوعي بالنسبة للجنوب ، بينما تطور موقف المعسكر الاشتراكي ليتشكل عاملاً موضوعياً مواتياً لحركة الثورة لكل فيتنام . وكان له دوره الهام في معركة تحرير الجنوب لدرجة أن الأدارة الأمريكية حملت السوفيت مسؤولية سقوط نظام سايجون .

واذا كانت سياسة الاعتماد على النفس ذات طابع مركزي وتطبق في المجالات العسكرية والاقتصادية الفنية المختلفة إلاّ أنها في الجانب العسكري تشمل بناء الوحدات العسكرية والحصول على أسلحتها ، وذلك عن طريق الإستيلاء عليها من العدو أو تصنيعها (بداية الصناعات الحربية) وفي الحالتين تنظم القيادة حملات تنافس بين الوحدات وبين المقاتلين والسكان ، وبين الوحدات والمناطق العسكرية .

وقد بدأ الفيتناميون بداية متواضعة بصناعة الأقواس والسهام والمصائد ، ثم انتقلوا إلى الألغام والهاونات والبنادق العادية في الحرب الفرنسية حتى أصبح لديهم صناعة حربية متطورة في الحرب الامريكية وفي نطاق سياسية الاعتماد على الذات[9] كان لابد من التركيز على الاقتصاد في الذخيرة ، من جانب وعلى التنسيق بين اصناف مختلفة من الأسلحة خلال المعارك ، من جانب آخر،ورفعت شعارات لهذا الغرض منها : كل عدو برصاصة ، دبر اسلحتك بنفسك ، انتج لتأمين حاجتك !

● القاعدة الآمنة :

تعتبر القاعدة الآمنة[10] من أبرز العوامل الثابتة التي قادت الى النصر العسكري عندما كانت متوفرة ، وفي الفترات التي لم يتمكن الفيتناميون من اقامة القاعدة الآمنة أو لم يعيرونها الاهتمام الكافي كانت أوضاعهم تتجه نحو الأسواء :

- تجربتهم في اقامة القواعد - كما رأينا - كانت مبكرة ، في نجهي - تينه عندما أقاموا مجالس السوفيت لكنها افتقرت الى الاداة العسكرية الملائمة ، وعانت من قصور مفهوم العنف الثوري . وعلى امتداد عشر سنوات لاحقة اختفت القواعد الثورية لأن الكفاح المسلح لم يكن على رأس المهام الثورية .

- التجربة الثلية كانت في أوائل الأربعينات حيث بدأت متواضعة ؛ قواعد سياسية

وتنظيمية ثم قاعدة ثورية في محافظة كاو بانغ الحدودية الى أن شملت ست محافظات في بداية العام ١٩٤٥ .

ـ قاعـدة فيت باك التي حفـظت رأس الثـورة من الخـطر الياباني والفرنسي ووفرت الأساس البشري والمادي للثورة الشعبية وقدمت القوى العسكرية والإقتصادية والسياسية الضرورية لانجاح انتفاضة اغسطس وتسلم السلطة في سبتمبر ١٩٤٥ .

ـ عندما لم تستطع الجمهورية حماية السلطة الثورية ، وعندما أصبحت قوى الثورة مكشوفة أمام الفرنسيين في أواخر ١٩٤٦ لم يكن من مخرج أمام القيادة إلّا العودة لبناء القاعدة الأمنية من جديد ، فحرب العصابات كانت موجودة في الجنوب منذ عام سابق لكنها أيضاً كانت تفتقد الى القاعدة الآمنة بعد سقوط المدن الشمالية و هنا جاءت أهمية القاعدة الأمنة لحفظ رأس الثورة من ناحية ولتوفير الخيار العسكري بعد افلاس الخيار السياسي ـ الدبلوماسي .

ـ القاعدة الأمنة كما رأينا ظلت شرطاً أساسياً لمراحل الحرب الثلاثة ضد الفرنسيين وكـانت شرطاً هاماً لفعالية المساعدات الخارجية . وكانت الشرط الأساسي لتوفير النجاح لحملة ديان بيان فو الحـاسمة ، فهي الاسفنجة التي تمتص ضربات العدو الرئيسية وهي المستودع الذي لاينضب من الامكانيات البشرية والمادية .

ـ خلال فترة النضال السلمي ـ الدبلوماسي التي أعقبت مؤتمر جنيف سعت القيادة الفيتنـامية الى بناء قاعدة آمنة رئيسية في شمال الوطن ، وبناء على قرارات اللجنة المركزية للحـزب في دورتهـا الثانية عشرة عام ١٩٥٧ تجاوزت القاعدة الأمنة مهمة توفير القدرات البشرية والمادية الى مهمة تطوير تلك القدرات بما يتناسب ومتطلبات الحرب الحديثة .

ـ في الحـرب الوطنية الثانية أصبحت الجمهورية الشمالية تقوم بدور القاعدة الأمنة الرئيسية لقوى الثورة الجنوبية ، ورغم بناء العديد من القواعد داخل المناطق المحررة جنوب الخط ١٧ اعتباراً من عام ١٩٦٣ إلّا أن الشمال تحول من جمهورية مستقلة إلى قاعدة آمنة على المستوى القومي ، فالشعب الشمالي أصبح القاعدة الشعبية الرئيسية والجيش الشمالي القاعدة العسكرية الرئيسية والاقتصاد والارض القاعدة المادية .

يقول جياب في هذا الشأن أنه « لايمكن الحديث عن الكفاح المسلح وبناء قوات ثورية مسلحة دون الاشارة الى مسألة المؤخرة ، وهذه مسألة هامة ، ذات أهمية استراتيجية وعامل حاسم بالنسبة لنتيجة الصراع المسلح ولبناء القوات المسلحة»[11] من هنا لابد من الاستفـادة من طاقـات تلك القاعدة عبر شحذ همم أوسع القطاعات الشعبية فيها وربط مصـالحهم الطبقية بالمصلحة الوطنية مباشرة ، وهذا كان ممكناً في الشمال عبر الاجراءات الاشتراكية الصريحة ، ومن خلال القوانين الاشتراكية التي وفرها الدستور الاشتراكي للبلاد

والذي يحمي مصالح العمال والفلاحين والشغيلة ، أما في الجنوب فإن المسألة تقع على كاهل الإدارة التورية للمناطق المحررة (كما سنرى) .

● الإدارة الثورية :

يعتبر بناء الإدارة الثورية الشكل الأول لممارسة السلطة الثورية على المناطق المحررة ، وهي شرط لازم للحفاظ على القاعدة الآمنة وتطويرها ومنع العدو من اختراقها وتدميرها ، وهذه الإدارة يجب أن تستند الى خط سياسي وعسكري واقتصادي ثوري ومناسب للمرحلة .

ـ الإدارة الثورية التي اقامها الفيتناميون عام ١٩٣١ لم تستطع الصمود لانها اقتصرت على مجالس العمال والفلاحين ، والنضال ضد الإدارات المحلية والإقطاعات لكنها لم تمتلك المواصفات اللازمة لادارة الصراع على المستوى القومي .

ـ في الاربعينات تمكنت قيادة التورة من اقامة تنظيمها الجماهيري ، والعسكري ، والإداري الى حد ما تحت قيادة جبهة « الفيت منه » التي نافست إدارتها الثورية الادارات الاخرى الموالية للقوى الخارجية وتمكنت في النهاية من استلام السلطة وحدها .

ـ في حرب المقاومة الاولى انتقلت السلطة الثورية في العاصمة (الجمهورية) الى المناطق الشمالية واعادت بناء قواها السياسية والبشرية والمادية التي رافقت عملية الإنتقال .

ـ في تجربة الستينات اقامت جبهة التحرير الوطنية تنظيمها السياسي والعسكري والإداري في فترة قصيرة نسبياً ، وقد صمد هذا التنظيم في وجه حملات التمزيق التي تعرض لها ، واستطاعت الجبهة بواسطته أن تمارس سلطة الحكومة المعلية (الموازية) في المناطق المحررة قبل أن تتشكل الحكومة المؤقتة بسنوات .

ـ اعتمدت الجبهة في سياستها التنظيمية والادارية على بناء شكلين رئيسين :

١ ـ روابط التحرير الوظيفية :[١٢] وهي ذات طابع اجتماعي ـ سياسي ، وتعني بتعبئة وتنظيم الفئات الشعبية داخل القرى على أساس الوظيفة أو الجنس بهدف حشد الإمكانيات الشعبية المادية والمعنوية ، وكانت أكبر تلك الروابط ، رابطة الفلاحين ، تلتها رابطة المرأة فالعمال فالشباب والطلبة والمثقفين ، وقد وضعت برامج خاصة بكل رابطة تكفل تصعيد نضالها وتنسيقه على المستويين الفئوي والوطني العام .

٢ ـ روابط التحرير الإدارية[١٣] وهي تعني بتوجيه وتسيير النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لسكان القرى عبر المنظمات والروابط الشعبية والمهنية المختلفة ، والجبهة كانت تمارس سلطتها عبر تلك الروابط من خلال الوحدة التنظيمية التي بدأت، بالخلية فالفرع ، ثم لجنة الناحية فلجنة المحافظة ثم المنطقة أو عبر المناطق حتى اللجنة المركزية .

وقد اعتمد مبدأ المركزية في التخطيط والقرار السياسي (للجنة المركزية) واللامركزية

في التنفيذ (على مستوى لجان المحافظات) وفي نفس الوقت ممارسة السلطة بطريقة واضحة ومحدودة أمام الجماهير ،

ـ مثلاً : اتباع الاجراءات القضائية الصحيحة والعادلة في التوقيف والاعتقال والتحقيق واصدار الحكم وتنفيذه .

ـ مثلاً : بالحرص على أموال وممتلكات الثورة والتزام الكادرات القيادية بمستوى حياة الشعب ومحاربة الرشوة والفساد والاسراف واستغلال الموقع .

وحرصت الإدارة الثورية على تأمين مصالح القطاعات الشعبية الأوسع ، كالفلاحين عبر تطبيق اصلاحات زراعية تتوجت بالثورة الزراعية (في بعض الحالات) والعمال والعمال الزراعيين عبر تطبيق القوانين المتعلقة بالاجور وساعات العمل والضمان الصحي والاجتماعي . وبالنسبة للفئات الشعبية الاخرى عبر توفير الخدمات العامة الضرورية كمحو الأمية والتعليم العام والمهني والرعاية الصحية والخدمات الطبية[14] .

ثانياً : العمليات القتالية والتعبوية :

● الإمداد والتموين . . والجماهير

أهمية المسائل اللوجستية (الإمداد والتموين ، والنقل والمواصلات) في الحرب الثورية تنطلق من حقيقة أن الثورة اضعف بكثير من العدو في المجال التقني والفني ، فتضطر القيادة الثوربة الى التعويض عن ذلك التعويض بالاعتماد الاكبر على العنصر البشري ، والاستغلال الاقصى للامكانيات المحلية ، وفي الحالتين تبرز أهمية القواعد الثورية والقاعدة الارتكازية في توفير الاطر اللازمة لذلك . وهنا تبرز أهمية العلاقة الوطيدة مع الجماهير ـ مع سكان المناطق الممتدة من عمق القاعدة الامنة حتى ميدان أية معركة عسكرية ، ولوحظ أن القيادة الفيتنامية وخصوصاً هوشي منه أولت اهتماماً خاصاً للمسلكية الثورية والعلاقات مع السكان على اختلاف فئاتهم وانتماءاتهم وعقائدهم لانهم يشكلون ذلك الخط البشري (الشريان) المصيري ، وتعتبر التعليمات الاثنى عشر[15] حول العلاقة مع الجماهير ضمانة لذلك الخط .

إلّا تأخذ إبرة أو خيطاً من الشعب ، أن تدفع نقداً عندما تشتري منه ، أن تستأذن قبل الإقتراض ، أن تحافظ على البيت الذي يأويك ، ان تحترم عقيدة وعادات سكانه ، أن تكون مستقيماً مع نسائه ، الا تستخدم نفوذك للتهديد ، ان تحمي ممتلكاتهم وأرواحهم ،

أن تحترم الادوات الموجودة ، أن تساعد السكان في فهم خط الثورة ، ان تطبق القوانين الثورية ، أن تحافظ على السرية في تحركك .

وقد لعبت وحدات الإمداد والتموين والمجموعات الفنية دوراً هاماً على المستوى المركري وعلى المستويات المحلية خلال الحرب الفيتنامية ، وكان امتداد المناطق المحررة واتساع جبهات القتال في ١٩٥٣ - ١٩٥٤ اختباراً رئيسياً لها وخلال حملة ديان بيان فو لعب جيش الحمالين والحفارين الشعبي دوراً فائق الاهمة وكان من أبرز اسباب النصر وكان نقل المدفعية الثقيلة من أكبر المفاجأت للعدو ، وفي الحرب الثانية لعب ممر هوشي منه دوراً مماثلاً على مستوى الهند الصينية ، وقد برزت خلال هذه الحرب ابداعات الادارة المكلفة بشؤون الامداد والتموين والتجهيز (لثوار الجنوب) التابعة لقيادة الأركان العامة في هانوي[16] والتي استطاعت أن تجند حتى الاسلحة والمعدات الأمريكية ، المستولي عليها الى جانب الاسلحة الشرقية في أكثر المناطق صعوبة وبعداً عن المركز . . وهنا بعض الأمثلة :

- تفكيك المدفعية الثقيلة ونقلها واستخدامها بجدارة كانت مأثرة ديان بيان فو باعتبار المدفعية أقدم الأسلحة في الجيش الفيتنامي ، وتكررت نفس المآثرة في هجوم الربيع الاستراتيجي ١٩٦٨ ، وفي عملية الطريق ٩ بجنوب لاوس ١٩٧١ ، وهجوم ١٩٧٢ الاستراتيجي في الجبهة الشمالية وقبل ذلك في تدمير خط مكنمارا جنوب الخط ١٧ ، وفي حملة هوشي منه ارسلت المدفعية الثقيلة (من عيار ١٥٥ ، ١٠٥ غربية ، ١٣٠ ، ١٢٢ ، ٨٥ شرقية) الى كافة القطاعات العسكرية .

- نقل الدبابات سراً إلى عمق المناطق المحتلة كان مفاجأة العدو في معركة آن لوك وعلى الطريق ١٣ وفي ضواحي سايجون . . فالمسافة تصل آلاف الكيلومترات والعملية تطلبت ذكاء وشجاعة وموهبة تنظيمية وادارية غير عادية ، وتكررت العملية في هجمات استراتيجية اخرى إلّا أنها بلغت قمتها في حملة هوشي منه حيث شاركت دبابات تي ٥٣ الشرقية ، م ٤٨ ، م ٤١ الغربية ، والبرمائيات م ١١٣ في مراحل الحملة الحاسمة وفي اقتحام العاصمة والقصر الجمهوري ذاته .

- إضافة الى توفير عشرة آلاف سيارة نقل في الاعداد للحملة ، وعشرات الآلاف من الدراجات والجواميس التي جندت في مناطق الشمال والمناطق الحدودية ، ثم المناطق الجنوبية

● الكمائن والإغارات

الكمائن[17] كانت أحد الأشكال الرئيسية للقتال الذي شنته القوات الثورية الفيتنامية ، ورغم تخلف الأسلحة والمعدات التي بحوزتها في مواجهة القوات المعادية المكمون

لها إلا أن الوحدات الثورية استندت الى المميزات السياسية والمعنوية لافرادها والتي أدت الى ممارسات وابداعات كثيرة في هذا التكتيك . ومع ذلك فإن الكمائن شهدت تطويراً مستمراً من جانب الـوحـدات الثـورية مع تطور أسلحتهـا ومعداتها وتبعاً للتكتيكات العسكرية للعدو ، وهذا التطور يشمل الأشكال القتالية وأوقات التحرك واماكنها .

ويمكن تلخيص الأهداف العامة للكمين بضرب قوات العدو وعرقلة تحركها وارباكها نفسياً ويتم ذلك في عدة حالات :

- عندما تقوم قوات العدو بعمليات التمشيط ضد المناطق المحررة والمسيطر عليها .
- عندما تقوم وحدات العدو المتحركة باعمال الحماية للقواعد والاهداف الهامة .
- عندما تهرع وحدات إضافية لانقاذ احد المراكز أو الأهداف المهاجمة من قبل الثوار .
- عندما تتحرك قوافل الإمداد والتموين عن الطرق البرية أو الحديدية أو النهرية .
- اضافة الى الكمين العشوائي . الذي يستهدف اصطياد هدف غير محدد على الطريق .

وقد برزت ثلاثة أنواع من الكمائن خلال القتال :
- الكمين المباشر وهو أنسب للطرق الجبلية والصعبة .
- الكمين عن بعد ويتم في الطرق السهلية المكشوفة والمحروقة .
- الكمـين المزدوج يعني الجمـع بين الشكلين السـابقين بواسطة الخنادق والممرات السرية .ويمكن اعتبار :

أ - السرية والمفاجأة أهم العوامل الواجب توفرها في عمل الكمين بشكل أساسي .

ب - الالتحام المباشر مع جنود العدو لإبطال مفعول التدخل الجوي والمدفعي والآلياتي .

ج - الروح المعنوية العالية تظل عامل التفوق في كل مراحل الكمين .

د - الاعـداد الجيد مطلوب لمجمـوعـات الكمـين الثـلاثة (الصدامية - المساندة - التغطية) لضمان النجاح .

أما الاغارات فهي الجانب الهجومي ، بمعنى أنه تكتيك هجومي صرف ، يكون جزءاً من خطة قتالية عسكرية شعارها القضاء على قوات العدو البشرية والحد من فعالية اسلحته ومعداته ، وهذا التكتيك يستهدف بشكل تفصيلي :

أ - الطوابير والارتال العسكرية المتحركة للعدو خلال توقفها على الطريق .

ب - القوات العسكرية المكلفة بالدفاع عن منشأة أو مركز أو معسكر .

ج - الاهداف الثابتة من مراكز قيادة إلى تجهيزات ومعدات الى مخازن ومستودعات

والاغـارة من الأشكـال القتـالية التي تكلف بها القـوات النـظامية والـوحـدات الاقليمية ومجموعات العصابات على حد سواء

● التمشيط والتمشيط المضاد

التمشيط من أكثر التكتيكات التي استخدمت على الساحة الفيتنامية ، وقد لجأت اليهـا القـوات الفـرنسية مبكـراً ، حاولتهـا قبـل انتفاضة اغسطس ١٩٤٥ ، وبعد ذلك استخدمت هذا التكتيك في حملتها ضد المناطق الجنوبية التي انطلقت بها من سايجون في أواخر ١٩٤٥ ، وخلال حرب المقاومة جندت القيادة الفرنسية قوات كبيرة للتمشيط في مناطق الدلتا الشمالية والمناطق الحدودية ، وعندما جاء الامريكيون طوروا هذا التكتيك وأدخلوا عليه امكانيات تقنية عالية واستمرت قيادة سايجون في ممارسته بعد رحيل الأمريكيين .

ومع ذلك فيمكن إعتبار الهدف العام للتمشيط هو تدمير وتصفية الحركة الثورية في المنطقة المحددة بينما الاهداف التفصيلية والفرعية كالتالي :

ـ عسكرياً تصفية الثوار والمقاتلين النظاميين بالقتل أو الأسر أو الفرار .

ـ سياسياً تدمير القواعد الشعبية والسياسية التحتية للثورة .

ـ اقتصادياً ضرب الامكانيات الاقتصادية والمادية (تحديداً الزراعية والحيوانية) للسكان .

ـ اجتماعياً نشر الفساد والارهاب والعبث عبر البدائل الهزيلة . .

الشكل القتالي للتمشيط[19] يبدأ من محاصرة الهدف المحدد من كافة الاتجاهات ثم تبدأ القوات المعادية بشن هجوم واسع وكثيف وساحق ، ومن عدة اتجاهات ، وبعد نجاح العملية العسكرية تجري عملية إزالة الثورة من المنطقة .

التمشيط المضاد المقصود به الحركة الاستباقية التي تلجأ اليها القوات الثورية في المنطقة المستهـدفـة . وعندما تتوفر لديها المعلومات الكاملة حول نوايا العدو وقواته واتجاه حركته العسكرية تلجأ القيادة الثورية وحسب امكانياتها المتوفرة الى تنفيذ الخطوات التالية :

أ ـ اخذ زمام المبادرة من قيادة العدو والقيام بهجمات استباقية ضد وحداته المتجمعة .

ب ـ وضع الخطط الكفيلة بالتصدي لهجماته المقررة في الوقت والزمان الانسب .

ب ـ القتال ببطولة متواصلة وتعبئة جماهير المنطقة لمقاومة القوات المهاجمة .

وبعد انتهاء العدو من عملية التمشيط أو اجباره على الإنسحاب يجب على قيادة الثورة في المنـطقـة دراسة الآثار التي تركتها على سكان المنطقة وبين المقاتلين بشكل فوري لكي تتمكن من معالجة النقاط السلبية فيها ، وكان مفيد أيضاً إزالة أثار التدمير الذي قام به العدو لكي لايؤثـر على معنـويات السكان ، وإقامة المهرجانات الشعبية (المبالغ فيها) لتكريم

شهداء المعركة ومواساة أهل الضحايا وتوجيه كل الحقد نحو العدو ، واعادة مستوى الانتاج في المنطقة الى ماكان عليه قبل التمشيط .

● العمليات الخاصة :

لجأت القيادة الفيتنامية الى تكتيك « العمليات الخاصة »[٣٠] في أكثر من مناسبة ، وقد تنوعت اهداف العمليات الخاصة وكذلك وسائلها وادواتها من مرحلة الى أخرى ، العمليات الخاصة وتحديداً الاغتيالات السياسية والتفجيرات عميقة الجذور في التاريخ الفيتنامي ، وقد لجأت اليها فصائل الحركة الوطنية السابقة .

في الأربعينات نفذت الوحدات الثورية ومجموعات الانتفاضات المحدودة بعض العمليات الخاصة للاعلان عن الوجود الثوري أو لتأديب ومعاقبة العناصر الأكثر رجعية في الإدارة أو ضد كبار الضباط أو المستغلين الاجانب (الفرنسيين واليابانيين) أو لخلق حالة من الأمل والثقة عند جماهير منطقة محددة .

وقد استخدم الاغتيال في العمل السياسي وقامت به على حد سواء القوى الرجعية والقوى الثورية ، وقد سقط نتيجته بوي تشيو مؤسس الحزب الدستوري ، وتاثو تاو زعيم التروتسكيين وفو نجا رئيس حزب الاستقلال ، ونجوين سام وفام كويت ونجو خوي من مسؤولي البلاط الامبراطوري أما جماعة بنه سوين الموالية للفرنسين فقد قامت بالنصيب الأكبر من التصفيات ضد الكادرات الشيوعية .

هناك بعض الاغتيالات السياسية التي أحدثت أثراً عكسياً للثورة فاغتيال ترونغ انه زعيم جماعة كاو داي دفع الكثيرين من اعضائها للانحياز الى جانب الفرنسيين في الصراع عام ١٩٤٧ ، كما أن اغتيال هوين سو زعيم جماعة هوا هاو في نفس العام أدى الى تعاون بعضها مع الفرنسيين . لكن العمليات الخاصة التي استهدفت السفارة الأمريكية والأماكن العامة التي يتردد عليها الضباط الأمريكية اثناء وجود تايلور في سايجون اعتبر رداً على قصف فيتنام الشمالية إلاّ أنه اعتبر اعلاناً ناجحاً عن وجود الثوار في قلب العاصمة ، وأدى الى ارباك الأمريكيين وضربهم نفسياً ، بل أن دوجلاس بايك لاحظ أن الهجوم دفع القيادة الأمريكية الى اتخاذ اجراءات دفاعية مضادة أدت بدورها الى الشعور بعدم الطمأنينة والأمن بين الأمريكيين في سايجون .

ومع أن العمليات الخاصة كانت تشمل عمليات تخريب وتدمير الاهداف العسكرية والاقتصادية للعدو كالجسور والطرق ومراكز الاتصالات والمواصلات إلاّ أنها كانت تتحاشى ـ حسب الامكان ـ تدمير المشروعات الاقتصادية ذات الفائدة الاستراتيجية كالسدود الوطنية الكبيرة والمشروعات الكهربائية ، وخلال العمليات الخاصة أطلق العنان للابداعات الفردية

خاصـة داخل المدن والمؤسسات الانتاجية والحكومية وكانت القنابل والاشراك والمتفجرات وحقن السموم وتفخيخ الدراجات والسيارات وأدراج المكاتب ، واستغلال الاشارات الضوية على الطرق من أبرز الملامح .

وبالنسبة للعمليات الخاصة ضد العملاء الفيتناميين (الاغتيال ، الخطف ، المحاكمة) يعترف الأمريكيون أنها كانت ترافق بمحاكمات ثورية بمعنى اشهار التهم الموجه للشخص المقصود وربطها بحتته ، وتجنب العمليات العشوائية أو الانتقامية » حيث بذلت الجبهة جهداً متناسقاً لضمان عدم وقوع حوادث قتل لاتفسير لها ، وكانت تصدر بيانات تنفي قتلها لشخص محدد وتتهم قطاع طرق متخفين في زي قوات الجبهة بذلك العمل . . »[٢١]

● العمل في جبهة العدو

يحلو للقيادة الفيتنامية أن تعتبر العمل في جبهة العدو أحد « الرماح الرئيسية في حركة الثورة » الى جانب العمل العسكري والعمل السياسي ، ويمكن القول أن العمل في جبهة العدو[٢٢] بهذا المفهوم يعتبر عنواناً كبيراً تندرج تحته مجموعة من العناوين الفرعية ، تتعلق بالنشاطات العسكرية والسياسية والدعائية والامنية والاقتصادية والدبلوماسية التي يمكن القيام بها في جبهة العدو ، وجبهة العدو هنا يمكن أن تكون جماهيرية أو عسكرية أو إدارية ، وعلى أهمية تلك العناوين فإن مايهمنا التعرض إليه في هذه الدراسة هو الجبهة العسكرية ، وبشكل محدد العمل في صفوف القوات المعادية وقد أطلق على هذا العمل في بعض الترجمات ؛ برنامج الهداية بين القوات المعادية .

الهدف العام للعمل في صفوف قوات العدو هو اضعافها وتمزيقها وشل قدرتها القتالية ، لكن هناك أهداف فرعية أو محددة تسعى القيادة الثورية في منطقة محددة الى تحقيقها ومنها :

١ ـ احداث انسلاخات في صفوف القوات المعادية لصالح القوات الثورية .
٢ ـ احداث انهيارات داخل وحدات معنية اثناء القتال والتأثير عى نتيجة المعركة .
٣ ـ تحييد أعداد كبيرة من القوات المعادية وعودتها الى بيوتها وأراضيها .
٤ ـ تنفيذ أو تسهيل تنفيذ عمليات خاصة ضد قيادات العدو ومنشآته العسكرية .

وقد حقق الفيتناميون نتائج إيجابية جداً في غالب الاحيان في العمل في صفوف القوات الرجعية المحلية في الحربين الاولى والثانية ، كما حققوا بعض الانجازات في مجال العمل بين القوات الأجنبية (الفرنسية ، الأمريكية ، الحليفة) وهذه بعض الملاحظات :

أ ـ في الحالة الأولى كانت العملية أسهل ونتائجها أكبر وأسرع حيث تتوفر عوامل مساعدة عديدة كاللغة والعادات والتقاليد ، وامكانيات الاتصال ، والمشاعر الوطنية والانتماء

الطبقي . وهنا يمكن ملاحظة أن العمل بين الجنود كان أكثر سهولة وخاصة فئات المجندين والـذين ينتمـون في الأغلب الى الطبقات الشعبية المضطهدة والفقيرة . (ب) العمل بين الضبـاط أكثـر صعـوبـة لكنـه ذو أهمية ، هذه الفئة ترتبط مصلحياً بالنظام الرجعي عبر الامتيازات والمواقع التي تحصل عليها ويحتاج اقناعها الى وقت وجهد طويلين لكن عندما يقتنع ضابط واحد فإنه يجر وراءه كامل وحدته العسكرية . (ج) الاتصال مع الجنود الأجانب من فرنسيين وامريكيين وغيرهم يكون صعباً في مراحله الأولى ، بسبب وسائل الاتصال والمشاعر المعادية كما أنه يحتاج الى مواصفات خاصة للكادرات المكلفة كالإلمام باللغة الاجنبية والمرونة والقـدرة على تبسيط المسـائل واظهار مشاعر الود والصداقة لشعب الجندي . (د) العمل الـدعـائي بين الجنود الاجانب يبلغ ذروته عندما يتم اقناعهم بأن وجودهم في فيتنام غير صحيح ويجب أن يعيشوا في بلادهم بسلام وطمأنينة . (هـ) ولكي تعطي المصداقية لهكذا نصيحة فإن العمل العسكري الثوري وأحداث خسائر ومصائب بين جنود العدو ضروري جداً . فيفقـدون الثقـة في قيادتهم ومهماتهم ويبدأون في الانضمام الى حركات الإحتجاج والمعارضة للحرب والقيام بحركات التمرد والعصيان وفي أحيان عديدة يتركون الوحدات العسكرية الى الحياة المدنية .

من الحالات المستعصية التي واجهت الفيتناميين بين القوات الأجنبية ـ كما يعترفون ـ القـوات الكـورية الجنـوبية ، التي كانت معبـأة جداً ضد كل ماهـو شيوعي وكانت أكثر الـوحـدات وحشية ضد السكـان الجنـوبين ، وقد استغرقت وقتاً طويلاً عملية اختراقهم دعائياً ، ولعبت النساء والاطفال دوراً خاصاً في ذلك لإثارة الجانب الإنساني لديهم ، وقد سجلت نجاحات في عدة مناطق عندما وافق الكوريون على اتفاق عدم اعتداء غير مكتوب بينهم وبين الوحدات الثورية لكن بعد أن ذاقوا طعم الخسارة المر فالعمل العسكري هنا يكون في خدمة العمل الدعائي .

أن العمل بين صفوف القوات المحلية فقد خضع لاربعة مراحل :

في الأولى : يجري دراسة أوضاع الوحدة المعنية والظروف التي تمر بأفرادها ، والبحث في أفضل وسائل الاتصال أو التماس مع أفرادها .

في الثـانية : يتم الاتصـال المبـاشر مع أفـراد أسرة الضـابط أو الجندي المستهدف لاقناعهم أولاً وبعد ذلك للحصول على مساعدتهم في اقناعه .

في الثالثة : يجري تنظيم العلاقة مع الأفراد المحددين مباشرة لاقامة القواعد السياسية داخل الوحدات العسكرية والتحضير للمهمات المقررة .

في الرابعة : يتم تنفيذ البرنامج المتفق عليه وفق التكتيكات التي تضعها قيادة المنطقة وغالباً ماتكون المعركة العسكرية أو الاشتباك فرصة لتحريض الجنود على الفرار من الجيش .

وهنا يمكن ملاحظة :

١ ـ ان الجماهير في كثير من الأحيان في القرى والاقاليم تلعب دوراً هاماًبالعمل الجماعي لاقناع افراد وحدة عسكرية مرابطة في المطقة أو قادمة لمهات عسكرية مؤقتة .

٢ ـ ان النساء تلعب في هذا الشأن دوراً خاصاً في الهداية ، سواء كانت الامهات أو الزوجات أو الصديقات .

٣ ـ من المفيد التركيز على العناصر الطلابية والشبابية المثقفة والمتعلمة بين جنود العدو لانهم في الغالب مجبرين على الخدمة العسكرية ولديهم استعداد للعمل الثوري والمغامرة .

٤ ـ التعامل الطيب مع الأسرى والمعتقلين والجرحى يعتبر من أفضل الوسائل الدعائية للثورة بين صفوف رفاقهم ، مما يخفف حدة الحقد على الثورة ويوفر الاستعداد لاستقبال وجهة نظرها .

٥ ـ العمل الدعائي بحاجة الى كادرات واعية وذات امكانيات مناسبة ، وبغير ذلك يمكن أن يحدث مردود عكسي ، كذلك فإن تلك المهات خاصة بين السكان كثيراً ماتعرض سمعة الكادرات للسوء نتيجة اتصالاتهم بالجيش العملي المكروه !

● ممر هوشي منه

لايذكر الصراع الفيتنامي ـ الأمريكي دون أن يقفز الى الذهن ممر هوشي منه[٢٣] الذي يعتبره الفيتناميون من أبرز المفاخر العسكرية التي قدموها في حرب المقاومة الوطنية ، وتعود أهمية هذا الممر الى انه :

(١) ـ ساعد على تنفيذ الانطلاقة الناجحة للكفاح المسلح في الجنوب عام ١٩٦٠ .

(٢) وفر امدادات الرجال والسلاح والطعام والدواء للثوار الجنوبين واللاوسين والكمبودين .

(٣) سمح للقوات الثورية الشمالية بالتدخل لمساندة القوات الجنوبية في اللحظات الصعبة .

(٤) ساعد على احباط سياسة الفتنمة ومحاصرة الساحة الفيتنامية التي شنتها ادارة نكسون .

(٥) اسقط جزءاً كبيراً من الطائرات والقاذفات الامريكية وساهم في الحملات العسكرية الكبرى .

الممر يمتد من شمال الهند الصينية الى جنوبها ، حيث يبدأ في فيتنام الشمالية ويمر بالأراضي اللاوسية متجاوزاً خط التقسيم الفيتنامي عبر جبال ترونغ سون المعروفة فرنسياً باسم السلسلة الأنامية ثم الى الحدود الكمبودية ففيتنام الجنوبية .

وقد مر بناء المشروع بثلاث مراحل رئيسية :

ـ في الأولى كان الهدف مسح المنطقة والتعرف على ممراتها القديمة والتاريخية بمساعدة السكان المحليين ، واستخدم في هذه المرحلة خمسمائة عنصر تابعة للوحدة ٥٥٩ .

ـ في الثانية كان الهدف توسيع بعض الطرقات والمسالك تدريجياً وبالادوات البدائية لارسال الأسلحة والكادرات اللازمة لبناء سبعمائة وحدة دفاع ذاتي في المناطق الجنوبية استعداداً لبدء الكفاح المسلح ، وآنذاك كان السرية المطلقة مطلوبة .

ـ في الثالثة كان الهدف توسيع الممر وطرقاته كثيراً بحيث تتمكن مئات الشاحنات من المرور عبره وهنا كان من الصعب الحفاظ على السرية أمام حركة المرور الكثيفة فأصبح الممر هدفاً رئيسياً لطائرات العدو التي اسقطت عليه طوال فترة الحرب ماتقارب أربعة ملايين طن من القنابل والمتفجرات وأصبح موقع تحدي بين الأمريكيين المهاجمين والفيتناميين المدافعين عن الممر الذي يشمل شبكة طرق طولها ١٦ الف كيلو (٥ طرق رئيسية ٢١ طريق فرعي) بينها أكثر من ثلاثة الاف كيلو متراً من الطرق المموهة .

لقد استخدم الفيتناميون الشماليون كافة الامكانيات المتاحة من سيارات والات وطائرات نقل لتأمين المواد والأسلحة . والرجال الى الجنوب كما قام هوشي منه بمتابعة العمل شخصياً ومكافأة الضباط والعمال المبدعين ، والسكان الصامدين في مناطق الممر ويعد تصعيد الحرب الجوية الأمريكية ١٩٦٥ تحولت وحدة ٥٥٩ الى منطقة عسكرية خاصة تضم وحدات وأسلحة وفروع مختلفة ، وحسب البلاغات الفيتنامية فإن المضادات الأرضية اسقطت خلال الحرب ٢٤٥٠ طائرة في مناطق الممر ، واصابت ١٦٩٣٣ جندياً وأسرت ١١٩٦ خلال الهجمات البرية العديدة في المنطقة . . . وبصرف النظر عن الخسائر بين الجنود والمواطنين والآليات الفيتنامية التي سببتها الحملات الجوية والبرية الأمريكية فإنها لم تستطع أن تدمر هذا الممر أو تعطله طويلاً ، واستحقت الفرق والوحدات والضباط المشاركين في المشروع(٢١) لقب البطولة الذي منحته القيادة لهم .

● التنافس والتحريض

حرصت القيادة الفيتنامية في وقت مبكر على اللجوء الى اثارة التنافس بين صفوف الثورة والشعب الفيتنامي خلال حركة النضال العامة ، بل يمكن القول أن خطابات الزعيم الفيتنامي هوشي منه لاتخلو من التحريض على التنافس والاشادة بالمتفوقين واصحاب الارقام الاولى حتى أصبحت مع مرور الوقت تقليداً فيتنامياً ملحوظاً .

ورغم أن السنوات الاولى من عمر الجمهورية الديمقراطية شهدت حركات وطنية واسعة في مجال التنافس على المستويين المدني والعسكري ، في مواجهة الأمية والمجاعة وخراب

الخزينة كما في مواجهة القوات الفرنسية العائدة الا أننا سنركز على الخبرة الفيتنامية في التجربة الثانية خلال الحرب الامريكية .

حركة التنافس والتحريض لم تكن مقتصرة على مجال واحد ، ولم تكن حكراً على قطاع معين في مجتمع الثورة بل كانت حركة وطنية عامة ، اتخذت أشكالها المتنوعة بين مختلف المناطق الجغرافية والقطاعات العسكرية والفئات الشعبية ، وهذه بعض سماتها العامة :

ـ كانت هناك حركة تنافس بين المحافظات والمدن والقرى ، في مجال الانتاج والاكتفاء الاقتصادي الذاتي كما في مجال القتال والاكتفاء في الاسلحة والمعدات ، في المناطق المحتلة كما في المناطق المحررة ، وقد لوحظ التركيز في هذا الشأن على حركة التنافس بين القرى ، في بناء الاقتصاد الوطني وفي ازالة اثار الغارات والهجمات المعادية وفي اعادة اصلاح الطرق بشكل خاص .

ـ كانت هناك حركة تنافس بين مختلف الوحدات العسكرية (الفدائية والنظامية) وفصائل المليشيا والدفاع الذاتي ، في مجال تحقيق الانتصارات ، في عدد خسائر العدو ، في عدد الاسرى والمعتقلين من قوات العدو ، في عدد ونوعية الغنائم الحربية ، ولم تقتصر هذه الحركة على الوحدات الجنوبية وعلى القوات البرية وحدها بل شمل القوات العسكرية الشمالية البحرية والجوية والبرية وامتد الى التخصصات والفروع الاخرى .

ـ لم يقتصر التحريض والاثارة على العناصر الشابة والمقاتلة بل تعداه الى بقية افراد الأسرة ، وبشكل خاص المرأة والطفل والعجوز ، وبرزت أمثلة رائعة ، جرى تعميمها على بقية القطاعات والمناطق باعتبارها خبرات جديدة مكتسبة في المعركة الوطنية الدائرة .

وهذه بعض الأمثلة المختارة لمختلف الفئات :

ـ بالنسبة للاطفال والاولاد . في مجال الأرقام القياسية ، أعلن عن الطفل داوفان توين الذي قتل ١٤ امريكياً وعمره لايتجاوز ١٣ سنة ، وفي مجال الإبداع نشرت قصة الولد الذي استخدم ضفدعة محشو فمها بالدخان وعلقها في علبة اسلاك قاعدة أمريكية ، فأحدث سعالها الذي يشبه سعال الانسان الانطباع لدى جنود القاعدة بوجود حركة تسلل ففتحوا النيران باتجاه المنطقة . . . واستمرت هي بالسعال ، وفي مجال الخداع قام ولد آخر بوضع كلب في حفرة عند ملتقى دوريتين للعدو ، وعند نباح الكلب بسبب اقتراب الجنود اعتقدوا بوجود كمين للفدائيين فأطلقوا النيران في اتجاه بعضها البعض ، وفي مجال العمل الخاص قام الصبية في أكثر من مرة بوضع اعقاب السجائر المشتعلة في خزانات الوقود لآليات العدو عند استراحة الجنود قرب القرية بينما يتظاهرون بالوداعة وملاعبة الجنود ، وفي مجال التخريب قام الاطفال باحضار الجواميس والثيران الهائجة واستثارتها في منطقة شبكات الاتصالات مما أدى الى تخريب أو اقتلاع اسلاك الشبكة ، فيضطر العدو الى اعادة بنائها وتكثيف الحراسة

البشرية عليها .

- بالنسبة للنساء والفتيات ، في مجال الأرقام القياسية أعلن عن امرأة من هوي تمكنت لوحدها من قتل ١٢٠ جندي في منطقة عمل كتيبة معادية ، وفي مجال مساندة المقاتلين كانت السيدة كوي تي ماي قد سجلت تفوقاً في عدد مرات قيادة المقاتلين الى مراكز العدو في منطقتها ، وفي المسألة الدفاعية تمكنت عشرون امرأة من وحدة الميليشيا من منع القوات المعادية من دخول قريتهن وصددن هجمات ثلاث كتائب معادية في يوم واحد ، في مجال الخداع قامت امرأة من هوي بقذف علبة حليب فارغة امام دورية آلية للعدو فادت الى تدهور سيارة جيب ومقتل ضباطها الاربعة لاعتقادهم بان العلبة قنبلة يدوية ، وفي الكمائن نشرت العديد من القصص عن دور الفتيات والشابات في اغواء الضباط والجنود الأمريكيين والحلفاء في أكثر من مكان وغير زمان . واستدراجهم الى كمائن الفدائيين ، وفي العمل الخاص نشرت قضية المرأة التي اخبرت عن وجود فدائيين في بيتها بعد أن زرعت الألغام في الحديقة ، والقنابل المشركة في الخزانة ، وعند انفجارها في الجنود القادمين الى البيت اخذت تعالج جرحاهم وتلعن الشيوعيين متظاهرة بالبراءة .

- بالنسبة لكبار السن ، أعلن عن رجل مسن ، عمره ستين سنة ، يدعى « كذا » تمكن من اسقاط هليوكبتر ببندقية عادية استعارها من جاره ، ورجل آخر قام باستدراج الأمريكين لقصف أحد جسورهم ، عن طريق استخدام عوامة وهمية تحت الجسر أعطت الإنطباع بوجود وحدة فدائية ، كذلك رجل عجوز يقوم بتحريض شباب القرية على الالتحاق بوحدات الثوار ، وآخر يحرض الشبان المجندين على الفرار من الجيش العميل .

- وفي مجال التنافس بين الأسلحة ، أعلن أن مائة طائرة معادية مغيرة اسقطت بنيران بنادق المشاة العادية في محافظة كوانغ نبه وحدها ، وطائرات هليوكبتر معادية دمرت ليس بواسطة المضادات المعروفة لكن بواسطة اللغم الطائر والصاعق المربوط في عصي البامبو في الغابات ، وطائرات الميج ١٥ ، ١٧ التي تمكنت من التصدي أو اسقاط قاذفات امريكية متطورة وثقيلة عن طريق الكمائن الجوية .

- بالنسبة للمقاتلين جرى التركيز على أمثلة ومبادرات فريدة ، في قتال الغابات قام المقاتل « فلان » بقتل عشرين جندياً من كتيبة معادية بإحدى الغابات ، في مهمات المدن قام القاتل « فلان » بإصابة اربعين جندياً خلال مهمة على أحد الجسور في منطقة دانانغ ، في الابداعات تمكن المقاتل « دون تشيا » من اكتشاف طريقة لتدريب الدبابير على رائحة عرق جنود العدو ، في الأرقام القاسية رفع أحد أبطال الحرب رقمه الى سبعمائة جندي وعشرات الآليات المعادية ، في الاقتصاد بالذخيرة تمكن أحد المقاتلين من اصابة ٧٥ جندي باستخدام ٨٥ رصاصة فقط ، وفي فن التمويه قامت مجموعة من تسعة أفراد بالاختفاء بأسلحتها في

عربات « تنقل السماد الطبيعي (الزبل) المرسل الى منطقة الهدف على الطريق الاستراتيجي رقم ١ وهناك فاجأت جنود العدو » وفي مجال بناء « الاشراك المركبة » عممت العملية التالية التي جرت في قرية مختارة :

يوضع تحت البوابة الخارجية للقرية لغم ، يغطى بالأشواك وعش الدبابير تحفر حولها حفر فردية بداخلها مصائد شوكية ، وعلى سارية علم المدرسة يرفع علم جبهة التحرير بدل علم سايجون ويوضع تحت السارية لغم ، ثم تختبىء في الجوار مجموعة فدائيين .

تبدأ العملية باستحضار الجنود الى القرية فينفجر فيهم لغم البوابة وتتناثر الأشواك والدبابير فيهربون مباشرة الى الحفر الفردية للاحتماء فيقعون في المصيدة ، وعندما يذهب الباقون منهم لانزال علم الثورة تنفجر فيهم السارية ، فيستدعون طائرة هليوكبتر ، لتحميل الجنود الجرحى ، وفور ارتفاعها عن الأرض مع حمولتها تهاجمها مجموعة الفدائيين .

ثالثاً : في المجال الدفاعي

● حرب الانفاق

في التكتيكات التي اشتهرت بها الثورة الفيتنامية وسجلت نجاحاً منقطع النظير تكتيك حرب الانفاق[٢٥] ومن الطبيعي أن يكون الفيتناميين قد لجأوا الى الأشكال البدائية من الانفاق في حروبهم السابقة ، إلاّ أنها كانت في الحرب الحديثة علامة مميزة في مسيرة المقاومة الاولى ضد الفرنسيين ثم طورت في المقاومة الثانية ضد الأمريكيين .

وحرب الانفاق هي أوضح تعبير عن انسجام الانسان الفيتنامي (المقاتل) مع الطبيعة الفيتنامية واستغلاله التام للإمكانيات المتوفرة فيها في مواجهة الجنود والاسلحة والآليات من جانب ، وفي تجنب أو الحد من أثار الغازات والقنابل الدخانية من جانب آخر .

تعتبر أرض المثلث الصلب الواقعة بين نهري فام كو دونغ وسايجون ، وعلى الطريقين ١ ، ١٣ من أشهر المناطق التي طبق فيها تكتيك حرب الانفاق، وتعتبر كوتشي (قاعدتها الرئيسية) من المناطق التي حفر الثوار فيها انفاقاً وممرات عديدة في المقاومة الاولى وصل طولها الى ٤٥ ميل ، والتي حاول الامريكيون السيطرة عليها عدة مرات مستخدمين أحدث مايملكون من أسلحة وتجهيزات لكنهم فشلوا في ذلك .

أهمية كوتشي[٢٦] تكمن في قربها من العاصمة ووقوعها بين أربعة قواعد عسكرية هامة ، وسجل الثوار فيها تواجداً ملحوظاً منذ بداية الحرب الشعبية عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

واستطاعوا أن يبنوا فيها شبكة انفاق وممرات وخنادق وصلت أطوالها الى مائتي ميل في منطقة ليست سهلة أو رخوة وباستخدام وسائل حفر بدائية .

وقد اشتهرت قاعدة كوتشي عالمياً بعد قرار القيادة الأمريكية الرد على عملية عسكرية للثوار في المنطقة الحقت خسائر فادحة في القوات العميلة عام ١٩٦٥ ـ بتدميرها وتصفية الثوار فيها وهذا ماستهدفته عملية « المصيدة »[٢٧] التي استخدمت فيها طائرات قاذفة من طراز ب ٥٢ وطائرات انزال وهليوكبتر والاف الجنود من فرقة القبضة الحديدية (المظلية ١٧٣) والفرقة الحمراء (المشاة الاولى) وفرقة الصاعقة الاستوائية (المشاة ٢٥) تساندهم ١٨٠ الف قذيفة مدفعية ، واستمرت العملية ١١ يوماً احتلوا خلالها ستة قرى وحرقوا حقولها وبساتينها ، وخاض ثوار الانفاق خلالها معارك التحام وسجلوا بطولات فردية فريدة اسفرت عن ١٦٠٠ اصابة في صفوف القوات المهاجمة ، لكنها لم تسفر عن تنظيف كوتشي وتحويلها الى منطقة بيضاء كما دعت القيادة الأمريكية مما دفعها الى شن حملة جديدة في العام التالي باسم شلالات الارز وقادها ويستمورلاند شخصياً ولم يتمكن خلال ثلاثة أيام من القصف والتدمير والحرق من تصفية الثوار . . وفي العام التالي شارك ثوار ومقاتلي كوتشي في هجوم الربيع الاستراتيجي وهاجموا القواعد والمطارات المجاورة فدمروا عشرات الطائرات ومئات الآليات طوال العام ١٩٦٨ . . واستمروا في تصعيدهم حتى حملة تحرير سايجون .

وهكذا استحقت كوتشي لقب « الأرض الفولاذية » الذي منحته لها قيادة الثورة . من العرض المختصر السابق يتبين لنا أن للانفاق وظيفة دفاعية وهجومية كذلك كما أن لها أهمية في مرحلة التحضير والإعداد للهجمات الاستراتيجية . . فما هي مواصفاتها ؟ ولماذا استعصت على التكنولوجيا الامريكية ؟

لقد اتيح للكاتب أن يزورها بعد تحرير الجنوب الفيتنامي وان يطابق ماكتب عنها محلياً ، وفي الصحف الأمريكية ، وهذه بعض الملاحظات :

ـ الفكرة الأساسية فيها بسيطة للغاية ، لكن تنفيذها بحاجة الى صبر وجلد وقدرة على التحمل ، والاصرار والعناد اضافة الى بعض الادوات البدائية المتوفرة في كل الازمنة والاماكن .

ـ نظام الانفاق العلوي يربط بين كل خمسة منازل (في المعدل) في مجموعة واحدة بحيث يكون تحت كل قرية عادية ـ قرية مقاتلة سرية تحتوي على مواقع وخنادق حلزونية تصلح للقتال دفاعاً أو هجوماً ، وأماكن للنوم وللطبخ والمعالجة الطبية وعدة أنواع من المخازن للتموين والامداد والتجهيزات .

ـ في بعض المناطق هناك امكانيات لاستقبال العشرات من سكان القرى العلوية العاجزين وكبار السن والاطفال والماشية خلال فترة الاشتباكات والقصف، كذلك اقيمت

بعض المعامل والمصانع والمطابع، وجمعت الآليات داخل تلك الانفاق..

- لمواجهة اثار القنابل الثقيلة وقاذفات ب ٥٢ روعيت خلال بناء الانفاق مواصفات جديدة بحيث تكون على عمق ١٢ متراً تحت سطح الارض وأن تتوفر لها طاقات ومنافذ للتهوية كافية، وأن يتمتد بعضها تحت مناطق ومراكز تابعة للقيادة الامريكية أو السايجونية في المنطقة فتتجنب القصف الجوي

- يختلف نظام وحارطة ومنافذ ومخارج الانفاق[٢٨] من واحد الى الآخر ومن منطقة الى اخرى وبذلك يصعب الاستفادة من سقوط احدها في السيطرة على الاخرى ، كذلك ابدع الفيتناميون في عمليات الإخفاء والتمويه بشكل لا يؤثر على فوهات التهوية .

- من الصعوبات التي واجهت الأمريكيين بالاضافة الى قلة خبرتهم في هذا المجال أن الفيتناميين يملكون اجساماً متواضعة الحجم فصلت الخنادق والممرات على قياسها . . بينما وقفت الاجسام الامريكية عاجزة عن المناورة فاضطرت القيادة الأمريكية الى تدريب قوات خاصة اطلق عليها وحدات « جرذان الانفاق » المهيئة نفسياً وجسدياً لاقتحام الانفاق .

- لعرقلة تقدم القوات الأمريكية المذكورة استنبط الثوار سلسلة من الافخاخ والمصائد خارج وداخل الانفاق استخدمت فيها كافة الامكانيات المتوفرة من الافاعي والعقارب المعلقة في السقف التي تسبب الموت الى زجاجات البراز والقيء على الارض التي تسبب الالتهابات للزاحفين على بطونهم، بل أن الامريكيين اتهموا الثوار بتشريك الجثث الامريكية أمام تقدمهم.

- القنابل اليدوية هي السلاح الرئيسي المستعمل لدى الثوار خلال اشتباكهم مع الجنود المهاجمين داخل الانفاق ، وهم أكثر قدرة على المناورة لامكانية التحرك الحر لديهم من الزحف الى القرفصاء الى السير بطريقة البط ! على عكس الامريكيين الزاحفين في غالب الأحيان .

● محاربة اسلحة التفوق

تعتبر طائرات الهليوكبتر والدبابات والمدرعات البرمائية من الاسلحة التي ظلت حتى نهاية الحرب عناصر التفوق التقني لدى القوات المعادية ، وبالاضافة الى الدور الذي لعبته هذه الاسلحة في العمليات القتالية المختلفة من هجومية ودفاعية ، فإنها كانت ذات أهمية فائقة بالنسبة لجنود العدو خلال العمليات الخاصة وفي عمليات التمشيط ، ورغم الاستخدام الفرنسي لهذه الاسلحة في الخمسينات الاّ أن ذلك ظل بدائياً ومتواضعاً أمام الاستخدام الامريكي الواسع والمكثف والمعقد لها .

ويمكن القول أن الاستخدامات الاولى لهذه الاسلحة وأنواعها المتطورة سنوياً كانت

تحدث آثاراً عسكرية ونفسية سيئة على الوحدات الثورية إلاّ أن ذلك سرعان مايعالج من خلال مبدأ « التعلم أثناء القتال » الذي ركزت عليه القيادة الفيتنامية بشكل متواصل ، وهنا لابد من تسجيل حقيقة أن المقاتلين الفيتناميين لم ينتظروا وصول الاسلحة المضادة المناسبة من الدول الاشتراكية بل ابتدعوا وصنعوا وركّبوا الوسائل المتوفرة بين أيديهم وفي الطبيعة على الوجه الأكمل لمواجهة الطائرات والآليات[٢٩] .

أولاً : بالنسبة لطائرات الهليوكبتر كانت الخطوط العام لمحاربتها :

أ ـ تعليم المقاتلين والسكان وتحريضهم على استخدام كافة الاسلحة المتوفرة لديهم مهما كانت متخلفة أو فردية ضد الطائرات اثناء مرورها أو عملها .

ب ـ تكريس عادات زراعة الالغام والقنابل والافخاخ (الجاهزة أو المصنعة محلياً) في المناطق المتوقع هبوط الطائرات عليها .

ح ـ شن هجمات استباقية ضد قواعد الطائرات المقرر استخدامها في العملية قبل انطلاقها سواء باستخدام المدفعية أو العمليات الانتحارية ، وهنا لابد من توفر معلومات دقيقة .

ثانياً : بالنسبة لمحاربة الدبابات والآليات المدرعة وكان أهمها دبابات ت ٤١ ، ت ٤٨ ، والآليات البرمائية م ١١٣ فكانت ضمن التوجيهات العامة التالية :

أ ـ تعليم المواطنين لزراعة القنابل والالغام المحلية على الطرق المؤدية الى المنطقة المستهدفة .

ب ـ دفع المقاتلين الى زراعة ونشر الالغام على شاطىء البحر أو النهر المقرر استخدامه .

ج ـ الاعتماد على الذكاء والمهارة الشخصية والتجربة في ابطال مفعول الرادارات وكاسحات الألغام .

ء ـ عندما تتوفر الاسحلة الحديثة (الشرقية أو الغربية) المضادة للآليات يجب استخدامها بمهارة كبيرة .

هـ ـ اللجوء الى الكمائن ضد الآليات والاشراك الكبيرة (عن طريق الحفرة الكبيرة الملغومة) .

و ـ شن هجمات استباقية ضد قواعد الدبابات المفترض استخدامها في العملية المحددة .

● في مواجهة الحرب الجوية

القصف الجوي كان أبرز معالم الحرب التدميرية التي شنتها الولايات المتحدة ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية ، ورغم أن الحرب التدميرية تلك كانت الامتداد الشمالي لاستراتيجية الحرب المحلية كما ذكرنا الاّ أنها حظيت باهتمام خاص عند طرفي الصراع .

الطرف الامريكي كان يريد عبر القصف الجوي تحديداً ، أن يلوي ذراع القيادة الشمالية لاركاعها أمام جبروته العسكري واجبارها على التخلي عن المسألة الجنوبية نهائياً .

الطرف الفيتنامي كان يريد عبر احباط اهداف الحرب التدميرية افقاد الطرف الأمريكي عامل تفوقه التكنولوجي الرئيسي ، والاحتفاظ بالصراع في اطاره الذي يتيح حبك عوامل التفوق الفيتنامي .

الجولة الاولى من العدوان على الشمال (بعد حادثة تونكين) لم تؤد الى النتيجة المرجوة ، ولم تظهر بوادر الضعف على حكومة هانوي ، ورغم أن هوشي منه كان قد حذر الامريكيين مبكراً من القيام بأية مغامرة ضد الشمال لانها ستواجه بتصميم الشعب الشمالي الكامل ومساندة الدول الاشتراكية إلّا أن الامريكيين اصروا على شن الجولة الثانية من القصف خلال وجود رئيس الوزراء السوفييتي الكسي كوسيجون في هانوي ، وذلك لاحباط الفيتناميين نفسياً .

مرة ثانية كان الرد الفيتنامي حاسماً : لا للابتزاز ، مع مزيد من الطائرات الامريكية المسقطة فوق المناطق المستهدفة .

وقد لوحظ خلال العام الاول للحرب التدميرية انها احدثت أثراً عكسياً في أكثر من مجال : فقد اعادت تعبئة الجماهير وحشدها من جديد ليس للبناء الاشتراكي فقط بل وللدفاع عن الوطن وانجازاته تحت شعار « المنجل بيد والبندقية باليد الاخرى » كما أن حركة التنديد العالمي بالسياسة الامريكية العدوانية والمطالبة بالانسحاب الأمريكي من الجنوب قد تضاعفت وشهدت عواصم العالم ـ حتى الغربية منها ـ سلسلة من المظاهرات والندوات والاجتماعات التضامنية .

وقد مرت الحرب التدميرية بثلاث مراحل :

في المرحلة الاولى كان الهدف شاملاً كما ذكرنا ، ضرب الارادة القتالية عند الفيتناميين جميعاً ، ومنع الشماليين من مساعدة الجنوبيين وعزل ثورتهم تمهيداً لتصفيتها ، تخريب الانجازات الاشتراكية اقتصادياً وعسكرياً في الشمال ، والاساءة الى سمعة ومصداقية المعسكر الاشتراكي .

وعندما لم يتحقق الهدف الشامل أصبح هدفها في المرحلة الثانية الحد ما أمكن من مساعدة الشماليين لثورة الجنوبيين ، بخلق ما أمكن من المصاعب والارباكات أمام الحكومة

الشمالية ، على أمل التخلص من المأزق العسكري في الميادين القتالية الجنوبية .

وفي المرحلة الثالثة أصبح الهدف أكثر تواضعاً وهو الضغط على المفاوضين الفيتناميين لتقديم بعض التنازلات من أجل التوصل الى تسوية مشرفة للصراع .

لقد أدت نجاحات الحرب الشعبية في مواجهة الحرب التدميرية في شمال فيتنام الى وضع القيادة الامريكية أمام معادلة صعبة فكلما زادت من تصعيد حربها ، إزدادت احتياجاتها الحربية في الشطرين الشمالي والجنوبي وازداد التورط بدلاً من انقاذ الموقف[30] وهكذا تتسع الدائرة بينها الامكانيات البشرية والمادية المتوفرة لها ليست بلا نهاية ، وهذا الاستنزاف يقودها الى وقفة مراجعة جدية ، وهذا ماعبر عنه كيسنجر بصراحة[31] « لقد تبين لاسلافنا - ادارة جونسون - بعد أربع سنوات من القتال أنهم غير قادرين على اختطاط استراتيجية تعطيهم الغلبة » . . أما ادارة نكسون فأنها تأكدت « أن النصر مستحيل في الحرب الفيتنامية وبأنها لاتستطيع ايقاف الحرب » المدخل الوحيد الى الخروج « المشرف » من الورطة كان وقف الحرب التدميرية ضد الشمال وفتح الطريق أمام مفاوضات التسوية السياسية ، ولاينكر كيسنجر أن سبب وقف القصف الأمريكي يكمن في كلفة الحرب الجوية الباهظة وفي جذب الفيتناميين الى المفاوضات .

أما القيادة الفيتنامية فأنها تضع أربعة أسباب لفشل الحرب التدميرية :

أولها وأهمها ؛ النمو المتزايد والسريع في انجازات الثورة الجنوبية .

ثانيها : تدمير جزء هام من القوة الجوية والبحرية الامريكية على يد الشعب والجيش في الشمال .

ثالثاً : صمود البناء الاشتراكي (اقتصادياً وعسكرياً) في الشمال .

رابعاً : الدعم الاشتراكي والعالمي لفيتنام ، والعزلة الامريكية .

ورغم أن سلاح الجو هو أحدث الأسلحة الفيتنامية الرئيسية ، وولد في غمرة الحرب الامريكية حيث تأسست أول كتيبة في سلاح الجو عام ١٩٦٥ ، إلاّ أن الطائرات الفيتنامية خاضت أول معاركها الجوية يومي ٣ ، ٤ مايو فاسقطت أربع طائرات امريكية من طراز كروس وفانتوم الأمر الذي اعتبره رئيس أركان القوات الجوية الأمريكية « يوماً أسوداً في تاريخ القوات الجوية » وبعد ذلك رفعت القيادة الجوية الأمريكية شعار تطهير السماء الشمالي وتنظيف مطارات الشمال والمستودعات الشمالية من الطائرات الفيتنامية ! وفرضت سيطرة شبه تامة على الأجواء الشمالية لفترة من الوقت حتى اشتد ساعد القوة الجوية الفيتنامية فاشتركت حتى نهاية الحرب في حوالي أربعمائة معركة واشتباك جوي اسقطت خلالها ٣٢٠ طائرة معادية بينها بعض طائرات ب ٥٢[32] وبذلك تكون ساهمت الى حد ما في احباط الحرب التدميرية وعرقلة عربدة القاذفات الاستراتيجية[33] .

الملاحظات والمراجع والخرائط للباب السادس

(١) المصدر : الجنرال جياب : حرب المقاومة الشعبية ـ ص٢٧ .

(٢) عصابات الفيتكونغ : تعبير غربي الاستعمال يقصد به الاساءة ويعني لغوياً الفيتنامي القذر Vietcong استخدمه الأمريكيون بتقزز وكبرياء، لكنه تحول إلى كابوس مرعب لهم

(٣) وحدات الدفاع الذاتي الحمراء خلال انتفاضة ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ انظر جنرال جياب المختارات P 390 - 394 .

(٤) عملية بناء القوات العسكرية في الشمال ، لمراجعة المصدر السابق P 454 .

(٥) الضابط المذكور هو أحد المحاضرين في هيئة التدريب التابعة لوزارة الدفاع في هانوي

(٦) العمل الايديولوجي والسياسي في القوات ؛ يراجع جنرال جياب المصدرين السابقين ، وكذلك حركة فتح ـ دراسات وتجارية ثورية ـ التجربة الفيتنامية الجزء ٣ ص ١١٨ ـ ص ١٣٣ .

(٧) الصحفي ويلفريد بورشيت كما جاء في كتابه الشهير كيف انتصر الفتيكونغ ـ ترجمة محمود زيادة ـ دار ابن خلدون

(٨) الذاتي والموضوعي : انظر ، ترونغ تشنه المختارات .

(٩) سياسة الاعتماد على الذات · حركة فتح ـ دراسات ثورية ـ التجربة الفيتنامية الجزء ١ ص ١٩ .

(١٠) القاعدة الآمنة ، ويطلق عليها أحياناً القاعدة الخلفية أو القاعدة الارتكازية الرئيسية .
وقد أولاها ماوتسي تونغ أهمية كبيرة، وهو يعتبر أن صلابة المؤخرة بمصل التعبئة التعبية تشكل العامل الاول والأهم بين كل العوامل التي تؤثر بشكل ثابت على الاستراتيجية الثورية .

(١١) جياب والمؤخرة : انظر مختارات الجنرال جياب P. 242 .

(١٢) روابط التحرير الوظيفية : روابط ذات بنية اجتماعية سياسية وهي موجودة على مستوى القرية وذات تنظيم افقي وليس عمودي ، للمزيد من التفاصيل انظر دوجلاس بايك الفيتكونغ ص ١٠٩ ـ ص ١٤١ .

(١٣) روابط التحرير الادارية: روابط نخبوية كادرية وهي ذات تنظيم هرمي ـ للمزيد من التفاصيل انظر المصدر السابق .

(١٤) سياسة الجبهة في المناطق المحررة ، مراجعة : فتح ـ التجربة الفيتنامية ، الجزء ٢ ص ١٠٦ ـ ص ١١٠ ، بورشيت ـ كيف انتصر الفيتكونغ ، دوجلاس بايك ـ الفيتكونغ

(١٥) التعليمات الاثنتي عشر : فتح ـ التجربة الفيتنامية الجزء ٣ ص ١٤١ .

(١٦) الامداد والتموين في الحرب الاخيرة ؛ تفاصيل مفيدة في مذاكرات الجنرال فان تين زونغ · الحرب الثالثة .

(١٧) الكمائن : انظر ـ فتح ـ التجربة الفيتنامية جزء ١ ـ ص ٣٣ ـ ص٤٧ .

(١٨) الاغارات : انظر المصدر السابق جزء ١ ـ ص ٤٨ ـ ص ٦٨ .

(١٩) التمشيط : انظر المصدر السابق جزء ١ ـ ص ٩٧ ـ ص ١٠٠

(٢٠) العمليات الخاصة لم تقتصر على الثورة ، فقد لجأ الفرنسيون والأمريكيون والسايجونيون الى تنفيذ عمليات خاصة ضد المناطق المحررة في اتجاهين ، استخدام الموظفين والجنود والثوار السابقين ... اصحاب المهن الحرة العاملين في القرى أو استخدام عناصرهم مباشرة بعد التخفي في زي كادرات الجبهة و جيش التحرير للقيام بالعمليات الخاصة .

... : مراجعة كتابي بورشيت ودوجلاس.

(٢١) ... الثوري دوراً خاصا في تنفيذ العمليات الخاصة ، والأمن الثوري عند الفيتناميين له ... اجهزة الثورة الخاصة والمتخصصة من معلومات ، وماتقدمه الجماهير من تفاصيل عن ... العدو و... وأسلحته وعادات الضباط والعملاء وتحركاتهم . . فالأمن الثوري بالنسبة ... على الشعب بشكل أساسي لانه مصدر غني بالمعلومات .

... - بايك : الفيتكونغ ص ٢٢٠ .

(٢١) بصدد العمل في جبهة العدو، ذكرت مصادر صحفية أن معدل الفرار في جيش سايجون من ٨٠٠ حالة شهرياً عام ١٩٦٥ . إلى ٤٨٠٠ حالة شهرياً عام ١٩٦٨ . وبأن عدد حالات العصيان العسكري أخذ في التصاعد منذ نهاية عام ١٩٦٦ . شاملاً وحدات على مستوى الكتيبة .

العمل في جبهة العدو : المصدر السابق ، حركة فتح ـ التجربة الفيتنامية جزء ٢ ص ٨٧ ـ ص ٩٦ .

(٢٢) ... هوشي منه أو طريق هوشي منه Hochi Minh Trail هو الطريق الواصل بين فيتنام الشمالية ... الاراضي الحدودية اللاوسية ، وقد أطلق اسم هوشي منه عليه لان العمل فيه بدأ في يوم عيد ... الزعيم الفيتنامي التاسع والستين ١٩/ ٥/ ١٩٥٩ ولهذا حملت القوات المكلفة بتنفيذ المشروع اسمها ... ٥٥٩ ، المستمد من هذا التاريخ .

(٢٣) المزيد من المعلومات والتفاصيل حول ممر هوشي منه يمكن مراجعة (١) كتاب : The Ho chi Minh Trail Red River - Hanoi ... الصادر عن دار النهر الاحمر للنشر .

(٢) Vietnam Courier - No 5 1984 - P9 - 21

(٢٤) ... تكتيك حرب الانفاق تحت عنوان المجال الدفاعي لايعني انتفاء القيمة الهجومية له ... ان هذا التكتيك قد ساعد على تحقيق عنصر المفاجأة الهام في كثير في العمليات الهجومية ... ومن اشهرها عملية تحرير سايجون الاخيرة .

(٢٥) تابع قاعدة ـ منطقة كوتشي Co Chi في محافظة جيادنه Gia Dinh وتضم ١٦ قرية تجاوز عدد سكانها في اواخر الستينات ٦٠ الف نسمة وتبعد عن سايجون أقل من خمسين كيلومتر .

(٢٦) عملية المصيدة هي احدى عمليات حملة السهام الخمسة الكبرى .

(٢٧) للمزيد من المعلومات حول حرب الانفاق يمكن مراجعة :

... : كيوتشي قاعدة ثورية ـ دليل المناضل ـ دار ابن خلدون .

(٢٩) المزيد من المعلومات حول محاربة الهليوكبتر والدبابات يراجع :

. Face to Face With U. S Armed Forces I - II V.C. ...

- ... ـ دراسات وتجارب ثورية ـ التجربة الفيتنامية الجزء ١ ص ١٠١ .

(٣٠) المصدر : الجنرال فان تين زونغ حرب الشعب في مواجهة حرب التدمير الجوية .

... ماكتبه الجنرال جياب في الاعمال المختارة بالانجليزية 71 - 36 - P. 11 .

(٣١) المصدر : هنري كيسنجر المذكرات بالعربية ـ دار طلاس دمشق .

(٣٢) رجل الفضاء الفيتنامي في الرحلة السوفييتية ـ الفيتنامية المشتركة العقيد توان هو أول طيار ميج فيتنامي يسقط قاذفه ب ٥٢ .

(٣٣) من أشهر الضباط الجويين الذين خسرتهم واشنطن، العقيد جون بلين نائب قائد مطار كوارت في تايلند ، العقيد نورمان غاديس خبير الشؤون الجوية الفيتنامية ، العميد كيسنجر قائد القوة الجوية الخاصة الذي حقق أكبر ساعات تحليق في امريكا وبلغت ٧٣٠٠ ساعة



ملحق رقم ١

اتفاقية جنيف ١٩٥٤

في الجلسة الأخيرة لمؤتمر جنيف في ٢١ يوليه ١٩٥٤ تلت الرئاسة الوثائق التي توصل اليها المؤتمر ، وتتكون من وثيقتين :

الأولى تتعلق بترتيبات وقف اطلاق النار وفصل القوات ، وهي الوثيقة الوحيدة التي وقعت في ٢٠ يوليه ، وتشمل اتفاقات عسكرية بين القيادة العسكرية الفيتنامية والقيادة العسكرية الفرنسية لجيوش فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا الملكية ، ولم يوقع هذه الاتفاقية سوى طرفين ، الفرنسيين والفيتناميين بصفتها المتحاربين الرئيسين في الساحة ، وحتى وفود فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا لم يطلب أحد توقيعها ، عن الجانب الفرنسي وقع الجنرال ديلتيل نيابة عن الجنرال إيلي رئيس هيئة الاركان المشتركة ، وعن الجانب الفيتنامي وقعها تاكوانغ بو نيابة عن الجنرال جياب وزير الدفاع .

الوثيقة الثانية هي عبارة عن الجانب السياسي وجاءت على شكل بيان ختامي للمؤتمر ، وهذه لم يوقعها أحد ، وجرى التصويت عليها بطريقة « تفقد الأعضاء » ولم يعترض عليها سوى الوفد الفيتنامي الجنوبي أما الوفد الأمريكي فقد أبدى تحفظه فقط !

وفي الجلسة الختامية أخذت الوفود الحاضرة علماً بأن الاتفاقية العسكرية قد وقعت من قبل الطرفين المتحاربين :

الاتفاقية العسكرية :

كما قلت اهتمت الوثيقة العسكرية بمسائل ترتيب وقف اطلاق النار وشؤون فصل القوات والشروط العسكرية للمرحلة التالية ؛ ويمكن ايجاز بنود الاتفاقية في الموضوعات التالية التي نصت عليها :

- الموافقة على وقف اطلاق النار واعتبار خط العرض ١٧ شمالاً خطاً ، للهدنة العسكرية .
- اعادة تجميع وتنظيم القوات المتحاربة في منطقتين رئيستين الفيتنامية شمال الخط المذكور والفرنسية جنوبه .

ـ وضع برنامج زمني لعمليات التجميع في الاقاليم والمناطق الداخلية في فترة لاتتجاوز ٣٠٠ يوم .

ـ منع اقامة قواعد عسكرية جديدة أو ادخال تعزيزات عسكرية اشخاص أو أسلحة أو ذخاير أو تجهيزات

ـ منع استخدام أي من المنطقتين منطلقاً لاستئناف عمليات عدائية أو سياسية عدوانية ومنع الاجراءات الانتقامية الفردية والجماعية .

ـ عدم اقامة قواعد عسكرية أجنبية . أو انضمام أي من المنطقتين الى تحالف عسكري ، مع تحديد السلطة الادارية المؤقتة في كل منطقة .

ـ تشكيل لجنة رقابة دولية «L.C.C» تشرف على تنفيذ وقف اطلاق النار وتضم ممثلين عن الهند وبولندا وكندا على أن يرأسها المندوب الهندي .

ـ تحديد ١٨ مايو ١٩٥٥ كموعد أخير لانتقال المواطنين الفيتناميين الى المنطقة التي يرغبون العيش فيها ، على أن تدار الشؤون المدنية في كل من المنطقتين بواسطة الطرف صاحبة القوات التي تتجمع فيها .

البيان الختامي السياسي :

تطرق البيان الختامي ـ الذي شمل ١٢ فقرة ـ الى ابرز بنود الاتفاقيات واعاد التأكيد عليها وخاصة فيما يتعلق بوقف اطلاق النار ، خط الهدنة القواعد العسكرية ، الأهداف الأجنبية ، حرية التنقل ، كذلك تحدث البيان عن قضيتين رئيستين هامتين ، هما احترام استقلال وسيادة ووحدة أراضي فيتنام وكمبوديا ولاوس ، واجراء الانتخابات العامة الحرة . . بالاضافة الى عزم فرنسا سحب قواتها من المنطقة .

باستعراض فقرات البيان يمكن اعطاء صورة أوضح :

في المقدمة يشير الى الاتفاقية العسكرية كونها تنهي العمليات العسكرية في البلدان الثلاثة وتنظم رقابة واشراف دوليين على تنفيذها . . ويعرب المؤتمرون عن سرورهم بأنهاء تلك العمليات وعن قناعتهم بأن هذه الاتفاقيات سوف تلعب دوراً في استقلال وسيادة كاملة لتلك الدول ، ثم يذكر البيان المواقف الايجابية لكل من لاوس وكمبوديا بخصوص الانتخابات العامة المقررة عام ١٩٥٥ وفقاً لاحكام دستورهما وعن طريق الاقتراع السري واحترام الحريات السياسية للمواطنين » .

يشير البيان في الفقرات التالية الى مسائل تحريم ادخال قوات عسكرية وأسلحة وذخيرة الى فيتنام وفق الاتفاقية العسكرية والى تعهد كل من لاوس وكمبوديا بعدم طلب أية معونة أجنبية الا « بهدف الدفاع الفعال عن أراضيها » كما يشير الى منع اقامة قواعد عسكرية اجنبية

أو الانضمام لتحالف عسكري أو استخدام منطقتي التجمع لعمليات عسكرية أو سياسية عدوانية والى تعهد كل من لاوس وكمبوديا بالاّ تنضمان الى تحالف عسكري أو تقيم قواعد عسكرية في أراضيهما، بعد ذلك تأتي واحدة من أهم فقرات البيان حيث يعترف المؤتمر أن خط الهدنة العسكرية بخصوص فيتنام ـ والذي نصت عليه الاتفاقية العسكرية ـ مؤقت ولايمكن تفسيره على أنه حداً سياسياً أو اقليمياً ، ويعرب عن قناعته بأن تنفيذ ماجاء في هذا البيان وفي الاتفاقية العسكرية يخلق الاساس للتوصل الى تسوية سياسية في فيتنام في المستقبل القريب .

لكن أخطر فقرة ، لأنها تقبل أكثر من تفسير هي المتعلقة بالانتخابات العامة . . الفقرة السابعة تقول : . . . أن تسوية المشاكل السياسية على أساس احترام مبادىء الاستقلال والوحدة والوحدة الاقليمية ، سوف تسمح للشعب الفيتنامي بأن يتمتع بالحريات السياسية التي تضمنها المؤسسات الدستورية التي ستنشأ نتيجة لانتخابات عامة حرة عن طريق الاقتراع السري ، ولكي يضمن تحقيق تقدم كاف في عملية استرداد السلام وتوفر كل الظروف المطلوبة لتأمين تعبير عن الارادة الوطنية عبر مؤسسات ديمقراطية ، وأن يتم ذلك على أساس احترام مبادىء الاستقلال ووحدة الاراضي لفيتنام . ونص البيان على عقد مشاورات بين السلطات المعنية الممثلة للمنطقتين اعتباراً من ٢٠ يوليه ١٩٥٥ وصاعداً . . ثم تحدد في الفقرة موعد الانتخابات المذكورة في يوليه ١٩٥٦ تحت اشراف لجنة دولية . . . I.S.C يطالب المؤتمر بعد ذلك بتطبيق البنود الخاصة بحماية الأفراد والممتلكات وحرية انتقالهم الى المنطقة التي يرغبون العيش فيها بمنتهى الدقة ، ويطلب من السلطات في المنطقتين الفيتناميين ، ولاوس وكمبوديا بمنع الاجراءات الانتقامية الفردية أو الجماعية ضد الاشخاص أو عائلاتهم .

لفت المؤتمر بعد ذلك النظر الى بيان الحكومة الفرنسية حول استعدادها لسحب قواتها من أراضي الدول الثلاث بناء على طلب الحكومات المعنية ، وحول مراعاتها لمبدأ احترام استقلال وسيادة ووحدة أراضي الدول الثلاث والامتناع عن أي تدخل في شؤونها الداخلية . .

وفي الأخيرة يوافق الاعضاء على التشاور فيما بينهم اذا مادعت لذلك لجنة المراقبة الدولية لكي يتدارسوا الاجراءات اللازمة لضمان احترام وقف العمليات العسكرية . .

اتفاقية جنيف ١٩٥٤ .

المصدر:

South Vietnam: Realities and Prospects V.S. No 18 - 19 Documents P.337

ملحق رقم ٢

اتفاقية باريس ١٩٧٣

النسخة الاولى من اتفاقية باريس[1] وقعت في ٢٧ يناير ١٩٧٣ من طرفين فقط ، نجوين زوي ترنه وزير خارجية فيتنام الديمقراطية ، ووليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية على أن ينوب الأول عن الحكومة الثورية المؤقتة بينما ينوب الثاني عن حكومة سايجون وقد تعهد الأطراف الأربعة بموجبها باحترام وتطبيق ماجاء في فصول الاتفاقية البالغة تسعة تضم ٢٣ مادة .

أما النسخة الثانية من الاتفاقية فقد وقعت في نفس التاريخ من الأطراف الاربعة ، حكومة هانوي مثلها وزير الخارجية نجوين ترنه وحكومة واشنطن وزير الخارجية وليم روجرز ، بينما الحكومة الثورية مثلها وزيرة الخارجية السيدة نجوين بنه وحكومة سايجون وزير خارجيتها تران فان لام .

● بالاضافة الى الاتفاقية وقع الطرفان الرئيسيان ثم الأطراف الأربعة على برتوكول ملحق خاص بعودة الاشخاص العسكريين والمدنيين الاجانب الأسري ، والمعتقلين والموقوفين الفيتناميين المدنيين ، ويضم البرتوكول ١٤ مادة :

المواد من الاولى حتى السادسة تنظم عودة الأسرى العسكريين (امريكيين وفيتناميين) والمدنيين الأجانب (امريكيين وحلفاء) خلال ٦٠ يوماً على تسلم القوائم بالأسرى في يوم توقيع الاتفاقية .

المادة السابعة تنظم عودة الأسرى والموقوفين المدنيين الفيتناميين . . المادتان الثالثة والتاسعة تتناولان معاملة الاسرى أثناء الاعتقال ، بينما المادة العاشرة أحوال القتلى المفقودين المادة ١١ تتحدث عن اللجان العسكرية المشتركة ، الثنائية والرباعية الخاصة بتنفيذ مواد الاتفاق بينما المادة ١٢ تشير الى مسؤولية اللجنة الدولية للرقابة والإشراف ، المادتان الاخيرتان تحددان توقيت وطباعة وسريان البرتوكول .

● كذلك وقع الطرفان ثم الاربعة أطراف على برتوكول ملحق بالإتفاق خاص بوقف اطلاق النار في جنوب فيتنام وتشكيل اللجان العسكرية المشتركة ويتكون من ١٩ مادة .

المـواد من الاولى حتى التـاسعة تنظيم عمليات وقف اطلاق النار وتمنع العمليات القتالية والعدائية والاستفزازية والتعديات والانتقامات وتنظم نقاط الدخول والعبور . . . الخ

المـواد من العـاشرة حتى التـاسعـة عشرة تحدد مهـمات اللجان العسكرية المشتركة الـربـاعية ، واللجنـة العسكرية المشتركة المركزية (المقيمة في سايجون) واللجان الاقليمية السبعة والمجموعات الفرعية التابعة لها . وتنسق بينها وبين اللجنة الدولية للرقابة والإشراف .

● كما وقع الوزيران ثم الأربعة على برتوكول ملحق بالاتفاقية خاص باللجنة الدولية للرقـابـة والإشراف يحتوي على ١٨ مادة تتناول انشاء اللجنة واهدافها وتشكيلها ومهماتها وطـريقـة التحقق من الانتهـاكات ، على ان يكون مقرها سايجون ، تساعدها سبع فرق اقليمية وثلاث فرق من منطقة سايجون ـ جيادنه اضافة الى الفرق الفرعية في كل اقليم .

● وأخيراً وقع الوزيران فقط على برتوكول ملحق بالاتفاقية خاص بمسألة إزالة الألغام يحتوي على ٨ مواد تشمل عمليات ازالة وتعطيل أو تدمير الألغام في المياه الأقليمية والمنافذ والموانىء والممـرات المائية لجمهورية فيتنام الديمقراطية ، على أن يبدأ ذلك في نفس يوم التوقيع ، ويتفق بين وفدين مختصين من البلدين حول المسائل الفنية والتوقيتات .

« الاتفاقية الرئيسية »

ـ الهدف العام للاتفاقية كما تشير مقدمتها انهاء الحرب واستعادة السلام في فيتنام على أساس احترام الحقوق الوطنية الأساسية للشعب الفيتنامي وحق الشعب الجنوبي في تقرير مصيره والمساهمة في تعزيز السلام العالمي ، بينما تنص المادة الاولى على احترام امريكا والدول الاخرى لاستقلال وسيادة ووحدة ووحدة اراضي فيتنام كما جاءت في اتفاق جنيف ١٩٥٤ ، المادة الثانية تحدد الساعة ٢٤ من يوم ٢٧ يناير ١٩٧٣ لوقف اطلاق النار في الجنوب كله ووقف النشـاطـات العسكرية الامريكية ضد شمال فيتنام ، أراضيها ومياهها واجوائها ، والبدء فوراً في إزالة الألغام ، على أن يكون كل ذلك ذو صفة دائمة .

ـ المادة الثالثة نصت على تثبيت القوات الأمريكية الحليفة والقوات الجنوبية والثورية في أماكنها حتى تبدأ في الانسحابات ، على أن تمتنع القوات المحلية بشقيها عن كل الأعمال العدائية والعدوانية والارهابية والانتقامية .

ـ المادة الرابعة تضمنت تعهد أمريكا بعدم مواصلة تورطها العسكري أو تدخلها في شؤون الجنـوب الداخلية ، على أن تنسحب قواتها ومستشاريها وعسكريها وموادها الحربية والمستشارين لدى المنظمات شبه العسكرية والبوليسية وتفكك القواعد العسكرية الأمريكية

الاجنبية خلال ٦٠ يوم كما نصت المادتين الخامسة والسادسة .

ـ المادة السابعة حرمت على الطرفين الجنوبين ادخال قوات أو مستشارين أو مواد عسكرية على أن تتم عمليات تبديل القوات والاسلحة باشراف اللجنة العسكرية المشتركة الثنائية ولجنة الرقابة والإشراف الدولي .

ـ المادة الثامنة نصت على اطلاق جميع الأسرى ، والمعتقلين قبل نهاية الانسحابات ، وعلى تعاون الأطراف في تبادل المعلومات حول هذه المسألة ، بنيها تحل مشكلة المعتقلين المدنيين في الجنوب بين الطرفين الجنوبين .

ـ المادة التاسعة تضمنت تعهد واشنطن وهانوي باحترام حق الشعب الجنوبي في تقرير مصيره المقدس وغير القابل للتصرف ، وان يقرر الجنوبيون مستقبلهم السياسي عبر انتخابات عامة حرة وديمقراطية بإشراف دولي ، وإلّا يفرض على الجنوبيين تيار سياسي أو شخصية ما بواسطة الدول الاجنبية .

ـ المادة العاشرة نصت على تعهد الطرفين الجنوبيين بحل المسائل الخلافية عبر التفاوض وتحاشي الصراع المسلح ، والمباشرة في تحقيق الوفاق المصالحة الوطنية ومنع الانتقامات ضد الأفراد والمنظمات ، وضمان الحريات الديمقراطية للشعب كما ذكرت المادة الحادية عشرة .

ـ المادة الثانية عشرة نصت على انشاء الطرفين الجنوبيين للمجلس الوطني للوفاق والمصالحة على المستوى المركزي ثم المستويات الادنى مهمته تطبيق اتفاقية الطرفين حول شؤونها الداخلية (توقع خلال التسعين يوم) وضمان الحريات الديمقراطية وتنظيم عملية اجراء الانتخابات .

ـ المادة الثالثة عشرة احالت مسألة القوات المسلحة الجنوبية وتخفيض الفعاليات العسكرية وحل القوات على الطرفين الجنوبين . .

ـ المادة الرابعة عشرة نصت على اتباع الجنوب لسياسة خارجية تقوم على السلام والاستقلال واقامة علاقات مع كل البلدان بصرف النظر عن انظمتها السياسية والاجتماعية ، وتلقي المساعدات الاقتصادية والفنية غير المشروطة ، بينما المساعدات العسكرية تكون من صلاحية الحكومة الناشئة بعد الانتخابات .

ـ المادة الخامسة عشر نصت على أن تتم عملية اعادة توحيد فيتنام تدريجياً وبالطرق السلمية ، دون قهر أو ضم أو تدخل أجنبي ، وفق مفاوضات بين الشمال الجنوب ، وعلى ذلك . فإن خط عرض ١٧ يعتبر خط هدنة مؤقت وليس حدوداً سياسية أو جغرافية ، ويحترم الطرفان الشمالي والجنوبي المنطقة المجردة ، ويقومان بتطبيع العلاقات بينهما في كافة الحقول ،

وينظمان حركة المدنيين عبر خط الهدنة ، ولايلتحقان باحلاف أو كتل عسكرية ولا يسمحان بقواعد أو قوات أو مستشارين عسكريين أجانب على أراضيهما .

ـ المادة السادسة عشرة ، تشكل الأطراف فوراً اللجنة العسكرية الرباعية المشتركة لضمان ماجاء في الاتفاقية بخصوص وقف اطلاق النار وانسحاب القوات وحل القواعد وعودة الأسرى وتبادل المعلومات ، ويتفقون على اجراءات تنظيم ووسائل عمل اللجنة على أن تنهي مهمتها خلال ٦٠ يوم وتحال المسائل الخلافية على اللجنة الدولية للرقابة والاشراف .

ـ المادة السابعة عشرة يشكل الطرفان الجنوبيان فوراً اللجنة العسكرية الثنائية المشتركة لضمان ماجاء في الاتفاقية بخصوص وقف اطلاق النار ومنع ادخال قوات وأسلحة وعودة المعتقلين والأسرى وتخفيض الفعاليات العسكرية بعد انتهاء مهمة اللجنة الرباعية ويتفق على وسائل تنظيم عمل اللجنة .

ـ المادة الثامنة عشرة نصت على تشكيل اللجنة الدولية للرقابة والإشراف لمتابعة تطبيق وقف اطلاق النار وانسحاب القوات وتفكيك القواعد وعودة الأسرى تساعدها لجان رقابة فرعية وذلك بالتعاون مع الأطراف الأربعة ، وتستمر في عملها مع الطرفين الفيتناميين الجنوبيين بعد انتهاء عمل اللجنة العسكرية الرباعية حتى اجراء انتخابات عامة حرة ، وتتشكل اللجنة من ممثلي كندا وهنغاريا وبولنده واندونيسيا ورئاستها دورية وتتفق الأطراف الأربعة على تنظيمها ووسائل عملها .

ـ المادة التاسعة عشرة نصت على عقد المؤتمر الدولي خلال ٣٠ يوم على أن تكون مهمته قبول الوثائق الموقعة وضمان أنهاء الحرب وحفظ السلام واحترام الحقوق الوطنية الأساسية لشعب فيتنام وحق تقرير المصير لشعب الجنوب والمساهمة في ضمان السلام في الهند الصينية ويتشكل من الأطراف الأربعة المشاركة في مفاوضات باريس ، الأطراف الأعضاء في لجنة الرقابة الدولية ، الصين ، فرنسا ، الاتحاد السوفييتي ، بريطانيا والأمين العام للامم المتحدة

المادة العشرون : نصت على تعهد الأطراف الأربعة باحترام الحقوق الوطنية الأساسية لشعب كمبوديا كما جاءت في اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٤ ، ولشعب لاوس كما جاءت في اتفاقية جنيف لعام ١٩٦٢ ، وانهاء النشاطات العسكرية وسحب القوات والمواد الحربية الاجنبية وعدم ادخالها الى أراضي كمبوديا ولاوس وترك المسائل الداخلية للبلدين تحل بواسطة شعبيهما دون تدخل أجنبي وحل المسائل بين بلدان الهند الصينية داخلياً على أساس الإحترام وعدم التدخل .

ـ المادة الحادية والعشرون . تحدثت عن الاتفاقية كبداية مصالحة بين واشنطن ، وهانوي وشعوب الهند الصينية ومساهمة أمريكا في تضميد جراح الحرب واعادة البناء لما بعد

الحرب في فيتنام الديمقراطية والهند الصينية .

ـ المادة الثانية والعشرون ؛ تحدثت عن العلاقات الجديدة والمتساوية وذات الفائدة المتبادلة بين فيتنام وامريكا على أساس الاحترام وعدم التدخل ، وضمان السلام في المنطقة .

ـ المادة الثالثة والعشرون : نصت على اعتبار الاتفاقية سارية فور التوقيع عليها .

---

(١) المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف في ترجمة الاتفاقية وملحقاتها هو

Agreement on Ending the War and Restoring Peace in Viet-Nam

الصادر عن دار النشر. Giai Phpong Bubishing House - Southe Vietnam 1973

ملحق رقم ٣

الخسائر الفرنسية والامريكية

أ ـ الخسائر في الحرب الفرنسية

أجملت المصادر الفيتنامية كافة خسائر القوات المعادية طوال الحرب ضد فرنسا بين ٦٠٠ الى ٦٥٠ ألف بين قتيل وجريح ومفقود ، توزعوا على الشكل التالي :

٣٥٠ ألف سقطوا على يد وحدات العصابات .

٢٠٠ ألف تساقطوا نتيجة العمل السياسي والدعائي في صفوف العدو.

١٠٠ ألف سقطوا في المعارك مع القوات النظامية .

وقد قدر عدد القوات الاجنبية بينهم بـ٢٠٦ الف شخص فرنسي وحليف ، منهم ٩٢ ألف قتيل ، ١١٤ ألف جريح .

وبينما يعترف الرئيس الأمريكي نكسون في مذكراته أن خسائر الفرنسيين في حربهم في الهند الصينية بلغت ١٥٠ ألف صابط وجندي ، لم تعترف السلطات الفرنسية الا بـ٢٠٦٧٥ قتيل فرنسي بينهم ٨٢٠٠ ضابط وصف صابط .

١١٦٢٠ قتيل من الفيلق الأجنبي

١٥٢٢٩ قتيل من دول المغرب العربي .

٢٦٦٨٦ قتيل من الجنود المحليين في الجيش الفرسي .

وحسب بعض المصادر الفرنسية ان نصف خريجي الكلية العسكرية الفرنسية كانوا يسقطون سنوياً في حرب الهند الصينية ، أما عدد الجرحى في معارك الهند الصينية بين الجنود فقد بلغت حوالى ثلاثة اضعاف عدد القتلى حسب هذه المصادر .

بالنسبة للخسائر المادية الفرنسية في الحرب (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) فقد بلغت حسب تقديرات لي ثانه خوي في كتاب «فيتنام تاريخ وحضارة» ٣ تريليون فرنك دفعت الخزينة الفرنسية منها ٢,٣ تريليون بينما غطت أمريكا المبلغ الباقي .

وفي مصدر آخر أن قيمة ماانفقته فرنسا في تلك الفترة على حربها تصل الى ١١ بليون دولار تحملت منها واشنطن مباشرة حوالى بليون دولار ، بينما قدمت امريكا حوالى ٤ بليون

دولار على شكل مساعدات عسكرية وتدريبية واقتصادية في الهند الصينية . . أما ماتلقته الدولة الفرنسية من امريكا في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية حتى مؤتمر جنيف فقد وصل الى ١٠ بليون دولار على شكل قروض ومساعدات .

ب ـ الخسائر في الحرب الأمريكية

بالنسبة للخسائر البشرية للقوات الأمريكية والحليفة هناك فرق كبير بين الأرقام التي اذاعتها المصادر الفيتنامية ، وتلك التي اعترفت بها السلطات الأمريكية ، لذلك سنذكر هنا الأرقام حسب مصادرها :

المصادر الفيتنامية ذكرت أن خسائر القوات الأمريكية بلغت في الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ . ١٣٠٥٩٧ قتيل وجريح ومفقود بينما خسائر القوات الجنوبية العميلة ١٠٧٣٧٤٦ شخص .

وفي الفترة التالية : ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢ تضمنت البلاغات العسكرية الفيتنامية ارقاماً أكبر حول خسائر الحرب في الطرف الآخر تجاوزت مليوني حالة بين قتيل وجريح وأسير وفار بينهم أكثر من نصف مليون من الأمريكيين وحلفائهم . .

المصادر الأمريكية اعترفت بإجمالي خسائر في الحرب الفيتنامية بلغ ٥٦٥٥٠ قتيل ٣٠٣٦٢٢ جريح ٢٩٤٩ أسير .

أما الخسائر المادية الأمريكية المباشرة في الحرب الفيتنامية فقد تجاوزت ٨٥٠ بليون دولار موزعة كالتالي ، ٢,٦ بليون اسلحة وذخائر وتجهيزات قبل مؤتمر جنيف ٢,٠٥ مساعدات لنظام نجون دييم حتى عام ١٩٦٠ ، ٤٩٤ بليون من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ ، ٣٥٢ بليون من ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ . بالنسبة للطائرات لم يعترف الأمريكيون سوى بسقوط ٣٧٠٠ طائرة مقاتلة ٥ آلاف طائرة هليوكبتر .

وقد اشتراك في الحرب الأمريكية في أوجها ، ٥٥٠ الف جندي امريكي ، ٥٠ ألف كوري جنوبي ، ١٦ ألف استرالي ، ١٢ الف تايلندي ، ألف فلبيني ، إضافة الى ٣٨ ألف امريكي في مطارات تايلند ، وتقول مصادر عسكرية أن اجمالي القوات الأمريكية التي ساهمت مباشرة أو غير مباشرة (في البلدان المجاورة) في المجهود الحربي يصل ٨٠٠ ألف عسكري ، بينما عدد العمال وصل الى ٥,٥ مليون يعملون في ٢٢ ألف مصنع ومعمل وقاعدة ، بالاضافة الى ٤٠٪ من الباحثين ، ٢٦٠ من الجامعات والمعاهد التي كانت في

خدمة المجهود الحربي . بينما بلغ عدد القوات السايجونية ١,١ مليون جندي وحوالى مليون شخص شبه مسلح .

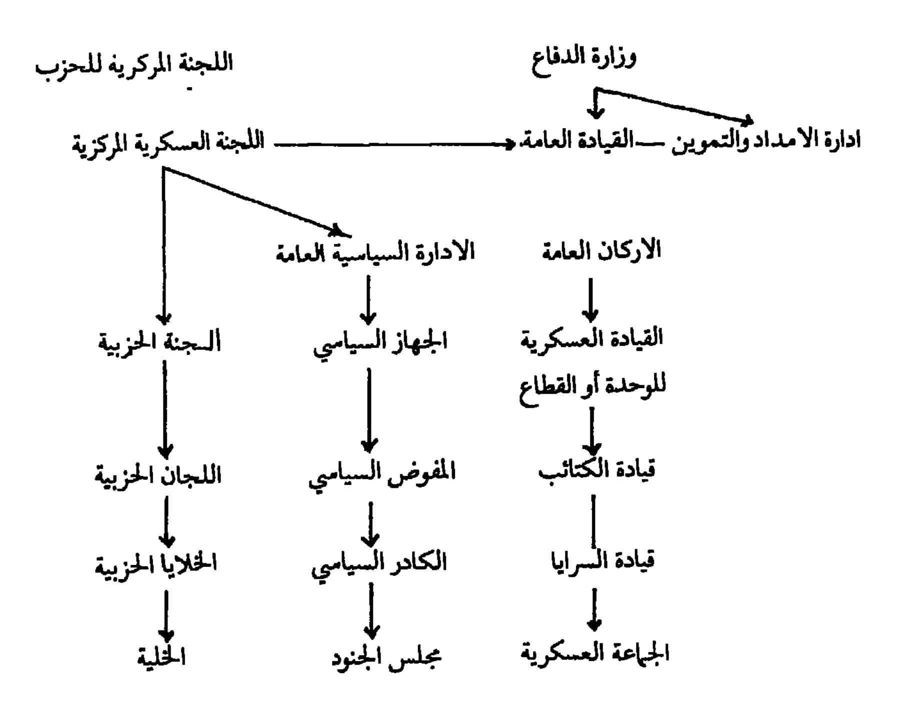
المصادر:
جريدة الرأي الأردنية ٢٢/١/٨٨ .
المخابرات المركزية بلا قناع ص ١٦٨ .
دراسات فيتنامية . الأعداد: ٢٢، ٢٨، ٣٣، ٣٩.

ملحق رقم ٤

التنظيم العسكري الفيتنامي

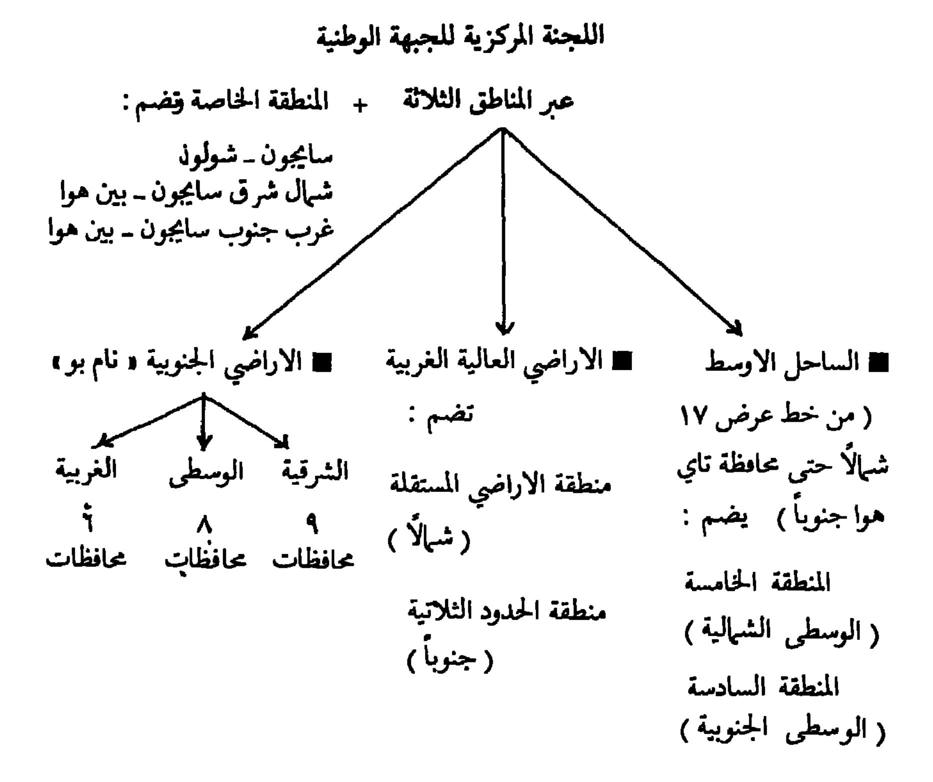
أ ـ فيتنام الديمقراطية

كما هو معروف ان الحزب الشيوعي هو الذي يشرف على القوات المسلحة في فيتنام « الديمقراطية » عن طريق اللجنة المركزية التي تخضع لها القيادة العامة للقوات المسلحة . ومن اللجنة المركزية للحزب تتشكل اللجنة العسكرية المركزية من اعضاء عسكريين ومدنيين ، وهي تشرف مباشرة على وزارة الدفاع والقيادة العليا للقوات المسلحة ، ثم تتوالى عمليات القيادة والإشراف الى المستويات الأدنى تباعاً ، من قيادة القوات أو المناطق الى قيادة الفرق والألوية والكتائب ، عبر اللجان الحزبية ، أما في المستويات الدنيا فإن الخلايا الحزبية هي التي تتولى مهمة الاشراف تلك .



ب ـ جبهة التحرير الجنوبية

في هيكلية جبهة التحرير الجنوبية يتوارى التنظيم الإداري والعسكري من قمته الهرمية المتمثلة في اللجنة المركزية حتى يصل الى القاعدة الريفية حيث الخلية . وتتسلسل الدوائر في ذلك الترتيب من قيادات « عبر المناطق » الثلاثة التي تشرف على قيادات « المنطقة » السبعة والمنطقة الخاصة « العاصمة » الى قيادات « المحافظة » حيث يوجد ٤١ محافظة جنوبية ثم قيادة « الاقليم » ويوجد ٢٠٠ اقليم ، وأخيراً القرية والقرية الصغيرة التي يبلغ عددها أكثر من ١٧ ألف .



منذ ميلاد الجبهة جرى على تنظيمها العسكري أكثر من تغيير وأبعد من تطوير ، لكن نستطيع القول انه بعد المؤتمر العسكري الاول للجبهة اتخذ التنظيم العسكري ثلاثة مستويات رئيسية :

١ ـ القاعدة الأوسع : تضم وحدات المليشيا ومجموعات الدفاع الذاتي ، في القرى

والانجاع والنواحي ، مهمتها الدفاع عن القرية ومواصلة عملها الانتاجي في نفس الوقت .

٢ ـ القاعدة الوسطى « شبه النظامية » : تضم الوحدات المحلية والاقليمية ، تتواجد في نطاق الاقليم أو الضاحية أو المحافظة ، ومهمتها التدخل الاستثنائي للدفاع عن منطقتها وللمساعدة .

٣ ـ القاعدة النظامية المركزية : وتضم الوحدات العسكرية المركزية للجبهة ، وهي كبيرة ، ومدربة ومسلحة جيداً بالنسبة للشكلين السابقين ، تتواجد على مستوى المحافظات والمناطق تقوم بتنفيذ المهمات الاستراتيجية .

المصدر:
الفيتكونغ : دوغلاس بايك ـ دار الطليعة ـ بيروت .
الحرب الثورية في فيتنام: غابريل بونيه ـ دار الطليعة ـ بيروت
دراسات وتجارب ثورية : محاضرات ـ حركة فتح ـ بيروت .

ملحق رقم ٥

نتائج الحرب التدميرية

باعتبارها سيدة العالم الحر (وزعيمة كل العالم في نظرها) قدمت الولايات المتحدة للقـوات الفـرنسية كل الاسلحـة والتجهيزات والخبراء والدولارات المطلوبة من أجل قهر وإذلال شعوب الهند الصينية ، التي كان كل ذنبها انها تريد بناء وطن مستقل بعد هزيمة اليابانيين .

وعندما عجزت الامبراطورية الفرنسية عن مواصلة الحرب ولم تحقق للاميركيين رغبتهم بالقتـال حتى آخـر جنـدي فرنسي ! قررت الإدارة الأميركية الدخول مباشرة ساحة الهند الصينية لانقاذ شعوبها من الخطر الشيوعي الداخلي !

وخلال عشرين عاماً من تواجدها المتصاعد استخدمت قيادات البنتاغون مابحوزتها من أسلحة ومتفجرات وقنابل (دون الذرية) لقهر الشعب الفيتنامي ، بل ان تهديدات أحد جنرالاتها ، باعادة فيتنام الى العصر الحجري ، لم يكن مجرد انفعال مؤقت لجنرال مهزوم ، بل عملت القيادة الأميركية على تحويل الأراضي الفيتنامية الشمالية والجنوبية إلى حقول تجارب واسعة . والأراضي الفيتنامية بما عليها من مدن ومنشآت وكائنات حية بشرية وحيوانية ونباتية كانت أهدافاً اختبارية لابداعات العقل الحضاري في مجال الأسلحة التقليدية والكيمياوية والجرثومية .

الأرض كوجه القمر

الاميركيون هـم أول من اكتشف حقيقة وجه القمر ، كان ذلك بداية في فيتنام . .
القى الأمـيركيون ماجموعه ١٥ مليون طن من المتفجرات والقنابل والصواريخ فوق الهند الصينية ، كان نصيب فيتنام منها ١٤ مليون طن ، تركت على سطح الأرض الفيتنامية حفراً وتشوهات بلغ مجموعها أكثر من ٤٣ مليون حفرة غطت مئات الآلاف من الهكتارات من الأراضي الزراعية والحرشية والتي تحولت الى مايشبه الوجه الحقيقي للقمر ، اضافة الى حوالى عشرة ملايين قنبلة وقذيفة لم تنفجر .

وقد شملت المتفجرات الملقاة على فيتنام مئات آلاف الأطنان من قنابل النابالم ، ومن

المواد الكيمياوية المضادة للنباتات ، وكمية هائلة من المواد الكيمياوية السامة والغازات الخانقة المضادة للانسان والحيوان ، وجربت على الأراضي والمنشآت الفيتنامية أسلحة وقنابل وصواريخ حديدة كان أبرزها (في حينه) القنبلة الزلزالية التي تحدث تخريباً للكائنات الحية في دائرة قطرها ثلاثة كيلومترات ، وقنبلة CBU. 55B القادرة على حرق الأوكسجين في دائرة قطرها خمسمائة متر .

واسفرت مئات الآلاف من الأطنان من المتفجرات التقليدية والكيمياوية عن مقتل واصابة وتشويه أكثر من مليون وربع المليون من المواطنين الفيتناميين وأربعة ملايين من الحيوانات (خنزير وماعز وجاموس) . استخدمت ضدهم مائتا ألف طن من قنابل النابالم ، ٣٥ ألف طن من الغازات السامة والخانقة .

وحسب البيانات التي أصدرتها الجهات المعنية في فيتنام فإن الامريكيين استخدموا أكثر من ٧٥ مليون ليتر من المواد الحارقة للنباتات Henbicides ٤٤ مليون ليتر من المواد الحارقة Colororange وعشرة الاف طن من الغارات السامة C51 - C52 والغازات الخانقة .

وقد اسفرت تلك الحرب الكيمياوية عن تخريب ٤٣ بالمائة من الأراضي الزراعية ، ٤٤ بالمائة من الأحراش والغابات في الجنوب الفيتنامي ، وكان نصيب مزارع المطاط خمسين ألف هكتار ، وجوز الهند خمسة وثلاثين الف هكتار ، واحترقت أو تضررت كمية من الأخشاب تصل الى مليون متر مكعب .

كما أصابت الغارات الجوية والقصف البحري والبري وعمليات التمشيط أكثر من ٧٥ بالمائة من القرى الفيتنامية . دمرت منها أكثر من ٣٠ بالمائة ، بالإضافة إلى تدمير كلي أو جزئي أو إصابة عشرات المدن وعواصم الأقاليم والمحافظات والمدن الرئيسية ، وعلى وجه الخصوص المدن البحرية والموانىء النهرية . كل ذلك أدى الى تدمير حوالى ثلاثة ملايين منزل وتشريد عشرة ملايين مواطن داخل الأرياف والمدن . كما أدى الى اصابة أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة وعشر جامعات ومعاهد عليا وخمسمائة مستشفى وعيادة و٤٦٥ معبداً بوذياً و١٤٨ كنيسة ومنشأة دينية اضافة إلى السكك الحديدية والجسور والمشاريع المائية .

وقد استخدمت واشنطن ، خلال هذه العمليات التدميرية أكثر من ٦٠ بالمائة من قواتها البرية ، ٥٠ بالمائة من قواتها البحرية ، ٣٢ بالمائة من الطائرات التكتيكية ، ٥٠ بالمائة من الطائرات الإستراتيجية ، أكثر من ٨٠ بالمائة من حاملات الطائرات .

التشويه الاجتماعي والثقافي

لم تقتصر استخدامات الحضارة والتكنولوجيا العسكرية الاميركية على ماتقدم من اثار على حياة الانسان والحيوان والنبات والحياة العمرانية والاقتصادية ؛ بل تعدتها الى الآثار

المستقبلية التي تركتها داخل المجتمع الفيتنامي .

لقد دفعت أميركا أكثر من نصف مليون من ابنائها ، وأكثر من مليون من القوات الحليفة والمحلية ، الى داخل الحياة الفيتنامية يعيثون فساداً على امتداد عشر سنوات (١٩٦٥ - ١٩٧٥) انعشوا خلالها سوق البغاء والمخدرات والإجرام ، بحيث خلفوا وراءهم ، عند الرحيل ، أكثر من نصف مليون عاهرة مع حوالى نصف مليون طفل يتيم ، ونصف مليون مدمن على المخدرات والكحول مع مائة ألف مقعد وعاجز .

كما خلفت الحرب الأميركية وراءها أربعة ملايين مواطن يعانون من الأمراض العضوية أو السارية أو النفسية أو الأمية والتشرد . . اضافة الى ملايين النشرات والكتب والمجلات والأفلام التي كانت تضخ إلى قلب المجتمع الفيتنامي انماط الحياة والثقافة والأخلاق الأميركية « الحميدة » على حساب الثقافة الوطنية !

المصدر :

مقالة للمؤلف بمناسبة الحملة الأميركية ضد معمل ربطة الكيمياوي في ليبيا

مجلة الحرية - ص ٣٢ - ٣٣ تاريخ ١٩٨٩/١/٢٢

ملحق رقم ٦

فرسان التجربة العسكرية

يعود الفضل في نجاح الثورة الفيتنامية إلى كل مقاتل وكل مواطن فيتنامي، هذا مايردده باستمرار قادة فيتنام بتواضع عظيم، ومع ذلك يمكننا في الجانب العسكري من التجربة أن نرصد نبذة مختصرة عن حياة الأشخاص الذين تحملوا المسؤوليات العسكرية الرئيسية في الشمال والجنوب خلال سنوات الثورة.

السيد فونجوين جياب Vo Nguyen Giap

مواليد ١٩١٢ بمقاطعة ان كسا في وسط فيتنام، انهى دراسته الإبتدائية في هوي والثانوية في هانوي، اعتقل عام ١٩٣٠ وقتلت زوجته أثناء ذلك. درس الحقوق بجامعة هانوي ودرس التاريخ في دورات خاصة، عمل مدرساً للتاريخ بعدما حرم من استكمال دراسته العليا في باريس، ظل نشاطه السياسي محصوراً في الحزب الإشتراكي إلى ١٩٣٧، تلقى تدريبه العسكري ودرس الاستراتيجية في جنوب الصين، اسس وحدات الدعاية المسلحة وقادها في المناطق الشمالية ١٩٤٤، قاد القوات الثورية المسلحة في انتفاضة آب (أغسطس) ١٩٤٥، تولى وزارة الداخلية في أول حكومة لجمهورية فيتنام الديمقراطية، اصبح القائد العام للقوات المسلحة الفيتنامية ١٩٤٧ وقاد معركة ديان بيان فو/١٩٥٤.

أصبح وزير الدفاع عام ١٩٦٠،.وعضواً في المكتب السياسي للحزب ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

تولى رئاسة اللجنة العسكرية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي واشرف على معركة تحرير الجنوب.

حالياً لايتقلد أية مناصب عسكرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد فان تين زونغ Van Tien Dong

بعد انضمامه إلى الحزب الشيوعي تلقى دورة عسكرية قصيرة، شارك في انتفاضة آب (اغسطس) ١٩٤٥.

الجنرال فان تين زونغ عين في القيادة العسكرية العليا للثورة بعد مؤتمر تونكين العسكري في ابريل ١٩٤٥ ثم أصبح المفوض السياسي العام للجيش الوطني بعد المؤتمر العسكري في نوفمبر ١٩٤٦.

تدرج في المواقع العسكرية حتى أصبح قائد فرقة (الفرقة ٣٢٠) بعد معركة ديان بيان فو، درس في الأكاديمية العسكرية (احدى الدول الإشتراكية) تولى قيادة أركان القوات المسلحة وكان عضواً في المكتب السياسي، قاد معركة تحرير جنوب فيتنام ١٩٧٥.

أصبح وزيراً للدفاع في جمهورية فيتنام الإشتراكية خلفاً للجنرال جياب.

حالياً لايتقلد أية مناصب عسكرية.

السيد تران فان ترا Tran Van Tra

مواليد ١٩١٩.

١٩٣٦، انضم إلى اتحاد الشباب الديمقراطي.

١٩٣٨، اصبح عضواً في الحزب الشيوعي واعتقل في العام التالي.

شارك في النشاطات الإعلامية والتنظيمية للجبهة الفيتنامية ١٩٤٣ - ١٩٤٤.

١٩٤٤، اعتقل مرة اخرى وتحرر في انتفاضة آب (اغسطس).

١٩٤٥، شارك في العمل المسلح والسياسي في المنطقة العسكرية الجنوبية.

١٩٥٠، اصبح مفوضاً سياسياً ثم قائداً للمنطقة الشرقية بجنوب فيتنام.

١٩٥٥، عين نائباً لرئيس الأركان في القوات المسلحة.

١٩٦٣، اصبح قائداً للقوات الثورية المسلحة في جنوب فيتنام.

١٩٧٣، كان رئيساً للوفد العسكري الجنوبي في اللجنة العسكرية الرباعية المشتركة.

١٩٧٥، عين رئيساً لهيئة الإدارة العسكرية في منطقة سايجون، ثم قائداً ومفوضاً سياسياً للمنطقة، عضواً في اللجنة المركزية للحزب.

الجنرال تران فان ترا كان عضواً في قيادة حملة الجنوب ونائباً للقائد العسكري فيها، ثم تعين في قيادة الأركان بعد التوحيد. حالياً متقاعد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيد تران نام ترونغ جنرال Tran Nam Tning

مواليد عام ١٩١٨ في محافظة كوانغ نجاي.
اعتقل في الفترة من ١٩٣٩ - ١٩٤٤.
التحق بالفيت منه عام ١٩٤٥.
من عام ١٩٤٦ حتى ١٩٥١، كان قائداً عسكرياً للمناطق الجنوبية الأربعة
١٩٦٥ اصبح قائداً للقوات المسلحة التورية الجنوبية، وسكرتيراً لحزب الشعب الثوري
ثم وزيراً للدفاع في الحكومة الثورية المؤقتة ١٩٦٩. في هانوي شغل منصب مساعد رئيس الأركان.
ورئيس لجنة الشؤون العسكرية الجنوبية في اللجنة المركزية للحزب.

السيدة نجوين تي دينه Nguyen Thi Dinh

ولدت عام ١٩٢٠ في محافظة بن تري.
انضمت للمنظمات الشيوعية في الجنوب.
اعتقلت عام ١٩٣٩.
قتل زوجها الشيوعي وابنها.
اطلق سراحها عام ١٩٤٢.
انضمت إلى الجبهة الوطنية الموحدة ١٩٤٦.
قادت انتفاضة بن تري يناير ١٩٦٠
عام ١٩٦٤ انتخبت في هيئة رئاسة الجبهة، بصفتها رئيسة اتحاد المرأة.
عام ١٩٦٥ اصبحت مساعد القائد العام للقوات الثورية الجنوبية.
حالياً رئيسة اتحاد المرأة.

المحتويات

البـاب الثالث

البـاب الرابع

صدر عن مؤسسة عيبال ودار كنعان للدراسات والنشر:

١ ـ رواية «تجربة في العشق» .... الطاهر وطار
٢ ـ رواية «الجنرال في متاهته» .... غابرييل غارسيا ماركيز
٣ ـ كتاب «الانتفاضة ـ ثورة كانون» .... عمر حلمي الغول

سلسلة وثائق :

١ ـ كلمات على بوابة النصر :
(نداءات الانتفاضة ـ وثيقة الاستقلال)
٢ ـ No Voice is Louder than the Voice of the Uprising.

١ ـ سلسلة قضايا وشهادات :
* طه حسين .... مجموعة من الكتاب
٢ ـ التجربة العسكرية الفيتنامية .... علي فياض
٣ ـ الأمواج البرية (شـعر) .... ابراهيم نصر الله
٤ ـ احتجاز التطور :
(دراسة في اقتصاديات الضفة والقطاع) .... عادل سمارة
٥ ـ دراسة نقدية في أدب سميرة عزام .... يوسف اليوسف

تحت الطبع :

ـ حرب المياه من الفرات إلى النيل .... حمد سعيد الموعد

صدر للمؤلف :

الحب في ظلال الفانتوم

عن الاعلام الموحد ـ م.ت.ف بيروت ١٩٧٥

حرب الشعب في عمان

عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بيروت ١٩٧٥



قد يبدو الحديث عن التجربة الفيتنامية ، وخاصة في جانبها العسكري ، أمرا مثيراً للاستغراب ، بعد مرور خمسة عشر عاماً على الإنتصار الفيتنامي ، وبعد تراجع الحرب الثورية أمام الأحداث الدراماتيكية التي يشهدها المسرح الدولي .

وقد يبدو القيام بنشر دراسة موسعة حول تلك التجربة أشبه بالمغامرة المالية بالنسبة لدار النشر، إزاء سوق المطبوعات الرائجة في وقتنا الحاضر، وإزاء تكاليف إصدار الكتاب

فالترتيبات التي تجري في الساحة العالمية ليست أبدية ولا هي قدراً محتوما من وجه نظرنا ، مهما كانت آثارها قاسية ونتائجها مؤلمة في كثير من الحالات .

والصراع بين الخير والشر ، بين المضطهَد والمضطهِد ، بين المستغل والمستغل ، سيظل مفتوحاً، طالما هناك اضطهاد واستغلال واحتلال .

والمثل الفيتنامي خير دليل ، فالنضال لم يكن سهلاً ولا كان متصاعداً طوال الوقت ، فقد عاش المد والجزر ، وشهدت الثورة الفيتنامية أياما قاسية ، وتعرضت لظروف دولية قاهرة أدت إلى تقسيم البلاد . لكنها تمكنت في كل مرحلة من الإجابة على الأسئلة الأكثر إلحاحاً .

وقيمة الكتاب ، الذي نضعه بين يدي القارىء العربي ، أن مؤلفه ـ علي فياض ـ عايش التجربة الفيتنامية منذ العام ١٩٧٢ ، وشاهد بأم عينه الانتصار وإعادة توحيد الوطن الفيتنامي ، وبالتالي ، من واقع التجربة العيانية ، يقدم الإجابة الأكثر عمقاً عن السؤال :

لماذا ؟ وكيف انتصر الفيتناميون ؟

